

مجلة
كلية الآداب
علمية • محكمة



العدد الحادي والخمسون

٢٠٠٢ / ٢٠٠١

مجلس إدارة مجلة كلية الآداب



الرئيس
أ.د. فتحى عبد العزيز أبوراضى
عميد الكلية

نائب الرئيس ورئيس التحرير
أ.د. جمال محمود حجر
وكيل الكلية للدراسات العليا والبحوث

مدير التحرير
أ.د. محمد محمد علي قاسم
د. السيد السيد النشار

مستشارو التحرير
أ.د. لطفى عبد الوهاب يحيى
أ.د. عمر عبد العزيز عمر
أ.د. محمد علي الكردى
أ.د. فتحى محمد أبو عيانة
أ.د. محمد أحمد بيومى
أ.د. خليل حلمى السيد خليل
أ.د. محمد عباس إبراهيم
أ.د. أولجا مطر محمد غازى

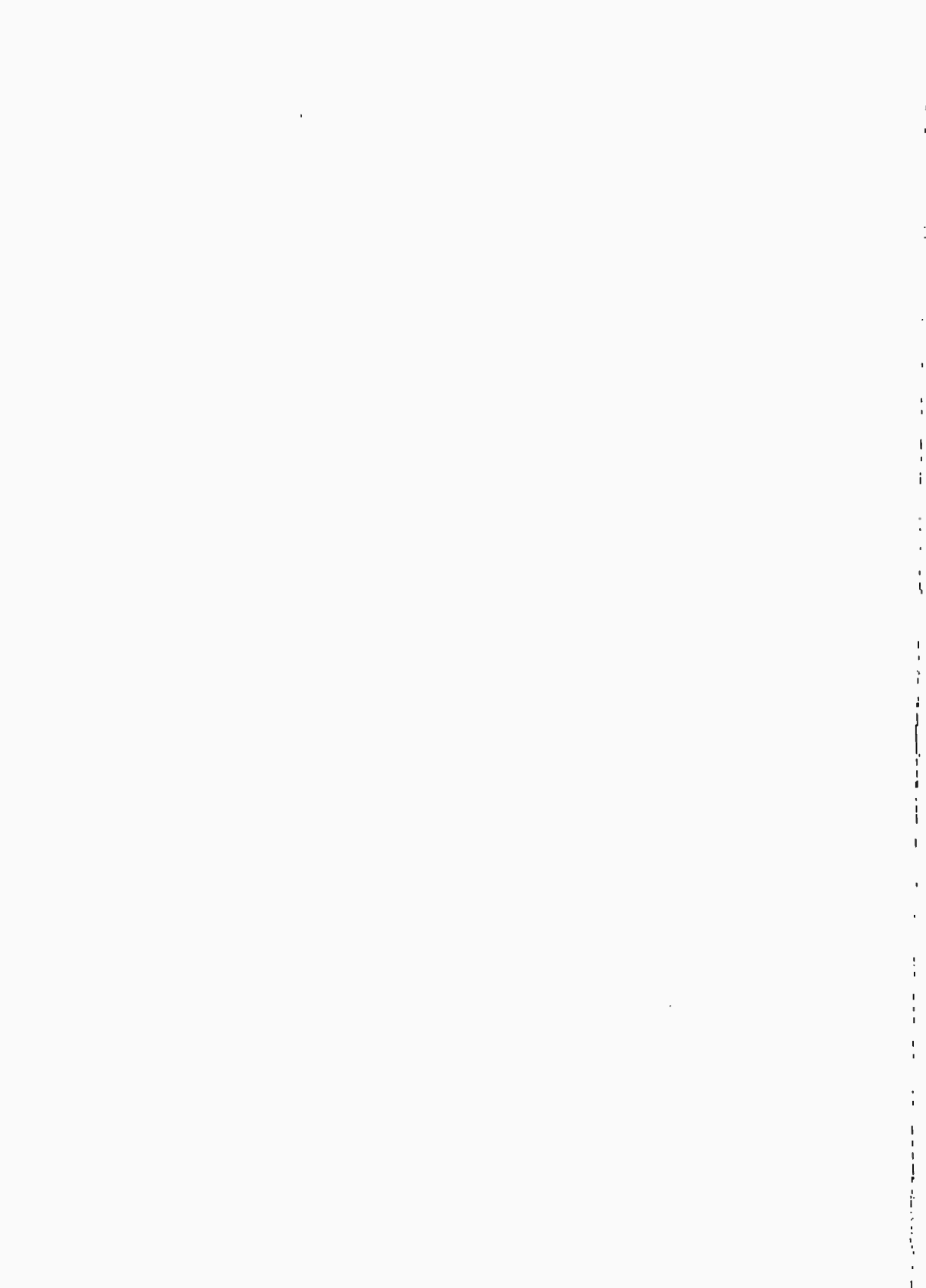
مكتبة التحرير
الأنسة / شيرين لطفى

بشرافه فنى
عبد الفتاح محمود العضرى

تقدم البحوث وتوجه جميع المراسلات
بأسم الأستاذ الدكتور / وكيل الكلية للدراسات العليا والبحوث
ورئيس تحرير مجلة كلية الآداب - جامعة الإسكندرية
الشاطبي - الإسكندرية
جمهورية مصر العربية

المحتويات

رقم الصفحة	
٧	✦ الترجمة بين حضارتين العربية والغربية في العصور الوسطى د. عثمان سليمان موالى
٣٥	✦ ألفاظ الفن المسرحي ودلالاتها في عبرية العهد القديم د. فحمة أحمد موسى
٧٩	✦ أدب القبائل التركية وسلاجقة الروم بالأناضول د. رشيدة رحيم الصبروني
١١٩	✦ دراسة تحليلية لخطب البابا أوبان الثاني في مجمع كليرمون د. حسن عبد الوهاب حسين
١٥١	✦ الخلافات بين الصليبيين وأثرها على الوجود الصليبي في المشرق بين الحملتين الأولى والثانية د. محمد محمد عبد الحميد فرحات
١٩٧	✦ دور الصليبيين في استيلاء البلقانيين على مدينة قصر أبي دالس ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م د. محمد محمود النشار
٢٢٥	✦ مواقف الشوري في غزوات النبي صلى الله عليه وسلم د. نورة بنت عبد الله آل الشيخ
٢٦٥	✦ الاستثناء خارج مصر منذ عهد محمد علي حتى نهاية عهد إسماعيل د. فوزي السيد السيد المصري
٢٩٧	✦ الأصل في اللغة دراسة أنطولوجية في قصيدة تراكل " أمية حنوية " د. صفاء عبد السلام علي جعفر
٣٦٩	✦ استخدام الاستشعار من البعد ونظم المعلومات الجغرافية في الدراسة الكمية لأحواض تصريف جنوب شرق سيناء د. إبراهيم محمد علي بدوي



الترجمة بين حضارتين العربية والغربية في العصور الوسطى

الأستاذ الدكتور

عثمان سليمان موافى

أستاذ النقد الأدبي

بكلية الآداب جامعة الإسكندرية

الترجمة بين حضارتين العربية والغربية

في العصور الوسطى*

إن النظرة المتأنية في تاريخ شعوب البحر المتوسط، بصفتيه الشرقية والغربية تؤكد لنا حقيقة هامة، وهي وجود تباين لغوي وثقافي وعقائدي، بين شعوب هاتين الصفتين، أدى في كثير من الأحيان إلى حدوث صراعات عسكرية بينهما.

ومما يوضح هذه الحقيقة قول إيرنست باركر، أستاذ علم السياسية بجامعة كمبردج «وقولنا الصراع بين الشرق والغرب لم يكن إلا تبسيطاً جغرافياً لسلسلة معقدة من الوقائع التاريخية.

والتاريخ سجل لأشياء أجل أثراً من تنازع الأمم على بقاع من الأرض على أن ذلك إنما يزداد وضوحاً واتساعاً حين نطرح ظاهر النضال بين الشرق والغرب، وننظر إلى جوهره الذي كان يتلون من عصر إلى عصر مضطرم مما بين الديانات والشعوب والمدنيات المتنافسة»^(١).

ويبدو هذا بشكل واضح في العصور الوسطى، التي شهدت مظاهر عديدة، من علاقات التأثير والتأثر، بين الحضارة العربية والحضارة الغربية، والتفاعل القوي بينهما.

* معاصرة أقيمت في مؤتمر حوار الحضارتين العربية والغربية عبر المتوسط، الذي عقد بجامعة بيروت العربية في الفترة من ٧ - ٩ مايو ٢٠٠٦.

وقد كانت الترجمة بمثابة جسر ربط هاتين الحضارتين ووسع دائرة الاتصال بينهما.

فمع بزوغ شمس الحضارة العربية، قامت حركة الترجمة إلى العربية عن بعض الثقافات الأجنبية آنذاك، كالفارسية والهندية، واليونانية التي تعد إحدى مكونات الحضارة الغربية.

وذلك في أواخر عصر بني أمية، وأوائل عصر بني العباس.

أما الترجمة عن اليونانية سواء في لغتها الأصلية، أم عن طريق بعض اللغات الأخرى، فقد بدأت في شكل محاولات فردية كمحاولة خالد بن يزيد ابن معاوية ٨٥ هـ دراسة كتب الصنعة أي الكيمياء، أملاً أن يكتشف سر تحويل المعادن إلى ذهب وقد استعان في ذلك، ببعض اليونانيين الذين جاءوا إلى مصر وتعلموا العربية.

ويتضح هذا من قول صاحب الفهرست «كان خالد بن يزيد بن معاوية يسمى حكيم آل مروان، وكان فاضلاً في نفسه، وله همة ومحبة للعلوم.

خطر بباله الصنعة فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر، وقد تفصح بالعربية، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي وهذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة»^(٣).

ومن هذه المحاولات الفردية محاولة في عهد عمر بن عبد العزيز ومحاولة في عهد هشام بن عبد الملك^(٣).

وهذه المحاولات القربية، لم تكن لها برامج محددة، ولم تحظ بإشراف الدولة، أو أى مؤسسة علمية بها، كما حدث فى عهد الخليفة العباسى المنصور، الذى تبنى حركة الترجمة وجعلها موضع اهتمام الدولة، ومن ثم وضعت لها البرامج وحددت لها الأهداف، وأعد لها خيرة المترجمين فى هذا العصر.

وكان الاهتمام فى هذه المرحلة من الترجمة التى يطلق عليها المرحلة الأولى أو البور الأولى^(٤)، موجهاً نحو كتب الفلك والطب^(٥)، ثم واصل هذا النشاط العلمى، الخليفة هارون الرشيد، وبانتهاء عهده تنتهى المرحلة الأولى من الترجمة، وتبدأ المرحلة الثانية بخلافة المأمون ، وتنتهى بنهاية القرن الثالث الهجرى^(٦).

أما المرحلة الثالثة فتبدأ من بداية القرن الرابع الهجرى إلى منتصف القرن الخامس^(٧).

وبعد عهد الخليفة المأمون، عهد ازدهار حركة الترجمة، فقد أنشأ داراً لها أطلق عليها بيت الحكمة، ووضع على رأس المترجمين بها يوحنا بن ماسويه، ثم جددت هذه الدار فى عهد الخليفة الواثق، وعين حنين بن إسحاق، رئيساً عليها.

والواقع أن الترجمة عن اليونانية سواء بطريق مباشر أم بطريق غير مباشر، قد نشطت فى عهد المأمون، واتسع نطاقها فلم تعد مقصورة على كتب الطب والفلك، ولكنها تجاوزت ذلك فشملت كتب الفلسفة والمنطق والرياضيات.

وقد توافرت هذه الكتب بعد عودة أعضاء البعثة العلمية التي أوفدها الخليفة المأمون إلى بلاد الروم، للحصول على مزيد من كتب الأوائل.

يقول صاحب الفهرست «فإن المأمون كانت بينه وبين ملك الروم مراسلات وقد استظهر عليه المأمون، فكتب إلى ملك الروم، يسأله الإنن في انفاذ ما من مختار من العلوم القديمة المخزونة المدخرة ببلاد الروم، فأجاب إلى ذلك بعد امتناع.

فأخرج المأمون لذلك جماعة منهم الصجاج بن مطر، وابن البطريق وسلمة صاحب بيت الحكمة وغيرهم»^(٨).

ثم يشير بعد ذلك إلى أن أعضاء هذه البعثة العلمية جاؤا من هناك «بطرائف الكتب، وغرائب المصنفات في الفلسفة، والهندسة، والموسيقى»^(٩).

وربما يرجع اتساع نطاق الترجمة في هذه الفترة إلى بعض التوجهات الفكرية، التي كانت تتبناها الدولة، وتروج لها مثل مذهب الاعتزال، ذي النزعة العقلية.

فمن الثابت تاريخياً أن المعتزلة، كانوا من أوائل المفكرين المسلمين الذين اطلعوا على التراث اليوناني، وخاصة المنطق الأرسطي.

وكان هدفهم من وراء ذلك تدعيم وجهات نظرهم في الحجاج الديني بأدلة عقلية منطقية، وخاصة بعد أن رأوا بعض أصحاب الديانات والعقائد غير الإسلامية، الذين يناقشونهم في مسائل دينية، قد تسلحوا بالمنطق اليوناني، لذا كان من الضروري، أن يتسلحوا بهذا السلاح القوي،

ليدحضوا الحجة العقلية، بحجة عقلية منطقية^(١٠).

وعلاوة على ذلك، فقد كان المأمون محباً للنظر، شغوفاً بالاطلاع على علوم الأوائل، وخاصة الطبيعيات، والإلهيات والمنطق، وكثيراً ما كان تتردد أسماء هذه العلوم في مجالسه، وكان يطلب من التراجمة، نقلها إلى العربية^(١١).

ويبدو أن معظم التراجمة الذين قاموا بنقل مثل هذه العلوم اليونانية الأصل إلى العربية، كانوا من السريان، يقول دى يور «والذين اشتغلوا بنقل كتب اليونان إلى العربية فيما بين القرنين الثامن والعاشر الميلادى يكادون جميعاً يكونون من السريان».

وقد نقلوا ما نقلوه إما عن التراجم السريانية القديمة أو عن تراجم أصلحوها هم، أو قاموا بها من جديد^(١٢).

وهذا ما يذهب إليه المستشرق الإنجليزى نيكلسون حيث يقول : «وكان عمل الترجمة يقتصر برمته على السريان إذ ترجمت كتب أرسطو، وجالينوس، وبطليموس وغيرهم من الأساتذة القدامى فى صوامع الشام والعراق، وقد أعيد ترجمة هذه الترجمات السريانية فيما بعد إلى العربية^(١٣)».

ويتضح من النصين السابقين أن السريان كان لهم دور علمى قبل الإسلام، يتمثل فى ترجمة بعض الكتب اليونانية إلى السريانية، وتعليم هاتين اللغتين ، وذلك فى القرن الرابع الميلادى، حيث كان لهم فى الشام

والعراق وما يجاورهما، خمسون مدرسة، تدرس فيها العلوم بالسريانية واليونانية^(١٤).

ومن أشهر هؤلاء التراجمة السريان يوحنا بن ماسويه، وكان على رأس المترجمين في عهد هارون الرشيد، ويوحنا البطريق مولى النعمان، وكان أميناً على الترجمة في عصره، ومع أنه كان بكى اللسان في العربية، فقد ترجم كثيراً من كتب الأوائل.

ومنهم حنين بن إسحاق، وكان تلميذاً ليوحنا بن ماسويه، ويستدل من تاريخ حياته، أنه تعلم العربية وأتقنها كما أتقن اليونانية كذلك.

ويذكر أنه كان يقوم بمراجعة ما نقل المترجمون إلى العربية ويشبهه في ذلك، قسطا بن لوقا البعلبكي الذي كان فصيح اللسان باليوناني والسرياني والعربي^(١٥).

وعلى أية حال، فيبدو أن هؤلاء التراجمة السريان كانوا يقومون بترجمة الكتب السريانية ذات الأصول اليونانية إلى العربية، أما الكتب اليونانية التي لم تترجم إلى السريانية فقد كانوا يقومون بترجمتها إلى السريانية، ثم تنقل بعد ذلك إلى العربية.

وليس من الضروري أن يقوم مترجم النص اليوناني بترجمته إلى العربية، فقد يحل محله مترجم آخر.

ويتضح هذا من فحوى كلام ابن النديم، عن ترجمة كتب أرسطو الثمانية إلى العربية.

يقول «الكلام على قاطيغورياس بنقل حنين بن إسحاق، الكلام على باري أرمانئوس : نقل حنين إلى السرياني، وإسحق إلى العربي، الكلام على أنا لوطيقا الأولى، نقله ثيادروس إلى العربي، ويقال عرضه على حنين فأصلحه.

الكلام على أبو ديقطيقا وهو أنا لوطيقا الثاني مقالتين ، نقل حنين بعضه إلى السرياني، ونقل إسحق الكل إلى السرياني، ونقل متى نقل إسحق إلى العربي.

الكلام على طوبيقا : نقل إسحق هذا الكتب إلى السرياني، ونقل يحيى بن عدي الذي نقله إسحق إلى العربي، ونقل الدمشقي منه سبع مقالات ونقل إبراهيم بن عبد الله الثامنة، وقد توجد بنقل قديم.

الكلام على سوفسطيقا ومعناه الحكمة، نقله ابن ناعمة وأبو بشر متى إلى السرياني، ونقله يحيى بن عدي إلى العربي.

الكلام على ريطوريقا : ومعناه الخطابة يصاب بنقل قديم، وقيل إن إسحق نقله إلى العربي، ونقله إبراهيم بن عبد الله، فسرره الفارابي أبو نصر.

الكلام على أبو طيقا ومعناه الشعر : نقله أبو بشر متى من السرياني إلى العربي ونقله يحيى بن عدي، وللكندي مختصر في هذا الكتاب^(١٦).

ولما كانت معظم هذه الكتب المترجمة، ليست منقولة عن النص الأصلي بل عن نص سرياني نقل عن النص اليوناني الذي هو في الواقع النص

الأصلى، فقد تجشم بعض المترجمين كثيراً من العناء، فى سبيل نقل عبارات النص المترجم نقلاً أميناً، وقد كان هذا يضطرهم الالتزام بحرفية الترجمة وتقديم والتعبير عن ألفاظ المؤلف إلى التعبير عن معانيه، فقد تتفق لهم إصابة المعنى مع الحرص على اللفظ، وقد يؤدى بهم الحرص على اللفظ إلى استغراق المعنى^(١٧). وفضلاً على حرفية نصوص هذه التراجم، فقد حقلت لغتها بكثير من الألفاظ العامية والدخيلة، وقد أدى هذا إلى اتسام لغتها بقدر ليس بالقليل من الغموض وعدم الوضوح.

وقد يكون هذا أحد الأسباب التى دفعت بعض الفلاسفة المسلمين مثل الفارابى وابن سينا، وابن رشد، إلى إعادة النظر فى بعض نصوص هذه الترجمات وشرحها، أو تلخيصها فى أسلوب واضح، مع تدعيم ذلك بشواهد من الشعر العربى^(١٨).

ويظهر أن هذا هو الذى دفع بعض المعاصرين مثل شكرى عياد وعبد الرحمن بدوى، وإبراهيم سلامة، إلى إعادة ترجمة بعض كتب أرسطو مثل كتاب الشعر، وكتاب الخطابة عن النص الأصلى^(١٩).

ومهما يكن من أمر، فيلاحظ أن معظم الكتب ذات الأصول اليونانية التى ترجمت إلى العربية، كانت كتب علوم وفلسفة ومنطق، ولم تتضمن فنوناً أدبية، ويؤكد صحة هذا رأى، قول صاحب كتاب تاريخ العلم، عن الذين أثروا فى الفكر العربى عن طريق الترجمة إنهم «كانوا على وجه التحديد العلماء الذين كتبوا فى الطب والفلك، والرياضيات والفلسفة»^(٢٠).

وتعد هذه العلوم في رأيي إحدى أسس النهضة العلمية، التي قامت على دعائمها الحضارة العربية.

ولست مغالياً حين أقول إنها أساس قوى من أسس التقدم العلمي في أي عصر من العصور، وفي عصرنا الحديث بنوع خاص.

وهذا يدلنا دلالة واضحة على القيمة العلمية للترجمة، وعلى حسن اختيار أسلافنا للمادة المترجمة.

ولو قارنا هذا بقلة عدد ما يترجم إلى العربية من كتب العلوم في عصرنا الحديث بالقياس إلى كثرة ما يترجم من كتب التسلية، وإزجاء الفراغ، لأدركنا سر تأخرنا عن ركب التقدم العلمي الذي قطعت فيه كثير من الأمم والشعوب الراحية أشواطاً بعيدة.

وعلى كل حال، فعلى الرغم من أن الترجمة عنيت بالجانب العلمي وكذا الفلسفي، وأغفلت الجانب الأدبي، فقد أثرت في اللغة العربية وأدائها تأثيراً واضحاً.

حيث وسعت من دائرة المعجم اللغوي وأمدته بثروة كبيرة من الألفاظ والمصطلحات العلمية والفلسفية.

كما أسهمت بعض العلوم المترجمة كالمنطق، في تقنين بعض العلوم اللغوية والأدبية، وتطور المصطلح النقدي والبلاغي

وقد ذكر بعض أساتذة البحث الأدبي المعاصرين شواهد عديدة على تأثر تراثنا الأدبي بالثقافة اليونانية، التي كانت الترجمة إحدى وسائل نقلها

إلى هذا التراث^(٢١).

وطبعى أن تتأثر الثقافة العربية بهذا الفكر الأجنبى الذى وصل إليها عن طريق الترجمة، ويسرى فى عروقها، فتصطبغ بعض ملامحها بصبغة العقلية.

ولاشك أن هذه الثقافة كان ينهل من معينها طلاب العلم وأعلام العصر، وعلى رأسهم المبدعون من الشعراء والكتاب، ولذا فليس من الغريب أن تترك هذه الثقافة أثراً لا يستهان به فى إبداعات بعض الأدياء، فينحرون فى أدبهم منحى عقلياً فلسفياً على نحو ما نجد فى كتابات بعض كتّاب النثر فى العصر العباسى، وفى أشعار بعض شعراء هذا العصر^(٢٢).

ويبدو هذا بشكل واضح فى صيغ هؤلاء الشعراء، وأخيلتهم الشعرية^(٢٣).

ولا ينبغى أن تغفل أثر هذا الاتجاه الفلسفى فى حركة تجديد الشعر العربى التى بدأت فى القرن الثانى الهجرى، وأدت إلى انقسام الشعراء والنقاد إلى محافظين ومجديدين، وقد كان من بين المأخذ التى أخذها المحافظون على المجديدين من الشعراء، محاولتهم صيغ الصياغة الشعرية، بالصيغة الفلسفية والمنطقية^(٢٤).

وقد عبر البخترى وهو أحد الشعراء المحافظين عن هذا الموقف بقوله:

كلفتمونا حدود منطقكم

شعر الشعر يكفى عن صدقه كذبه

ولم يكن ذو القروح يلهج الـ

منطق ، ما نوعه ، وما سببه

والشعر لمح تكفى إشارته

وليس بالهذر طولت خطبه^(٢٥)

ومهما يكن من أمر، فهذه شواهد واضحة على ما أحدثته الترجمة من تأثير مباشر، أو غير مباشر في قرائنا الأدبي.

ومن المعروف أن هذا التراث والتراث العلمى، الذى تأثر فى نشأته وتطوره بالترجمة ، يمثلان جانباً هاماً من جوانب الحضارة العربية.

لذا يمكننا القول بأن الترجمة عن اليونانية قد أسهمت إسهاماً فعالاً فى إرساء دعائم الحضارة العربية.

أما عن التجربة من العربية إلى بعض اللغات الأدبية فى العصور الوسطى، فيحسن بنا أن نقدم للحديث عنها، بوصف الحالة العلمية والثقافية لأوربا قبل اتصالها بالحضارة العربية سواء عن طريق الترجمة أم عن طرق أخرى.

وليكن شاهدتنا على ذلك قول أحد أساتذة الحضارة من الغربيين واصفاً الجذب الثقافى الذى كانت تعاني منه أوربا فى العصور الوسطى، فى الوقت الذى كانت الحضارة الإسلامية فى أوج ازدهارها.

يقول : «إذا رجعنا إلى القرن التاسع والعاشر من الميلاد حين كانت

الحضارة الإسلامية في أسبانيا ساطعة جداً، رأينا مراكز الثقافة في الغرب، كانت أبراجاً يسكنها سنيورات متوحشون، يفخرون بأنهم لا يقرأون.

ودامت همجية أوروبا البالفة زمناً طويلاً من غير أن تشعر بها، ولم يبد في أوروبا بعض الميل إلى العلم إلا في القرن الحادى عشر من الميلاد، وذلك حين ظهر أناس رأوا أن يرفعوا أكفان الجهل الثقيل عنهم، فولوا وجوههم شطر العرب، الذين كانوا أئمة وحدهم^(٢٦).

لذا لم يكن غريباً أن يشعر بعض نوى الفطنة من الأوربيين بأهمية الثقافة العربية، ويسارعون إلى نقل أمات كتبها إلى لغاتهم، ومن ثم قامت حركة الترجمة من العربية إلى بعض اللغات الأوربية، وخاصة اللاتينية في العصور الوسطى، ونشطت في القرن الثانى عشر الميلادى، حيث كان لها مراكز في أسبانيا، وجنوب إيطاليا.

ومن أبرز هذه المراكز طليطلة، التى ورثت قرطبة في احتضانها للثقافة العربية^(٢٧)، وأنشأت بها دار للترجمة تحت رعاية كبير أساقفتها رايموننو^(٢٨)، الذى كان يجيد العربية واللاتينية، وألف فى ذلك، معجماً باللاتينية والعربية، وبعض الكتب المستقاة من الثقافة العربية، مثل شرح الرمز، وخنجر الإيمان ضد المسلمين واليهود^(٢٩).

ويقال إن هذا الأسقف جمع عدداً من المترجمين فى عصره وطلب منهم نقل عيون التراث العربى إلى اللاتينية، وخاصة كتب الرياضيات، والفلك، والطب، والكيماء، والطبيعة، وما وراء الطبيعة، والمنطق والسياسة^(٣٠).

ومن أشهر مترجمي مدرسة طليطلة جُنْدِيسالفي Gundislawi وكان أحد كبار كنيسة طليطلة، ويوحنا بن داود الأسباني الذي كان يهودياً ثم تنصر.

ويبدو أن بعض مترجمي هذه المدرسة كانوا يقومون بترجمة النص العربي إلى اللغة الأسبانية الدارجة أو القشتالية، ثم يقوم مترجمون آخرون بنقله إلى اللغة اللاتينية.

ويظهر أن هذه المرحلة الثانية من ترجمة النص العربي، كان يقوم بها كبار المترجمين الذين يتقنون اللاتينية مثل جُنْدِيسالفي، ويوحنا بن داود.

وقد ارتفع شأن مدرسة طليطلة، وتسابق علماء من جنسيات أوروبية مختلفة لاقتفاء آثار مترجمي هذه المدرسة.

مثل جيراردو القرموني Geradio Ciremona الذي ترجم بعض المؤلفات العربية في الطب والفلك، ومايكل سكوت Micchael Scot الإنجليزى الذى نقل كتب أرسطو وابن سينا إلى اللاتينية.

وهرمان الألمانى Hermanas الذى ترجم كتاب الخطابة وكتاب الشعر لأرسطو، إلى اللاتينية، مستعيناً بالترجمات والشروح العربية لهذا الكتاب^(٣١).

ويطلق المستشرق الأسباني آنخل بالنثيا على هذه الطائفة من المترجمين، اسم المترجمين الغرباء، ويصف نصوصهم المترجمة، بعدم الوضوح، نظراً لركاكة لغتها اللاتينية ، ثم يقارن بينها وبين ترجمات كبار

مترجمى طليطلة فيقول : «الفرق بعيد بينها وبين الترجمات الواضحة، البليغة في بعض الأحيان، التي قام بها جنديساقو ويوحنا الإشبيلي»^(٣٢)، ومرد هذا في رأيي إلى إتقان هذين المترجمين اللاتينية والعربية ، وهذا لم يتوافر لدى المترجمين الغرباء، حتى إن بعضهم كان يستعين على فهم النصوص العربية، واللاتينية ببعض المترجمين الذين يجيئون العربية واللاتينية.

لذا ينبغي أن يكون المترجم متقناً إتقاناً جيداً للغة النص المترجم، واللة المترجم إليها النص.

وقد سبق أن لاحظنا معاناة بعض المترجمين السريان في ترجمة بعض النصوص السريانية المنقولة عن أصول يونانية، نظراً لعدم إجادتهم للغة النص الأصلي، وكذا اللغة المترجم إليها النص، وهي اللغة العربية.

وعلى أية حال ، فيبدو أن الاهتمام بترجمة علوم العرب في بعض مدن إسبانيا، قد ازداد في القرن الثالث عشر الميلادي ، وعلى وجه التحديد في عهد ألفونسو الحكيم ملك قشتالة وليون ، الذي كان يشرف بنفسه على هذا العمل، ومن أجله أنشئ في إشبيلية مدرسة لتعليم العربية واللاتينية.

وكان من بين أساتذتها بعض الأساتذة المسلمين الذين يتقنون العربية^(٣٣)، كما كان يشرف بنفسه على حركة الترجمة في طليطلة «وكان يأمر بترجمة ما يرى نقله من الكتب العربية خاصة، ويقوم بترتيبها وتنظيمها، وكان يراجع ما ينجز من الترجمات، ويصلح من أسلوياها»^(٣٤).

وأهم ما ترجم في عهده بالإضافة إلى علوم العرب، ترجمة القرآن

الكريم إلى اللغة الأسبانية، وكان قد ترجم إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر الميلادي ، كما ترجم في عهده كذلك بعض قصص السندباد ، وبعض الحكم والمواعظ الأخلاقية والسياسية^(٣٥).

والواقع أن الاهتمام بالثقافة العربية في العصور الوسطى، ونقل علوم العرب إلى اللاتينية، لم يقصر على بعض المراكز العلمية في أسبانيا، بل امتد كذلك إلى جنوب إيطاليا، وصقلية بنوع خاص، فقد واصل النورمانديون حكام جزيرة صقلية بعد خروج العرب منها، هذا النشاط العلمي، حيث نقلوا كثيراً من كتب التراث العربى إلى اللاتينية.

وقد دفعهم إلى ذلك إعجابهم الشديد بالثقافة العربية وحضارة العرب، التى بقيت أثارها فى هذه الجزيرة شاهداً عليهم.

ومن أشهر ملوكهم الذين كانوا ينهلون من معين هذه الثقافة، روجر النورمانى، وقد سار خلفاؤه على نهجه.

ومنهم غليوم الثانى الذى درس اللغة العربية وأتقنها، وكان يتخذ بعض مستشاريه من المسلمين، ويرجع إليهم فى كثير من شئونه الخاصة.

وقد زار الرحالة العربية ايمى جيبير صقلية فى عهد هذا الملك، وشاهد بنفسه إعجابه الشديد بالثقافة العربية، وبأصحابها.

ويتضح هذا من قوله عن هذا الملك «وهو كثير الثقة بالمسلمين وساكن إليهم فى أحواله، والمهم من أشغاله، حتى إن الناظر فى مطبخه رجل من المسلمين».

وله جملة من العبيد السود المسلمين، وعليهم قائد منهم. ووزرائه وحجابه الفتيان، وله منهم جملة كبيرة، هم أصل دولته والمرتسمون بخاصته»^(٢٨).

ويضيف إلى هذا قوله عنه «ومن عجيب شأنه المتحدث به، أنه يقرأ ويكتب بالعربية، وعلامته على ما أعلمنا به أحد خدمة المختصين به، الحمد لله حق حمده، كما كانت علامة أبيه الحمد لله شكراً لأنعمه»^(٢٩).

ومن ملوك أوربا الذين كانوا معجبين بالثقافة العربية، ويسلطوا نفوذهم على صقلية، الملك فردريك الثاني، الذي كان على علم بالثقافة الإسلامية في أصولها العربية^(٣٠)، وقد تعلم العربية في إحدى مدارس صقلية، ويشبه في اهتمامه بالثقافة العربية وبأصحابها، بالفونسو الحكيم^(٣١).

ومن المعروف أن فرنسيس بيكون الذى ينسب إليه اكتشاف المنهج العلمى فى العصر الحديث عاش فى هذه الجزيرة، ونهل من الثقافة العربية التى كان معجباً بها أيعا إعجاب، ويبدو أن هذه الثقافة هى التى أعانته على اكتشافه للمنهج العلمى، الذى عرفه أصحابها قبل ببيكون بزمن طويل.

يقول بريفولات «لقد نظم اليونان المذاهب، وعمموا الأحكام ووضعوا النظريات ولكن أساليب البحث فى دأب وأناة وجمع المعلومات الإيجابية وتركيزها، والمناهج التفصيلية للعلم، والملاحظة الدقيقة المستمرة، والبحث العلمى التجريبي كل ذلك كان غريباً تماماً عن المزاج اليونانى،

ولم يقارب البحث العلمى نشأته فى العالم القديم إلا فى الإسكندرية،

فى عهدىا الهلىنى.

أما ما ندعوى العلم فقد ظهر فى أوربا نتيجة لروح من البحث جديفة؁ وطرق من الاستقصاء مُستحدثة لطرق التجربة والملاحظة؁ ولتطور الرياضيات؁ إلى صورة لم يعرفها اليونان؁ وهذه الروح وتلك المناهج العلمية؁ أدخلها العرب إلى العالم الأوربى؁^(٤٠).

والواقع أن هذه المناهج العلمية التى أدخلها العرب إلى أوربا كانت كما رأينا ثمرة من ثمار ترجمة علوم العرب إلى بعض اللغات الأوربية؁ وهنا يكشف عن القيمة العلمية للترجمة.

ومما تجدر ملاحظته أن اهتمام بعض المراكز العلمية فى أسبانيا وصقلية بنقل الثقافة العربية إلى بعض اللغات الأوربية؁ لم يقصر على المؤلفات العلمية والفلسفية بل تجاوز ذلك إلى الفنون الأدبية.

وقد حظى الفن القصصى باهتمام كبير من المترجمين؁ وخاصة القصص ذات المغزى الخلقى؁ فقد نقل كثير منها إلى اللغة اللاتينية فى القرن الحادى عشر الميلادى.

ومن أبرز المترجمين الذين قاموا بهذا العمل موسى سقردى الذى ترجم ثلاثاً وثلاثين قصة عن العربية^(٤١).

كما ترجمت كلية ودمنة إلى اللاتينية عن أصل عربى^(٤٢) فى القرن الثالث عشر الميلادى؁ وقدمت إلى ألفونسو الحكيم.

ويقال إن هذه ليست أول ترجمة لكتاب كلية ودمنة؁ إلى اللاتينية فقد

سبقته ترجمة جون أف كابو John of Capua فى القرن الثامن الميلادى، عن أصل عربى كذلك^(٤٢).

ومن المعروف أن بعض الكتاب الأوربيين قد تأثروا فى بعض أعمالهم القصصية بهذا الكتاب.

ومن أبرز هؤلاء الكاتب الفرنسى لافونتين، الذى قال فى مقدمة الجزء الثالث من أقاصيصه «ليس من الضرورى فيما اعتقد أن أصرح بالمصادر التى استقيت منها هذه الموضوعات الأخيرة، غير أننى، أقول معترفاً بالجميل، إننى أخذت أكثرها عن بلباي الحكيم الهندى»^(٤٤)، ولاشك أن يقصد بلباي، بيديا مؤلف هذا الكتاب.

ومن ذلك أيضاً، ترجمة قصص ألف ليلة وليلة إلى اللاتينية، قبل ترجمة جالان إلى الفرنسية فى القرن الثامن عشر الميلادى^(٤٥).

وقد انتشرت هذه القصص فى الآداب الأوربية فى العصور الوسطى، وتأثر بها بعض الكتاب الأوربيين، آنذاك، ولا يزال أثرها واضحاً فى الكتابات الأوربية الحديثة، كما لا تزال تستحوذ على نفوس كثيرين منهم، ويعمل بعضهم ذلك بقوله «وإننا لنلمح فى ثنايا مغامراتها الغريبة، وخيالها الخصب، أنها خلقية، فى لبابها، ولولا هذه الصفة، لما شغف بها الأوربيون»^(٤٦).

وبالإضافة إلى ألف ليلة وليلة، فهناك قصص المغامرات التى ترجم الكثير منها ضمن قصص السندباد، التى عرفت فى أواخر القرن الحادى

عشر باسم السينتباس Sintipas^(٤٧) وقصة حى بن يقظان لابن طفيل،
التي ترجمها إلى اللاتينية بوكوك بعنوان «الفيلسوف المعلم نفسه»^(٤٨).

وهناك لون آخر من فنون النثر العرسى، أثر فى نشأة بعض فنون النثر
الاسبانى، ونعنى بذلك المقامات التى أثرت فى نشأة الروايات البيكارسيكية.
فقد لاحظ بعض الباحثين وجود تشابه فنى كبير بين هذين الفنين،
هالمقامات تصور حياة الأدباء الجوالين الذين يتذوقون من فنههم الأدبى، لذا
يصور بطل المقامات على أنه يتمتع بقدر كبير من الذكاء، وفصاحة اللسان،
والروايات البيكارسيكية عبارة عن قصص أسبانية تدور حول حياة المشردين
والصعاليك، ويسمى بطلها البيكارون Picaron وهو يتصف بنفس صفات
بطل المقامات^(٤٩).

ويظهر أن هذه الروايات البيكارسيكية قد أثرت القصص الأدبى
الحديث، وخاصة القصص الاجتماعى.

ومن أبرز ذلك جيل بلاس Gil blas للكاتب الفرنسى لى ساج^(٥٠).

والواقع أن تأثير الأدب العربى فى الأدب الأوروبية فى العصور
الوسطى، لم يقصر على فنون النثر وحسب، بل تعدى ذلك إلى الشعر.

يقول جب «وربما كان خير ما أسدته الآداب الإسلامية لأداب القرون
الوسطى أنها أثرت بثقافتها العربية وفكرها العربى فى كلا شعر القرون
الوسطى ونثرها»^(٥١). وبينو هذا بوضوح فى ظهور نوع من النثر العاطفى
فى إقليم البروفانس فى جنوب إيطاليا، يختلف فى مضمونه، وصياغته الفنية

عن الشعر القديم، وهو أقرب شبهاً بشعر الحب العذري في الألب
العربي^(٥٢).

ويرى جب أن هذا النوع من الشعر قد انتقل إلى إقليم البروفانس عن
طريق الأغاني الشعبية والزجل الأندلسي، وخاصة أزجال ابن قزمان، فهناك
أوجه شبه بين هذا الزجل وهذا النوع من الشعر^(٥٣).

يضاف إلى ذلك أن الذين اشتهروا بإنشاد هذا الشعر كانوا يسمون
بشعراء التروبادور، أي الشعراء الطوافون^(٥٤)، ويظهر أن كلمة تروبادور
مشتقة من الكلمة العربية طرب^(٥٥).

وقد أثر شعراء التروبادور في بقية شعر شعراء أوربا سواء من حيث
الموضوع والمضمون، أم من حيث الشكل الموسيقي^(٥٦).

كما أثر الزجل الأندلسي والشعر الغنائي في الشعر الأوربي
كذلك^(٥٧).

ومهما يكن من أمر، فهذا يدلنا دلالة واضحة على أن الألب العربي
شعره ونثره، قد أثر في الآداب الأوربية في العصور الوسطى تأثيراً قوياً،
بحيث صبح آداب هذه الفترة بصبغته، يقول جب : « إن تشرب العصور
الوسطى بموضوعات الألب العربي، كان في الحقيقة يؤلف مظهرًا من
مظاهر حركة فكرية عامرة شملت تلك العصور »^(٥٨).

يضاف إلى ذلك سيطرة نوع من الخيال الجامع على كتابات كثير من
الكتاب الأوربيين.

ويعمد هذا عاملاً من عوامل نشأة الحركة الرومانسية يقول وارتون :
«إن ذلك النوع من الخيال الجامع الذي تعودنا أن نسميه «رومانتك» لم
يعرفه كتاب الإغريق والرومان، ويبدو أن الذين أدخلوه إلى أوروبا، أناس
كانت أساليبهم في التفكير، وأحوالهم في الخلق والإبداع غريبة على هذه
القارة».

وأغلب الظن أن أولئك الناس الذين أعاروا أوروبا هذا الخيال هم
العرب^(٥٩).

وعلاوة على هذا كله ، فقد نتج عن ترجمة علوم العرب وآدابهم إلى
بعض اللغات الأوروبية في العصور الوسطى تغلغل الثقافة العربية، في
الثقافة الأوروبية واستحواذها على عقول الأوروبيين ووجداناتهم ، وقد أدى هذا
إلى حدوث انقلاب خطر في الفكر الأوربي، مهد كما يقول المستشرق
الإنجليزي جب إلى نشأة النهضة الأوروبية الحديثة^(٦٠).

ومصادقاً لقول جب ، فإن النهضة الأوروبية الحديثة Renaissance
قامت على دعائمين، إحداهما، إحياء التراث اليوناني ، والدعامة الثانية
إحياء التراث اللاتيني، الذي تشرب الثقافة العربية في العصور الوسطى،
وأصبحت جزءاً من نسيجه العام، لحمته وسدى.

وبناء على هذا كله، يمكننا القول بأن الترجمة عن العربية إلى بعض
اللغات الأوروبية في العصور الوسطى أسهمت بقدر كبير في تشكيل ثقافة
هذه الحقبة الزمنية ، وامتد أثرها إلى العصر الحديث وما شاهده من
إنجازات علمية كثيرة بفضل تطبيق المنهج العلمي الذي يعد إحدى ثمار
التفاعل بين الحضارتين العربية والغربية في العصور الوسطى.

هوامش البحث :

(١) تراث الإسلام The Legacy of Islam الترجمة العربية، الناشر، مكتبة الآداب، ١٩٨٣م، ص ٨١-٨٢.

(٢) ابن التديم، الفهرست، ص ٣٢٨، ط دار المعارف بتونس (مصورة عن الطبعة المصرية).

(٣) ابن جليل، طبقات الأطباء والحكماء، ص ٦١، تحقيق فؤاد السيد.

(٤) أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج ٢، ص ٢٢٧-٢٢٨، الناشر : النهضة المصرية.

(٥) تراث الإسلام (فارس والعرب)، ص ٩٢ (مجموعة أبحاث لبعض المستشرقين)، الترجمة العربية، الناشر عيسى اليابى الحلبي.

(٦) عثمان موافى، التيارات الأجنبية في الشعر العربي، ط الثانية، ص ١١٥، الناشر : دار المعرفة الجامعية.

(٧) أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج ٢، ص ٢٢٧-٢٢٨.

(٨) ابن التديم، الفهرست ، ص ٣٢٩.

(٩) المرجع السابق، ص ٣٤٠.

(١٠) أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج ٢، ص ٢٠٥-٢٠٦.

(١١) المسعودي، مروج الذهب، ج ٤، ص ٢، الناشر : المكتبة العصرية ببغداد.

(١٢) دى بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام، ص ٢٨ - ٢٩، ترجمة محمد عبد الهادى أبو رييدة.

(١٣) نيكلسون، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي، ترجمة صفاء خلوصي، ص ١٥٥.

(١٤) جورجى زيدان، تاريخ التمدن الإسلامى، ج٢، ص ١٤٩-١٥٠. ط : دار الهلال.

(١٥) تراجع تراجع هؤلاء فى الفهرست لابن النديم، ص ٣٤٦، ص ٤٠٩-٤١٥.

(١٦) الفهرست ، ص ٢٤٧ - ٢٥٠.

(١٧) شكرى عياد، كتاب أرسطوطاليس فى الشعر، ص ١٦٨.

(١٨) تراجع فى ذلك شروح الفارابى وابن سينا وابن رشد لكتاب الشعر لأرسطو

(١٩) تراجع فى ذلك ترجمة شكرى عياد لكتاب الشعر، وترجمة عبد الرحمن بنوى لهذا الكتاب، وترجمة إبراهيم سلامة لكتاب الخطابة.

(٢٠) جورج سارتون، تاريخ العلم، ص ٢٦٠ - ٢٦١.

(٢١) تراجع بحث طه حسين، البيان العربى من الجاحظ إلى عبد القاهر، المنشور

ضمن كتاب نقد النثر، وإبراهيم سلامة، بلاغة العرب بين أرسطو واليونان، ص

٢٨ - ٢٠، وأحمد أمين، ضحى الإسلام، ج٢، ص ١٤٢، وشكرى عياد ، كتاب

أرسطوطاليس فى الشعر، ص ٢٥٢ - ٢٨٤.

(٢٢) مثل بعض كتابات الجاحظ، والتوحيدى، وابن العميد، وكذلك بعض أشعار أبى

تمام والمتنبى، وأبى العلاء.

(٢٣) راجع كتابى التيارات الأجنبية (موضوع : صياغة الشعر صياغة فلسفة،

وخصوية الخيال).

- (٢٤) الأمدى، الموازنة بين الطائفتين، راجع مقدمة الكتاب، ط : دار المعارف.
- (٢٥) ديوان البحترى، ج ١، ص ٢١٩، ط : دار المعارف بمصر.
- (٢٦) جستاف لويون ، حضارة العرب، ص ٥٦٦ - ٥٦٧.
- (٢٧) تراث الإسلام، ج ١، أسبانيا والبرتغال، ص ١٧.
- (٢٨) ول ديوارنت، قصة الحضارة، ج ٦، من المجلد الرابع، ص ١٧.
- (٢٩) أنخل، تاريخ الفكر الأندلسى، ص ٥٤١ (الترجمة العربية).
- (٣٠) المرجع السابق، ص ٥٣٧.
- (٣١) المرجع السابق، ص ٥٣٩.
- (٣٢) المرجع السابق، والصفحة.
- (٣٣) تراث الإسلام، ج ١، من ٦٠ - ٦٢.
- (٣٤) أنخل، تاريخ الفكر الأندلسى، ص ٥٧٥.
- (٣٥) المرجع السابق، ص ٥٧٧.
- (٣٦) رحلة ابن جبير، ص ٢٩٧ - ٢٩٨ ط : بيروت.
- (٣٧) المرجع السابق، ص ٢٩٨.
- (٣٨) العقاد، أثر العرب فى الحضارة الأوربية، ص ٦٨، ط : الخامسة (دار المعارف بمصر).
- (٣٩) تراث الإسلام، ج ١، ص ٥٤.

(٤٠) Briffault : Making of Humanity, p. 120.

(٤١) أنخل، تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٥٧٩.

(٤٢) وذلك لأن الأصل الهندي لكليلة ودمنة مفقود ومن هنا تلقى أهمية الترجمة العربية.

(٤٣) تراث الإسلام، ج ١، ص ١٨٦.

(٤٤) غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص ٩٩.

(٤٥) تراث الإسلام، ج ١، ص ١٩٦، وراجع كذلك أنخل ، تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٥٩٤ - ٥٩٩.

(٤٦) تراث الإسلام، ج ١، ص ٢٠٤.

(٤٧) أنخل، تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٥٨٢ - ٥٨٣.

(٤٨) المرجع السابق، ص ٢٥٠.

(٤٩) تراث الإسلام، ج ١، ص ١٨٨.

(٥٠) غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص ١٠١، وراجع للمؤلف نغمه كتابه النقد الأدبي الحديث، ص ٥٠٨ - ٥٠٩.

(٥١) تراث الإسلام ، ج ١، ص ٥٢.

(٥٢) المرجع السابق ، ج ١، ص ١٦٠.

(٥٣) غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص ١٠٨.

(٥٤) أحمد أمين، قصة الأدب في العالم، ص ٢١٧.

(٥٥) العقاد، أثر العرب في الحضارة الأوربية، ص ٧٠.

(٥٦) تراث الإسلام، ج ١، ص ١٧٥.

(٥٧) أنخل، تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٦١٢ - ٦٢٢.

(٥٨) تراث الإسلام، ج ١، ص ١٨٩.

Warton, History of English Poetry VI : Origin of
Romantic Fiction, P. a.

(٦٠) جب ، تراث الإسلام، ج ١، ص ١٩٠.

ألفاظ الفن المسرحى ودلالاتها فى عبرية العهد القديم

د/ فتحية أحمد موسى
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

مقدمة

إذا كان ينظر إلى الفن المسرحي باعتباره فنا نشأ على يد الاغريق، فإن هذا لا يعنى أن من سبقوا الاغريق من الأمم لم يعرفوا هذا الفن. بل إن الفن المسرحي فى الحضارة المصرية القديمة الذى نشأ مرتبطا بالدين هذا الفن المسرحي كان له أثره فى الفن المسرحي الإغريقى ولاسيما مسرحية أونوديس.

كذلك عرف البابليون والفينيقيون أو الكنعانيون هذا الفن المسرحي، وعلى الرغم من تأثر بنى إسرائيل بالكنعانيين فى لسانهم وفى بناء المعابد على المرتفعات إلا أنهم لم يحفلوا بهذا الفن حيث كان الكهنة ينظرون إليه نظرة كراهية.

ولكن الحركة الصهيونية فى العصر الحديث اربطت بإحياء اللغة العبرية، فتساند دعاة الحركة الصهيونية ومؤسسو المسرح معا. ومن هنا اهتم البحث بالألفاظ المستخدمة فى فن المسرح تأصيلا ودلالة. ويتقسم البحث إلى مبحثين وخاتمة:

المبحث الأول:

نبذة عن الفن المسرحي قديما.

وتتناول فيها المسرح لغة واصطلاحا ولحمة موجزة عن فن المسرح قديما وموقف كهنة بنى إسرائيل منه.

المبحث الثاني:

تأصيل بعض ألفاظ الفن المسرحي، مثل كلمة خشبة المسرح والمقصورة المسرحية أو المشهد والمحثل.

الخلاصة:

وفيها نبين أن الألفاظ التي تناولت الفن المسرحي ألفاظ كلها ذات دلالات دينية مما يؤكد نظرة التقديس للغة. كما تبين أن الهدف من الفن المسرحي هو الارتباط بالأرض وقداسة اللغة قداسة للرموز الدينية والرموز الدينية قداسة للأرض لان الرموز الدينية مرتبطة بدورها بالمكان.

المبحث الأول نبذة عن الفن المسرحي قديما

المسرح لغة:

الأصل في الكلمة مادة سرح، يقال في العربية سَرَحَ عنه فانسرح وتسرح: فرَجَ وإذا ضاق شيءُ فقرَجت عنه قلت سَرَحْتَ عنه تسريحا^(١) وكلمة المسرح اسم مكان للتسريح وهذا يعنى ارتباط المسرح بتفريج الضيق أو التسريح.

ولا يوجد مقابل في اللغة العبرية لمادة سرح في اللغة العربية إلا ما كان من قبيل المشابهة الصوتية مثل مادة:

סָרַח : بمعنى استند أو تدلى^(٢) حيث ذكر في الخروج ١٢: ٢٦
بمعنى تدلى ، סָרַח לֵאמֹר לַיהוָה אֱלֹהֵינוּ
סָרַח לֵאמֹר לַיהוָה אֱלֹהֵינוּ
«وأما المدلى الفاضل من شقق الخيمة نصف الشقة الفاضل فيدلى على مؤخر المسكن»^(٣)

وفي عاموس ٤: ٦ ذكر اسم المفعولين بمعنى المتمددين.

וְהָסִיפוּהֶם לֵאמֹר יָרָא אֱלֹהֵם

«والمتمددون على فرشهم» حيث ذكرت كلمة סָרַח أى متمددون موازية لكلمة סָרַח مضطجعون في العبارة نفسها. «יָרָא אֱלֹהֵם» - יָרָא - «المضطجعون على أسرة من العاج» فالكلمة في اللغة العبرية لا

(١) لسان العرب (سرح).

(2) Gesenius, William: Hebrew and English lexicon. p710.

(٣) انظر سقيا ٢٣ : ١٥.

صلة لها بدلالة المسرح فى اللغة العربية إذ المقصود بها مكان التفريخ بالمعنى اللغوى للكلمة.

المسرح اصطلاحاً:

قيل فى تعريف المسرح «هو البناء الذى يحتوى على الممثل / أو خشبة المسرح وقاعة النظارة كقاعات أخرى للإدارة واستعداد الممثلين لأدوارهم. وقد يراد به الممثل (أى مكان التمثيل) وقاعة المشاهدين فقط»^(١)

أما كلمة مسرح بهذا المعنى الاصطلاحى فى اللغة العبرية فهى «מִסְתָּח» وهى منقولة من الإنجليزية theatre أو theater والكلمة الإنجليزية بدورها مأخوذة من اليونانية theatron ومعناها الحرفى مكان المشاهدين فى اليونانية.^(٢)

فالكلمة جديدة على اللسان العربى

لمحة موجزة عن فن المسرح قديماً :-

ننظر إلى فن المسرح باعتباره فناً غريباً، وقد اصطلح على أن الفن المسرحى أو الدرامى نشأ على يد الأغريق فى القرن السادس ق.م، وكان ازدهاره فى القرن الخامس ق.م. ولكن هذا لا يعنى أن الفن المسرحى نشأ من عدم، بل إن ازدهاره عند الإغريق يؤكد أن هناك مراحل سابقة، ربما كانت أقل تطوراً. إلا أننا نستطيع إنكار وجود المسرح فى الحضارات السابقة. إذ إن إنكار مثل هذا الفن - وإن كان فى صورة بدائية - يُعد نظرة ضيقة

(١) معجم المصطلحات العربية فى اللغة والأدب. د/ مجدى وهبة - كامل المهندس ص ١٩٥.

(٢) هذا المعنى فى اليونانية قاله لى الأستاذ الدكتور/ لطفى عبد الوهاب أستاذ الحضارة بالكلية.

توصى بالانحياز إلى كل ما هو غريب، وخاصة أن الوثائق والمعلومات المتاحة تشير إلى أن المصريين القدماء عرفوا فن المسرح في أحد أشكاله^(١).

بل إن بنيديت Benedite سنة ١٩٠٠ يلعب إلى أن مصر شهدت تطورا في المسرح أشبه ما يكون بما شهدته بلاد الإغريق، حيث كان المسرح وليد الشعائر الدينية.

وينما يرى فيلمان Wiedmann سنة ١٩٠٥ أن مصر لم تتخطَ مرحلة العروض الدينية، وأن الأغريق بعبقريتهم استطاعوا أن يتفهموا بها إلى الوضيع المسرحي. فإن كورت زيت Seithe سنة ١٩٢٨ يقطع بأن هناك نصوصا درامية وكان هذا حجة قاطعة شاركه فيها علماء الآثار المصرية، وهكذا خرج الحديث عن المسرح المصري من الرجم بالغيب والتموض إلى وضع الحقيقة، وأصبح شيئا مؤكدا تؤثقه الوثائق^(٢).

فنشأة المسرح المصري موعلة في القدم لأنه عاش موصولا بالدين.

وإذا كان الفن المسرحي كغيره من الفنون مرتبطا بالحضارة كفضلا عن ارتباطه بالدين كما رأينا في الحضارة المصرية القديمة فإن منطقة الشرق الأدنى القديم قد حفلت بحضارات دلت عليها آثارها الباقية. وفقى بابل وآشور وفينيقيا قدر غير قليل من الآثار الخالدة من الآثار المادية كالمسرح. مما يثبت أنها كانت أماكن لتمثيل، وإن كان العثور على نصوص مسرحية في بعض الحضارات ليس بالقدر الثابت أو الكافي حتى الآن^(٣).

(١) مجلة عالم الفكر - المسرح - المجلد ١٧ - العدد الرابع سنة ١٩٨٧ ص ١١.

(٢) المسرح المصري القديم لكيف إيجن ديوتون. ترجمة د/ ثروت عكاشة ص ٣٣، ٣٤.

(٣) مجلة عالم الفكر. (المسرح) المجلد ١٧ ص ٢٥.

أما في اليمن السعيد فيقول إسرائيل ولفنسون:

«تعد بلاد اليمن الجنوبية من أقدم مراكز الحضارة عند الأمم السامية؛ إذ كان موقع بلاد اليمن الجغرافى من أهم الأسباب التى أدت إلى نشوء الحضارة فى ربوعها قبل أن يظهر لها أثر فى المناطق الشمالية من جزيرة العرب وقد كان لهذه الأرض أثر كبير فى اتساع العقل كونه الخيال عند شعوب العرب باليمن منذ زمن بعيد. هذه الطبيعة الساحرة قد هزت نفوس تلك الشعوب، وحركت عقولها وأفسحت المجال أمام خيالها فأنتجت آثارا أدبية رائعة»^(١)

وإذا كانت الحضارة اليمنية قد خلفت آثارا أدبية رائعة؛ فلا بد أن يكون للمسرح مكان بارز وآثار غير محدودة. وما بقى من الآثار المادية للحضارة اليمنية القديمة يثبت أنها لم تكن حضارة مقصورة على الجانب المادى وحده بحيث لا ترافقها نهضة أدبية فى الشعر والمسرح تتوازى مع التقدم المادى الهائل؛ حيث دلت الكشف على وجود مسرح مطمور بجوار سد مأرب وربما تؤدى الكشف القادمة إلى معرفة ألوان من أدب المسرح»^(٢)

فإذا ما عدنا إلى منطقة فينيقيا أو كنعان - كما يبدو من تمحيص المصادر - فهما شئ واحد^(٣) فإننا نجد ارتباط الفن بالدين. وقد تبين من الآثار المادية وجود مسارح مما يثبت أنها كانت أماكن للتشيل. وقد كانت الأضاحى تقدم على المرتفعات؛ حيث اعتاد الكنعانيون إقامة المنصات المقدمة

(١) تاريخ اللغات السامية، إسرائيل ولفنسون، ص ٢٢٨، ٢٢٩.

(٢) مجلة عالم الفكر (المسرح) المجلد ١٧ ص ٢٦، ٢٧.

(٣) الحضارات السامية، سيجنر موسكاتى - ترجمة د/ مصطفى بكر ص ٨٩.

على المرتفعات^(١) فحما لاشك فيه أن هذه النصوص المرتفعة كانت تمثل أيضا أماكن للتمثيل.

المسرح وبنو إسرائيل أو (يعقوب) في كنعان :-

هذا وقد تأثر بنو إسرائيل في كنعان بتقديم الأضاحي على المرتفعات حيث كان يذهب النبي صمويل إلى البامة *בְּאֵת הַבָּמָה* أو المرتفعة للذبح^(٢).

وفيما هما آتيان في وسط المدينة إذا بصمويل خارج للقائهما ليصعد

إلى المرتفعة،
*וַיַּעֲלֵם הַנָּבִיא صָמוּئֵל בְּעֵת הַבָּמָה וַיִּפְגַּע בְּשָׁמוּئֵל
 בְּאֵת הַבָּמָה*

اصم ١٤:٩.

هنا من ناحية كومن ناحية أخرى انخذ بنو إسرائيل اللسان الكنعاني لغة لهم. ذلك اللسان الذي سُمّي فيما بعد باللغة العبرية تلك اللغة التي كُتِبَ بها العهد القديم. ويمثل العهد القديم الميراث اللغوي لبني إسرائيل! ولنقل الميراث الأدبي. ونحن نستخدم مصطلح أدب العهد القديم فإننا نستخدم بمفهومه الواسع للأدب لا بمفهومه الضيق الذي يتضمن الشعر والقصة والمسرحية وغيرها من فنون القول. وإنما باعتبار العهد القديم كتاب أدب وعقيدة وشعائر دينية. وإن كانت قراءة العهد القديم باعتباره أدبا ليست مريحة لمن يتمسكون بالنظرية الدينية للكتاب^(٣) فإنه يتضمن بعض فنون

(1) Encyclopaedia of religion and Ethics. vol IV p. 897. By: Louis H. Gray.

(2) سفر صمويل الأول ١٢:٩-١٤.

(3) John B. Gabel- Charles B. Wheeler.
 The Bible As literature. pp. 3-4.

القول مثل أنشودة النصر المنسوبة إلى موسى عليه السلام فى الإصحاح الخامس عشر من سفر الخروج، وكذلك أنشودته فى الإصحاح الثانى والثلاثين من سفر التثنية، ومرثية داود التى رثا فيها شاول وابنه يوناتان فى الإصحاح الأول من سفر صمويل الثانى. وكذلك بعض الأشعار فى سفر المزامير التى تعتمد على السطور المتوازنة لاعلى القافية.

كذلك يتضمن العهد القديم لونا من الأدب يطلق على أدب الحكمة متمثلا فى أسفار الأمثال والجامعة وأيوب. وإن كان هذا اللون من الأدب وُجد عند الكنعانيين والمصريين والبابليين حتى إنه وجد كذلك فى فارس ووجد أخيرا عند اليونانيين^(١).

ويرى بعض الباحثين أن هذا اللون من الأدب يعد غربيا على أسفار العهد القديم، فليس هناك ما يؤكد أن سليمان قد ألف سفر الأمثال أو الجامعة حيث يشبه سفر الأمثال كتابا مصريا وبعد هذا الكتاب المصرى مصدرا لسفر الأمثال^(٢).

أما سفر أيوب كما يرى المفسرون فليست سمته يهودية أو إسرائيلية بل إن هناك احتمالا أن تكون مادته مستقاة من مصدر أجنبى وانتحلت على أدب بنى إسرائيل^(٣)، ولغة السفر تأثرت بالعربية تأثرا كبيرا^(٤) مما جعل بعض المؤرخين يرى أن سفر أيوب كُتب فى بلاد العرب اليمنيين وكان منظوما شعرا كما نظمت الإلياذة ثم ترجمه اليهود إلى العبرية نثرا وأدخلوه ضمن أسفارهم المقدمة ثم ضاع الأصل العربى^(٥).

(1) Isidore Epstein in: Judaism. p. 73.

(2) Ibid. pp. 112-15.

(3) Stanley Leathes: A Bible commentary (Job) vol. IV. p. 2.

(4) Hugh Anderson: The Interpreter's one volume. p. 239.

(٥) مجلة عالم الفكر مجلد ١٧ (المصرح من ٢٧).

فاذا ما انتقلنا إلى الأدب المسرحي عند العبرانيين نجد أدها هزئلا وهو مجرد محاولات حدثت لتفسير أنشودة موسى التي وردت في سفر التثنية ٣٢: ٢٠-٤٣. وأنشودة مريم في سفر الخروج ١٥: ٢٠-٢١ بالإضافة إلى نشيد الأناشيد الذي يعتبر عملا دراميا.^(١)

ولذا كان ينظر إلى نشيد الأناشيد باعتباره عملا دراميا فإن نشيد الأناشيد فيه مؤثرات فارسية ويونانية^(٢) حيث إن ذكر ترصة موازية لأورشليم^(٣) يوضح أن تاريخ كتابة السفر تعود إلى ما بعد فترة الانقسام الملكي. بل إن صورة السفر لا يمكن لرجاعها إلى ما قبل السبي^(٤) مما يؤكد تعرضه لتلك المؤثرات.

وعلى الرغم من ذلك فهي محاولات هزيلة لم تتجع فضلا عن المؤثرات الأجنبية في النصوص الأدبية نجد أيضا موقف بنى إسرائيل بصفة عامة تجاه هذا اللون من الفن موقفا عدائيا حيث وردت عبارات في سفر التثنية ٢٢: ٥ تقول:

(1) Encyclopaedia of Religion and Ethics. vol IV p. 897.

(٢) انظر نشيد الإنشاد ١٣: ٤٤ والمرثى فرموس رمان مع قسطنطينية فخاينة وناردين.
 "שִׁיר הַמַּלְאָכִים שִׁיר הַמַּלְאָכִים שִׁיר הַמַּלְאָכִים שִׁיר הַמַּלְאָכִים שִׁיר הַמַּלְאָכִים
 שִׁיר הַמַּלְאָכִים שִׁיר הַמַּלְאָכִים שִׁיר הַמַּלְאָכִים שִׁיר הַמַּלְאָכִים שִׁיר הַמַּלְאָכִים"

(٣) انظر نشيد الإنشاد ٩: ٢٤
 "וְהַמֶּלֶךְ שִׁלְחָן עָלָיו לִפְנֵי נֶחֱמָן מִכַּשְׂמִית לֵבָיִן
 הַכַּשְׂמִיתִי הַכַּשְׂמִיתִי הַכַּשְׂמִיתִי הַכַּשְׂמִיתִי הַכַּשְׂמִיתִי
 וְכַלְמַת מִלֵּל פְּרוּמוֹס וְנֶחֱמָן הָאֲשֵׁר יוֹנָתָן בֶּן יִצְחָק פְּרוּמוֹס בָּאָהָא פָּאֶרְסִיתָא מִן מַעְבָּר
 עֲרָאִי אֲנִי"

Robert C. Dentan. The Interpreter's one volume. p. 327

«لا يكون متاع رجل على امرأة. ولا يلبس رجل ثوب امرأة لأن كل

من يعمل ذلك مكروه لدى الرب (الهك)

« לא יִהְיֶה כְּלִי גִבּוֹר עַל-אִשָּׁה וְלֹא יִלְבֹּשׁ
 גִּבּוֹר בִּשְׂמַלְתָּ אִשָּׁה כִּי מְקֻרָה הַעֲשֵׂה
 כָּל-עֹשֶׂה כֵּן »

وبطبيعة الحال قد تستدعى بعض المشاهد التكرار فى زى امرأة وهذا
 يعد مكروها:

وازداد هذا الموقف العدائى تجاه الفن المسرحى بكراهية اليهود للرومان
 وأشباههم من اليونانيين من الناحية السياسية.

ومن هنا يمكن القول إن بنى إسرائيل لم يكن لهم فن درامى وكل
 ما خلقوه يرجع إلى العهد القديم فقيه التاريخ والأدب والعقيدة وليست هناك
 آداب تخص بنى إسرائيل بمعزل عن أسفار العهد القديم. ومن المعروف أن
 نهاية الوجود العبرانى فى أرض كنعان كانت على يد السبى البابلى سنة
 ٥٨٦ ق.م. وبذلك أصبحت اللغة العبرية لغة دينية أى أصبحت لغة قاصرة
 على رجال الدين وأصبحت اللغة الأرامية لغة الحديث.

المسرح وسيلة إلى أحياء اللغة العبرية:

فاذا ما انتقلنا إلى العصر الحديث وجدنا الاختلاف حول تاريخ المسرح
 العبرى ومفهومه. فهناك من يرى أن المسرح العبرى قديم قدم الدين نفسه.
 مستندا إلى أن الشعائر الدينية والتراتيم التى كان يتلوها المنزل ويطلق عليه
 (١٢) وبعض الأسفار الأدبية ذات صياغة درامية.

وهناك من يرى أن المسرح العبرى بمعناه الحقيقى لم يظهر إلا مع إعلان دولة إسرائيل سنة ١٩٤٨^(١).

ولسنا هنا بصدد تأريخ فن المسرح إذ إن ما يعنينا هو كيف استغل مؤسس الفن المسرحى العبرى ألفاظ اللغة وكيف جعلوا من المسرح وسيلة لإحياء اللغة العبرية.

وإذا كانت الحركة الصهيونية قد نجحت فى إنشاء كيان قومى لليهود، فإن الكيان القومى لابد له من مقومات منها الأرض واللغة. وقد فطنت الحركة الصهيونية إلى ذلك فكان المسرح وسيلة من وسائل إحياء اللغة العبرية. ومن هنا تساند دعاة الصهيونية ومؤسسو المسرح معا.

يقوم المسرح على الفكر واللغة. أما الفكر فمصدره أسفار العهد القديم، وأما اللغة بدورها فهى لغة العهد القديم. وهى لغة مقدسة قداسة الأسفار بل إن الألفاظ التى استُخدمت لهذا الفن المسرحى لتحمل مغزى دينيا مما يدل على أن الفن المسرحى كان يهدف إلى إحياء القومية اليهودية بجانب إحياء اللغة.

ومن الجدير بالذكر أن المسرح الذى أُقيم بصفة خاصة ليستخدم اللغة العبرية يُقدم مسرحيات مؤلفه باللغة العبرية أو مترجمة إلى اللغة العبرية أطلق عليه *המחזה העברי* وهى من كلمة *מחזה* ويقصد بها المرتفعة التى كانت مواضع العبادة وتقديم الأضاحى.

المبحث الثاني

تأصيل بعض ألفاظ الفن المسرحي

تأصيل بعض ألفاظ المسرح

استُخدمت ألفاظ لفن المسرح ذات مغزى جدير بالنظر حيث توحى هذه الألفاظ بالهدف الذى يحمله فن المسرح العبرى، ومن هنا كان لا بد من تأصيل هذه الألفاظ لمعرفة دلالتها والمغزى الذى تهدف إليه. من هذه الألفاظ:

- فن: פאָרשטעלונג أو פאָרשטעלונג .
- خشبة المسرح أو المنصة: בײַשׁטײַג .
- مقصورة: בײַשׁטײַג .
- مشهد: אַקט أو אַקט .
- ممثل: שׂפּילער .
- مسرحية: פאָרשטעלונג .
- סענאַריו : أو ما يسمى بالميناريو Scenario وهو نص يُعدّ للممثل بطريقة معينة تختص بالتعديل أو الحذف أو الإضافة على نص المؤلف بما يناسب طرائق العرض أو التمثيل.
- كلمة الاستحسان التى يصيح بها المتفرجون أو المشاهدون فى نهاية العرض المسرحي: בײַשׁטײַג .
- أولاً: فن פאָרשטעלונג أو פאָרשטעלונג :
- الأصل فى هذه الكلمة هو مادة: פאָרשט

هذا الأصل الثلاثى لم يستخدم فى اللغة العبرية وإنما استخدم منه اسم الفاعل أى.

«أو على ولده حتى يقول لى أحمله فى حضنك كما يحمل المربي
الرضيع:» $\text{הַיָּמִים הַלֵּלוֹתְךָ הָיָה} \cdot \text{כִּי} \cdot \text{בְיָמַי} \cdot \text{יָלַדְתִּי} \cdot$
 $\text{בְּיָמֶיךָ} \cdot \text{כִּי} \cdot \text{יָלַדְתִּי} \cdot \text{בְּיָמֶיךָ} \cdot \text{הַיָּמִים} \cdot \text{הַלֵּלוֹתְךָ} \cdot$ «
كذلك ورد اسم الفاعلة بمعنى مربية»^(١)

كما ذكر اسم المفاعيل بمعنى المربون أو الذين «يُتَرَبَّون»^(٢)

أما عن صيغة الفعل فقد استُخدمت صيغتان مزیدتان:

أ- صيغة مزيدة بالنون יָלַדְתִּיךָ بمعنى دُعم أو حُمِل أى حملته
بذراعيها^(٣) جاء فى إشعيا ٦٠: ٤ .

«يأتى بنوك من بعيد وتحمل بناتك على الأيدي».

$\text{בְּיָמֶיךָ} \cdot \text{יָלַדְתִּיךָ} \cdot \text{בְּיָמֶיךָ} \cdot \text{יָלַדְתִּיךָ} \cdot \text{בְּיָמֶיךָ} \cdot \text{יָלַדְתִּיךָ} \cdot$

فالفعل فى صيغة البناء للمجهول ويدور أنها صيغت استنادا إلى دلالة
اسم الفاعل بمعنى مربٍ إلا أنه اختلف فى صيغة الفعل فقليل إنَّه المبنى
للمجهول من المزد بالتضعيف وبذلك يكون على هذه الصورة: יָלַדְתִּיךָ .

كما جاءت الصيغة المزيدة بالنون بمعنى أوتمن كما فى صمويل
الأول الأصحاح الثالث/٢٠ .

(١) سفر روت ١٦: ٤ «فأضلعت لعلى الوليد وضعت فى حضنها وصارت له مربية»
 $\text{וַיִּלְדֵּם} \cdot \text{וַיִּזְכֹּר} \cdot \text{וַיִּשְׁכַּח} \cdot \text{וַיִּשְׁכַּח} \cdot \text{וַיִּשְׁכַּח} \cdot \text{וַיִּשְׁכַּח} \cdot$

(٢) سفر الرأى ٥: ٤ «الذين كانوا يربون على القوم احضنوا الزابل» نظر ٢ صم ٤: ٤ .

(3) Gesenius' Hebrew and Chaldee Lexicon, p. 58.

«وعرف جميع إسرائيل من دان إلى بئر سبع أنه قد ائتمن صموئيل

نبيا للرب»
 וְיָדָעְתָּ כָּל-יִשְׂרָאֵל מִדָּן וְעַד-בְּיַרְעַח כִּי
 נִבִּיָּא ה' בְּשֵׁם שְׁמוּئֵל

ويدور أن هذه الدلالة مستمدة من صفة المريبى وهى الأمانة أو أنه
 مؤتمن على من يربى. ومن هذه الصفة صفة الأمانة جاء اسم المفاعيل
 بمعنى المأمرون أى الأئمة فى المزامير ١٢: ٢.

«הָרָא כִּי יִרְאֶה ה' הָרָא כִּי-יִרְאֶה ה' הָרָא
 אֶת-הַכֹּהֲנִים אֶת-כָּל-יִשְׂרָאֵל»

«خلصنى يا رب لأنه قد انقرض التقى لأنه قد انقطع الأمانة من بنى
 البشر».

ب- الصيغة المزيدة الأخرى صيغة مزيدة بحرفين يوزن: $הָרָא$ (ה' $הָרָא$)
 بمعنى اعتمد على أو امتد إلى^(١)

ويدور أنها مستمدة من صفات المريبى حيث يُعتمد عليه.

جاء فى إشعيا ١٦: ٢٨

«هأنذا أؤسس فى صهيون حجرا، حجر امتحان حجر زاوية أساسا
 مؤسسا من آمن لا يهرب».

«הָרָא ה' הָרָא ה' הָרָא ה' הָרָא ה' הָרָא
 הָרָא ה' הָרָא ה' הָרָא ה' הָרָא»

اسم فاعل المقصود به المعتمد أو المستند إلى الحجر.

ومن هذه المعاني نرى أن الكلمة لا تدل على الإيمان نقيض الكفر أو
الإيمان نقيض الخوف أو الإيمان بمعنى الثقة والتصديق نقيض التكذيب إلا
أنا نجد أن الفعل מִצַּחֵם جاء في سفر أيوب ١٨: ٤ بمعنى يثق ويثخن.

«هو ذا عبيده لا يأتمنهم» أى لا يثق بهم.

$\text{וְאֵלֶּיךָ יִצְחָקוּ בְּיָמֵינוּ}$ $\text{וְאֵלֶּיךָ יִצְחָקוּ}$ $\text{וְאֵלֶּיךָ יִצְחָקוּ}$

ولكن كما ذكرنا من قبل سفر أيوب فيه مؤثرات عرية.

فالكلمة يبدو أن الأصل في دلالتها في العبارة الترية بمعنى صناعة
الشخص أو صناعة الصغير إذا جاز هذا التعبير. ومن هنا أطلق على الصانع أو
الفنان.

מִצַּחֵם : *omman* قفى نشيد الإنشاد ٢: ٧.

«دوائر فخلبك مثل الحلى صنعة يدي فنان»

$\text{וְאֵלֶּיךָ יִצְחָקוּ בְּיָמֵינוּ}$ $\text{וְאֵלֶּיךָ יִצְחָקוּ}$ $\text{וְאֵלֶּיךָ יִצְחָקוּ}$

واستخدمت كذلك كلمة:

מִצַּחֵם : لتدل على الصانع البارع في سفر الأمثال ٣٠: ٨ عند الحديث
عن أهمية الحكمة في خلق الكون. فقيل:

«كنت عنده صانعاً»

$\text{וְאֵלֶּיךָ יִצְחָקוּ بְּיָמֵינוּ}$ $\text{וְאֵלֶּיךָ יִצְחָקוּ}$ $\text{וְאֵלֶּיךָ يִצְחָقוּ}$

كنتُ المحَكِّمةُ أَى عند الرب صانعا ونسبت الصنعة إلى الحكمة لأن
العالم صُنِعَ بحكمة. والصانع حكيم فنسب كلمة "מַחְכֵּם" للحكمة.

فمن الجدير بالذكر أن الدلالات الموجودة في أسفار العهد القديم
انصبّت على الصنعة ومهارة الصنع وإتقانه.

وإذا ما تورّنت هذه المادة الموجودة في اللغة العبرية بغيرها من اللغات
السامية الأخرى للاحظ ما يأتي:

מַחְכֵּם : omman في العبرية بمعنى صانع وفي الآشورية ذكر
mar ummani تدل على مهارة الصانع وسيادته في صنعه.^(١)

لكن الكلمة في كل من العربية والآثيوبية تدل على الإيمان واليقين
ففي العربية: الأمن ضد الخوف والأمانة ضد الخيانة - والإيمان ضد الكفر
والإيمان التصديق ضد التكذيب. فالأمانة تقع على الطاعة والعبادة والوديعة
والثقة والأمان.^(٢)

وآمين كذلك كلمة تقال في الدعاء وهي اسم فعل يقصد بها
الاستجابة أي استجب يا رب. وهي أيضا من آمن بمعنى صدق ووثق فهي
تقال ثقة في استجابة الله عز وجل.

أما في الآثيوبية كذلك አሙን بمعنى آمن وأيقن.^(٣)

ويدو أن دلالة آمين التي تدل على الثقة في استجابة الدعاء نقلت
بمعناها إلى العبرية فيقال أيضا.

(1) Gesenius: Hebrew and English Lexicon p. 53.

(2) لسان العرب (لحن).

ثانياً: אֶרֶץ הַמִּנְצָה أو خربة المسرح:

يطلق على المكان الذي تؤدي عليه المشاهد المسرحية אֶרֶץ הַמִּנְצָה والمقصود بها المنصة أو المكان المرتفع. والأصل في الكلمة מִנְצָה أى مرتفعة وربما حدث للألف إهالة فتحوّلت إلى كسرة جلبت بعدها ياء قليل: מִנְצָה .

كانت العبادة القديمة لبني إسرائيل تُمارس على المرتفعات ففي زمن صمويل ودارد كانت الأضاحي تُقدم على المرتفعات^(١) واستمرت هذه العبادة في عهد سليمان أيضاً^(٢) بل إن سليمان بنى مرتفعات كذلك أو مִנְצָה في سفر الملوك الأول ١١: ٧:

«حيث بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموابين على الجبل الذي تجاه أورشليم ولولك رجس بن عمون»
 «וַיִּבְנֶה שְׁלֹמֹה מִנְצָה לְמוֹשֶׁה בְּהָרֵי אֶרֶץ יְהוּדָה בְּהָרֵי אֶרֶץ יְהוּדָה בְּהָרֵי אֶרֶץ يَهُوذا في جبل الذي تجاه أورشليم ولولك رجس بن عمون»
 «וַיִּבְנֶה שְׁלֹמֹה מִנְצָה לְמוֹשֶׁה בְּהָרֵי אֶרֶץ יְהוּדָה בְּהָרֵי אֶרֶץ يَهُوذا في جبل الذي تجاه أورشليم ولولك رجس بن عمون»

كذلك جعل يريعام المعابد على الأماكن القديمة المرتفعة في دان ربيت إيل^(٣)

هذا وقد اقترنت هذه المرتفعات بالأماكن المقدسة قليل زعاموس ٧: ٩ «تقتفر مرتفعات إسحق وتخرّب مقدّس إسرائيل»
 «וַיִּבְנֶה יְרֵמְיָה מִנְצָה לְיֵהוָה בְּהָרֵי אֶרֶץ يَهُوذا في جبل الذي تجاه أورشليم ولولك رجس بن عمون»
 «וַיִּבְנֶה יְרֵמְיָה מִנְצָה לְיֵהוָה בְּהָרֵי אֶרֶץ يَهُوذا في جبل الذي تجاه أورشليم ولولك رجس بن عمون»

(١) سفر صمويل الأول: ٩، ١٢، ١٤، ١٩، ٢٥، ١٠، ١٣.
 (٢) سفر الملوك الأول: ٣، ٢-١ وقارن سفر الأخبار الأول: ١٦، ٢٩: ٢١.

فجاءت مرتفعات إسحق مساوية لمقدس إسرائيل.

وهذه الكلمة لم يذكر منها مشتقات إلا أننا نجد في الآشورية كلمة ^(١)bāmāi وهي تطلق على المكان المرتفع المرتبط بالعبادة.

ومن الجدير بالذكر أنه في الديانة السومرية ذكرت إلهة تسمى بابا ba ba وهي تعد واحدة من أقدم الإلهات السومرية.^(٢) ولما كانت العبادة قد ارتبطت بالمكان المرتفع أخذ المكان اسم الإلهة ثم تحولت الباء الثانية إلى ميم لأن كلا الصورتين الباء والميم من حروف الشقة فصارت بابا والتي جاءت في اللغة العبرية בָּאָה .

ومن الجدير بالذكر أن كلمة البابا والتي تحولت إلى البيما لتدل على المسرح هذه الكلمة قد أطلقت على الفرقة المسرحية في العصر الحديث والتي كان من أهم أهدافها تقديم المسرحيات باللغة العبرية (أي تقديم النصوص المؤلفة باللغة العبرية أو المترجمة إلى اللغة العبرية مما يضمنى على هذا الفن قدسية وما يوحى بالحرص على إحياء اللغة القديمة برسوزها وإحياءاتها.

ومن المعروف أن هذا المسرح أنشئ سنة ١٩١٧ في روسيا وكان يهدف إلى إنشاء مسرح في أرض فلسطين فاستقر في فلسطين في سنة ١٩٣١.

وما يدل على أن هذا المسرح يهدف إلى إحياء الأمة وإحياء اللغة تلك الرموز اللغوية التي استخدمها سواء في تسميه الفرقة باسم الهايما أو

(1) Gesenius: Hebrew and English lexicon p. 119.

(2) Gwendolyn Leick: A Dictionary of Ancient Near Eastern My-

بالترنيمة التي يوتلها أعضاء الفرقة وهي لا تخلو من مغزى حيث نقول
الترنيمة:

” הַלְלוּ אֱלֹהֵינוּ הַלְלוּ אֱלֹהֵינוּ הַלְלוּ אֱלֹהֵינוּ ”

«جهزوا جهزوا من أجل الهايما في أُورُشليم»

ويتضح من هذه العبارة أن المسرح لا يهدف إلى إحياء اللغة وحسب بل يهدف إلى الاستيطان، بل وصل الأمر إلى حد تشبيه فرقة الهايما بميثاق العهد^(١) הַלְלוּ אֱלֹהֵינוּ هذا بالإضافة إلى أسماء المسرحيات التي لا تخلو من التركيز على هذه الأفكار مما لا يخفى على من يرصدون الحركة المسرحية عند بني إسرائيل.

ثالثاً: مقصورة: הַלְלוּ אֱלֹהֵינוּ :

المقصورة من الدار والمسرح: حجرة خاصة مفصولة عن الغرف المجاورة فوق الطابق الأرضي^(٢).

فالمقصورة فوق الطابق الأرضي أي مرتفعة والمقصورة في العبرية هي הַלְלוּ אֱלֹהֵינוּ :

وتأصيل الكلمة ترجع بها إلى مادة:

הָלַל هذه المادة لم تستخدم في اللغة العبرية وربما كانت من الفينيقية السامية הָלַל^(٣) على القلب أي أن הָلַל مقلوب هָلַל.

(١) المسرح اليهودي، شكرى عبد الروب من ١٩٧

لكن **כִּלְ** استخدم منها الصيغة المزيدة بحرفين وهي **כִּלְכֵּל** بمعنى ألقى أو طرح جاء في سفر الخروج ٩: ٧

«خذ عصاك واطرحها أمام فرعون فتصير ثعباناً»

סָחַק מִתֵּי-חֵסֶךְ יִהְיֶה לְךָ פֶּדְיָהּ יְהוָה לֹא

فليس هناك علاقة بين مادة **כִּלְ** والتي منها الصيغة المزيدة بمعنى طرح وبين **כֵּל** والتي منها كلمة:

כֵּל כֶּהָ بمعنى حجرة أو مقصورة.

هذه الحجرة مرتبطة بالمعبد ففي سفر صموئيل الأول ٩: ٢٢

«فأخذ صموئيل شاعول وعلامه وأدخلهما إلى المنسك وأعطاهما مكاناً في رأس المدعين»

**יְהִי־מָקוֹם כְּטַהֲרֵל מִתֵּי-חֵסֶךְ לְדַמְיָהּ בְּעֵרָו
יִהְיֶה־מָקוֹם לְכִפְּרוֹתָהּ יִהְיֶה־לָּהֶם מִקְוֶה יִזְרָאֵל
הַקְּרִיבָנִים**

בְּכִפְּרוֹתָהּ : أصلها **כִּפְּרוֹתָהּ** زادت عليها هاء الظرفية وترجمت الكلمة في العربية إلى منسك^(١) وترجمت في الإنجليزية إلى parlour^(٢) وقيل في التعليق إنها ترجمة غير ملائمة للكلمة العبرية **בְּכִפְּרוֹתָהּ** إذ المقصود بها صومعة أو حجرة مرتبطة بمبنى على مكان مرتفع مثل هذه الأغراض الخاصة بتقديم الأضاحي المقدسة.^(٣)

(١) الكتاب المقدس مر ٣٧١.

(2) Spence, H.D.M: ABible Commentary . The First Book of Samuel, vol. II p: 327.

كذلك اربطت الكلمة بالكهنة ففي سفر أخبار الأيام الأول ٢٦: ٩
ذكرت كلمة **בְּיָדָם** :

ولأنه بالوظيفة رؤساء البوابين هؤلاء الأربعة هم لاويون وكانوا على
المخادع وعلى خزائن بيت الله.

” פ' בַּמִּקְדָּשׁ הָיָה אֲרָבַע בָּיִת גְּזֵרָה הַחֲזֵרָה
הֵם הַלְוִיִּם וְהָיָה לֵרֶגַל הַלְלָכָה וְעַל
הָאֲפִרֹּת בָּיִת הָאֲלִיָּה ” :

كانوا على المخادع أى على أبواب المخادع وقيل هى حجرات
chambers أو صوامع cells (١).

هذه الصوامع، والحجرات كانت فى مكان مرتفع صعب جاء فى
العبارة التالية (أخبار الأيام الأول ٢٧: ٩)

«ونزلوا حول بيت الله لأن عليهم الحراسة وعليهم الفتح كل صباح»
وانظر كذلك حزقيال (٢).

كما سبق يتضح أن الكلمة تدل على حجرة مرتبطة بالمعبد فى مكان
مرتفع والمعبد عادة يُبنى على المرتفعات.

وإذا كان الأصل الثلاثى للكلمة **לֵךְ** غير مستخدم كما تبين
فهناك كلمتان ذكرتا فى المهد القديم تدلان على المعنى نفسه وهما:

(1) Ball, C.J.: ABible commentary. "1. chronicles" vol. III. p. 260.

(٢) حزقيال ٤٠: ٤٥، ٤٦. وقال لى هذا المهدع الذى وجهه نحو الجنوب هو للكهنة حارسى
حراسة البيت. والمهدع الذى وجهه نحو الشمال للكهنة حارسى حراسة المذبح.

١- **נִכְיָן** وقيل هي **נִכְיָן** بمعنى صومعة أيضا مع قلب اللام إلى نون.

وتأصيل كلمة **נִכְיָן** يرجع بها إلى مادة:
נִכַּ والفعل:

נִכַּ في العبرية بمعنى لدغ^(١) انظر سفر العدد^(٢).

ولا علاقة بين **נִכַּ** بمعنى لدغ و**נִכְיָן** بمعنى صومعة. إلا أنها وضعت تحت هذه المادة من قبل تشابه الأصوات.

وقد ذكرت كلمة **נִכְיָן** في سفر نحemia ٣: ٣٠.

وبعد رم مشلام بن برنخيا مقابل مخدعه^(٣)

• **נִכְיָן** **נִכְיָן** **נִכְיָן** **נִכְיָן** **נִכְיָן** **נִכְיָן** **נִכְיָן** **נִכְיָן** **נִכְיָן** **נִכְיָן**

נִכְיָן **נִכְיָן** **נִכְיָן** **נִכְיָן** **נִכְיָן** **נִכְיָן** **נִכְיָן** **נִכְיָן** **נִכְיָן** **נִכְיָן**

وكذلك ورد الجمع في نحemia ١٢: ٤٤

ومن الجدير بالذكر أن هذه الكلمة لم تذكر هكذا بالنون في غير سفر نحemia على الرغم من ذكر كلمة **נִכְיָן** أيضا في السفر نفسه نحemia ٣٨: ١٠.

(1) Gesenius, William: The Hebrew and English lexicon: p. 675.

(2) سفر العدد ٩: ٢١ وضع موسى حية من نحاس ووضعها على راية فكان متى لدغت حية بمسا ونظر إلى حية النحاس بقاء. **וַיַּעַשׂ מֹשֶׁה حַיָּת נָחָשׁ כַּחַשׁ כְּחַשׁ הַנָּחָשׁ אֲשֶׁר לָדַגַּת בְּאֶרֶץ מִצְרַיִם** **וַיַּעַשׂ מֹשֶׁה حַיָּת נָחָשׁ כַּחַשׁ כְּחַשׁ הַנָּחָשׁ אֲשֶׁר לָדַגַּת בְּאֶרֶץ מִצְרַיִם** **וַיַּעַשׂ מֹשֶׁה حַיָּת נָחָשׁ كَحَاشٍ كَحَاشِ النَّحَاشِ الَّتِي لَدَغَتْ فِي أَرْضِ مِصْرَ** **وَيَعِشْ** **وَيَعِشْ** **وَيَعِشْ** **وَيَعِشْ** **وَيَعِشْ** **وَيَعِشْ** **وَيَعِشْ** **وَيَعِشْ** **وَيَعِشْ**

(3) كذلك جاء في نحemia ١٣: ٨٧ ووليت إلى اورشليم وفهمت الشر الذي عمله الهاتوب لأجل طوبيا بعمله له مخدعا فر ديار بيت الرب. وسافر. الأمر جنة وطاحت جسمه آفة ست طسا

فكلمة رؤيا هي רֵאָה . ورأى هي كلمة רָאָה . والمعنى النبوءة
التي تنبأ بها إشعيا.

وقد تكون الرؤيا هي القدرة على تحمل آثار التجلى الإلهي كما جاء
في سفر الأمثال ٢٤ : ٣٢ :

«ثم نظرت ووجهت قلبي رأيت وقلت تعلّما»
וְעַתָּה אֲנִי מִשְׁכָּחַת בְּעֵינַי לִלְמֹד מִן הַחַיִּים

وكما جاء في المزامير ٦٣ : ٣ .

«لكي أبصر قوتك ومجدك كما رأيتك في قدسك»
כִּי אֲבִירָה בְּכֹחְךָ וּבְהִדְבָּרְךָ כִּי רָאִיתָ בְּקֹדֶשׁ

ولما كان من دلالة الفعل القدرة على التنبؤ وكشف الغيب كما تبين
فقد جاء اسم الفاعل :

רֵאָה . الرائي أو العراف جاء في إشعيا ٣٠ : ١٠ :

«الذين يقولون للرّائين لا تروا وللناظرين لا تنظروا لنا مستقيمت .
كلمونا بالناعمات أنظروا مخادعات» .

«אֲנִי אֲשַׁלֵּחַ אֶפְרָיִם לְרֹאֵים לֹא יִרְאוּ וְלַנֹּצְרִים לֹא יִנְצְרוּ
וְלַחֲכָמִים לֹא יִחְכְּמוּ וְלַנְּבִיאִים לֹא יִנְבִּיאוּ»
וְלַחֲכָמִים לֹא יִחְכְּמוּ וְלַנְּבִיאִים לֹא יִנְבִּיאוּ

عبارة «انظروا مخادعات» חֲדָעַת מה שלא לאى تنبأوا لنا تنبؤات

أى دلالة التنبؤ سواء كانت نبوءة صادقة أم كاذبة.

من هذه الدلالة جاءت كلمة **נִבִּי** وهى فى لغة العهد القديم بمعنى رؤيا^(١) جاء فى التكوين ١٥: ١

«بعد هذه الأمور صار كلام الرب إلى أبرام فى الرؤيا»
וְאַחֲרַיִם הַדְּבָרִים הָאֵלֶּה הָיָה הַדְּבָרִים לְאֶבְרָם בְּרֹאֵי
הַחֲזֹן

وهذه الكلمة كلمة **נִבִּי** استخدمت لتدل على المسرحية أو المشهد المسرحى. ومن الجدير بالذكر أن المسرحية الفكاهية أو الملهاة كما تسمى بلغة الفن يطلق عليها فى العبرية:-

חִיטּוֹת

و**חִיטּוֹת** كما جاءت فى مثل فى سفر إشعيا ١٠: ٣٠ بمعنى خدعة أو مخادعة فالفعل.

חִיטּוֹ : بمعنى خدع أو سخر من والخناع تزيف للحقيقة.

هذا وقد جاءت كلمة **נִבִּי** مرادفة لكلمة **חִיטּוֹ** وكلتا الكلمتين يقصد بها المشهد المسرحى أو المسرحية.

חִיטּוֹ أيضا مصدر ميمي من الفعل

חָיָה : وهو بمعنى رأى أو علم. ومنه جاء اسم الفاعل

רַאִי רֵאָה : أو الرائي والرئي يرى أموراً ويعلم أشياء لا يعلمها الشخص العادى. حيث إنه يخبر بما سيكون وينبئ بالغيب حسب علامات معروفة تلقى دلالتها وتأثيراتها عند سابقه. فهو حكيم وعرف..

وهو بوظيفته هذه مثل الرائي عند البابليين الذى كان يطلق عليه Bara وكان عليه تفسير الإرادة الإلهية والتنبؤ. وكان التنبؤ يفحص كبد الحيوان وكان البابليون والآشوريون يعلقون أهمية على هذا العضو فإذا أراد الملك مثلاً معلومات عن المستقبل. دعا الكاهن العراف فيذبح الكاهن قربانا من الحيوان ويد على الملك حسب ما يراه من دلالات فى كبد ذلك الحيوان.^(١)

وقد كانت وظيفة النبي صموئيل أيضاً الإنباء بالغيب حيث ذهب إليه شاول وعلامه ليخبرهما عن مكان الأثن الضائعة.

«سابقاً فى إسرائيل هكذا يقول الرجل عند ذهابه ليمسأل الله هلم تذهب إلى الرائي»^(٢)

من هذه الدلالة أيضاً جاءت كلمة רֵאָה وهي مرادفة لكلمة רֵאָה . . .

ومن هنا نجد أن الكلمات التى تحمل مغزى دينياً استخدمت حيثما أريد لإحياء اللغة عن طريق الفن المسرحى. حيث إن كلمة רֵאָה فى لغة العهد القديم يقصد بها الرؤيا والكشف فى حزقيال ٨: ٤

«وإذا مجدراله إسرائيل هناك مثل الرؤيا التى رأيتها فى البقعة».

(١) المحاضرات السامية - ترجمة د/ مغنوب بكر ص ٥٤.

וְהָיָה שֵׁם פְּסִיד מִלֵּהוּ יִשְׂרָאֵל פֶּסֶדָה
מִשֵּׁר רֵאשִׁיתוֹ בַּצֵּד עָה

خامساً: יִצְחָק - מְלִיץ צָח -

بمعنى مثل ومسرحة.

والأصل فى هاتين الكلمتين צח أو צחצח والأصل فى كتابته
الصاد ولكن يكتب أحياناً بالسين والتي جاء منها:

מִלֵּי צָח ו מְלִיץ צָח :

צָח بمعنى ضحك فالصاد تقابل الضاد فى العربية جاء فى سفر
التكوين ١٨: ١٢، ١٣.

«فضحكت سارة فى باطنها فقال الرب لإبراهيم لماذا ضحكت
سارة قائلة أفبالحقيقة ألد وأنا قد نخت».

וַיִּבְרָא צָח בְּרֵה צָח צָח... וַיִּבְרָא יִשְׂרָאֵל
מִצְחָה לָּמָה זֶה צָח צָח יִשְׂרָאֵל לִמְעַר הָאֵת
מִצְחָה מִלֵּד רֵאשִׁיתוֹ בַּצֵּד

هذا وقد أطلق على ولد سارة الذى ولدته فى كبرها יִצְחָק .

وجاء فى سبب التسمية فى التكوين ٢١: ٦، ٧.

«ودعا إبراهيم اسم ابنه المولود له الذى ولدته سارة إسحق»

«وقالت سارة قد صنع الله لى ضحكا كل من يسمع يضحك لى»

• בִּינְיָן רַא אֲבָרְהָם אֶת- שָׂם • שָׂכַד הַפְּלִיז
 לֹא אֶבְיָר קִלְדָּה לֹא שָׂרָה הֶעֱרָם
 בִּשְׁמֵר שָׂרָה שָׂחָק לִשָּׁה לֹא אֶבְלָה יָם
 כֹּל- הַשָּׁמַיִם הֶעֱרָם לֹא "

فهو سُمي هَعֶרָם لأن كل من سمع هَعֶרָם أى يضحك
 والاسم فى العبرية علم على وزن الفعل المضارع ومثله مثل يعقوب هַעֲרִים
 أيضا علم على وزن الفعل المضارع وأما تحوله فى العربية إلى إسحق فهو
 على الإبدال حيث أبدلت الياء همزة وهو من المألوف فى العربية ذاتها حيث
 نقول هذا ألمى ويلمى إذا كان ظريفاً^(١)

خلاصة القول أن الكلمة ارتبطت باسم النبی إسحاق ولم يذكر فى
 أعلام العهد القديم أحد سُمي إسحق سوى إسحاق النبی ابن إبراهيم عليهما
 السلام.

ومن هذه المادة جاء اسم هַעֲרִים أى ممثل هذا على الرغم من وفرة
 مادة طֶרַח فى العبرية والتي تقابل مادة مثل فى العربية ومنها فى العربية
 الممثل والتمثيل وغيرها.

كذلك أتت كلمة طֶרַח بمعنى مسرحية مثل طֶרַחִיָּה

عاماً:

النص الذى يعد للتمثيل بطريقة معينة بإدخال تعديلات على نص

المؤلف أو حذف شيء ما حتى يكون نصا يمثل على الشاشة أو على خشبة المسرح فهذا ما يطلق عليه كلمة **סצנה** في العبرية أو ما يسمى Scenario والأصل في **סצנה** قد وردت الكلمة **סצנה** أى بالسامع **סצנה** أى بالسن- وأصل الفعل فى الأرامية خريش أو حفر^(١) ومن هنا اكتسب الفعل معنى كتب حيث كانت الكتابة عن طريق الحفر أو الخريشة وكذلك فى العبرية جاء الفعل بمعنى جرح أو خريش.

جاء فى سفر اللاويين ٢١: ٥

«ولا يجرحوا جراحة فى أجسادهم»

וְלֹא יַחַדְּמוּ מַחֲבֵרִים בְּגִבְתֵּיהֶם וּבְשֵׁרְתֵיהֶם וּבְכָל אֲגָדֵיהֶם

وقد جاء فى الآشورية كذلك **saratu**^(٢) بالشرين والطاء بمعنى شق أو قطع قطعاً طولياً وفى العبرية شرط كذلك بمعنى شق ليكون ذلك الشق أو الشرط علامة^(٣).

فالكلمة فى اللغة العبرية تأثير آرامى أو آشورى أو عربى ومن مادة **סצנה** جاءت كلمة.

סצנה بمعنى شريط والمقصود به شريط الفيلم السينمائى وتطلق على الفيلم أو الشريط الذى يعرض على الشاشة ومنه جاءت كلمة

סצנה أى سيناريو scenario :

(1) Gesenius: Hebrew and English Lexicon p. 976.

(2) Ibid.

سابعاً: **אֵלֹהֵינוּ יְיָ** :

وهي كلمة استحسان تقال عند نهاية المسرحية يقولها المشاهدون تعبيراً عن استحسانهم والأصل فيها

אֵלֹהֵינוּ ومدت الهاء من قبيل مد الصوت للإطالة عند الاستحسان وقد ارتبطت كلمة **אֵלֹהֵינוּ** بصوت الجلبة والهشاف وبخاصة جلبة جنود الحرب حيث جاء في إرميا ١٤: ٥١

«قد حلف رب الجنود بنفسه إني لأملأُكَ أناساً كالغوغاء فيرفعون عليك جلبة»

هؤلاء الأناس المقصود بهم أناس السيف.^(١)

كذلك ارتبطت الكلمة بغضب الرب ففي إرميا ٢٥: ٣٠

«وأنت فتنبأ عليهم بكل هذا الكلام وقل لهم الرب من العلاء يزمجر ومن مسكن قدمه يطلق صوته يزتر^(٢) زئيراً على مسكنه بهشاف كالوائسين يصرخ ضد كل سكان الأرض.

יְיָ אֱלֹהֵינוּ יְיָ אֱלֹהֵינוּ יְיָ אֱלֹהֵינוּ
יְיָ אֱלֹהֵינוּ יְיָ אֱלֹהֵינוּ יְיָ אֱלֹהֵינוּ
יְיָ אֱלֹהֵינוּ יְיָ אֱלֹהֵינוּ יְיָ אֱלֹהֵינוּ
יְיָ אֱלֹהֵינוּ יְיָ אֱלֹהֵינוּ יְיָ אֱלֹהֵינוּ
יְיָ אֱלֹהֵינוּ יְיָ אֱלֹהֵינוּ יְיָ אֱלֹהֵינוּ
יְיָ אֱלֹהֵינוּ יְיָ אֱלֹהֵינוּ יְיָ אֱלֹהֵינוּ

(١) انظر إرميا ٤٤: ١٣.

والزئير هنا يدل على شدة الغضب

ومقارنة الكلمة في العربية نجد أن الهد في العربية الهدم الشديد والكسر والهددة صوت شديد تسمعه من سقوط ركن أو حائط أو ناحية من الجبل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم إني أعوذ بك من الهد والهددة. »

ومن هنا يمكن القول حتى كلمة الاستحسان لا تخرج من العتف.

من خلال هذا التأميل لهذه الكلمات يتضح مغزى استخدام هذه الألفاظ من حيث إضفاء القداسة المتمثل في إحياء اللغة واللغة لغة مقدسة فضلاً على استخدام الكلمات ذات المغزى الدنيى بالإضافة إلى خلق الكيان الذى يهدف إلى الاستيطان فالهدف هو "إلا" الفن من أجل الشعب بما تحمله الكلمة من دلالات.

الخلاصة

إذا كان قد اصطلاح عن أن الفن المسرحى نشأ على يد الاغريق فإن هذا لا معنى أن الحضارات السابقة لم تعرف شيئا عن هذا الفن. ذلك أن انكار وجود هذا الفن وإن كان فى صورة بدائية - بعد نظرة ضيقة نوحى بالانحياز إلى كل ما هو غريب.

فالحضارة المصرية القديمة شهدت تطورا فى المسرح اشبه ما يكون بما شهده بلاد الاغريق حيث كان المسرح وليد الشعائر الدينية وعاش موصولا بالدين.

كذلك الحضارة اليمنية القديمة حفلت بآثار أدبية رائعة مما يوحى
بوجود مسرحى راسخ - - - - -
بجوار سد مأرب.

أما فى بابل وآشور وفينيقيا فقد عثر على قدر غير قليل من الآثار
الخالدة من الآثار المادية كالمسرح.

وارتباط الدين بالفن للمسرحى جعل أماكن العبادة أماكن للتمثيل
كذلك وقد كان الفينيقيون الكنعانيون يقدمون الأضاحى على المرتفعات
حيث اعتادوا إقامة المنصات المقدسة.

فإذا ما تحدثنا عن بنى اسرائيل فى أرض كنعان نجد أنهم اتخذوا
اللسان الكنعانى لغة لهم ذلك اللسان الذى سمي فيما بعد باللغة العبرية
تلك اللغة التى كتبت بها أسفار العهد القديم. ويمثل العهد القديم الميراث
اللفوى لبنى اسرائيل ولتقل الميراث الأدبى بمفهومه الواسع باعتباره كتاب
أدب وعقيدة وشعائر دينية. وإن كانت قراءة العهد القديم باعتباره ادبا ليست

أما عن الفن المسرحى عند بنى اسرائيل فى تلك الفترة ومصدره العهد القديم فقد قيل أنه يمثل محاولات هزيلة ولكنها لم تنجح ولكننا لا يمكن أن نؤكد ذلك لعدة اعتبارات منها:

١- موقف بنى اسرائيل العدائى من هذا الفن حيث جاء فى سفر التثنية ٢٢: ٥ «لا يكون متاع رجل على امرأة، ولا يلبس رجل ثوب امرأة لان كل من فعل ذلك مكروه لدى الرب الهك»

وبطبيعة الحال قد تستدعى بعض المشاهد المسرحية التكر فى زى امرأة وهذا يعد مكروها.

٢- أما عن الاسفار الأدبية وانتهى تعد مصدر الفن المسرحى نائنا لا ننكر أن فى العهد القديم أدبا يطلق عليه أدب الحكمة متمثلا فى أسفار الامثال والجامعة وايوب لكن هذا اللون من الأدب وجد عند المصريين والكنعانيين والبابليين قبلهم.

ويرى بعض الباحثين أن هذا اللون من الادب يعد غريبا على أسفار العهد القديم.

وكذلك نشيد الإنشيد الذى يعتبر عملا دراميا فقيه مؤثرات فارسية ويونانية. ناهيك عن الموقف العدائى وكراهية بنى اسرائيل للرومان واليونان الذى اشتهروا بالفن المسرحى.

خلاصة القول أن اللغة العبرية المتمثلة فى العهد القديم أصبحت بعد السبى البابلى لغة دينية أى قاصرة على رجال الدين وحلت محلها اللغة الأرامية لغة الحديث اليومى.

فاذا ما انتقلنا إلى العصر الحديث وجدنا الاختلاف حول تاريخ المسرح العبرى ومفهومه ولنا بصدد تاريخ فن المسرح ولكن ما يعني أن الحركة الصهيونية التى نجحت فى إنشاء كيان قومى لليهود فطنت إلى أن هذا الكيان القومى يحتاج إلى مقومات منها الأرض واللغة. فكان المسرح وسيلة من وسائل إحياء اللغة ومن هنا تأسست دعاة الصهيونية ومؤسسو المسرح معا.

واللغة العبرية لغة مقدسة ومن هنا كان إحياء اللغة إحياء لقداسها. ولذلك كانت الحاجة إلى تأصيل الألفاظ التى استخدمت فى هذا الفن ومنها מִשְׁכָּן بمعنى فن وكلمة מִשְׁכָּן بمعنى منصة و מִשְׁכָּן أو מִשְׁכָּן بمعنى مشهد ومنها מִשְׁכָּן و מִשְׁכָּן بمعنى ممثل ومسرحية وأخيرا מִשְׁכָּן التى تقال للاستحسان عند نهاية العرض المسرحى.

أما كلمة מִשְׁכָּן فالأصل فيها מִשְׁכָּן هذه الصيغة المجردة لم نستخدم ولكن استخدم اسم الفاعل מִשְׁכָּן واسم الفاعلة מִשְׁכָּן لتدل على المربى والمربية.

ولما كانت التربية تحتاج إلى مهارة لأن المربى يخلق أجيالا أطلق على الصانع الماهر والفنان.

מִשְׁכָּן om-man كما جاء فى نشيد الأنشيد ٢:٧

كذلك تدل كلمة מִשְׁכָּן على الصانع البارِع واستخدمت منسوبة إلى الحكمة مرة واحدة فقط فى سفر الأمثال.

ومن الجدير بالذكر أن الكلمة فى الآشورية تدل على مهارة الصانع كما يدعو إلى القول بأن الكلمة فى العبرية تأثير آشورى والآشورية بدورها تأثرت بالمصرية القديمة وقد عرفت العبرية الإله المصرى القديم מִשְׁכָּן حتى إنه

ذكر في سفر ارميا ٤٦: ٢٥ مما يدعو إلى القول أن الكلمة تأثير أجنى حيث ذكرت هذه الدلالة في الأسفار الأدبية المتأخرة.

أما كلمة ^{١٧٦} ^{١٧٧} بمعنى منصة أو مكان مرتفع فالأصل فيها ^{١٧٨} ^{١٧٩} وربما جلبت إمالة الباء المفتوحة نحو الكسرياء فقليل ^{١٨٠} ^{١٨١} .

تأثرت عبادة بنى إسرائيل في أرض كنعان بالكنعانيين فكانت العبادات تُمارس على المرتفعات كما فعل النبي صموئيل اصم ٩: ٢٠٠ واقتترنت المرتفعات بالأماكن المقدسة. كما أن كلمة ^{١٨٢} ^{١٨٣} وجدت في الآشورية بمعنى المكان المرتفع كما ذكر أن في الديانة السومرية القديمة إلهة تسمى ^{١٨٤} ^{١٨٥} تعد واحدة من أقدم الإلهات عند السومريين ولما كانت العبادة مرتبطة بالمرتفعات ارتبط اسم الإلهة بالمرتفع ثم تحولت الباء الثانية إلى سيم فقليل ^{١٨٦} ^{١٨٧} .

ومن الجدير بالذكر أن اسم هايما أطلق على تلك الفرقة المسرحية في العهد الحديث والتي كان مؤسسها يهدف إلى تمثيل مسرحيات مؤلفة باللغة العبرية وحسب أو مترجمة إلى اللغة العبرية. وتهدف إلى الاستيطان في أورشليم حيث يفتح العرض بترجمة تقول:

« جهزوا جهزوا من أجل الهايما في أورشليم ».

أما ^{١٨٨} ^{١٨٩} أو ^{١٩٠} ^{١٩١} فهما كلمتان مترادفتان بمعنى مشهد أو مسرحية. وهما كذلك مترادفتان في أصل الدلالة. فكل من الفعلين ^{١٩٢} ^{١٩٣} و ^{١٩٤} ^{١٩٥} يعنى الرؤية البصرية ورؤيا الكشف أو التنبؤ بالغيب أو التجلى الإلهي.

أما كلمة ^{١٩٦} ^{١٩٧} أو ^{١٩٨} ^{١٩٩} وكل منهما مصدر ميمي بمعنى الرؤيا خاصة التي يراها الحازي أو الرائي والذي يشبه الكاهن عند البابليين

فالكلمة ذات مغزى دينى.

أما كلمة צחק والتي نكتب بالسين أو الصاد والأصل فيها الصاد فهي مشتقة من الفعل צחק . بمعنى ضحك وارتبط الفعل צחק بالنبى اسحاق أو יצחק فى العبرية حيث جاء فى سفر التكوين ٢١: ٦ أن سارة حين ولدته.

«وقالت سارة قد صنع إلى الله ضحكا كل من يسمع يضحك».

ويضحك هو צחק فالاسم علم على وزن الفعل المضارع وارتباط צחק بالأصل צחק لا يخلو من مغزى ولا سيما أن مادة مثل وفيوة فى اللغة العبرية وكان من الممكن اشتقاق اسم الممثل كما فى اللغة العربية.

وبالتالى كلمة צחק وهى مشتقة من دلالة צחק السابقة.

أما צחק والتي يقال للاستحسان فالأصل فيها צחק وهذه الكلمة ارتبطت بصوت جلبة الجنود فى الحرب وصوت غضب الرب.

ويقابل צחק فى العبرية هد فى العربية والمقصود بها الصوت الشديد تسمعه من سقوط ركن أو حائط أو ناحية جبل وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم

«اللهم إني أعوذ بك من الهد والهدنة»

حتى كلمة الاستحسان لا تخلو من العنف.

المصادر والمراجع العربية

- (١) الإبدال : تأليف أبى يوسف يعقوب بن السكيت . القاهرة ١٩٧٨ م.
- (٢) تاريخ اللغات السامية . تأليف إسرائيل ولفنسون . بيروت ط ١ ١٩٨٠ م
- (٣) الحضارات السامية القديمة تأليف . سبتينو موسكاتى . ترجمة د. السيد يعقوب بكر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧ م .
- (٤) لسان العرب ، لابن منظور . دار المعارف .
- (٥) مجلة عالم الفكر ، المسرح ، المجلد ١٧ ، العدد الرابع ١٩٨٧ م.
- (٦) مذكرة فى اللغة الحبشية للدكتور عبدالمجيد عابدين .
- (٧) المسرح المصرى القديم تأليف إتيين دريوتون . ترجمة وتقديم د. لروت عكاشة . مراجعة د. عبدالمعزم أبوبكر . الهيئة المصرية العامة للكتاب . ط ٢ ، ١٩٨٨ م .
- (٨) المسرح اليهودى . سنوات فى خدمة الصهيونية العالمية . تأليف شكرى عبدالوهاب . ١٩٩٩ م.
- (٩) معجم المصطلحات العربية فى اللغة . الأدب . مجدى وهبه . كامل المهندس ، بيروت ١٩٨٩ م.
- (١٠) المعجم الوسيط ، ط ٢ ، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م.

المصادر والمراجع الأجنبية

- (1) Anderson, Hugh: The Interpreter's one volume commentary on the Bible. (The Book of Job) U.S.A.
- (2) Ball, C.J. A Bible Commentary, Vol. III. p. 260
- (3) Dentan, Robert C. The Interpreter's one volume Commentary on the Bible. (The Song of Solomon). U.S.A.
- (4) Epstein, Isidore: Judaism. A Historical Presentation. Penguin Books. 1990.
- (5) Friisch, Charles T.: The Interpreter's one Volume Commentary, p. 220.
- (6) Gabel, John B. -Wheeler, Charles B.: The Bible As Literature. An Introduction. second Edition. 1990. U.S.A.
- (7) Gesenius, William:
 - Gesenius, Hebrew and Chaldee Lexicon, Printed . 1994.
 - A Hebrew and English Lexicon of O.T. Third Printing, 1976.
- (8) Gray, Louis H. : Encyclopaedia of Religion and Ethics. Vol. IV (Drama).
- (9) Kittle, R.: Biblia Hebraica.
- (10) Leathes, Stanley: A Bible commentary. Vol.Iv (Job).
- (11) Leick, Gwendolyn: A Dictionary of Ancient Near Eastern Mythology. Printed. 1997.
- (12) Spence, H. D. M.: A Bible commentary. Vol. II. p. 327.

أدب القبائل التركية وسلاجقة الروم بالأتاؤول

(دراسة تاريخية للأدب التركي في القرن الثالث عشر الميلادي)

د. رشيدة رحيم الصبروتي
جامعة الإسكندرية- كلية الآداب
قسم اللغة العربية واللغات الشرقية

أدب القبائل التركية وسلاجقة الروم بالأناضول
(دراسة تاريخية للأدب التركي في القرن الثالث عشر الميلادي)

د. رشيدة رحيم الصبروتي
جامعة الإسكندرية - كلية الآداب
قسم اللغة العربية واللغات الشرقية

تري بعض الدراسات الحديثة أن الأتراك سلالة مباشرة لسكان آسيا الصغرى.^١ وقد شهدت الفترة الممتدة من القرن الثامن إلى القرن الثالث عشر الميلاديين، تدفقا جديدا للعناصر التركية إلى الأناضول باعتبارها إحدى روافد للحركة السلجوقية العظمى،^٢ وسرعان ما أصبحوا عنصرا محليا مهما عقب استقرارهم في مناطق فتحها الجيوش السلجوقية أمام الهجرة التركية.^٣ وقد احتفظ الأتراك بمعتقداتهم القديمة بعد دخولهم الدين الإسلامي، كما احتفظوا بتراثهم الشفهي، الذي كان غنيا في ذلك الوقت،^٤

^١ Еремеев Д.Е.:Этногенез Турок .стр. 21-22, М.1971.

Ямпольский З.: О турках 5 века до нашей эры. Ученные записки Азерб. Гос.Университета „ серия "Язык и литература",1970. вып.5-6. стр.10-12.

أبرار كرم الله: من هم التار. (ترجمة وتعليق رشيدة رحيم الصبروتي) القاهرة ١٩٩٤، ص ٣٢-٣٥

^٢ كوبريلي محمد فؤاد:تورك أدبياتنده اهلك متصوفلر، ص ٢٠٥، استانبول ١٩١٨

^٣ أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني، ص ١٥، القاهرة ١٩٨٢

^٤ يستطيع القارئ أن يجد عددا كبيرا من أبحاث العلماء حول التراث الشفوي القديم للأتراك في كتاب يلبوغراني: " في أصول الأدب التركي " -

لكنه لم يسجل إلا في العصور المتأخرة. ونجد لغة الأدب القديمة التي كانت تحدث بها جميع الشعوب التركية بكافة لهجاتها المحلية في مناطق الشرق الأوسط وآسيا الوسطى وسيبيريا، قد انعكست في أقدم النماذج الأدبية التركية، مما جعل العلماء ينظرون إلى هذا الأدب باعتباره تراثاً مشتركاً بين تلك الشعوب. وفي الأزمنة الأخيرة تم تسجيل أشعار منظومة في شكل الرباعيات علي وزن المقاطع - "هجا"، غير أنها، وفق رأي العلماء، تعود بجذورها إلى القرن الحادي عشر الميلادي.^٥ ونجد الشعر الغنائي الذي يشغل جزءاً كبيراً من التراث، تمثله الأنواع المختلفة من الأغاني الشعبية مثل "تورككو"، و"ماني"، و"قوشما" وغيرها. أما الشعر الملحمي الذي أطلق عليه "نستان" فقد احتل مكانة خاصة في قلوب الأتراك، ووجد إتيالا كبيراً لدي مثليه. ويقدم لنا هذا الشعر حقائق من حياة الشعوب التركية بأساليبها المختلفة علي مر العصور، ويصور لنا في الوقت نفسه جانبها الروحي ونظامها الأخلاقي.

وفي القرن التاسع الميلادي كان العنصر التركي غالباً في الشعب الاسلامي، خاصة وأن الأتراك في ذلك الوقت كانوا يشكلون أهم ركائز القوة العسكرية. وكان الخلفاء العباسيون وجدديون الامرات إلى حدود خلافتهم الغربية لاستخدامهم كقوة عسكرية تحمي ممتلكاتهم. كما كانت الدولة البيزنطية تستعين في حروبها بالمحاربين الأتراك المرتزقة. وفي القرن الحادي عشر الميلادي ظهرت على أرض الأناضول دولتان تركيتان: دولة الدانشمانيين (١٠٦٧ - ١١٨٠ م.) بعاصمتها سيواس، ودولة سلاجقة الروم (١٠٧٧ - ١٣٠٧ م.) بعاصمتها قونية. وقد لعبت الدولتان دوراً أساسياً في إسقاط نفوذ الدولة البيزنطية في آسيا الصغرى. وكانت العقيدة الإسلامية قوة أيديولوجية تبرز تحركات الأتراك تجاه الأراضي المجاورة. واتحد سلاجقة الروم، والدانشمانيون، وقادة القبائل التركية الأخرى بهدف نشر الإسلام في الأناضول، واتخذت هذه الحملات العسكرية شعار "الغزوات" (أو الجهاد). لكن الصراع من أجل السيطرة على الأراضي قد نشب بين المسلمين أنفسهم، أي بين الدانشمانيين والسلاجقة، ودام زمناً طويلاً. وتحالف السلاجقة مع الدولة البيزنطية للإطاحة بدولة بني دانيشماند، واستطاعت الجيوش الإغريقية أن تقضي

^٥ "Philologiae turcicae fundamenta", t.2, Wiesbaden, 1965.

^٥ Маштакова Е.Н.: Из истории сатиры и юмора в Турецкой литературе. (14-17 вв), Москва 1972, с.30.

عليهم بالفعل في عام ١١٨٠م، فانضم منذ ذلك الوقت الجزء الأكبر من أراضي الدانشمانيين إلى الدولة السلجوقية بالأناضول.

وفي بداية القرن الثالث عشر بلغت دولة سلاجقة الروم قمة ازدهارها، فأصبحت مدينة قونية - عاصمة الدولة السلجوقية في الأناضول - مركزا سياسيا وتجاريا وثقافيا في ذلك الوقت. وكانت صفوة المجتمع التركي من أصحاب المناصب العليا، ورجال الدين، والعلماء، والشعراء، والعازفين يجتمعون بقصر السلطان. كما كان الرجال المشاهير من البلاد المجاورة يقصدون إلى قونية ليجدوا فيها استقبالا رحبا وحماية من الحكام. وازدهرت الحياة الأدبية، لكنها لم تكتب ولم تسجل بإحدى اللهجات التركية، رغم أن سلاجقة الروم كانوا جنسا تركيا، ولم تصبح إحدى اللهجات التركية لغة الكتابة، لأن القبائل التركية التي اعتنقت الإسلام منذ وقت قريب، وتشربت من الثقافة الإسلامية، لم تملك أبا مكتوبا بلغتها القومية، فوكلت تحت تأثير ثقافتهم أقوى وأكثر تطورا، ومن ثم أصبحت العربية لغة العلوم والإدارة، وصارت الفارسية لغة الأدب. ونلاحظ هنا أن استخدام لغة أجنبية في الكتابة والأدب كانت ظاهرة عامة بالنسبة لكل شعوب العالم في الفترات التي كانت تسبق تكوين لفهم الإنسية القومية، وعلى سبيل المثال اللغة اللاتينية في دول الغرب، اللغة العربية والفارسية في الشرق الإسلامي، واللغة البلغارية القديمة عند الشعوب السلافية، واللغة الصينية في اليابان وكوريا.

وقد شهد القرن الثالث عشر موجة هجرة جديدة للعناصر التركية من آسيا الوسطى ومنطقة خراسان إلى آسيا الصغرى، وذلك بعد سقوط دولة خوارزم (١٢٢٠م) أمام الزحف المغولي. وأخذت القبائل التركية المستقلة التي لم تخضع للإشراف السلجوقي، والكتل الوافدة إلى المنطقة تهدم النظام الاجتماعي في الدولة السلجوقية مما أدى إلى انهيارها بسهولة. وكانت ثورة بابا إسحق (١٢٣٩م) من العوامل الرئيسية التي هزت كيان الدولة السلجوقية في الأناضول.

وكان بابا إسحق مريدا للشيخ المشهور بابا إلياس الخراساني. وكان لهؤلاء البابوات مكانة خاصة لدى القبائل الأوغوزية-التركمانية الرحل. وقد تمكك البابوات بالتماليم الإسلامية، إلا أن خطبهم كانت ترد أحيانا أصداة الشامانية، وتنبئ إلى الاتجاه الشيعي. أما السلطان وحاشيته

⁶ Гасратян М.А., Орешкова С.Ф., Петросян Ю.А.: Очерки Истории Тюрклян, с.4, М.1983

في دولة سلاجقة الروم فكانوا يتبعون المذهب الحنفي السني. وقد استطاع البابوات أن يكتسبوا شهرة واسعة، ويحتلوا مكانة خاصة بين القبائل الأغوزية - التركمانية التي رفضت نظام السلطان. فأخذ هؤلاء البابوات ينشرون الأفكار الشيعية بين أهالي الأناضول. وكان من أشهرهم بابا إلياس الذي أقام بمنطقة أماسيا. وقد شهدت المصادر أنه بتأثيره القوي في نفوس الجماهير كان يتنافس مع دعاة الطريقة الصوفية الأخرى التي انتشرت في المنطقة، وهي الطريقة المولوية تحت زعامة جلال الدين الرومي.

وقد استطاع بابا إسحق الذي شرب من أفكار الشيعة واشتهر بتشف وفضيلة، أن يجمع حوله عددا ضخما من أنصاره بين القبائل للرحل وسكان القرى والأرياف في جنوب-شرقي الأناضول ووسطه، فقام بحركة التمرد والعصيان ضد النظام السني في الدولة. وكان الثوار بأولادهم وزوجاتهم يهاجمون المدن، ويتصدون إلى أراضي الأثرياء ليدمرها ممتلكاتهم، ويقتلوا أصحابها. وبعد جهود ضخمة واستخدام المرتزقة من الجنود الأوربيين استطاع سلاجقة الروم في النهاية أن يقضوا على هذه الثورة بقسوة.

وقد أدت تقوية العناصر البدوية في بداية القرن الثالث عشر الميلادي إلى ضعف الدولة السلجوقية قبل الغزو المغولي في المنطقة. وعقب هزيمة السلاجقة أمام المغول في موقعة كوسه - داغ (Kose dag) في عام ١٢٤٢م. بدأت فترة الحروب الداخلية أو النزاع الداخلي بين حكام الدويلات التركية من أجل السيطرة على المنطقة. ومن ثم أدى الغزو المغولي إلى حدوث تغييرات سياسية واجتماعية ضخمة. وكانت الموجة الهجرية للقبائل التركية الرحل إلى الأناضول قد سحبت معها عددا كبيرا من سكان المدن، والقرى، والأرياف. وكان من ضمنهم مسلمون لا ينتمون إلى الجنس التركي. وفي ظل التفكك السياسي الذي غرزه للمغول، والذي أضر بسيطرة سلاجقة الروم في منطقة الغرب من آسيا الصغرى، بدأ الانقسام الاجتماعي والمذهبي لسكان المنطقة.^٨ وظهرت اتحادات جديدة للقبائل التركية الرحل، كما اتحدت القبائل الرحل مع سكان الحضر. ولم تكن تلك الاتحادات قائمة على المساحات الأرضية، بل كانت قائمة على

^٧ المرجع السابق ص ١٤

^٨ Новичев А.Д.: История Турции т. I, Ленинград 1963, с.26.

مبدأ الاتحاد لبعض الأسر الحاكمة التي نالت الأراضي من سلاجقة الروم أو الحكام الإيلخانيين في شكل الإقطاع (أوج).⁹ أما المناطق الشرقية بالأحاضول التي ضمت إلى الدولة الإيلخانية المغولية،¹⁰ فكانت التقاليد البدوية فيها أقوى. وتكونت منها الإمارات المستقلة في وقت متأخر نسبياً أي في بداية القرن الخامس عشر. وفي غرب الأحاضول الذي بقي شكلياً تحت سيطرة سلاجقة الروم، ظهر في القرن الثالث عشر ما يقرب من عشر إمارات صغيرة لم تخضع للمغول. وفي تلك الفترة عظم شأن إمارة الترمان التي تركزت في المناطق الجبلية لشتر كيليكيا الغربية.¹¹ وقد قامت هذه الإمارة بحملات عسكرية (١٢٦١، ١٢٧٥، ١٢٧٧ م.) على مدينة قونية التي كانت لا تزال حتى ذلك الوقت مقراً للسلطان السلجوقي. وكانت أسرة الترمانيين من الناحية الأيديولوجية تنتمي إلى طريقة بابا إلياس، فكانت حروبهم مع السلاجقة تعكس كفاح التركمان الرحل ضد النظام الإقطاعي، حين ارتفع دورهم في الحياة السياسية بآسيا الصغرى.

ومن أهم الإجراءات التي قام بها في هذه الفترة محمد باي حاكم إمارة الترمان (١٢٦١-١٢٧٧ م.)، هو إدخال اللغة التركية في المخطابات الرسمية، وفي لغة الإدارة بدلاً من الفارسية التي كان يستخدمها السلاجقة. ولم يستطع مقتل محمد باي أن يلغي تلك الإجراءات التي كانت نتيجة للتغيير السكاني في آسيا الصغرى. وبدأت المؤلفات تكتب لأول مرة باللغة التركية.

إن هزيمة الترمانيين في المعركة التي وقعت في عام ١٢٧٧ م.، حيث اتحد فيها ضدهم قوات سلاجقة الروم مع الإيلخانيين وبنو كرمان (Germiyan) لم تقلل من شأن الإمارة على مسرح الأحداث في المنطقة. وكانت آسيا الصغرى في عهد المغول ممراً اصطدمت فيه القرى المتصارعة من المغول والمماليك من أجل الميراث السلجوقي.¹² وكانت

⁹ Твертенинова А. С.: Фольклоризация истории средневековой Турции в кемалистской историографии. - ВВр. 1953, т7, с12-13.

¹⁰ Boyle J.A.: Dynastic and Political History of the Il-Khan. Cambridge History of Iran. Cambridge 1975, v.5, p.303.

¹¹ Gibbons H.A: Foundations of Ottoman Empire , Frank Cass 1968, s.277.

¹² Molloy R. Edebi makaleler. Sofya, 1958, s.35.

إمارة القرممان التي وقعت في منطقة الثغور بين أكبر دولتي الشرق الأوسط في القرن الثالث عشر، أي دولة الأيلخانيين المغولية والدولة المملوكية في سوريا ومصر، قد لعبت دورا نشطا في الصراع الدولي، إذ استطاع القرممانيون في بداية القرن الرابع عشر الميلادي أن يغزوا مدينة قونية ويستولوا عليها، وأن يعلنوا حقهم الشرعي في الميراث السلجوقي بآسيا الصغرى.

وكان من أخطر منافسي هذه الإمارة دولة بني كرميان (Germiyan) بعاصمتها كوتاهيه التي استطاعت في نهاية القرن الثالث عشر الميلادي أن تمتد سيطرتها إلى أنقرة، أو بمعنى آخر استطاعت أن تستولي على جزء من أراضي الإيلخانيين.^{١٣} وبسبب نشوب الصراع بين أكبر الاتحادات القبلية التركمانية في القرن الثالث عشر وبداية الرابع عشر الميلاديين كانت الإماراتان - قرمان وكرميان - تتسمان نسبيا ببطء للتطور الاجتماعي الداخلي. لكن إمارات المنطقة الغربية من شبه جزيرة الأناضول كانت أسرع تطورا، إذ كانت بمثابة القلاع الحربية على حدود "الكفرة"، فآخذت تمتص عددا ضخما من المحاربين الوافدين من أواسط الأناضول، لأن الفتوحات المستمرة والاستيلاء على الأراضي الجديدة، وكسب الغنائم الحربية كانت فرصة تجذب هؤلاء المحاربين.^{١٤} وكما قلنا من قبل لقد احتفظ الأتراك بتقاليد تراثهم الشفوي القبيمة، غير أن العناصر الجديدة بدأت تتخلل في ذلك التراث، فامتزجت بالقصص حول بطل-ألب التي سجلت في شكل الملحمة الحربية، مع التصور الإسلامي لبطل الجهاد من أجل العقيدة الإسلامية- غازي.

وهكذا وجدت الفتوحات الإسلامية تربة خصبة لها في الركن الشمالي- الغربي بالأناضول، حيث قامت فيه الدولة العثمانية وازدهرت فيما بعد. ولم نجد في الكتابات التاريخية العثمانية إلا إشارات قليلة إلى أسيرة العثمانيين قبل فتح القسطنطينية،^{١٥} علي حين أن البيزنطيين لا يشيرون بما يستحق الذكر إلى أصولهم.^{١٦} وكل ما نعرفه: إرطغرل وهو

^{١٣} Cahen C.: Pre-Ottoman Turkey, London 1968, s.303.

^{١٤} Wittek P.: the Rise of the Ottoman Empire. London 1971, p. 3

^{١٥} Lewis B., Holt P.M.: Historians of the Middle East, p.164, Oxford 1964.

^{١٦} Runciman S. Byzantine historians of the Ottoman turks; in Lewis and Holt (eds): Historians of the Middle East, p. 271-276.

قائد المجموعة البدوية من قبيلة "كابي"^{١٧} التي تكونت من ٤٠٠ أو ٥٠٠ خيمة، قد لال من السلطان السلجوقي علاء الدين كيقياد ثغرا (أوج) في منطقة "سوكوت" (Söğüt). وكان علي قائد الثغر حماية الحدود الشمالية-الغربية لدولة السلاجقة. وجرت العادة أن تنتقل قيادة الثغور بالوراثة. وبعد وفاة إرطغرل حل محله ابنه عثمان، فأصبحت الإمارة والأسرة التي حكمتها، تسمى باسمه. ونجد العثمانيين بعد نجاحهم في إنشاء إمبراطوريتهم الضخمة يؤكدون أن أسلافهم دخلوا الأناضول باعتبارهم قادة عسكريين لخيمة السلاجقة، وليسوا باعتبارهم مجرد رعاة.^{١٨}

وتتصف المعلومات التي تعود إلى الفترات الأولى من تاريخ الدولة العثمانية، بطابع أسطوري، إذ كان هدفها إظهار بطولات أسرة عثمان و"شرعية" حكمها. أما الأخبار التي تتصف بالدقة، فهي أن عثمان استطاع أن يستولي على مدينة بيزنطية "كراجة حصار" في عام ١٢٨٩م. وأمر بتحويل الكنيسة إلى المسجد الذي قامت فيه لأول مرة صلاة الجمعة، وألقيت خطبة بذكر اسم عثمان.^{١٩} وفي عام ١٢٩٩م. استطاعت الإمارة العثمانية أن تتخلص نهائيا من الإشراف السلجوقي، وتستقل، إلا أنها كانت لا تزال تعترف بالسلطة السياسية لأسرة الإيلخانيين ونفوذهم في منطقة الشرق، وتتفجع لها جزية.^{٢٠}

وقد لعبت الطرق الصوفية والأخوية (مفردها أخي، اكتسبت من الكلمة التركية أكي بمعنى الرجل الذي يجمع بين الشهامة والكرامة)^{٢١} دورا رائدا في نشأة الدولة العثمانية. وقد اختلطت الأخوية بطوائف الصناعات

^{١٧} محمد فؤاد كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ترجمة أحمد السعيد سليمان، القاهرة ١٩٦٧.

^{١٨} Shaw S.: The Empire of the Ghazis.p.13

Karpat K.H.: The Ottoman state and its place in world history. Leiden 1974.

^{١٩} عاشق باشا زاده : تواريخ آل عثمان ، ص ٣-٨ ، استانبول ١٩١٣

^{٢٠} Шамсутдинов А.: К вопросу об организации Османского княжества – ИВАН, 1947, № 5, с.142.

^{٢١} عبد العزيز محمد الشناوي: الدولة العثمانية : دولة إسلامية مفترى عليها، ج

١، ص ٦٠ ، القاهرة ١٩٨٠

فسي المدن، والمزارعين في الأرياف، وانضم إليهم عدد كبير من الرجال الذين كانوا ينتمون إلى طرق صوفية شتى. ويذكر الرحالة ابن بطوطة في أوائل القرن الرابع عشر أن الأخية كانوا منتشرين في البلاد التركمانية الرومية.^{٢٢} وأخي عندهم رجل يجتمع أهل صناعته وغيرهم من الشبان الذين يقومون على أنفسهم. ويسمون بالفتيان ويسمي مقنمهم الأخي". ويشير عبد النعيم محمد حسنين إلى أن الأخية الفتيان هي إحدى الفرق الصوفية التي كانت تستعمل قوة الملاح وسيلة لأخذ حطبها من أهل الشر والحكام الظالمين، وكانوا يقومون المساعدة للمحتاجين.^{٢٣} وهكذا شهدت الأناضول ظهور القوة السياسية لتنظيمات الفتيان. وقد ارتبط تنظيم المدن بالأخية، وانتظم الفتيان في مجموعات مترابطة ومداخلة، فأصبحوا هم أصحاب الكلمة الأولى والأخيرة في السياسة المحلية. بالإضافة إلى ذلك كانت زوايا الدراويش التي قامت بليواء المسافرين على الطرق وفي المدن، تلعب دورا رائدا في استقرار الأتراك ولتسارهم في الأراضي التي تم الاستيلاء عليها. واثبتت فيها كثير من قرى غربي الأناضول.^{٢٤}

إذن الفترة التي امتدت من القرن الحادي عشر إلى القرن الثالث عشر الميلادي تعد في حقيقة الأمر مرحلة تمهيدية للتاريخ التركي العثماني. ويتصل التغيير السكاني الديموغرافي في آسيا الصغرى بحركة الهجرة المضخمة للقبائل الأوغوزية - التركمانية التي بدأت في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي، وأصبح هذا نقطة الانطلاق لتكوين الشعب التركي العثماني الذي ضم إلى نفسه أجناسا مختلفة سواء أكانت وافدة مع الحركة السلجوقية العظمى، أو كانت تشكل سكان المنطقة من قبل. ونجد ظهور وحدة لغوية - ثقافية - جنسية جديدة للعناصر التركية التي اتحدت تحت لواء العقيدة الإسلامية، وبداية اختلاطها بالسكان المحليين الذين دخلوا الدين الإسلامي، ثم ظهور الثقافة المحلية الجديدة التي تعرضت للتأثير العربي والفارسي والبيزنطي أو لتأثير حضارة الشرق الأوسط بصفة عامة، كل هذا يشهد بداية الفترة التاريخية في منطقة

^{٢٢} ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، دار التراث - بيروت ١٩٦٨ ، ص ٢٧٥

^{٢٣} عبد النعيم محمد حسنين: دولة السلاجقة، ص ١٦٣ ، القاهرة ١٩٧٥ .

^{٢٤} Inalcik H.: The Ottoman Empire: conquest, organization and economy (collected studies) p.208-209, London 1978.

الأناضول، ويتكوين تلك الظروف السياسية والثقافية والاجتماعية التي مهدت لظهور الشعب التركي العثماني ونموه وتطوره.

وكما ذكرنا من قبل كانت الجماهير العربية من سكان الأتراك بالأناضول يملكون أدبا شفويا قويا. وقد استمر ذلك الأدب في تكوينه زمنا طويلا، ودليل على هذا حكايات دede قورقوت (Dede Korkut)، وحكايات أوغوز قاغان. إن سلسلة الحكايات في المؤلفات الملحمية الكبيرة تكشف لنا تاريخ تكوينها، والبطل الذي تدور حوله الحكايات، يمثل بطولات الشعب، فهو رمز لشهامة شعبه، وكرمه، وحكمته. ولجد حكايات دede قورقوت التي تعد نموذجا للأدب الملحمي الأوغوزي، تتكون من ١٢ "أوغوزنامه"، وتعكس تطور الأدب الملحمي في العصور المختلفة. وقد نال كثير من حكايات "أوغوزنامه" تكوينها النهائي على أراضي آسيا الصغرى ومنطقة قوقاز من ضمن التراث الملحمي المشترك. وقد قامت القبائل الأوغوزية بهجرات كثيرة استمرت قرونا طويلة، كما اشتركت في حروب كثيرة. ومن الطبيعي أن يعكس تراثهم الملحمي فترات تاريخية مختلفة، ويمتص من حكايات الشعوب المختلفة. وكانت هناك صلة وثيقة ومتبادلة استمرت قرونا طويلة، بين الأديين التركي والفارسي. وأقدم الآثار للتأثير الفارسي نجده في التراث الشفوي التركي. وقد استمر ذلك التأثير بشدة أثناء ظهور أول المؤلفات المكتوبة باللغة التركية.

وحكايات دede قورقوت وصلت إلينا في نسختين: نسخة الفاتيكان، ونسخة دريزدن بألمانيا.²² وتشير بعض الأبحاث إلى أن هذه الحكايات كانت تكتمل على مر العصور.²³ وقورقوت (أو قورقوت آتا، أو دede قورقوت) هو مؤلف الحكايات الذي يحمل ملامح الكاهن، ويطلق عليه "شامان باخشي". وكان الكاهن قبل المرحلة الإسلامية شخصية مهمة عند القبائل الأوغوزية، إذ كان يجمع بين وظيفة الأب للقبيلة، ووظيفة المعلم، والمنجم، والطبيب، والمغني الذي يقوم في الوقت نفسه بدور المحافظ على التراث القومي. ومع هذا نجد دede قورقوت يحمل ملامح أخرى، فعلى سبيل المثال نجده يبارك الخان (أو الحاكم) بنكر الله ورسوله، ويقوم بدور رجل الدين الإسلامي. ولا شك في أن هذا المشهد يعد من مراحل متأخرة

²² Gökyay O.S.: Dede Korkut, İstanbul 1938.

²³ Boratav P.M.: Dede Korkut hikayelerindeki tarihi olaylar ve kitabın telif tarihi, T.M. c18, 1952.

في تكوين الحكايات، أي حين بدأ التراث الشعبي التركي يتشرب من العقيدة الإسلامية.

وفي هذه الفترة كانت الظروف الاجتماعية قد تغيرت، فلم تسمح بوجود الشامان (أو الكاهن) في المجتمع، لأن النظام القبلي في منطقة آسيا الوسطى بدأ في انهياره منذ القرن العاشر الميلادي. ومع ظهور العقيدة الإسلامية، وتكوين النظام الإقطاعي بآسيا الصغرى ومنطقة التوقاز في فترة امتدت من القرن الثاني عشر إلى الخامس عشر الميلاديين، أزيحت خطوة تلو أخرى مكانة الشامان الاجتماعية، وتبدلت صورته التقليدية بصورة أخرى: هي صورة رجل الدين الإسلامي. وهذه المرحلة من تاريخ تكوين شخصية قورقوت يؤكدتها اسم "دده" نفسه. ونجد مرحلة انتقالية من تطور شخصية دده قورقوت في شخصية "أبو الغازي" الذي يذكر وزيراً للدولة الإسلامية،²⁷ لكن هذا ليس (لا شك) خارجياً، لأنه ما زال محتفظاً بصفاته القديمة كآب للقبيلة الأوغوزية.

ونجد المصادر القديمة مثل "جامع التواريخ" لرشيد الدين (توفي ١٣١٨م)، لا تذكر شخصية "أب الغازي" باسم "دده"، لكننا نذكره باسم "قورقوت" أو "قورقوت آتا" الذي يحمل صفات الشامان التقليدية كآب القبيلة والمغني الشعبي. ونجد الاسم نفسه مذكوراً في التراث الأدبي لشعوب منطقة آسيا الوسطى.²⁸ أما نسخة الفاتيكان ونسخة دريزدن فتذكرانه باسم "دده"، وهذا لقب ديني، لأن اسم "دده" مثل "بير" (Pir)، أو "شيخ"، أو "سلطان"، أو "إبدال"، أو "بابا" - وهي كلها ألقاب دينية - كان يطلق على كبار الصوفية. ومن هنا نجد وجهاً ثالثاً لقورقوت في شخصية الراوي - درويش التي حلت محل صورة الشامان التقليدية القديمة بعد انتشار الاتجاه الصوفي في الأوساط الأوغوزية.

وهكذا بدأ التراث الملحمي التركي شيئاً فشيئاً يتشرب من العناصر الإسلامية، فنجد صورة عزرائل في "قصة الشجاع دومرول"، كما نرى البطل - آلب - يقوم بالصلاة قبل خروجه إلى ميدان المعركة. أما

²⁷ Конанов А.Н.: Родословная туркмен. Соч. Абул-Гази Хана Хивинского. М. 1958, стр. 52-78

Жирмунский В.М.: Книжки Коркут и огузская эпическая традиция. Стр. 92. Сов. Вост., ном. 4, 1958

²⁸ Жирмунский В.М.: Следы огузов в низовьях Сыр-Дарьи. Тюркологический сборник. М.-Л. 1951.

"بيادر خان" فامتزجت فيه صفات شخصية المسلم مع صفات الحاكم في ظل النظام الملكي للقبائل الأوغوزية في فترة حكم السلالة الملكية "أق كويونلي".²⁹ وهذا دليل واضح على أن الأدب الشفوي - الملحمي استمر في تقاليده الموروثة بعد انتشار العقيدة الإسلامية، وفي الوقت نفسه سابر النظام الجديد، وأخذ يتكيف معه، ويستعد لمرحلة انتقالية جديدة وهي مرحلة الانتقال من الأدب الشفوي للموروث إلى الأدب المكتوب.

وهذه العناصر الانتقالية نجدها أيضا في أسلوب تلك القصص والحكايات، ومن ثم تعد حكايات دده قورقوت مادة علمية شيقة لدراسة هذا الجانب. ونرى لغتها شعبية بوجه عام، غير أننا نقاى من وقت لآخر بعناصر الأسلوب الفني في سرد الأحداث، أضف إلى ذلك لغة أحاديث قورقوت نفسه. وهذا الاختلاط بين العناصر المختلفة في الأسلوب يعد من ظواهر المرحلة الانتقالية من الأدب الشفوي إلى الأدب المدون.³⁰

وبطبيعة الحال فإن الأدب الشعبي يحتفظ أكثر بأصالته وصفاته القومية. ونجد كلا من كورنئساي وبياتارلي يشيران إلى أن "الأدب الشعبي أقوى من أدب المثقفين في تغذية اللغة، والشكل، والأوزان القومية".³¹ لكن هذا لا يعني أنه لم يكتسب من فولكلور الآداب الشرقية، ويجب هنا ألا ننسى تأثير الحضارة الفارسية بوجه عام. وفي الوقت نفسه نخطئ إذا رأينا الاقتباس والاستفادة من جهة واحدة، لأن الظروف التاريخية المتشابهة تولد تصنيفا متشابها للتطور الثقافي، وتنشئ وحدة المسيرة الأدبية لدى مختلف شعوب المنطقة. أما بالنسبة للأدب التركي فقد قام هذا الأدب بمراجعة الأسماء المقتبسة ومعالجتها، ثم تعديلها وفق التقاليد التركية الموروثة أو الظروف التاريخية المعينة.

وكان المغنيون الشعبيون ورواة الشعر والحكايات ضيوفا مستهيمين في كصور السلاجة والحكام العثمانيين. وكانت تقام فيها العروض المسرحية من الموروث الشعبي. وبطبيعة الحال كانت العروض الكوميديّة

²⁹ Бартольд В.В.: Очерки истории туркменского народа. Сб.

Туркмения т1, 1929

Гордлевский В. Государство сельджукидов. М. 1941

³⁰ Boratav Halk hikâyeleri ve halk hikâyeciliği. Ankara 1946.

³¹ Gönensay H.T ve Banarlı N.S. Türk edebiyatı tarihi. Başlangıçtan Tanzimat'a kadar, 2bas. İst. 1942

تتوزع بنجاح أكبر في مختلف الاحتفالات أو المناسبات.³² وفي كل مكان إذا اجتمع فيه الأتراك، وإن كان في ديار الأترياء أو القراء، أو على مساحة صغيرة تحت الشجرة أو بجوار ينبوع، وإذا ذكر فيه اسم خوجه نصر الدين توجهت الوجوه بشرارة الضحك. وشيء غريب حقا أن حكاياته بأنواعها وظلالها الكوميدية المختلفة تستطيع أن تتفق مع كل زمن، ومع كل مناسبة في الحياة. وقد احتفظت حكاياته بتلك الصفات على مر العصور حتى يومنا هذا، فهي معروفة في الشرق الأوسط والشرق الأدنى، وفي أواسط آسيا وجنوب أوروبا. وهناك دول كثيرة تتفاخر بصلة القربى مع ذلك الهاجي والمهرج الشعبي الذي احتل منذ زمن بعيد مكانة كبرى في التراث الثقافي لكثير من الشعوب، مما جعله ينفرد بشخصيته الفذة، وينضم إلى تراث الأدب العالمي.

وفي تركيا يتم تجميع وتحليل بقعة لكل ما يمت بصلة إلى خوجه نصر الدين وحكاياته. وقد انضم إليهم في أداء هذه المهمة كثير من المتخصصين الأجانب. ونجد الرأي المنتشر بين علماء الأتراك هو: إن خوجه نصر الدين عاش في القرن الثالث عشر الميلادي، أي في ظل الحكم السلجوقي بالأناضول. وهناك الاعتقاد بأنه ولد في مدينة سوريحصار (Sevrihisar)، ودرس في قونية (أو أقشير)، وعمل هناك مدرسا ثم قاضيا حتى نهاية العمر. وفي مدينة أقشير تشير أهلها حتى ذلك اليوم إلى قبر خوجه. وقد سجلت فوق لوحته الحجرية سنة وفاته وهي ٣٨٦ من التقويم الهجري؛ وهذا الرقم يجب قراءته بالنظام العكسي، أي في عام ٦٨٣ مما يتناسب مع عام ١٢٨٤-١٢٨٥ من التقويم الميلادي. والدراسات الحديثة تؤكد هذه المعلومات.³³

لقد ثبتت صورة خوجه نصر الدين في الأوساط الشعبية، صورة ذلك الهاجي الشعبي، المحب للمرح والسخرية، حاضر الذهن الذي يدافع دائما عن الفقير، ويهاجم بشدة كل ظالم. ومع مرور الوقت أخذ الشعب يضيف إلى شخصيته المحبوبة صفات أسطورية، وينسب إليه قصصا وحكايات ملية جديدة. صحيح أن الشعب يخلق أبطاله، لكن هناك بعض التناقضات تظهر أحيانا في قصة حياة هؤلاء الأبطال. وعلى سبيل المثال أخذ الشعب ينسب إلى خوجه نصر الدين التوارد التي تعود إلى فترة حملة

³² Боролина И.В.: Турецкая литература. Ч2., М., 1970, с.387.

³³ Boratav P.N. Autour de Nasreddin Hoca.- « Oriens », vol. 16, 1963, Leiden., s.210.

تيمور في منطقة آسيا الصغرى، أي إلى نهاية القرن الرابع عشر وبداية الخامس عشر الميلاديين. وتوجد في تلك النواذر أخبار تصف لقاء خوجه نصر الدين بالحاكم المغولي. وهنا نلاحظ كيف تستطيع ذاكرة الشعب أن تخلص بين الغزو المغولي في القرن الثالث عشر وبين غزو تيمور في القرن الخامس عشر الميلاديين.

ونجد خوجه نصر الدين يظهر في حكاياته كفيلسوف وعالم دين أحياناً، وكمهرج جريء، خال من الهموم أحياناً أخرى. غير أن حكاياته تجعلنا دائماً نتأمل بصورة جديّة في الأشياء المهمّة. ونجد في هذه الحكايات الطابع القومي للأتراك، وروح الفكاهة الشعبية التي تعتمد على الملاحظات الدقيقة في الحياة. والحق أن يطلق على خوجه نصر الدين "أبو الفكاهة القومية"،^{٢٢} الذي أصبح في حد ذاته محط الجاذبية تنصب فيه نواذر وفكاهات ألقت في بيئات وأزمنة مختلفة. وهذا هو سبب لمختلف التراكمات التاريخية والاجتماعية.

وتجليات الفكاهة والهزاء عند الأتراك تظهر في صور متنوعة. وتتخذ هذه التجليات شكل النكتة أو النادرة أو الحكاية، فيطلق عليها "قرة"، أو "لطيفة"، أو "نكسة". وترجع أقدم النماذج منها إلى بداية القرن الرابع عشر الميلادي، لكنها احتفظت بحيويتها وأصالتها في الأوساط الشعبية حتى يومنا هذا، وما زالت تتردد بكثرة على ألسنة الناس. ولقد التراث الغنائي عند الأتراك مليء بالفكاهة أيضاً. ويطلق على الأغنية التي تتضمن السخرية والهزاء اسم "طاشلمه". وكثيراً ما نجد عناصر السخرية أو الهزاء في الأمثال الشعبية، والحوادث، والتعبيرات الجارية. لقد كانت تقاليد الأدب الشفوي الموروثة تغذي المؤلفين الأتراك، وتثري إنتاجهم الفني. والعكس صحيح، فعلى سبيل المثال نجد أشعار يولوس امره تغذي إنتاج المغنيين^{٢٣} العشاق الشعبيين، وتثري مؤلفاتهم. ويولوس امره نفسه استفاد من الأوزان الشعبية، واستخدم أجناساً مختلفة من الأغنية الشعبية.^{٢٤}

إن المجتمع التركي في القرن الثالث عشر الميلادي ما زال محتفظاً بالنظم البدوية. وكان التراث الشفوي يشكل عنصراً مهماً في حياة القبائل الرحل. وما زال معنى القبيلة الذي أطلق عليه "أوزان"، يتمتع

^{٢٢} Гордлевский В.А.: Избранные сочинения., т.2, с.343, М., 1960.

^{٢٣} Kocatürk V.M.: Türk edebiyatı tarihi. Ankara 1964, s.114.

^{٢٤} Моштахова Е.Н.: Из истории сатиры и юмора в Турецкой литературе. (24-17 вв.), Москва 1972, с.46.

بمكانته الاجتماعية، ويقوم بذكر بطولة الأسلاف. لكن مع تغيير الظروف السياسية والاجتماعية في المجتمع التركي-العثماني يحدث تغيير في أوساط المثنيين أنفسهم، وفي ميدان تخصصاتهم الفنية. وكما فكرنا من قبل أنه مع إزاحة شخصية أوزان القديمة تظهر شخصية الشاعر الدراويش. وهذا ليس بمحض الصدفة، إذ ظهرت في تلك الفترة الجيوش الضخمة من الدراويش تحت رنانة البكتاشية الذين اتحدوا مع الانكشارية لخدمة العقيدة الإسلامية. وكان هؤلاء يتمتعون برعاية قصر السلطان، ويجدون تأييدا من القيادات العسكرية. ويذكر محمد فؤاد كوبرلي أن هؤلاء الدراويش، أو أنصار إسحق، وأبدال كانوا يتحركون في مقدمة الجيوش الإسلامية مؤججين في نفوس المحاربين حرارة العقيدة.^{٣٧} وكان يطلق على هؤلاء الدراويش "أولاد فاتحان" أو "خراسان ارلري" (رجال منطقة خراسان) الذين أقاموا في الزوايا والتكايا، إذ وجدوا فيها ظروفا ملائمة لحياتهم الخاصة، ولنشاطهم الديني بين سكان المنطقة.

وحيث نتأمل مضمون الشعر الصوفي لتلك الفترة نجده مكتوبا بهدف نشر العقيدة الإسلامية، أما بعد القرن الخامس عشر الميلادي فقد بدأ هذا النوع من الشعر يكتسب هوية ذاتية، ويتحول إلى الإنتاج الفني الفردي. وظهر اسم "عاشق" ليعبر عن شعراء الجماهير الشعبية، الذين كانوا يسمون حتى ذلك الوقت "أوزان". ونجد أول ذكر لاسم "عاشق" في شعر يونس إمره.

وهناك حقائق تاريخية - أدبية تشهد بأنه في هذه الفترة، أي في القرن الثالث عشر الميلادي، ظهرت قصص وأساطير عن الدراويش ويطولاتهم في المعارك الحربية أطلق عليها اسم "المناقب" و"ولايت نامه". ومثال ذلك "مناقب وغزوات سلطان صاري صالتيق"، و"مناقب وولايت نامه عن الحاج بكتاش ولسي، وقرلجه أحمد، وأبدال موسى، وبلراك بابا، وصالتيق امره، ونمير بابا، وعثمان بابا وغيرهم".^{٣٨} وتتغل لنا هذه القصص

^{٣٧} Köprülüzaade M.F.: Anadolu selçukları tarihinin yerli kaynakları. An.

1943, s.428; Halk edebiyatı ansiklopedisi, s.29.

^{٣٨} Молдов Р.М.: Очерки по истории старотурецкой литературы.

Москва 1960. (диссер.) с.178.

فهني: عثمان بابا ولاية نامه سي، ترك يوردي، جلد ٥، ١٩١٣.

دمير بابا ولاية نامه سي (ميكروفيلم بأرشيف موسكو).

مشاهد من حياة النساك المسلمين في شكل خيالي، إذ تصور لنا المعجزات التي قام بها كل من "نדה" أو "بابا" أو "شيخ" أو أرڤن (Eren) أو "بير" (Pir). فنجد فيها الأبطال الدراويش يتصلون بالجن، ويطيرون في الهواء، ويظهرون أو يختفون فجأة، ويتحولون إلى حيوانات مختلفة. ونجد نير المواقظ شديدا في تلك القصص والحكايات، إلا أن هذا الأدب الذي يصور طبقة الدراويش الذين اجتمع فيهم كل صفات الدعاة للعقيدة الإسلامية، والذين وقفوا في مقدمة الجيوش كملهمين للعقيدة في الفتوحات الإسلامية، لم ينل اهتماما كافيا من الباحثين، فلم يدرس بعد.

أما "بطال نامه" و"دانشمند نامه" فلقد تم إنشاؤها على أسس فنية للملحمة الشعبية التي أطلق عليها "ستان"، وكانت تتشد بطولة المحاربين الأتراك. وقد أخذت تلك الملاحم تتكيف مع الأيديولوجية الحاكمة في ذلك الوقت، وبدأت تسجل و تحرر بهدف نشر الأيديولوجية الإسلامية بين الجماهير العريضة من الأتراك في منطقة الأناضول. وكل من سيد بطل و دانشمند يمثلان الفرسان من سلالة سيدنا محمد، فهم أبطال الملاح أو أبطال حرب الحماة في الإطار الملحمي.

وقد استرعت انظار الباحثين قصة الملك داسميد. وبص القصصة غير متجانس من الناحية الزمنية، لكن إحدى المقطوعات الشعرية التي أضيفت إلى النص المنشور، يرجع تاريخها إلى بداية القرن الثالث عشر.^{٣٩} أما أقدم مخطوط لها فنجد في المكتبة الوطنية بباريس. ويرجع تاريخ نسخها إلى ٩٨٥ من التقويم الهجري (١٥٧٧م).^{٤٠} وهناك نسخة أخرى في المكتبة البلدية باستانبول يعود تاريخها إلى ١٠١٦ هـ (١٦٠٧ م).^{٤١} وتتكون القصصة من سبعة عشر مجلدا، ويبدأ كل مجلس وينتهي بابيات شعرية. ونجد أجزاء نثرية أخرى من نص القصصة تتضافر مع أبيات من الشعر.

^{٣٩} Garbuzova B.S.: Sказание о Мелике Данышменде. М., 1959, с.39-42

^{٤٠} Blochet B.: Catalogue des manuscrits turcs, vol.1, Paris 1932, p.136, n. 317.

^{٤١} Köprülü M.F.: Anadolu Selçukları tarihinin yerli kaynakları, "Belliden", 1943. cilt 7, sayı 27, s.425

Mükrimin Halil: Danışmendiler İslam Ensiklopedisi, c.3, cüz 21, İst. 1944, s.478.

ويشير حاجي خليفة (كاتب جليبي) في كتابه "جهان نامه" إلى أن تاريخ أحمد دانشمند سجل بواسطة ابن علاء الذي كان منشأ (كاتباً) للسلطان السلجوقي عز الدين كيكاورس.^{٤٢} ومن ثم يمكن اعتبار تحرير قصة الملك دانشمند التي كانت تنتقل شفويًا، يتم في بداية القرن الثالث عشر الميلادي. ويستطيع الباحث أن يجد أخباراً عن الدانشمندان في الجزء الأول، والثاني، والخامس من كتاب الرحالة التركي أوليا جليبي تحت عنوان "سياحت نامه"، إلا أن تلك الأخبار اعتمدت على الأساطير الشعبية التي كانت تتردد على السنة الناس في منطقة قامت عليها إمارة الدانشمندان من قبل.^{٤٣} وتجد أيضاً أخباراً عن الدانشمندان في كتاب المؤرخ العربي ابن الأثير.^{٤٤} أما الدراسات الجادة حول أسرة دانشمند فنجدها في كتاب المستشرق وبتك تحت عنوان "قصلان في تاريخ أترك روم"،^{٤٥} وفي كتاب المستشرق كاهين - "ظهور الأتراك في آسيا الصغرى".^{٤٦} وجدير بالذكر هنا الجهود التي بذلت من طرف العالم التركي شكرى اتقيا في دراسة قصة الملك دانشمند.^{٤٧}

وأول محاولات لكتابة المؤلفات الأدبية باللغة التركية تعود إلى منتصف القرن الثالث عشر الميلادي، أي مع ظهور التنظيمات الحكومية التركية الأولى بالأناضول. وكانت تلك المؤلفات تتضمن الموضوعات الصوفية البحتة. لقد ظهر الاتجاه الصوفي في العراق في القرنين الثامن

^{٤٢} كاتب جليبي: جهان نامه، استانبول ١١٤٥، ص ٦٢٩-٦٣٠.

^{٤٣} أوليا جليبي: سياحتنامه، استانبول ١٣١٤

^{٤٤} ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المجلد الأول ص ٢٠٣، المجلد العاشر ص ١٠٤،

الحادي عشر ص ٣٠-٣٥

^{٤٥} Winck P.: Deux chapitres de l'histoire de Turcs de Rum, "Byzantion" vol.6, 1936, p.285-319.

^{٤٦} Cahen C.: La premiere penetration turque en Asie Mineure, p.5-67, 1948.

^{٤٧} Akkaya Ş.: Kitab-I Melik Danişmend Gazi, Danişmendname. Ankara Üniversitesi dil ve tarih - coğrafya fakültesi dergisi, 8, s.131-144, Ankara 1954

والتاسع الميلاديين،^{٤٨} ثم انتقل إلى البلاد الإسلامية المجاورة، وأخذ ينتشر ويشتد في شبه جزيرة الأناضول عقب هزيمة السلاجقة أمام المغول في موقعة كسه داغ في عام ١٢٤٣م. وكانت خطب الصوفية تجد صدى عميقاً في قلوب الناس المكتئبين من الخسائر المادية والمعنوية التي أتت بها الجيوش المغولية فوق أراضي الأناضول. وكان هؤلاء الصوفية ولجأوا إلى الشعر لسهولة حفظه، كما يكون استيعاب التعاليم الصوفية من خلاله أسرع وأفضل. وحين اتجه رجال الصوفية إلى الجماهير المريضة من سكان الأتراك بالأناضول لجأوا إلى استخدام لغة مفهومة لديهم، وهكذا ظهر في منطقة آسيا الصغرى الشعر المنظوم باللغة التركية الذي يطلق عليه أحياناً الشعر السلجوقي.

ومن أقدم الأشعار الصوفية المعروفة لدينا "چرخ نامه" (أي كتاب القدر) لأحمد فقيه (توفي قرب ١٢٢١م.)،^{٤٩} وقد تم تأليفها بلغة الأناضول القديمة، ومن المحتمل أنها كتبت قبل الغزو المغولي. ويحتوي هذا المؤلف على مضمون تعليمي، ويتكون من سبعة وثماتين بيتاً بقافية موحدة على نهج القصيدة العربية، حيث يتحدث فيها الشاعر عن فناء الدنيا وحتمية الموت. والأسلوب فيها متشائم كئيب.

شهاد حمزه : شاعر صوفي آخر، تلميذ أحمد فقيه، عاش قرب النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي. وقد وصلت إلينا من مؤلفاته بعض الأشعار^{٥٠} والمنظومة في شكل المثنوي "يوسف وزليخا" التي تعد أول عمل شعري ضخيم باللغة التركية في آسيا الصغرى. وكان الشاعر

^{٤٨} نكلسون : التصوف الإسلامي وتاريخه، ص ٣ ، نقلًا عن محمد مصطفى

هدارة "الشعر العربي في القرن الثاني الهجري" ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ١٦٧ -

١٦٨.

ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ٢ ص ٢١

^{٤٩} Özkırnımlı A.: Türk Edebiyatı Ansiklopedisi., c. I, s.54, İst., 1984.

^{٥٠} Buluç S.: İslam Ansiklopedisi., c. 11, s.497.

Buluç S.: Hâzâ Dâstân-ı Sultan Mahmud, Şeyyâd Hamza'nın Bilinmeyen bir Manzumesi, Türkiye Mec. C. 15, 1969.

يستخدم في أشعاره أوزان العروض أسوة بالأوزان القومية - "هجا". ويغلب في إنتاجه الطابع الديني - التعليمي. ومن أهم أشعاره الكلاسيكية التي قالها في شكل القصيد، هي في مدح الرسول، حيث تظهر فيها معرفته الفاتحة للعربية والفارسية، واستيعابه المتميز للثقافة الإسلامية.⁵¹ ونجده في أشعاره المكتوبة في شكل الرباعيات، يتجه إلى الإنسان بنصيحة عدم الاستسلام لفكرة الموت، وإنما يجب على الإنسان أن "يجتهد، ويكسب، ويوفر الرزق للآخرين"، يقول الشاعر:⁵²

أي خواجه سوز سنكدر	أيها المؤمن الكلمة كلمتك
آج گوزكي حالك گور	افتح عينيك وانظر إلي حالك
طورش قران بي بندر	اجتهد، اكسب بكل، ووفر رزق الآخرين
بر ایله جان ایجنده	راجعل الأرض من روحك
شیاد حمزه عاند	والدموع السائلة من شياذ حمزه
که زاک یاشینی طاب طوت	ابحث عنها واستقد ملها
صبر ایله گل آچلر	ولا يتفتح الورد إلا بعد الصبر
هر دم تیکن ایجنده	في وسط الشوك وفي كل لحظة

وهذه النصيحة تتناسب مع الفكر الصوفي في هذه الفترة، وتتفق مع أسلوب الحياة في التكايا والزوايا بالأناضول. ونجد الأبيات السابق ذكرها مكتوبة باللهجة التركية الشرقية، والمفردات "طورش، طاب" ترجمتها بلغة الأناضول - "اوغراش، يول".

جلال الدين الرومي (١١٩٧-١٢٧٣ م.م.): من أشهر شعراء الصوفية - مؤلف "مثنوي معنوي"، وديوان الأشعار الصوفية. ولد جلال الدين في مدينة بلخ بخراسان، وكان تاريخ ميلاده يعد حتى زمن قريب عام

⁵¹ Mansuroğlu M.: Şeyyad Hamza'ya Âit Üç Manzûme, Türk Dili ve Edebiyatı Dergisi, c. 1, sayı 3-4, s. 180-195, İst. 1946.

: Şeyyad Hamza'nın Doğu Türkçesine Yaklaşan bir Manzûmesi., Türk Dili Araştırmaları Yılı, 1956.

⁵² Buluç S.: Şeyyad Hamza'nın Beş Manzumesi. Türk Dili ve Edebiyatı Dergisi, c7, sayı 1-2, s. 1-16, İst., 1956.

⁵³ Buluç S.: Şeyyad Hamza'nın Lirik bir Şiiri; Türk Dili ve Edeb. Dergisi, c. 12, s. 139, İst., 1963.

١٢٠٧ إلا أن الأبحاث الحديثة أكدت على أنه ولد في عام ٥٩٤ من التقويم الهجري أي في ١١٩٧ م.^{٥٤} والمعلومات عن حياته مسجلة ومحفوظة في مصادر عديدة، ما يمكننا عرض قصة حياته بصورة متكاملة. ويقدم لنا ابنه سلطان ولد في أشعاره "ببدا نامه" حقائق ومعلومات كثيرة عن حياته. ويعد كتاب "مناقب العارفين" لمجد الدين فريد الله بن أحمد أفلاكي مادة مهمة لدراسة نشاط جلال الدين الرومي والفترة التاريخية التي عاش فيها. والحقائق التي يقدمها سلطان ولد وأفلاكي محط الثقة لدى معظم العلماء.^{٥٥} وهناك اهتمام ينح لتذكرة دولتشاه (القرن الخامس عشر الميلادي).^{٥٦} ونجد الفضل الكبير في هذا الميدان يرجع إلى العالم الإيراني فروزانفر الذي اعتمد على المصادر الأولية وقدم لنا عملاً شيقاً عن حياة جلال الدين الرومي.^{٥٧} أما تركياً نفسها فتجد فيها بعض المعلومات عن حياة الشاعر في كتب التذكرة.^{٥٨} وقد زاد اهتمام العلماء الأتراك بدراسة إنتاج جلال الدين في القرن العشرين. ونشر عدد كبير من المقالات والكتابات المونوغرافية، لكن معظمها تعرض بشكل موجز لبعض الفترات من حياة الشاعر وإنتاجه. وعلى الرغم من أن هذه الدراسات تعيد نقص الحقائق إلا أن بعضها يلا شك يستحق الاهتمام.^{٥٩} ونجد العالم التركي أوندري يقدم ما

^{٥٤} Гарбузова Б.С.: Поэты Средневековой Турции. Ленинград 1963, стр.33.

^{٥٥} Gölpınarlı A.: Mevlâna'dan sonra Mevlevîlik. Ist., 1953 s.14.

Mevlâna Celâleddin (Hayatı, Felsefesi, Eserleri) Ist., 1959.,s.22.

^{٥٦} كتاب تذكرة الشعراء از تصنيف أمير دولتشاه بن علاء الدولة بجيشاه الغاري السمرقندي، ليدن ١٩٠١ م.

^{٥٧} بديع الزمان فروزانفر: رساله در تحقيق احوال زندگاني مولانا جلال الدين

محمد مولوي، تهران ١٩٥٤

^{٥٨} قسطنطيني لطيفي: تذكرة لطيفي، دار سعادت ١٣١٤.

^{٥٩} Bahçet O.: Mevlâna Celâleddin Rumi, Ist., 19336.

Büyükdönükcü Mevlâna ve Mesnevi Güzüyle Peygamber Efendimiz, Ist., 1970.

Can Ş.: Mevlâna ve Eflâatun. Konya 1965.

Çelbi A.H.: Mevlâna ve Mevlevîlik. Ist., 1957.

يزيد عن عشرين بحثاً ومقالاً في دراسة شخصية جلال الدين الرومي وإنتاجه الفني. ونود أن نعرض بعضاً منها في هامش البحث.^{٦٠} أما الفضل الأكبر في دراسة حياة الشاعر وشخصيته الفنية فتعود إلى العالم التركي كوليفنارلي الذي ترجم إلى التركية غزليات الشاعر ونشرها في خمسة مجلدات. كما ترجم رباعيات جلال الدين الرومي، وكتبه تحت عنوان "فيه ما فيه".^{٦١} وكل ترجماته تمتاز بمهارة شديدة، كما يوفر لنا الباحث تحليلاً كاملاً للنصوص الأدبية. وله أبحاث كثيرة حول الطريقة المولوية والطرق الصوفية الأخرى في تركيا.

كان جلال الدين الرومي يكتب أشعاره بلغة الأحاسيس، فيقام بإنشاء الجو الذي يرفض الاستدلال العقلي والبحث المنطقي. وثقافته موسوعية الحجم، فقد درس فلسفة الشرق، وأمعن في الفلك والطب والعلوم الأخرى التي سادت حضارة الشرق. أما العقيدة فقد احتلت مكانة أولى في نشاطه الأدبي. وقد حاول الشاعر أن يستجيب لكل التساؤلات التي أثارها العلوم الدينية في زمانه. والقرآن مصدر أساسي لثقافة الرومي ومذهبه. ولجد الرومي يبدع في استيعابه لمضمون القرآن، فيشبه ظاهر القرآن بجسم الإنسان، ويشبه باطنه بروح الإنسان التي لا يستطيع أن يراها. ويقسم الشاعر باطن القرآن إلى درجات، فأعلى درجة منها لا يدركها إلا الله عز وجل. ولم يهتم الشاعر إلا بروح القرآن وجوهره. فكان موقفه سليماً تجاه الفلاسفة، لأنه يؤمن بأن إدراك الحقيقة لا يتم إلا عن طريق الحس.

لقد درس جلال الدين فن الشعر في الإطار التقليدي للشعر العربي والفارسي. وكانت "مقالات" للشاعر الفارسي شمس تبريزي قد

Esen M.: Mevlâna. Ist., 1943.

Nüzhet E.S.: Mevlâna. Ist., 1932.

Sevük I.: Mevlâna. Ist., 1964.

Şakir Z.: Hazret-i Mevlânâ. Ist., 1943.

Tarlan A.: Mevlânâ Celâleddin Rûmî. Ist., 1948.

⁶⁰ Önder M.: Mevlânâ (Mesnevîden Hikâyeler) Ist., 1971.

: Mevlânâ Şiirleri Antolojisi, Ankara 1973.

: Mevlânâ'da Hikâyeler, Konya 1962.

: İnsanlığın Mevlânâ Sevgisi, Konya 1955.

⁶¹ Mevlânâ Divân-ı Kebir (Hazırhyan A. Gölpinarlı) c.I-5, Ist., 1959-60.

: Rübâîler (Çeviren ve hazırhyan A. Gölpinarlı) Ist., 1964.

: Fihri ma-âhib (Gölpinarlı) Ias., 1959.

حظيت بنصيب أكبر في تكوين أرائه الصوفية.⁶² وكل هذه المصادر مرت بجلال الدين الرومي مثل الغذاء الذي يدخل جسم الإنسان ليؤوب فيه حتي يصبح من مكونات جسمه وخلياه.

والهدف الرئيسي في طريقة الرومي هو الاستغراق في الذات الإلهية. وكل ما يقوله اللسان لا يساوي شيئا عنده، فهو يرى أن الإحساس بالإيمان الذي يكمن في قلب الإنسان، هو أهم شيء في الوجود. ومولد الإنسان ومجيؤه للعندين بعد عند الرومي انفصالا عن الوحدة الإلهية أو وحدة الوجود. ويسمى الرومي هذا الانفصال بالفراق في مقدمة قصيدته "متنوي معنوي". ونجد فيها مشهدا حيث قطع الناي (آلة موسيقية رمز لروح الشاعر الحزينة) من أصله وجذوره، ويشكو من عذاب الفراق، ويذرف دموعا حارة علي انفصاله عن موطنه الأول:

بشنو این نای جون حکایت میکند
از جدانی شکایت میکند

اسمع ذلك الناي كيف يحكي
ويشكو من الفراق

ونجد هنا الأسلوب التقليدي للمقدمة الغزلية عند العرب التي كان الشاعر يبكي فيها علي الأطلال وفراق محبوبته وأهله. لكن الرومي استبدل البكاء علي الأطلال بالبكاء علي انفصاله عن موطنه الأصلي (وحدة الوجود)، وفراقه عن الخالق. ومن ثم تم تطوير فكرة الانفصال التي اتخذت شكلا رمزيا في عقيدة جلال الدين الرومي، إلي إحساس الشاعر المأساوي بالانفصال عن الذات الإلهية. وذلك الحزن الشديد يجعله يقطع علاقته بالمجتمع ليتفرغ للعبادة، وينمي حبه لله. ويرى الرومي أن قلب الإنسان مثل المرأة النقية، لكن حين يفرق الإنسان في الشهوات والملاذات، يمتلئ قلبه بالحدت والغيرة والبخل، يجب عليه أن ينقي قلبه من المشاعر الدنينة، وأن يتحول إلي امرأة نقية تعكس العفة والنضيلة. أما المرحلة التالية لتسمية الحب الإلهي فهي القضاء علي جسم الإنسان، لأنه في رأيه سجن للروح، يمنعها من الخروج لترجع إلي موطنها الأصلي. وفي النهاية يجب علي الإنسان أن يتجرد من "أنا" لينضم إلي الكون المطلق. وفي هذه الحال

⁶² Джавеллидзе Э.Д.: У истоков турецкой литературы. Джаляль ед-дин Руми. Тбилиси 1973, с.14.

يستم القضاء على "أنت" و"هو"، ويذوب كل شيء في الوحدة المطلقة أو الحقيقة المطلقة التي يملكها الخالق.

وإذا تأملنا شعر جلال الدين الرومي وجدنا فيه تيارين: الأول واقعي يتشرب من تفاصيل الحياة اليومية، ويثير الانفعالات الإنسانية. والتسيار الثاني هو النهج على القواعد الراسخة التي وضعها عقل الإنسان لمفهوم الحب، حتى وجدت طرق وأساليب ثابتة لعلاقة العاشق والمعشوق، فأصبحت رسماً تخطيطياً للتعبير عن المشاعر. والتيار الأول غالب في الشعر الصوفي، أما الثاني ففي الشعر الكلاسيكي. وكان مفهوم الحب في ذلك الوقت لم يعبر عنه كظاهرة نفسية- سيكولوجية، وإنما كان يتم التعبير عنها كمرحلة جمالية وخلقية، حين كان الهدف يكمن في تنمية روح الإنسان المعنوية وفي تربيته من الناحية الأنسية والخلقية. وكل مؤلفات جلال الدين الرومي مكتوبة باللغة الفارسية، إلا أنها تحتوي على عدة سطور مكتوبة بالتركية، وعلى عدة سطور مترجمة فيها الفارسية بالتركية.

محمد بهاء الدين سلطان ولد (١٢٢٦-١٣١٢م): هو ابن جلال الدين الرومي، ومؤلف مجموعة شعرية "ولد نامه" التي تكونت من ثلاثة أجزاء: "ابتدا نامه" و"انتهى نامه" و"رباب نامه"، وتعد أول أشعار مؤرخة تاريخاً دقيقاً في منطقة آسيا الصغرى: "ابتدا نامه" (١٢٩١م)، و"رباب نامه" (١٣٠١م).

والمعروف أن جلال الدين الرومي هو المؤسس الفكري للطريقة المولوية، إلا أن المولويين في ذلك الوقت لم يشكلوا طريقة بعد، ولم يكن لديهم تكية، أو نصوص أدبية، أو ملابس خاصة بهم. ولم تنظم بعد احتفالات الدراويش التي أطلق عليها "سماع". وبعد وفاة جلال الدين أتى المريخون إلى ابنه سلطان ولد، فطلب كبير منهم يدعي جليبي حسام الدين حسن، أن يحل سلطان ولد مكان أبيه. وبكى سلطان ولد قائلاً: "أجمل شيء للمتصوف خرقته، وأنسب حال لليتيم حزنه. إنك كنت نائباً لأبي في حياته فأبق في مكانك كما أنت اليوم".^{٤٣} ومن ثم أصبح سلطان ولد ثالث شيخ

^{٤٣} Aflaki Ahmed: Ariflerin menkıbeleri. (Türkçeye çeviren Tahsin Yazıcı).c.2, Ist., 1961, s.276.

Aflaki: Menaqib al-Arifin Les Saints des derviches tourneurs. Par Cl.Haurt. vol.,2, Paris 1922.

للطريقة بعد وفاة جليبي حسام الدين، وكما قال هو نفسه في "ابتدا نامه" - برغبة الشعب واختياره.^{٦٢}

ولقد استرعى سلطان ولد اهتمام العلماء من المستشرقين بعد ظهور كتاب في عام ١٨٢٩م. للمستشرق النمساوي هامر نشر فيه ١٥٦ بيتاً من قصيدة سلطان ولد "رباب نامه". وأطلق عليها هامر "الأشعار الملاجولية"، فاستقر هذا الاسم فيما بعد في الميدان الأنبي- العلمي.^{٦٣} وفي عام ١٩٢٢م. نجد شيخ الطريقة المولوية ولد جليبي وهو من سلالة سلطان ولد نفسه، قد وضع نصب عينيه تجميع أشعار سلفيه الموقرين: جلال الدين الرومي ولسطان ولد، ونشر جميع أشعار سلطان ولد علي وجه الترتيب.^{٦٤} وقد قام العالم التركي أوزلوق بإضافات عدة إلى ديوان سلطان ولد.^{٦٥} كما نجد العالم التركي منصور اوغلي يكرم جهوده لتجميع أشعار سلطان ولد التركية. وكانت النتيجة ظهور بحثه المنوغرافي الذي تضمن ترجمة فونيماتركية لثلاثمائة وسبعة وستين بيتاً. وقد احتوي علي الشرح النحوي، والقاموس اللغوي.^{٦٦} ونجد أيضاً قصة حياة سلطان ولد وإنتاجه الفني في كتاب العالم خوري تحت عنوان "سلطان ولد ومؤلفاته".^{٦٧}

وكان سلطان ولد يستخدم في مؤلفاته الشعرية أربع لغات: عربية، فارسية، تركية ويونانية، مما يعكس البيئة اللغوية بمدينة قونية في ذلك الوقت أي في القرن الثالث عشر الميلادي. غير أن الغالبية العظمى من سكان المدينة كانوا بطبيعة الحال من الأتراك.^{٦٨} وعلي الرغم من قوة تأثير العربية والفارسية، كانت التركية الأناضولية تسود المدينة

^{٦٢} سلطان ولد: ولد نامه. با تصحيح ومقدمه جلال خوماي. طهران ١٩٣٦

^{٦٣} Hammer J. Auskunft über ein merkwürdiges persisches Manuskript. Wien 1829.

^{٦٤} ولد جليبي : ديوان تركي سلطان ولد. استانبول ١٣٤١ (١٩٢٢م).

^{٦٥} Uzluk F.N. Divani Sultan Veled. Ist., 1941

^{٦٦} Mansuroğlu M. Veled Ist., 1958

^{٦٧} Huri S. Sultan Veled ve eserleri. Konya. 1963

^{٦٨} Baykara T. Türkiye selçukları devrinde Konya. Ankara 1985

وأصولها. وكانت أفكار أحمد يسوي وأشعاره الوافدة من آسيا الوسطى رائجة بين أئراك الأناضول.^{٧١}

وكان لسلطان ولد باعتباره من أكبر علماء الإسلام، تأثير قوي على حكام المنطقة. ومن هنا فقد احتل مكانة مرموقة في الحياة السياسية للمجتمع التركي. لكن أهم دور قام به في حياته، هو تأسيس الطريقة المولوية التي أطلق عليها الأوربيون "طريقة الدراويش الدائرين".^{٧٢} ولعبت تلك الطريقة دورا يذكر على مدى تاريخ تركيا في الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية.^{٧٣} وكما يقول العالم التركي حالم چلبى: "تجد كل شعراثنا الكبار إما أنهم ينتمون مباشرة إلى المولويين، وإما أنهم وقعوا تحت تأثير بالغ من مولانا والمولويين".^{٧٤}

ولم يمض وقت طويل حتى أصبحت الطريقة المولوية (وخاصة في القرن السادس عشر) في حوزة الطبقة الأرستقراطية وعلية القوم. وكان ينضم إليها الوزراء والأمراء ورجال الحكومة الكبار بأفراد أسرهم، وحتى السلاطين أنفسهم.^{٧٥} وكانت الطريقة المولوية تملك أكبر مساحة إقطاعية في العصور الوسطى. وتركزت في أيديها ثروة ضخمة. وإذا بدأت احمى التكايا أن تتكون ثالث مساحة أرض في الحال، وذلك على ملك الواقف أو على ملك الله تعالى، كما فازت بتأييد السلطات.^{٧٦} ومن مميزات تلك الطريقة أنها لم تنفصل إلى مذاهب أو اتجاهات، وإنما استمرت على أفكار ثابتة وقواعد راسخة استمرت سبعة قرون، ولم يتوقف نشاطها إلا في حكم كمال آتا تورك في ٤ صيفر من عام ١٩٢٥م، أي حين صدر الأمر بإلغاء جميع التكايا وتحويل مؤسساتها الرئيسية بمدينة قونية إلى المتحف القومي. ولا شك في أن حيوية الطريقة المولوية، وجاذبيتها، وقوة تأثيرها تعود إلى شخصية سلطان ولد، وإلى نشاطه الأيديولوجي والتنظيمي.

^{٧١} Köprülüade M.F.: *Littérature turque Ottomane*, Encyklopédie de l'Islam, t.4, Leide-Paris 1934, p.988.

^{٧٢} Фомкин М.С.: *Султан Велед и его тюркская поэзия*, Москва 1994, с.23

^{٧٣} Kissling H.J.: *The Sociological and Educational Role of the Dervish Orders in the Ottoman Empire*. - *Studies of Islamic Cultural History*. Menosha(Wisconsin) 1954, s22-46

^{٧٤} Çelebi A.H.: *Mevlâna ve Mevlevilik*, Ist., 1954, s. 143.

^{٧٥} Gölpinarlı A.: *Mevlâna'dan sonra mevlevilik*, Ist., 1953, s.244-266.

^{٧٦} Gölpinarlı A.: *Mevlevilik*, - *İslam Ansiklopedisi*, c.7, 1957, s. 164.

وكانت أفكار سلطان ولد التي دعا إليها في "ابتدا نامه"، لها أهمية خاصة لدى المولويين. ومن تلك الأفكار نجد أن معرفة الأبرار والأنبياء أكثر فائدة من القيام بالفرائض، وأن الإنسان لا يستطيع أن يصل إلى الخالق دون مساعدة علماء الدين، وأن الخالق يتجلى في شخصية رجال الدين تجليات مختلفة. وهذه الصورة المثالية لرجال الدين التي نقلها سلطان ولد من الشيخ جليبي حسام الدين، قد ساعدت على تقوية مكانة أنصار سلطان ولد ونفوذهم في مناطق أخرى. وبفضل شخصية سلطان ولد وجهوده المستمرة، بدأت تتكون مراسم الطريقة. وقد حدثت في تلك المراسم أساليب الكلام والسلوك، وحتى كيفية الأكل والشرب والنوم. وقد جعل سلطان ولد الاستماع إلى الموسيقى والرقص أن يتحول إلى احتفال منظم، ولقواعد ثابتة أطلق عليها "سماع". فأصبح لفظ "سماع" من أهم المصطلحات الصوفية. وكانت إحدى طقوس الدراويش التي أدخلها سلطان ولد، تسمى "نورت ولد"، وتقام قبل الركعة الجماعية الدائرة. وكان كل المشتركين في عملية السماع يلبسون الخرقة، ويضعون أيديهم فوق صدورهم، ويلفون حول الشيخ من الجانب الأيسر إلى اليمين ثلاث مرات في شكل منظم وبدقة متناهية، ويصلون معاً. أما أكبرهم فيصلي مع الشيخ.

وفي القرن التاسع عشر الميلادي نجد الشيخ خالد في كتابه "شرح عشق نامه لحضرت بهاء الدين ولد"، يصف لنا تلك المراسم ويفسرهما وفق التعاليم الصوفية: إن جلسة شيخ الطريقة تعد مرحلة عليا من مراحل الوجود. والجانب الأيمن منه - بداية الحركة للحقائق الإلهية. وأهم مرحلة من صلاة الشيخ المرحلة الخامسة، وهي عالم الإنسان الذي تصل إليه تلك الحقائق الإلهية. ومن ثم يعد الجانب الأيسر من الشيخ - نهاية لحركة الحقائق الإلهية. أما اتحاد الأرواح أمام مكان الشيخ في "نورت ولد" فيربط بداية الحركة للحقائق الإلهية مع نهايتها، ويؤدي إلى ربط القلوب. إن هذا التجديد الذي أدخله سلطان ولد إلى الطريقة المولوية، دليل على مستواه الراقى في معرفة العلوم الدينية.^{٧٧}

^{٧٧} خالد: شرح "عشق نامه" حضرت بهاء الدين ولد. استانبول ١٣٠٥ (١٨٨٧)

وكان سلطان ولد يقرأ مثنويات أبيه جلال الدين الرومي في احتفالات الدراويش، كما كان يكتب أشعاره الخاصة، ويدخلها في تلك الاحتفالات. وسجلت أشعاره وأشعار أبيه في كتيبات المغنيين التي أطلق عليها "دستور". ومع سلطان ولد بدأت قيادة الطريقة المولوية تستقل بالوراثية. ولا شك أن طقوس الدراويش واحتفالاتهم الرسمية كانت تكتمل مع مرور الوقت، فأصبحت احتفالاتهم تشبه عروضاً مسرحية فيها سناريو وإخراج منظم، وتسلسل الإيقاع في رقصات تتم بمصاحبة الغناء، وبتغيير اتجاه الحركة الدائرية. وكانت تلك الاحتفالات تولد النشوة الجماعية والجذب الروحي لدى كل المشتركين فيها ومن يشاهدهم.

وإنتاج سلطان ولد الأبي كبير للغاية. لقد ظهرت مؤلفاته بهدف الدعاية لأفكار أبيه وأرائه الصوفية. ويحتوي ديوانه الكبير على ١٢٧١٩ بيتاً، والأشعار فيه مكتوبة على أوزان العروض. ويضم الديوان: قصائد، وغزليات، وترجيع بند، وقطع، ورباعيات. ومعظم غزلياته مكتوبة في شكل "تظيرة" تقليداً لغزليات جلال الدين الرومي. واكتسب ديوان سلطان ولد أهميته كمراجع تاريخي، لأن كثيراً من أشعاره مكتوبة لرجال السلطة في تلك الفترة، وتحتوي على حقائق مهمة للمؤرخين. ويحتوي الديوان على ثلاث عشرة غزلية مكتوبة بتركية الأناضول. وقد قدم لنا العالم التركي أوزلوق دراسة كاملة حول ديوان سلطان ولد معتمداً في هذا على أكثر المخطوطات.^{٧٨}

أما كتاب "مثنوي ولد در بيان أسرار أحد" الذي سمي بواسطة المؤلف نفسه، فقد اشتهر في الأوساط العلمية باسم "ولد نامه"، وجمع بين ثلاث مجموعات شعرية ("نفاثر" - وفق تعبير سلطان ولد نفسه). وتم تأليف كل مجموعة منها في فترات زمنية مختلفة. ونجد أول دفتر تحت عنوان "ابتدا نامه" مكتوباً باللغة الفارسية، ويتكون من ١٦٧ جزءاً شعرياً على وزن العروض (البحر الخفيف). وفي كل مقدمة من تلك الأجزاء قطعة صغيرة في شكل منشور. ويعد هذا المؤلف أقدم مصدر يعرض لنا معلومات حول سبعة أقطاب للطريقة المولوية وهم: بهاء الدين ولد سلطان العلماء، سيد برهان الدين، مولانا جلال الدين، شمس الدين تبريزي، صلاح الدين زركوبه، جلبي حسام الدين، كرم الدين بك تيمور.^{٧٩} ويحتوي الجزء ١٦٦

^{٧٨} Uzhuk F.N.: Divan-ı Sultan Velod. İst., 1941.

^{٧٩} Yazıcı T.: Sultan Velod - İslâm Ansiklopedisi, 110 cüz, 1967, s30.

Gölmüşoğlu A.: Önsöz - Sultan Velod. İbuda-name Ankara 1976, s.XV.

من هذا المؤلف علي الأشعار التركية الأناضولية. وهناك طبعة علمية للكتاب اعتمدت علي أقدم المخطوطات.^{٨٠}

والمجموعة الشعرية الثانية، أو الدفتر الثاني، أطلق عليها "رياب نامه"، لأنها بدأت بكلمة "رياب"، فمعظم أشعارها مكتوبة باللغة الفارسية، علي وزن العروض (بحر الرمل). ونجد موضوعها دينيا يدور حول تعاليم الصوفية في التوحيد. وفي الجزء ٩٩ من هذا الكتاب يوجد ٢٢ بيتا باللغة اليونانية. وفي الجزء الذي يليه، نجد ١٦٢ بيتا باللغة التركية الأناضولية، يتحدث فيها الشاعر في أسلوب فني عن شخصية جلال الدين الرومي، وعن التعاليم الصوفية.^{٨١}

والمجموعة الثالثة (الدفتر الثالث) "انتهى نامه" مكتوبة علي وزن بحر الرمل، موضوعها أيضا ديني، ولم تحتو علي الأشعار التركية. وهذه التسميات للمجموعات الشعرية التي قسمها المؤلف إلي دفاتر ثلاثة، تجعلنا نعتبرها مؤلفا واحدا متكاملا.

وهناك مؤلفات أخرى باللغة الفارسية لسلطان ولد: منها كتاب "معارف" في شكل منثور ويعد نظيرا لكتاب جلال الدين "فيه ما فيه"، حيث يعرض الكاتب بصفة عامة أفكار أبيه.^{٨٢} ومنها قصيدة دينية "عشق نامه" التي تبدأ معظم أبياتها بكلمة "عشق"، فهي لم تحتو علي الأبيات التركية. وقد اختلف العلماء في مدى معرفة سلطان ولد للغة التركية، وسبب هذا الاختلاف الأبيات التالية:

ترکچه بیلسیم بن ایدیم مزا	سرلری کم تکرین دگدی بزا
بلدریم سوزلا بلدوغمی	بلدریم بن سزا بلدوغمی
("رياب نامه" ج ٢٤، بيت ٩٧-٩٨)	

إذا عرفت التركية لقلت لكم	أسراراً نزلت إلينا من الخالق
وشرحت لكم ما علمته	وأوجدت لكم ما وجدته

^{٨٠} Sultan Veled. İbtida-name Çeviren Gölpinarlı., 1976.

^{٨١} Mansuroğlu M. Sultan Veled'in türkçe manzumeleri İst., 1958.

^{٨٢} Sultan Veled: Maarif, (Anbarcıoğlu M.Ü tarafından Türkçeye çevirilmiştir.) İslâm-Şark klasikleri Ankara 1975

ونجد بعض العلماء يدعون أن سلطان ولد لم يعرف التركية، لكن المستشرق جيب بري أن مؤلفات الشاعر نفسها دليل قوي على معرفة الشاعر للتركية، وأنه كان يكتب الأشعار التركية بنفس السهولة واليسر كالأشعار الفارسية (Gibb, 1990, p.154). ويذهب العالم التركي طاتويزي إلى أن التعبير "إذا كنت أعلم التركية" ليس إلا المقارنة بين التركية والفارسية التي كانت إمكانياتها الفنية، في رأيه، تتفوق على التركية.⁸³ لكن إذا عدنا إلى التعبير نفسه مرة أخرى وجدنا أنه ليس إلا قالباً شكلياً تقليدياً يعبر عن التواضع والاحتشام. وفي القرن الثالث عشر نرى شياد حمزة - وهو شاعر معاصر لسلطان ولد - يقول في قصيدته "خسرو وشرين" أنه لا يعرف النحو ولا الأوزان ولا القوافي. والظاهرة نفسها تتبدى في شعر يونس إمره حين يقول:

Bıçare Yunus ne bile ne kara okudu ne ak⁸⁴
(وماذا يعرف يونس المصكين - إنه ما قرأ أبيض ولا أسود)

وهكذا يخلق يونس كذباً واعياً، ويرمي به نفسه. ويستخدم في هذا صيغة معروفة وهي "عدم القدرة". ويدعي يونس مرات ومرات أنه أمي لا يعرف القراءة والكتابة، ليؤكد أن هدف المتصوف وغايته أعلى وأثنى من معلومات مأخوذة من الكتب. ومن ثم لا بد ألا نفهم فهما حرفياً تعبيرات المؤلفين في الآداب الشرقية، لأن هذا من جوهر خصائصها في العصور الوسطى. والعنصر الأساسي فيها الصيغ التقليدية الشكلية التي لا تمت بصلة ما إلى الواقع أو الحقيقة.

والآن نريد أن نتناول مسألة اللغة التركية عند سلطان ولد. ولا شك أن الشاعر كان يعلم التركية معرفة جيدة. ونجد عالم التركيات رالفوف يشير إلى أن الأشعار التركية لسلطان ولد هي أول محاولة للإنسان التركي الذي تلقى تعليماً عربياً - فارسياً، أن يسجل أشعاره القومية بالحروف الأجنبية.⁸⁵ وهذا بطبيعة الحال ليس دليلاً على معرفة سلطان ولد للغة التركية، لكن يمكننا أن نرى في هذه ملاحظة أن الشاعر اعتاد أن

⁸³ Taneri A.: Mevlana ailesinde Türk millîti ve devleti fikri Ankara 1987, s.113.

⁸⁴ Gölpınarlı A.: Yunus Emre. Hayatı ve bütün şiirleri. İst., 1971, s.31.

⁸⁵ Radlofi W.: Über alttürkische Dialekte. 1890, p26.

بكتب أشعاره بلغة أخرى، لأن لغته القومية لم تملك في ذلك الوقت قواعد إملائية ثابتة. ونجد تأثير الأدب الفارسي الذي كان غريباً عن جماهير الشعب التركي، كان قوياً في الأشعار التركية لسلطان ولده، ومن ثم كانت لغة أشعاره التركية تعكس لغة المثقف التركي الذي تترب من الثقافة العربية والفارسية. وعلي هذا الأساس يجب اعتبار الشعر التركي لسلطان ولد كالتماذج الأولى للأدب الصوفي بقصور السلاطين (*Divan tasavvuf*) و *odebiyat*؛ وهذه هي خاصية أشعار سلطان ولد التي لم توجه إلى الجماهير العريضة من سكان الأتراك بالأناضول وإنما وجهت إلى عليّة القوم التي اختلفت لغتها عن لغة سواد الشعب وإن بقيت تركية. أما إذا تناولنا الأسلوب في أشعار سلطان ولد التركية وجدنا الشاعر يستخدم كافة الوسائل التعبيرية لتعزيز تأثير الكلمة في نفوس الناس. ومن تلك الوسائل تكرار للجمل والألفاظ:

قره كاشلر قره گوزلر جاتم الادي جاتم الادي
مسلماتلر نه در بو كيم بكا گلدي بكا گلدي

مسلماتلر عاشق اولدم سوجي ايچدم نلي اولدم
دوكلي چاغيرك كوتوري نوا قيلدي نوا قيلدي^{٨٦}

غزت روحي الحواجب السوداء والعيون السوداء
أيها المسلمون ما هذا؟ من أتى لزيارتي؟ من أتى؟

أيها المسلمون أصبحت عاشقاً، شربت خمرًا، فاختل عقلي
قولوا جميعاً : إنه نال الشفاء، نال الشفاء

ونجد من تلك الوسائل التعبيرية مخاطبة القارئ، واستخدام فعل الأمر. وقد أنشئت بهذه الطريقة إحدى غزلياته:

ياقمه بكا ياقمه بكا بو گوز ايله بو گوز ايله
جان گوزيني كر لچه مك مك نوله مك مك نوله^{٨٧}

^{٨٦} Sultan Veled. s. 34, beyt 12. 1st., 1922

لا تنظر إلي، لا تنظر إلي بهذه العين ، بهذه العين
إذا فتحت عين الروح ماذا يحدث بك؟ ماذا يحدث؟

والعنصر الآخر في أسلوب أشعار سلطان ولد التركية مرتبط
بالاستخدام المتميز للأفعال، أي بسرعة الرواية التي تعتمد على التناوب
السريع للجمل القصيرة. ونجد هذا بكثرة في غزلياته وفي شعر المثوي.
ونأخذ على سبيل المثال أبياتا من إحدى غزلياته:

سكى بولدم سكا گلدم گوزم آچدم يوزك گوردم
اسم ويردي تلي اولدم بكي عشقك سكا صالدي

سكى گوردم گجر اينك جاتم يولك آجار اينك
عاشقاري سجر اينك قالاتك ييلديرم چالدي^{٨٨}

وجدتك، وجئت إليك، وفتحت عيني، ورأيت وجهك
(هو) أعطى لي لسمي، وبدأ الناس يسموني مختلا، والحب جعلني
أن أصل إليك.

رأيتك، كنت تمر وتفتح طريقا لروحي
وتختار العشاق، والباقي أصابتهم الصاعقة.

ومن "ابتدا نامه":

كهم بولي ايندي قورقونن گيجدي
اوچمه گيردي بول سوجي ايجدي

طاكري اينر اكر بكا گ له مك
نه كي گرنلك ديلر ايسه آله مك

^{٨٧} Sultan Veled . s.30, b.3

^{٨٨} S. Veled s.34, b.12

من حقق هذا أنقذ من الآثام
ودخل الجنة واستقي من خمر بكثرة

قال الرب الأعلى: إذا جئت إلي
للت كل ما يشاء قلبك.

يونس إمره (١٢٤٠-١٣٢٠): كان شاعرا صوفيا معاصرا
لسلطان ولد. وقد قام بتسجيل التعاليم الصوفية في أشعاره الرائعة باللغة
التركية البسيطة.^{٩٩} ومجموعة أشعاره "رسالة نصحية" كتبت في شكل
المثنوي، فهي تحتوي أيضا على جزء صغير منثور. وفي مقدمة الرسالة
يعرض يونس آراءه التعليمية والفلسفية. ويتكون المثنوي من ستة أجزاء
أو ملاحم (نستان). ويعد كل جزء منه وحدة مستقلة، حيث يتحدث فيها
الشاعر عن الصراع بين الخير والشر بداخل الإنسان، لكن الخير دائما
ينتصر في النهاية. ويكثر الشاعر في قصيدته من استخدام التشبيهات. ولم
تأت هذه التشبيهات من الفراغ، إذ كان الفلاسفة الإسلاميون منقسمين في
تفسيرهم للخالق إلى فريقين: المنزهون والمشبّهون. وقد رأي المنزهون أن
الله لا يقارن بشيء، أما المشبّهون فقد رأوا أن الخالق يظهر في الأشياء
التي خلقها، ومن ثم يجوز وصفه عن طريق التشبيهات.^{١٠٠} وكان الاتجاه
الثاني أكثر انتشارا بين فلاسفة الشرق.^{١٠١} وأمر طبيعي أن ينعكس هذا عند
الصوفيين بوجه عام، وفي شعر يونس إمره بوجه خاص. لكن الصوفية
فضلوا الحياة الروحية، فحاولوا أن يرتقوا إلى أعلى درجات الجمال
ويذوبوا في الوحدة الإلهية حين فسروا ذلك الاتجاه تفسيراً عقلانياً فلسفياً.

والمعلومات حول حياة الشاعر قليلة للغاية، وقد اختلف
الباحثون حول تاريخ ميلاده ووفاته، لكنه من المؤكد أنه عاش في نهاية
الفترة من حكم سلاجقة الروم. وكان الشاعر يزور المدن والتري جنوبي

^{٩٩} Eyuboğlu S.: Yunus Emre'ye selâm. Ist., 1966, s. 149.

^{١٠٠} Nicholson R.A.: Studies in Islamic Mysticism., Cambridge 1921, p. 100

^{١٠١} الكندي: إلى المنعم بالله في الفلسفة الأولى، في رسائل الكندي الفلسفية.

البحر الأسود، وعلى ضفاف نهر سقاريا، فهذه المدن كانت في قلب الإمارة العثمانية. ومن ثم يعد يونس امره من الشعراء العثمانيين الأوائل. وقد جرت العادة أن يرتبط اسمه باسم الشيخ طابدوك امره الذي كان يونس من مريديه.

أما المعلومات الأخرى التي تقدمها عنه المصادر، فقد تكون أقرب إلي أساطير تشرب بها الوعي الشعبي حول ذلك الإنسان المشهور في زمانه. وشهرته الواسعة يؤكدتها خمسة مقابر منسوبة إليه في الأناضول. ونجد كتب التذكرة والتواريخ لم تذكر اسم يونس، وعلى سبيل المثال نجد كاتب التذكرة المشهور وهو طاشكوبري زاده (القرن السادس عشر الميلادي)، لم يخصص ليونس إلا سطرا واحدا في كتابه حيث تناول فيه الشعراء العثمانيين الأوائل. كما نجد المستشرقين للكتاب مثل هامر وجيب، قد تناولا تراث يونس الأدبي باختصار شديد.⁹² وهناك بحث مونوغرافي تحت عنوان "المتصوفون الأوائل في الأدب التركي" للعالم التركي الكبير كوبريلي، قد قام بدور مهم في دراسة حياة يونس وإنتاجه الأدبي.⁹³ ومع مرور الوقت بدأ اهتمام الباحثين به يزداد يوما بعد يوم. ويقدم العالم التركي غولبينارلي (Gölpınarlı) إسهاماته الكثيرة في دراسة حياة يونس وتراثه الأدبي.⁹⁴

وكان يونس يلقي دروسا دينية إلي الحاضرين أغلبهم من الحرفيين والمزارعين. وفي نهاية دروسه كان يقرأ الأشعار التي تلخص أهم النقاط لتلك الدروس بشكل بسيط ومفهوم لدي مستمعيه. وقد استخدم الشاعر في ذلك بكثرة أوزاناً شعبية مقطعية (هجا).⁹⁵ ونجد أشعاره تذكرنا، من حيث البنية، بأغنية شعبية توركو، وهي من أحب الأنواع في التراث الشفوي. ويماطة أشعاره التي نالت شهرة واسعة في الأوساط الشعبية، كانت سببا من أسباب عدم اهتمام كتاب التذكرة بمولفاته، لأن ذوق

⁹² Hammer-Purgstall J.: Geschichte der Osmanischen Dichtkunst bis auf unsere Zeit. Pesth - Hartleben, 1840. p.566.

Gibb E.J.W.: A History of Ottoman Poetry. Vol 1, p.165, London 1900.

⁹³ كوبريلي زاده محمد فؤاد: تورك ادبياتده ايلك متصوفلر، استانبول ١٩١٨.

⁹⁴ Gölpınarlı A.: Yunus Emre- Hayatı. İstanbul, 1936.

Yunus ile Aşık Paşa ve Yunus'un batınılığı. İst., 1941

Yunus Emre ve tasavvuf. İst., 1961.

⁹⁵ Gönensay H.T., Banarlı N.S.: Türk Edebiyatı Tarihi. İst., 1949, s.84

العصر كان يتطلب كتابة الأشعار في إطار مزوق وأنيق، وبشكل مقتبس من الشعر العربي والفارسي.

وفي القرن التاسع عشر الميلادي وبداية العشرين اتهم بعض المستشرقين يونس امره بالجهل لبساطة اللغة في أشعاره. لكن إذا تأملنا في مضمون أشعاره وجدنا الشاعر علي دراية تامة بإنتاج أكبر شعراء الصوفية مثل جلال الدين الرومي والحاج أحمد بسوي. ومن ثم يتضح لنا أنه كان علي دراية جيدة بالفنون الشعرية، وبالعلوم الدينية والفلسفية في ذلك العصر. لقد وصل إلينا ديوان يونس كاملاً. ونجد معظم أشعاره في هذا الديوان، من حيث البنية والشكل، غزليات تتميز بطابع تعليمي ديني. وقد استخدم فيها الشاعر بسهولة ويسر المصطلحات الصوفية التي انتشرت فيما بعد انتشاراً واسعاً بين الشعراء العثمانيين. وكان الحديث عن الله، وفق القواعد الصوفية، يجري بأسلوب رمزي. ومن ثم أطلق علي الخالق أسماء مثل "الصديق" أو "المعشوق" أحبه قلب الدرويش، فأصبح هدف حياته وغايته أن يسعى إليه. ولقد الشعر الصوفي يستخدم بمهارة شديدة لغة العشاق التي كانت تتردد في الشعر الفناني.

وكان يونس يدعو الناس بعمق الإحساس وشدة الحماس إلي الانصراف عن حياة الدنيا ومتاعها، والالتصام إلي "الصديق" (الخالق):

يولداش اوله لم ايكيمز	لنكن صديقان في الطريق
گل دوسته گیده لم گوکل	تعال یا قلبي لنذهب إلي الصديق
حالدش اوله لم ايكيمز	لنتشارك نصيباً واحداً
گل دوسته گیده لم گوکل	یا قلبي تعال لنذهب إلي الصديق

بو دنیاده قالمیه لم	لا نريد أن نبقى في هذه الدنيا
فانی در الدائمیه لم	إنها فانية، فلا للخدع
ایکیمز ایرلمیه لم	نحن اثنان فيجب ألا نفترق
گل دوسته گیده لم گوکل	تعال یا قلبي لنذهب إلي الصديق

دنیا دگلدر پاندار	الدنيا ليست مستمرة
اچ گوزینی جاتک اوبار	افتح عينيك - روحك ضالة
اولقل بزه يولداش وبار	كن صديقاً لنا وحبیباً
گل دوسته گیده لم گوکل	تعال یا قلبي لنذهب إلي الصديق

اولوم خيرى گلمدين
 اجل ياقه مز المدين
 عزرائيل حمله قيلمدين
 گل دوسته گيده لم گوكل
 لم يصل إلينا بعد خبر الموت
 ولم يقبض علينا الأجل
 ولم يهجم علينا عزرائيل
 تعال يا قلبي لنذهب إلى الصديق

گرچك عاشقى گوره لم
 حقه خبرين آله لم
 عاشق بونس بوله لم
 گل دوسته گيده لم گوكل
 هيا نرى الحب الحقيقي
 ولنعلم الحقيقة المطلقة
 ولنجد العاشق يونس
 تعال يا قلبي لنذهب إلى الصديق

ونرى في أبياته الأخرى أن التعاليم الصوفية تسمح له أن يتجول
 في كل الميادين من مكونات الحياة ليرى الناس ما فعل به حبه للخالق:

گاه اسرم يولر گبي
 گاه توزارم يولر گبي
 طاشقين اكين سيلر گبي
 گل گور بني عشق نيلدي
 تارة أهب مثل الرياح
 تارة أتحوّل إلى تراب الطرق
 أفيض مثل السبول الهائجة
 تعال وانظر ما فعل بي العشق

وصوت يونس هو صوت الحياة، وصوت الوجود الذي يتجسد في
 الأشجار والأزهار والأنهار. وفلسفة الوجود عند يونس هي معرفة أسرار
 الكون، ومعرفة القيم العليا التي يحتويها هذا الكون. والعلم في منزلة
 العقيدة، فيجب على الإنسان أن يتعلم ليعرف نفسه:

علم علم بيلمكدر
 علم كنديك بيلمكدر
 سن كنديني بيلمزك
 يا نيجه اوگومقدر^{١١}
 العلم هو طلب المعرفة
 والعلم هو إدراك الذات
 أنت لاتعرف نفسك
 وعليك أن تقرأ كثيرا

^{١١} يونس امره (ترجمة فونيماتيكية لأشعاره) دار العربية للطباعة والنشر، القاهرة

وكان يونس من الشخصيات المشهورة في زمانه، ومن أول ممثلي الاتجاه الأدبي الذي أطلق عليه "خلق تصوف أدبياتي" (الأدب الشعبي الصوفي). وكان هذا الأدب يتشكل على أيدي دعاة الصوفية الذين انتشروا انتشاراً واسعاً بين سكان الأتراك في الأناضول، ونقلوا لهم التعاليم الأساسية للمذهب الصوفي.

ولقد اهتم الباحثون بدراسة لغة الشعر في إنتاج يونس الأدبي، فيري العالم الروسي كوديلين أن شعر يونس نموذج للتركية المستخدمة في الأناضول في القرن الثالث عشر الميلادي.⁹⁷ ونجد العلماء الآخرين يمثلون وجهات نظر مختلفة. فعلى سبيل المثال يصنف أحمد قباقلی لغة الشعر عند يونس بأنها لغة تركية شعبية كانت تستخدم في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين. إلا أنه يشير إلى عدد كبير من كلمات ومصطلحات دينية وفلسفية، وإلى لواحق منقولة من لغات أخرى. ومن ثم لا تعد لغة يونس لغة تركية نقية.⁹⁸ ويؤيد هذا الرأي العالم التركي بنارلي حين وصف لغة يونس بأنها لغة تركية إسلامية.⁹⁹ ويرى إركون (Ergun) أن يونس امرء كان يكتب بلغة الأناضول الأدبية.¹⁰⁰ أما لوند (Levend) فيرى أن لغة يونس امرء وعاشق باشا تمثل اتجاهها حيث اقترنت فيه لغة الأدب من لغة الشعب.¹⁰¹ وجدير بالذكر هنا الأبحاث حول لغة يونس لكل من زيلب قورقمز في "يونس امرء ومكانته في خلق لغة الأناضول التركية"، وفاخري في "لغة يونس". كما قام كباكساريا (Gebaksariya) بدراسة المفردات اللغوية في شعر يونس. وكانت للحقائق التي استنتجت في هذا البحث، أهمية كبرى في دراسة اللهجات التركية بوجه عام.¹⁰²

إن مع جهود الشعراء الأتراك الأولى في الأناضول بدأ تكوين الشعر التركي الكلاسيكي. ونجد هذه الفترة لا تزال في حاجة ماسة إلى الدراسات الأكاديمية. وكان لإنتاج هؤلاء الشعراء الأدبي تأثير معين في

⁹⁷ Куделин В.Б.: Поэзия Юнуса Эмре., М., 1980, с.85

⁹⁸ Kabaklı A.: Türk Edebiyatı. C.2, Ist., 1966, s.129.

⁹⁹ Banarlı N.S.: Resimli Türk Edebiyatı Tarihi. Ist., 1983, s.335.

¹⁰⁰ Ergun S.N.: Türk Edebiyatı Tarihi., Ist., 1932, s.52

¹⁰¹ Levend A.S.: Türk Edebiyatı Tarihi Dersleri. Ist., 1943, s.839.

¹⁰² Габахсрия Ш.В.: Лексика произведений Юнуса Эмре.

مصير الأدب التركي فيما بعد. كما كانت موضوعات كل المؤلفات التركية التي نالت شهرة واسعة في المرحلة المبكرة، تدور حول التعاليم الصوفية الموجهة للجماهير العريضة من سكان الأتراك في منطقة آسيا الصغرى الذين لم يعرفوا اللغة العربية ولا الفارسية، وهذا من أجل جذب أكبر عدد ممكن من أنصار الاتجاه الصوفي إلى صفوفهم.

حاجي دهانلي: هناك مؤلفات شعرية اختلفت عن المؤلفات السابقة، وهي أشعار حاجي دهالي الذي عاش قرب القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين. ومن المعلومات القليلة والمسجلة في كتب المؤرخين نعرف أنه أتى إلى قونية من منطقة خراسان، وأن السلطان علاء الدين كيقباد كلفه بكتابة "سلجوق نامه" علي نمط "شاهنامه" للفردوسي (ويبدو أن هذا العمل لم يتم بعد).^{١٠٣} والملاحم الصوفية قد تكون معنومة في أشعاره. وكان الشاعر يجيد استخدام المروض، ويكتب أشعاره بالفارسية. غير أن له ديوانا وتسع غزليات مكتوبة بتركية الأناضول.^{١٠٤} ومن ثم بعد حاجي دهانلي من أوائل الشعراء الأتراك الذين تناولوا الموضوعات الدنيوية. وقد نوه كوبريلي لأول مرة بإنتاج هذا الشاعر في مقاله الذي نشره في مجلة "حيات".^{١٠٥}

وإذا كانت المؤلفات الشعرية الأولى في آسيا الصغرى غير مكتملة من الناحية الفنية إلا أنها أسهمت في بناء الأدب العثماني الذي سوف يزدهر فيما بعد. ومع مرور الوقت أخذ الأدب التركي يزداد ثراء بالفتن الأدبية، ويستوعب أساليب جديدة للنصاحة وقوة التعبير. وكانت عملية التخزين في أوج نشاطها. كما كانت الملكة الشعرية، والمصنف البلاغية، والتركيبات اللفظية في نمو مستمر. وبناء إنشاء القواعد الأدبية. ولجد نظام التقنين في حد ذاته يمكن أن يكون عاملا مفيدا للفن، أو عاملا مساعدا في الإدراك الفني لواقع. والسعي إلى وضع القوانين هو رغبة الإنسان في تنظيم كل ما يكتسبه من المعلومات والمعرفة. ويسهل الفهم والإدراك بالتعميم والاستنتاج العام. ولجد النمو والتطور يتم عن طريق إعداد عناصر معينة داخل الشكل التقليدي، أو عن طريق تركيب جديد لها، أو تقسيم الأشياء المألوفة وتفريقها وما إلى ذلك.

^{١٠٣} Kurdakul Ş.: Şairler ve Yazarlar Sözlüğü. İst., 1985, s.205.

^{١٠٤} Dehhanî Dehhanî ve manzumeleri., İst., 1947.

^{١٠٥} Köprülü M.F. Dehhanî. Hayat dergisi Aralık 1926, Kasım 1928.

وعقب استيعاب الثراء من مدرسة الشعر الفارسي وتقاليدها الموروثة أخذ الأدب التركي شيئاً فشيئاً يصنع مقاييسه وقوانينه. ولا بد ألا ننسى هنا أن النماذج الأولى لذلك الأدب قد ظهرت في الإمارات الصغيرة، فكانت تلك النماذج تحمل خصائص اللهجات لمولفيتها. وكان لا بد من مرور الوقت حتى استطاع العثمانيون أن يوحدوا الإمارات، واستطاعت تركيا أن تضع لغة أدبية واحدة. أما استيعاب الأتراك لنظام العروض فكان يتم بصعوبة بالغة. ومع مضي الزمن استطاع الشعراء الأتراك أن يكتبوا بهذا النظام مؤلفاتهم الرائعة. والأسعار التي وجهت للإنسان التركي بلغته القومية، اكتسبت الخلود، لأن أي نظرية تولد لا بد أن تنتهي وتموت مع الزمن، إلا لغة المشاعر والأحاسيس التي تسجل في أبيات الشعر، وتبقى مع الإنسان مهما طال الدهر.

دراسة تحليلية لخطب البابا أريان الثاني في مجمع كليرمون

(١٨ - ٢٧ نوفمبر ١٠٩٥ م)

دكتور

حسن عبد الوهاب حسين

أستاذ مساعد تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

منذ بدايات القرن الماضي احتلت كتابات دانا مورنو Dana C. Muro أهمية خاصة فيما يتعلق بدراسة مصادر الحروب الصليبية. حيث قدم للباحثين دراسات هامة عن خطابات الصليبيين من مصادرها الأصلية، بالإضافة إلى مقاله الهام عن خطبة البابا أربان في كليرمون ١٠٩٥. «The Speech of Pope Urban II at Clermont, 1095»

ومنذ نشر مقالته في عام ١٩٠٦م، نتابعت دراسات المؤرخين الحديثين عن البابا أربان ومجمع كليرمون، ومن أبرزها مقالات ألفونسو بيكر Alfons Becker وكودري Cowdrey وروبرت سومرفيل Robert Somerville ورودولف هيسانند Rodulf Hiestand وماير Mayer وأخيراً ريلي سميث Rie-Smith. أما مدرستنا العربية فقد ساهمت حركة الترجمة للمصادر اللاتينية إلى العربية، والدراسات المتعمقة لعلماء التاريخ الوسيط من المصريين والعرب في إثراء هذه الدراسة المتواضعة.

وعلى الرغم من هذه الدراسات السابقة إلا أن هناك ثمة عوامل دفعت الباحث لدراسة هذا الموضوع. ومن بينها نشر وثائق جديدة ألقت الضوء على جوانب جديدة لهذه الخطب. يضاف إلى ذلك اختلاف آراء المؤرخين من قدامى وحديثين حول نصوص الخطب الثلاث التي أورثتها المصادر المعاصرة. وأخيراً فقد عالج الباحث تساؤلاً هاماً حول دافع البابا من مشروعه وهل كان يهدف إلى تمرير الكنيسة الشرقية أو بيت المقدس من خلال الخطب والوثائق الأخرى.

وأخيراً أرجو أن تكون هذه الدراسة متكاملة لخطب البابا أربان في مجمع كليرمون والتي ألقى أولها عند افتتاحه في الثامن عشر من نوفمبر، ثم الثانية أثناء انعقاده، وأخيراً الخطبة الثالثة التي اختتم بها جلسات المجمع في ٢٧ من نفس الشهر عام ١٠٩٥م.

والله أسأل السداد والتوفيق ،،

ينسب أودو Odo إلى شابتون Châtillon ، وكان والده يوشار Eucher سيداً على لاجيرى Lagery الواقعة بالقرب من ريمز Rhemis. وتلقى أودو تعليمه على يد القديس برونو SL Bruno مؤسس جماعة الكارثوسيان (١٠٢٢ - ١١٠١م). وفي عام ١٠٦٨م أصبح أودو راهباً في دير كلوني بالقرب من ماكون Mâcon. كما شغل منصب أسقف كاردينال أوستيا Ostia في فترة بابوية جريجورى السابع (١٠٧٣ - ١٠٨٥م). كما عمل مندوباً بابوياً في فرنسا وألمانيا في عامي ١٠٨٤ - ١٠٨٥م. وشارك في سياسة البابا جريجورى السابع أثناء صراعه مع الامبراطور هنرى الرابع (١٠٥٦ - ١١٠٦م) حيث أيد البابا في موقفه^(١).

شهدت الفترة التي تلت موت البابا جريجورى السابع (١٠٨٥ - ١٠٨٧م) صراعاً على الكرسي البابوي بين البابا فيكتور الثالث والبابا العدائى كلمنت الثالث. وتدخل في هذا الصراع عدة قوى مثل بعض الأمراء النورمان وماتيلدا كونتيسة توسكانيا. واستطاع فيكتور الثالث دخول روما وترأس قداساً في كنيسة القديس بطرس وذلك في مايو ١٠٨٧م. ولكن الأمر لم يطل به فقد مرض ومات في ١٦ سبتمبر من نفس العام^(٢).

وبعد موت فيكتور الثالث استمر الكرسي البابوي شاغراً لمدة خمسة

(١) ولد أودو الذي يُشار إليه أحياناً نسبة إلى شابتون مسقط رأسه، أو إلى لاجيرى التي كان يحكمها والده. وصرف بلعب أصله الفرنسى دوراً هاماً عند قيامه بالدعوة للعملة الصليبية الأولى التي سوف تنطلق من غالة (فرنسا).

- J.N. Kelly, The Oxford Dictionary of Popes, (Oxford, 1996), p. 158.

(٢) اختار الكاردينالات رئيس الرهبان سميدريوس أولف مونت كامبلو ولكنه انسحب في البداية إلى دير. ولم يتم تنصيبه حتى عام ١٠٨٦م وحمل اسم البابا فيكتور الثالث. وينسب إليه أربعة مؤلفات عن معجزات للقديس بندكت وربعان مونت كامبلو، وصلت ثلاثاً منها. لنشر:

- A.E. Mckilliam, A chronicle of the Popes, from Peter to Pius x, (London 1912), pp. 256 - 57.

أشهر. وظل الصراع قائماً بسبب سيطرة أنصار البابا المناوئ كلمنت الثالث على روما. وفي مارس ١٠٨٨م اجتمع مجمع كنسي في تراكيندا Terracina حضره أربعون أسقفاً ورئيس دير بالإضافة إلى عدد من النواب من ألمانيا وتوسكانيا وتم اختيار أودو دي شاتيون لكي يعطي الكرسي البابوي حاملاً اسم أريان الثاني وذلك في ١٢ مارس ١٠٨٨م^(١).

ووصف فولشر الشارترى الجديد بأنه «رجل يستحق الإعجاب بحياته ومسلكه، فقد ناضل بشجاعة وقوة من أجل إعلاء شأن الكنيسة المقدسة أكثر فأكثر»^(٢) أما المؤرخ الأنجلو سكسوني أوردريك فيتاليس فقد وصف أريان الثاني بأن إله اسرائيل قد اختاره قائداً ضد المسلمين وجعله كبرج داود وبقاعته لمواجهة دمشق، وكان فرنسي الأصل، نبيل المولد، كثير المجاملة، مواطناً من ريمز، وراهباً كلونياً^(٣)... ولا شك أن كل هذه الصفات، بالإضافة إلى عمله مع البابا جريجوري السابع - والذي بعد واحداً من أقوى البابوات - قد ترك أثره على خبرة أريان مما جعله أكثر حنكة من أستاذه

(١) اجتمع كاردينالات برنر وتوسكولم وألبانور، وعندما تم مزايلهم وفقاً للعادلات والتقاليد المتبعة عند اختيار البابا الجديد صلحوا جميعاً نعم. وتم اختيار أريان الثاني. انظر:

- P.G. Maxwell - Stuart, *Chronicle of the Popes*, Thames & Hudson (ed.), 1997, pp. 90 - 91.

(٢) Fulcher of Chartres, *A History of the Expedition to Jerusalem*, (١) 1095, 1127, trans. by France Rita Ruyan, ed. H.S. Fink, (Knoxville, 1969), p. 61.

وتوجد له ترجمة قيمة مع دراسة وإفنية بعنوان: الوجود الصليبي في الشرق العربي - الإسطنبول الصليبي في فلسطين، تاريخ العملة إلى بيت المقدس ١٠٩٥ - ١١٢٧م تأليف لوشيه الشارترى ترجمة ودراسة وتطبيق د. قاسم عبده قاسم، الكويت ١٩٩٢.

(٣) The Ecclesiastical History of Orderic Vitalis ed. & trans. Mar-jorie Chibnall, (Oxford, 1973), IV, 8: 167; in: E. Peters (ed.), *The First Crusade, The Chronicle of Fulcher Chartres and other source materials*, (Philadelphia, 1998), p.18.

جريجورى. وسرعان ما عمل على معالجة مشاكله الداخلية خاصة فى ظل وجود البابا المنارئ كلمنت الثالث فى روما ومساندته من بعض القوى بها. واستمر أريان يرتحل من مكان إلى آخر، وعقد العديد من المباحث الدينية فى تلك الفترة وذلك لكى يعالج المشاكل التى بدأ سلفه جريجورى السابع فى مواجهتها. وعاد أريان إلى روما فى عام ١٠٩٣م بعد هذه السنوات الخمس وقد اكتسب خبرة سياسية وألم بأحوال العالم الغربى آنذاك^(١).

بدأ أريان الثانى بعد عام واحد فقط من اعتلائه العرش البابوى تسوية خلافاته مع بيزنطة والتى كان يحكمها آنذاك الامبراطور الكسبوس الأول كومنين (١٠٨١ - ١١١٨م) فأرسل فى عام ١٠٨٩م سفارة بقيادة روجر رئيس أساقفة راجيو نجحت فى اصلاح العلاقات بين الجانبين كما تم رفع قرار الحرمان الصادر ضد الامبراطور البيزنطى. وبهذه الخطوة نجح أريان فى إيجاد حالة من السلم والصداقة على المستوى الرسمى مما مهد لقيام الحروب الصليبية بعد عدة سنوات^(٢). ويربط المؤرخ رالى سميث بين ذبة البابا فى نفس العام زيارته لغالة وبين تنفيذ مشروعه مما يدل على تفكيره فى استدعاء متطوعين فرنسيين لذلك^(٣). غير أن مثل هذه الآراء لا يمكن اثباتها دون وجود ما يدعمها فى المصادر آنذاك.

استمر ارتباط بيزنطة بالغرب الأوروبى نظراً للمشاكل التى كانت تعاني

(١) S. Runciman, The Councils of Piacenza and Clermont, in Setton (ed.), A History of the Crusades, vol. I, (Philadelphia 1958), pp. 220 - 224; Peters, op. cit., pp. 17 - 18.

(٢) استمرت المراسلات بين الجانبين بعد عودة السفارة إلى الغرب الأوروبى. والمزيد انظر: محمد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية، ٢ جزء، ط. ثانية القاهرة، ١٩٧١، ص ١١٣١ قاسم عبد قاسم: الخلفية الايدولوجية للحروب الصليبية - دراسة عن الحملة الأولى ١٠٩٥ - ١٠٩٩م، دار المعارف، ط. أولى ١٩٨٣، ص ١١١٥

- S. Runciman, The Eastern Schism, (Oxford, 1955), pp. 61 - 62.

(٣) جونلثان رالى سميث: الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية، ترجمة د. محمد فحس الشاعر، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٣، ص ٢٠.

منها وتهديد الأتراك السلاجقة لأراضيها. واختلفت آراء المؤرخين الحديثين حول ذلك الخطاب المنسوب إلى الكسيوس الأول والذي قيل أنه أرسله إلى روبرت الأول أمير الفلاندرز (١٠٧١ - ١٠٩٣ م) طالباً منه المساعدة العسكرية لصد هجمات الأتراك السلاجقة، ثم قيامهم بالزحف باتجاه الأراضي المقدسة لتخليصها من قبضة المسلمين. ومن الثابت تاريخياً وجود علاقة بين الكسيوس وروبرت الأول وذلك عندما مر الأخير في عام ١٠٨٧ ببزنطة أثناء عودته من الأراضي المقدسة وطلب منه الكسيوس إرسال قوات مرزقة قوامها خمسمائة فارس. وبالفعل أو في بوعده وأرسلها حيث شاركت في مهاجمة نيقوميديا عام ١٠٨٩ م^(١). ومما لا شك فيه أن كل هذه الأحداث كان لها أثرها على فكر البابا أريان الثاني وهو ينقل ما بين بلد وآخر مما سيكون له الأثر الواضح على دعوته للحملة الصليبية الأولى.

توجه البابا أريان الثاني إلى بيتشانزا في مارس ١٠٩٥ م وعقد هناك مجمعاً دينياً. ويذكر وليم الصوري أنه كان مجمعاً محلياً لكل إيطاليا. وبالإضافة إلى رجال الدين الذين حضروه، فقد جاء اختيار أريان لهذه المدينة علامة لها مغزاها في صراعه مع الإمبراطور هنري الرابع. فقد كانت المنطقة المحيطة بها تضم العديد من مريدى الإمبراطور، وبالتالي فإنه يمثل علامة بارزة في نجاح البابوية. أما عن سبب عقد المجمع فيذكر وليم الصوري أن الحالة المتروية التي وصل إليها بنو آدم وكانت العاقبة لإتخاذ تلك الخطوة لرد مغالاتهم^(٢). والواقع أنه تم بحث العديد من مشاكل الكنيسة،

(١) أطلق على هذا الخطاب اسم "Epistula Supria". وللعز يد أنظر: جوزيف نيسم بريس: دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، الإكندرية، ١٩٨٢، ص ١٢ - ٢٠. حنين محمد ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، القاهرة ١٩٨٣، ص ٢٥٥ - ١٢٠٧. رأفت عبد الحميد محمد: قضايا من تاريخ الحروب الصليبية، دار عين، ١٩٩٨، ص ٧٣ - ٧٤. وأضاف الدكتور رأفت رأياً جديداً فيما يتعلق بهذا الخطاب وتاريخ كتابته.

William of Tyre, A History of Deeds Done Beyond the Sea, 2(٢) vols., trans. and annotated by E. Babcock and A. C. Krey, (New

ومشكلة فيليب الأول ملك فرنسا (١٠٦٠ - ١١٠٨ م). وكانت المسألة الأكثر أهمية حضور سفيرين من الامبراطور ألكسيوس سمح لهما البابا بالحضور وعرض طلب المساعدة من الغرب الأوروبي. وأقنع البابا بضرورة إرسال هذه القوات، وشجع الحاضرين على القسم بمساعدته بكل اخلاص وبأقصى ما عندهم لمقاومة الكفار وإرسال جيش بأكمله إلى الشرق وهو ما لم يكن يرغب فيه ألكسيوس^(١).

والسؤال الهام الذي يفرض نفسه هنا هو هل أثرت في مجمع بيتشانزا فكرة الحرب الصليبية؟ اختلفت آراء المؤرخين الحديثين فيما يتعلق بهذا الأمر وتفسير ذلك عدم وجود مادة تاريخية كافية عن هذا المجمع، فلم تتجاوز المعلومات عنه في مصادر الحملة الأولى سوى بضعة أسطر^(٢). ومن

-/-

York, 1943), vol. I, pp. 87 - 88.

وتوجد ترجمة عربية قيمة ودراسة ولقية لشخصية ولهم الصوري قام بها الدكتور حسن حبشي، صدر في أربعة أجزاء. انظر: الحرب الصليبية تأليف ولهم الصوري ترجمة د. حسن حبشي، القاهرة، ١٩٩١، محمد محمد مرسى انشبح: للنظم والعصارة الأوربية في العصور الوسطى، الإسكندرية، ١٩٩٨، ص ١٦٨ - ١٧٤.

Runciman, The Eastern shcism, pp. 78 - 88. (١)

وتؤكد التريخة أنا كرمدينا لجنة ألكسيوس الأول أن والدها لوجي عند سماعه بتحريك هذه الأعداد الضخمة وتخوف من هجومها على التسلطانية. انظر:

The Alexiad of Anna Cominna, trans by E.R.A. Sewter (Penguin Books) 1982, pp. 308 - 9.

(٢) يوجد تشابه في عبارات ولهم الصوري التي سبقت حديثه عن مجمع بيتشانزا مع عبارات فولشر الشارنزي، غير أن الأخير لم يذكر المجمع، وتجدد الإشارة إلى وجود مصدر هام عن هذا المجمع هو:

Bernold of Constance, Chronicon (MGH, Ss., vol. V)

ولم يستطع الباحث العثور عليه واكتفى بالاعتماد على الإشارات التي وردت في المراجع الحديثة عنه. ولم يذكر برنولد التبشير بالحملة في مجمع بيتشانزا أو كليرمون واكتفى بالإشارة إلى مسير القوات الصليبية إلى بيت المقدس عام ١٠٩٦ م، انظر:

Runciman, The councils, p. 243.

الهدية أن البابا كان في ذمة الإعداد لهذه الحملة منذ عدة سنوات وظل يحين الفرصة المناسبة لإظهارها. من ناحية أخرى فإن أريان لن يعرض فكرته في مجمع محلي روست منطقة تخضع أغلبها لمؤيدي البابوية. ولكنه اكتفى في هذه المرحلة بالخطوة الأولى وهي إظهار حاجة الإمبراطورية البيزنطية للمساعدة وحصل على الموافقة بتقديم العون لها. ويشير المؤرخ شارانيس P.Charanis اعتماداً على أحد النصوص اليونانية من القرن الثالث عشر الميلادي أن ألكسيوس استغل الشعور السائد في الغرب الأوروبي عن استيلاء الأتراك السلاجقة على الأراضي المقدسة لا يمكن احتمالها^(١).

بعد إنتهاء مجمع بينشانزا توجه البابا أريان عبر جبال الألب إلى غالة. وبدأت ملامح فكرته في الظهور على أرض الواقع. فقد عقد مجمعين في فيزيليه وبرى في يوليو وأغسطس ١٠٩٥ م. ثم قام بجولة بين عدد من المدن الفرنسية مثل نيمس Nimes وسان جيل ولين وكلولي وذلك قبل أن يتوجه إلى كليرمون^(٢). واستغل البابا في هذه المرحلة الأحوال السيئة التي يمر بها الغرب الأوروبي من ناحية، والدولة البيزنطية من ناحية أخرى كدعاية تمهيدية لمشروعه. وبحال المؤرخون الحديثون تحركات البابا أريان قبيل عقد مجمع كليرمون وخاصة رحلته إلى مجموعة من الأديرة الكلونية ومقابلاته لهؤلاء الرهبان والذين كانت لديهم خبرة طويلة في محاربة المسلمين في

Runciman, The Councils, p. 244.

(١)

وكذلك ماير: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة وتعليق د. حماد الدين غانم، مجمع الفاتيكا - ليبيا، ١٩٩٠، ص ٢٠.

(٢) ذكر فولشر الشارترى المفاصد والشعور والجهاد المختلفة في العالم، كما أشار إلى احتلال المناطق للداخلية من رومانيا (يقصد الأناضول) وتعرض المسيحيين الشرقيين للغزو من جانب الأتراك السلاجقة وهو ما حدث بعد ما ذكرت ١٠٧١ م. ولم يذكر مجمعي فيزيليه وبرى وإنما ذكرهما وإيم الصوري دون بقية المصادر الأخرى والذي ينقل عن أحد مصادر الحملة الأولى دون أن يشير إليه. انظر:

Fulcher of Charters, op. cit., pp. 61 - 62' William of Tyre, op. cit., vol. I., pp. 87 - 88.

وعن تحركات البابا في غالة انظر خريطة رقم (١).

الأندلس. إلى جانب مقابله لادهيمار المونتيلي Adefmar of Monteil والذي قيل أنه زار الأراضي المقدسة عام ١٠٨٧م^(١)، وكذلك ريموند السنجيلي كونت تولوز والذي يعد واحداً من أكبر الأمراء في جنوبي غالة. ولا شك أن البابا أريان الثاني استفاد من خبرة هذه الشخصيات الدينية والدنيوية في مشروعه الذي كان يخطط لإعلانه. وأمدوه بخبراتهم عن الأراضي المقدسة وحالة الدولة البيزنطية وفكرة الحرب المقدسة ضد المسلمين^(٢).

أرسل البابا أريان الثاني مندوبيه إلى المناطق المختلفة للمشاركة في المجمع الذي دعا له في كليرمون. وكان البابا آنذاك في بوى حيث تقابل مع ادهيمار - والذي سوف يختاره البابا مندوباً بابوياً في كليرمون. ومما لا شك فيه أنه تشارر معه فيما يتعلق بمشروعه لل دعوة للحملة الصليبية^(٣). وصل البابا إلى كليرمون في الرابع عشر من نوفمبر وقد اختمرت في ذهنه الفكرة التي خطط لها من قبل ولم تكن وليدة اللحظة في كليرمون. وبدأت أعمال

(١) ريموند أدهيمار من أسرة فالينويس Valeninois النبيلة، وأشهر بمرسيه واستخدمه الجيد للسلح حيث تمكن من الدفاع عن كنيسه ضد هجوم للسادة النبلاء، كما خرج في قواته الخاصة ضمن قوات ريموند كونت تولوز. انظر:

Runciman, The Councils, p. 249.

(٢) كانت ليمس وناريون وتولوز تابعة لريموند، بالإضافة إلى أنه كان مركزاً لبروفانس انظر: Runciman, The Councils, p. 225.

(٣) بصرف المؤرخ ماير دليلاً آخرأ على تشارر البابا مع هذه الشخصيات قبل إعلانه في كليرمون وذلك بسبب أن رمل ريموند وصلوا إلى كليرمون في أول ديسمبر بعد انتهاء المجمع بثلاثة أيام حاملين موافقة سيدهم على المشاركة في الحملة ولم يكونوا قد سمعوا بخطبة البابا. وبذلك ماير على ذلك يسابق معرفة ريموند بمشروع البابا. أما المؤرخ زابروف فيذكر أن دعوة البابا لتخصيات غير الدينية للحضور إلى المجمع، بالإضافة إلى العامة دليل آخر على أن هناك أمراً ما سوف يتم الإعلان عنه بعد انتهاء المجمع. للعزید: ماير: المرجع السابق، ص ١٢٤ زابروف: الصليبيون لى الشرق، ترجمة الياس شاهين، دار التنديم - موسكو، ١٩٨٦، ص ٤٢ - ٤٣.

المجمع في الثامن عشر من نوفمبر والذي استمر لمدة أسبوع ناقش خلاله المجتمعون العديد من المسائل الدينية، بالإضافة إلى مسائل أخرى^(١).

وفي ختام المجمع ألقى البابا أوربان الثاني خطبته التي أوردتها أربعة من المصادر المعاصرة^(٢). وأجمع معظم المؤرخين على أن البابا ألقى خطبة واحدة وذلك في ٢٧ نوفمبر أي في ختام المجمع. غير أن مونرو Munro خالف هذه الآراء وأشار إلى ثلاث خطب خلال انعقاد هذا المجمع^(٣). وفي البداية فإن الباحث يتفق معه في هذا الرأي وذلك اعتماداً على تحليل النص الذي أورده فولشر الشارترى. ولكنني اختلف معه فيما يتعلق بفصولها التي أشار إليها من خلال صفحات فولشر الشارترى. ونص الخطبة الأولى التي تمثل افتتاح المجمع في يوم الثامن عشر من نوفمبر في الكرسي الأولى لدى فولشر والدليل على ذلك ما ذكره بعد أن أشار إلى أحوال الدولة البيزنطية وتوجه البابا إلى بلاد الغال وإرساله مبعوثيه للدعوة لهذا المجمع، يسجل إلى الآتي:

(١) من بين القضايا مشكلة فيليب الأول ملك فرنسا وخيانتته الزوجية، بالإضافة إلى مشاكل التقاليد العلماني واليهودية. انظر: ماير: المرجع السابق، ص ٢٢.

(٢) لا تزال آراء المؤرخين الحديثين مختلفة بشأن تولد أصعاب هذه المصادر ضمن العاصرين في مجمع كليرمون ولكن ما يهمنا أن أياً منهم لم يسجل نصه في الحال، وإنما من ذاكرتهم فيما بعد. كما أن أياً منهم لم يدّع أن ما كتبه هو النص الكامل للخطب. وهذه المصادر التي اعتمدت عليها المراجع الحديثة هي:

أولاً: نص المؤرخ المشهور لإعمال الحجاج.

ثانياً: نص فولشر الشارترى.

ثالثاً: نص روبرت الراهب (روبرت الريمزي).

رابعاً: نص جيهيرت الترنانتي. وبالإضافة إلى ذلك يوجد نص هام اعتمد عليه الباحث هو نص بطرس تيدبود.

Dana C. Munro, "The Speech of Pope Urban II at Clermont, 1095", *American Historical Review* (AHR). 11, 1906), pp. 231 - 242.

ويأخذ بهذا الرأي أيضاً المؤرخ ريلي سميت - العملة الصليبية الأولى، ص ٢٢.

٤- وفي اليوم المحدد - [وبطبيعة الحال يقصد بداية المجمع في ١٨ نوفمبر] جمعهم أربان حوله، وفي خطاب بليغ أوضح لهم السبب من عقد الاجتماع. وفي نبرات آسفة صائرة عن كنيسة تعاني أخيراً البابا عن أسباب معاناتها الكبرى. وألقى عظة مدروسة تناول فيها شروخ هذه الدنيا حيث آمين فيها الإيمان كما ذكرنا آنفاً^(١).

ثم يكمل فولشر حديثه عن هذه الافتتاحية بأن البابا حث الجميع على التمسك بمعتقداتهم، وأن يوطدوا في نفوسهم العزم الأكيد للثبات على خصال النش، وأن يقبلوا الكنيسة المقدسة، التي أضعفها الشر، من عثرتها ويعيدوها إلى سالف مجدها. وأنهى فولشر هذه الخطبة وينتقل بعد ذلك إلى عنوان آخر^(٢).

وإذا عقدنا مقارنة بين رواية فولشر السابقة وبين ما ذكره المؤرخ المجهول بطرس تيديرود نجد أنهما لم يذكرا الخطبتين الثانية والثالثة - كما أضافا العديد من الفقرات من الأناجيل في نصيهما وهو ما لم يذكره فولشر في خطبته الأولى^(٣).

(١) Fulcher of Charters, op. cit., I (4 - 5), pp. 62.

(٢) Ibid.

(٣) لم يذكر أياً من المراجع الحديثة الاعتماد على بطرس تيديرود. فقد كان الاعتقاد السائد أنه نقل ما كتبه المؤرخ المجهول لأعمال الفرنجة وأضاف إليه فقرات من كتاب ريموند ليهيل. ولكن الدراسات الحديثة أثبتت أصحبه كمصدر أصيل عن الحملة الأولى وربما كان ضمن المعاصرين في مجمع كليرمون وذكر جانباً منه بصورة مختصرة، وكتب مرفقه في الأراضي المقدسة بعد انتهاء الحملة وقبل عردة جموعها إلى الغرب الأوروبي. للمزيد حسن عهد للوهاب حسين: استيلاء الصليبيين على بيت المقدس (١٠٩٩م) في ضوء رواية بطرس تيديرود - دراسة تاريخية مقارنة - مقال في مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية، الاسكندرية ١٩٩٧، ص ١١ - ١١٤

Tudebodus, Petrus, Historia Hierosolymitano itinere, trans.

J.H. Hill and L.I. Hill, (Philadelphia 1974), p. 15.

وتوجد له ترجمة عربية قام بها الدكتور حسين محمد عطية، وعن نص للمؤرخ المجهول

أما الفصل الثاني من الكراسية الأولى فقد علونه فولشر «مرسوم أريان في نفس المجمع، وقسمه إلى أربع عشرة فقرة تضمنت الثماني الأولى نصائح للحاضرين مستعيباً بفقرات من الأناجيل عن العصاة وضرورة تقويمهم وتقديم النصيح والارشاد لهم، والعقوبات التي تلتظر المخالفين لأوامر الرب، بالإضافة إلى ضرورة إصلاح أنفسهم حتى يتمكنوا من إصلاح الآخرين^(١). وعلى الأرجح أن هذا هو نص الخطبة الثانية والدليل على ذلك أنه وجهها إلى رجال الدين في المجمع مخاطباً إياهم «بوزراء الرب»^(٢). ثم أشار فولشر في الفقرات ٩ - ١٤ إلى جانب من القرارات الصادرة عن المجمع. وفي الفقرة التاسعة أشار فولشر إلى السيمونية واصفاً إياها بأن جذورها تضرب بأطنابها بينهم وحذرهم أن تتحول إلى تجارة»^(٣). وفي الفقرة العاشرة أشار

The Speech of Urban: The Gesta Version (Peters ed.), pp. 25 - 26.

وكذلك قاسم عبده قاسم: الحروب الصليبية نصروس ورونانق، الحملة الأولى، القاهرة ١٩٨٥، ص ٧٦. وقارن أيضاً ترجمة د. حسن حبشي: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، القاهرة ١٩٥٨.

Fulcher of Chartres, op. cit., pp. 62 - 65.

(١) أشار مونرو أن الخطبة الثانية لأريان وردت لدى فولشر في الفصلين الثاني والثالث. والأصوب أنها في الفصل الثاني فقط وهو ما سرف أناقشه في الخطبة الثالثة. انظر:

Munro, Speech of Pope Urban, p. 232, n. 16.

(٢) السيمونية هي دفع رشوة مقابل الحصول على المناصب الكنسية، وتنسب الكلمة إلى سيمون الساحر الذي أراد شراء هبة لخوارق والإيقان بالمعجزات من القديس بطرس فقال له لئن قضيتك معك لتهلاك إنك ظننت أن تشتري مرهبة كله بدارهم. وعرفت لدى الكنيسة الشرقية باسم «الشرطونية». وفي إحدى الوثائق اللاتينية وردت بمصطلح لجر هو Pol-lusus Sit لي، أنست ذمته. كما أطلق عليها في ثغور الثاني حضر الميلادي اسم Lady Purse أي «محفظة اللقود» كناية عن دفع الرشوة.

حسن عبد الوهاب: الرشوة في المجتمع الصليبي في بلاد الشام منذ الحملة للصليبية الأولى وحتى سقوط بيت المقدس (١٠٩٥ - ١١٨٧ م / ٤٨٨ - ٥٨٣ هـ)، ص ٩١ - ٩٧ - ضمن كتاب مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية.

إلى مشكلة التقليد العلماني والزامهم بدفع عشر ثمار الأرض^(١). كما فرض اللعنة على كل من يقبض أو يحتجز رجال الدين أو الحجاج والتجار أو يذهب ممتلكاتهم وذلك ضمن الفقرة الحادية عشر. ويحذر بعد ذلك في الفقرة الثانية عشرة السارق والعقوبة التي ستحلق به إلى الأبد. وطالب الحاضرين بفرض العدالة وذلك لكي يتمكن الناس من السفر بدلاً من حالة الخوف التي سيطرت عليهم بسبب اللصوص وقطاع الطرق^(٢). وتناول في الفقرة الرابعة عشر الهدنة المعروفة لدى العامة، وضرورة فرضها من جديد والتهديد بفرض عقوبة الحرمان على المخالفين^(٣). وعلق بعض المؤرخين الحديثين على هذا

(١) ظهرت مشكلة التقليد العلماني عندما أصدر جريجوري السابع قراره في عام ١٠٧٤م بحرمان الملك والسلطات العلمانية من حق تعيين رجال الدين في مناصبهم مما أدى إلى صراع طويل مع الإمبراطورية شغل المرحلة الأولى في الصراع بينهما، والذي كان فترة باهية أريان الثاني أحد مراحله وتخل في صراع مع الإمبراطور هنري الرابع وعدد من ملوك أوروبا في عصره. ولتنتهي هذه المشكلة في عام ١١٢٢م باتفاقية ورمز في عهد هنري الخامس وأبائا كاتس الثاني. انظر:

O.J. Thatcher, A Source book for Mediaeval History, (New York, 1905), pp. 134, 135, 162.

وكذلك: سعد عبد الفتاح عاشور: أوروبا العصور الوسطى (التاريخ السياسي)، ص ٢٤٧ - ١٢٤٨ محمد محمد مرسى الشيخ: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، الإكسكندرية، ١٩٩٦، ص ٣١٢ - ٣٧٢.

(٢) بالإضافة إلى ما ذكره ألبان أريان في خطبته، كانت هيئة الرب المطنة في أستيكية كرلن عام ١٠٨٢م قد حرمت الإعتداء على المسافرين أو القيام بالسرقات واستخدام الأسلحة بكافة أنواعها. كما أن قرارات المجمع تضمنت العديد من الشروط أو القيود المتعلقة بتأمين المشاركين في الحملة. انظر:

The Truce of God Proclaimed in the Diocese of Cologne, (Peters. ed.), pp. 38 - 41; Roger of Wendover, Flowers of History. Comprising the History off England from the Descent of the Saxons to A.D. 1235, trans from latin by J.A. Giles, 2 vols. (London, 1848) vol. I, 374 - 75.

(٣) يرجع الاهتمام بفرض السلام إلى عام ٩٨٩ في مجمع شار Charroux، واستمرت المجمع التالية الاهتمام به حيث ظهرت صيغة جديدة للقسم عليه في عام ١٠١٦م، كما

البند الأخير حيث ذكروا أن البابا رغب في فرض السلام في أوروبا وكذلك بين المسيحيين عامة من خلال فرض هدنة الرب^(١). وفي حقيقة الأمر فإن البابا أريان هدف إلى استغلال هذه الهدنة لصالح دعوته وذلك بوقف الحروب بين السادة الاقطاعيين ونقلها إلى خارج أوروبا ضد المسلمين في الأراضي المقدسة.

ويُنقل فولشر الشارترى إلى الفصل الثالث وعنوانه «دعوة أريان إلى القيام برحلة حج إلى بيت المقدس»^(٢) ويعلق مترجم كتاب فولشر بأن هذا العنوان لا يتناسب مع محتوى الفصل وذلك لعدم ذكر بيت المقدس أو الصريح المقدس أو الأراضي المقدسة، بينما يتناول إنقاذ بيزنطة كهدف للحملة الصليبية. وفي الواقع فإن الفصل يشير إلى إنقاذ المسيحيين الشرقيين، وفي نفس الوقت فإنه يذكر بطريقة غير مباشرة في الفقرة الخامسة القتال ضد المسلمين في الأراضي المقدسة^(٣). ومن ناحية أخرى يذهب المؤرخ مونزو بأن هذا الفصل الثالث يمثل الخطبة الثانية أيضاً، والأصوب أنه يتناول الخطبة الثالثة والدليل على ذلك أنه يبدأها بدعويته البابا الشكر للحاضرين على مراعاة قراراته ومراسمته التي أصدرها في هذا المجمع وهو ما ورد في

-/-

كان لدور الرهبان الكلاسيكيين دور هام في تطبيقه والتأكيد عليه. وتم تحديد أربعة أيام في الأسبوع لوقف الحروب، ثم أيام أخرى على مدار العام. والمزيد انظر:

The Truce of God Proclaimed at the Councils of Clermont (Peters. ed.), p. 41;

وتجدر الإشارة إلى أن بطرس ناشر الوثيقة ذكر أن هدنة الرب لم تكن جزءاً من الهدنة للصليبية، ولكن الإشارات الواردة في الخطبة الثانية لأريان تناقض ذلك الرأي. وكذلك انظر: قاسم عبده قاسم: لفظة الأديولوجية، ص ١١٧ (أبروف: الصليبيون، ص ١٤٦ ماير: تاريخ الحروب الصليبية، ص ٧٤.

(١) زابروف: الصليبيون، ص ٤٦.

Fulcher of Charters, op. cit., pp. 65 - 67.

(٢)

Ibid., p. 65, n.1.

(٣)

الخطبة الثانية . ثم يوجه حديثه للفريسيين والمثناة أغنياء وفقراء للمسارة بانقاذ السكان المسيحيين قبل فوات الأوان^(١).

على أى حال، تمثل هذه الخطبة ما ورد فى معظم المراجع الحديثة على أنها الخطبة الوحيدة التى ألقاها أريان فى أوغريلى خارج الكنيسة حيث استمع إليه جموع الحاضرين سواء من رجال الدين أو عامة الناس الذين توافدوا على المدينة . واختلفت نصوص الخطبة اثنائه بسبب تركيز كل مؤرخ على نقاط معينة بسبب كتابتها من ذاكرتهم بعد عدة سنوات من عقد المجمع، وكذلك لأختلاف أسلوب كل مؤرخ عن الآخر^(٢) . واعتمد الباحث على نص الخطبة لدى فولشر الشارتري - لعدم اكتمال نص كل المؤرخ المجهول بطرس تيدبوده من ناحية، ولتسجيله نصها قبل المؤرخين الثلاثة الآخرين^(٣).

(١) يشير مولرو أن الخطبة الثالثة فى الفصل الرابع لدى فولشر . ومراجعة هذا الفصل لا يوجد فيه سوى اختيار ليعمار ملدريا باوريا بعد الخطبة، وبعض الأمور التنظيمية الأخرى فى الإعداد للحملة ولا تدخل فى نطاق الخطبة.

(٢) عن آراء المؤرخين الحديثين بشأن الخطب انظر: ماير: تاريخ الحروب الصليبية، ص ٢٣ - ٢٤، رالى سميت: الحملة الأولى، ص ١٢٠ قاسم عبده: الخلفية الايديولوجية، ص ١٠٩ - Munro, Speech, p. 232 - 33' Runciman, The Councils, pp. ١١٠ - 220, 239 - 41.

(٣) اختلفت الآراء حول دلتة تسجيل فولشر لتاريخه . وعلى الأرجح أن ذلك كان بين عامي ١١٠١ - ١١٠٥ ثم أعاد تنقيح ما كتبه فى عامي ١١٠٥ - ١١٠٦ م . واعتمدت المصادر التى أوربت الخطبة على أعمال العجاج - والذي لم يصلنا من خطب البابا لديه سوى الخطبة الأولى فى افتتاح المجمع . ويذكر روبرت الزاهب أن رامبا يدعى برنارد أطلق على نسخة منه لكى يعود كتابتها بأسلوب أنق دون أن يذكر هل أورد الخطب الثلاث أم لا . والمزيد: مقدمة فولشر الشارتري فى ترجمة الدكتور قاسم عبده، ص ٤٦، وكما تجدر الإشارة إلى أن كلاً من د. محمد عاشور ود. حسين ربيع أوردا نص الخطب نقلًا عن فولشر الشارتري انظر: Fifty Documents in Medieval History, compiled by Dr. Said Ashor & Dr. Hassanein Rabie, (Second. Ed. Cairo, 1987), pp. 77 - 79.

وبعد مقارنة نصوص الخطبة لدى المصادر الأربعة الرئيسية يمكن أن نوضح الجوانب التالية:

أولاً: أجمعت المصادر الأربعة على ضرورة مساعدة الغربيين لإخوانهم المسيحيين في الشرق، وأشارت إلى ما تعرضت له «مملكة اليونانيين»، و«القسطنطينية»، من جانب جنس الفرس (الأتراك). كما ذكرت ضرورة حماية الكنائس الشرقية وما سيعود على الغربيين من السعادة لذلك^(١).

ثانياً: فيما يتعلق بالحديث عن جنس الأتراك نجد أن فولشر يصلهم بالخسة وحذر من معاقبة الرب في حال النقاعس عن مواجهتهم. أما روبرت الراهب فكان أكثر المصادر حدة في لهجه في الحديث عنهم وإدعاء قيامهم بأعمال القتل والذبح وصنوف التعذيب الأخرى للمسيحيين الشرقيين إضافة إلى اغتصاب النساء. بينما اتهمهم بلديك بالاعتداء على الكنائس الشرقية واستهانتهم بالدين المسيحي. أما جيبرت فلم يتناول هذا الجانب في نصه عن خطبة البابا^(٢).

(١) أشار بلديك إلى اليونانيين بطريقة غير مباشرة عندما أفرغ الخطر الذي تتعرض له الكنائس الشرقية ومن بينها كنيسة القسطنطينية. وهذا يخالف ما ذكره رانسيمان أن بلديك لم يشر إلى اليونانيين.

The Speech of Urban: The Version of Baldric of Dol, (Peters), pp. 29 - 33; Runciman, The Councils, p. 241.

وكذلك قاسم عبده: لصوص روثاق، ص ٨٥ - ٨٩.

(٢) بعد روبرت الراهب أكثر المصادر تفصيلاً عن اتهام الأتراك الصلافة بأعمال الذبح والتعذيب الأخرى. ولا شك أن ذلك كان له فعله من أجل إثارة حماس الغربيين ضد المسلمين في الوقت الذي سجل فيه روبرت كتابه حوالي عام ١١٠٧ م. وكان برهمن أمير أنطاكية آنذاك في الغرب الأوروبي من أجل الإعداد لعملية جديدة. انظر:

The Speech of Urban: The Version of Robert of Rheims, (Peters.) pp. 26 - 29; Fulcher of Charters, op. cit., pp. 192 - 93.

وكذلك قاسم عبده: لصوص روثاق، ص ٧٧ - ٨٠.

ثالثاً: ذكر فولشر أن البابا دعا إلى وقف الحرب ضد المؤمنين (يقصد محاربة بعضهم البعض) والتحول لمحاربة الكفار (يقصد المسلمين حسب اعتقاده اللياطل) كما طالب اللصوص بأن يتحولوا إلى جند للمسيح، والممرتزة للحصول على المكافأة الخالدة بدلاً من حفة النفود الغضبية. ويتناول بلديريك نفس المعنى عن محاربة الفرسان بعضهم البعض، وكذلك اللصوص وأعمالهم التي يجب أن تتحول إلى محاربة المسلمين بدلاً من إخوانهم المسيحيين، ومن يخالف ذلك سوف تحل به اللعنة الأبدية، بينما الآخرون سوف يحصلون على الشهادة. أما روبرت الراهب فقد ذكر ذلك بصورة مختصرة حيث دعاهم للنبد الخلافات ثم التوجه للصريح المقدس^(١).

رابعاً: اتفق فولشر وبلديريك على دعوة البابا أريان للتساسة بأن يقوموا بحث الناس سواء من الفرسان أو المشاة وغيرهم للمشاركة في تلك الحرب المقدسة. وأن يكون درهم من خلال كنائسهم للتبشير بالرحلة إلى بيت المقدس بروح صافية وخالصة. أما المصدران الآخزان فلم يشيرا إلى هذه النقطة، وتجدر الإشارة إلى وجود وثائق بعد انتهاء المجمع تنظم دور رجال الدين في الحملة الصليبية^(٢).

(١) هارل جريجورى السابح الربط بين تحويل للقتلة واللصوص إلى محاربين، واتقاد للمسيحيين الشرقيين ولكنه فشل في ذلك. أما للربط بين فكرة التحج والحرب فقد أخذت تظهر شيئاً فشيئاً، ولم يكن بابوات القرن الحادى عشر هم أول من دعا إلى استخدام تلك الحرب، بل نجد للبابا ايو الرابع (٨٤٧ - ٨٥٥) وريخا للامس (٨٧٢ - ٨٨٢) وذلك في الصراع ضد المسلمين والبيكنج. انظر:

Runciman, the Councils, p. 243; The Pilgrimages to Palestine Befor 1095, pp. 68 - 80 [in Setton (ed.)] vol. I.; John Gilchrist, The Papacy and War against the Saracens, 795 - 1216; International History Review, 10, 1988, pp. 174 - 197.

(٢) ذكر أريان الثاني في خطابه المورخ في ٧ أكتوبر ١٠٩٦ إلى رهبان دير فالر مبروسا تنظيم دور رجال الدين في الحملة والعقوبة الملووسة على المخالفين منهم لذلك انظر: Urban's Letter to the Monks of the Congregation of Val-lombrosa, (Peters.) pp. 44 - 45.

خامساً: ذكر فولشر أن البابا أمر بعدم تأجيل خروج المشاركين في الحملة وأن عليهم تدبير أحوالهم، وأشار روبرت الراهب إلى تحذير أريان من التردد للخروج سواء بسبب الخوف على ذريهم أو أملاكهم حيث فرض حمايته عليهم. أما بلديك فيشير إلى نفس المعنى من حيث طمأنة البابا للمشاركين على أملاكهم وزوجاتهم حتى عودتهم. يضيف روبرت الراهب بأن البابا منع خروج الكهول والضعاف والنساء بدون أزواجهن أو أشقائهن أو معن يقومون بحمايتهم مع الحملة، لأن هؤلاء جميعاً يشكلون عائقاً^(١).

سادساً: وعد البابا - كما يذكر فولشر - المشاركين في الحملة بغفران ذنوبهم. وانفرد فولشر بالإشارة إلى هذا الجانب دون بقية النصوص. ويبدو أن هذا كان من بين قرارات المجمع وليس ضمن نص خطبة البابا^(٢).

(١) ذكر جيمس بروندج اعتماداً على روبرت الراهب بأن البابا منع النساء المشاركة في الحملة الصليبية ومراجعة ما ذكره روبرت نجد أن المنع لم يكن مطلقاً لأنه لشروط المنع على النساء اللاتي لا يرافقن أزواجهن أو أشقائهن أو حرسهن. انظر:

J. A. Brundage, *Prostitution, Miscegenation and sexual Purity in the first crusade, in crusade and settlement*, pp. 57 - 65.

وتوجد ترجمة للمقال في حسن عبد الراهب: مقالات وبحرث في التاريخ الاجتماعي، ص ١٦٩ - ١٨٨.

(٢) قدم المؤرخ ماير تحليلاً مسهباً حول العلاقة بين الصليبية وصكوك الغفران. وذكرت وثيقة من البابا أريان أن من ينهب من أجل تحرير كنيسة الرب يجب أن يكون دافعه الإخلاص فقط، وليس من أجل المصالح على المال أو الشرف. انظر: ماير: تاريخ الصليب الصليبية، ص ٤٥ - ٦٣، Brundage, op. cit., p. 57. ومن الوثيقة: The Privilege of Urban to the Pilgrims (Peters.) p. 37.

وتجدر الإشارة إلى أن المؤرخ سورمفول حصر تسعاً وعشرين قراراً عن مجمع كليرمون، وقدم المؤرخ هيسلند دراسة أخرى للقرار الثلاثين. انظر:

R. Hiestand, *Les canons de Clermont et d'Antioch sur l'organisation ecclésiastique des états croisés: authentiques ou faux?* in *Autour de la première croisade*, ed. M. Balard, (Paris, 1996), pp. 29 - 37.

سابعاً: انفرد روبرت الراهب أن البابا أشار إلى قصص الأسلاف العظام مثل شارلمان وابنه لويس وغيرهما من الملوك الذين دمروا ممالك الوثنيين ومدروا حدود الكنيسة المقدسة داخلها^(١).

ثامناً: تناولت المصادر الثلاثة - فيما عدا فولشر - أحوال الأراضي المقدسة بصفة عامة والقدس بصفة خاصة. ومنها من تحدث عن المعاناة التي يلقاها الحجاج في طريقهم سواء أكانوا من الأغنياء أو الفقراء. وقدم جيبيرت صورة فيها مبالغة شديدة عن وسائل التفنيل التي يتعرضون لها من جانب المسلمين. كما عرض المؤرخون الثلاثة وصفاً لأحوال بيت المقدس وأصقوا بالمسلمين العديد من التهم بشأن الأماكن المقدسة وأعمال التخريب التي حدثت لها^(٢). كما انفرد بلديريك بالإشارة إلى كنيسة أنطاكية دون بقية المصادر الأخرى.

تاسعاً: أورد جيبيرت قصة المسيح النجال وحاول توظيفها لإستيلاء المسيحيين

(١) ارتبط شارلمان بأسطورة شهيرة ذكرت نغابه إلى فلسطين، كما دلرت كثير من الروايات عن دوره في الحروب ضد المسلمين في الأنتلس وعلاقته بالخليفة الهاسي هارون الرشيد ومن هذه الأسطورة وفور شارلمان لنظر: جوزيف نيسم بروسف: أنشودة رولان وقبعتها التاريخية وما أثير حولها من جدل ونقاش - ندوة التاريخ الإسلامي والوسط، ١٩٨٢، ص ٧٧ - ١١٤، قاسم عبده: الخلفية الأيديولوجية، ص ٤٨ - ٤٩.

(٢) تعرضت الكنائس في الأراضي المقدسة لبعض العوامل التي أدت إلى تخريبها في ظل السيادة الإسلامية عليها. ومنها ما حدث على يد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله والذي أعاد عمارتها، وكذلك بعض الزلازل. ويعترف الرحالة الروس دانيال الراهب بما كانت عليه كنيسة أنطاكية من حالة رابعة عندما زارها عام ١١٠٦ - ١١٠٧م. أما معاناة الحجاج فإن إعتلاهم التي زلزلت عن الآلاف أدت إلى صعوبة توفير الميزن والإمدادات. وبما يتعلق بالضرائب فقد فرضت بيزنطة نفسها ضرائب عليهم أثناء مرورهم بأراضيها رعى الصريح المقدس أيضاً مما أدى إلى شكوى البابية من ذلك. وللمزيد: رحلة الحاج الروسي دانيال راهب في الديار المقدسة ترجمة د. سجد البشاري، ولدرد اسماعيل، عمان ١٩٩٢، ص ٥٢ - ٥٣، قاسم عبده: الخلفية الأيديولوجية، ص ٣١ وما بعدها. Runciman, The Pilgrimage, p. 68 ff.

على الأراضي المقدسة، كما أشار إلى ما أسماه معجزة الدار المقدسة عند الصريح المقدس وحول الكنيسة^(١).

عاشراً: انفرد روبرت الراهب بالحديث عن ربط البابا أريان بين الحالة السيئة التي كانت تتر بها أوروبا وعدم كفاية الطعام والثروة لأهلها، وأن الحروب بينهم هي التي أدت إلى ذلك، وبالتالي فقد دعاهم إلى الذهاب إلى تلك البلاد التي تفيض لبناً وعسلاً. أما بلدريك فقد أشار إلى منحهم أملاك العدو^(٢). ومن ثم فإن البابا أدرك ضرورة الرجوع المادية لتحريك همم من يرغب في ذلك من الفئات العديدة التي ستخرج للمشاركة في الحملة.

على أي حال فقد تركت خطب البابا - وخاصة الثالثة التي وجهها إلى تلك التجموع التي احتشدت في أوفريني - أثرها الهائل عليهم. ويذكر بطرس تيدبوده أن الحاضرين ردوا لقد اتفقوا في إرادة واحدة، أما روبرت الراهب فيشير إلى أنهم قاطعوا البابا أثناء خطبته وصاحوا بأنها مشيئة الرب، Deus lo vott^(٣) وأصبح ذلك شعار المشاركين في الحملة، وصيحتهم عند الحرب ضد المسلمين. ومن ناحية أخرى سارع البابا لتنظيم أمر الحملة وذلك بغية المحافظة على مشروعه وحتى لا يفلت الأمر من بين يديه وسط حماسة تلك

(١) أنهم جبروت المسلمين بعدم الإيمان بهذه المعجزة، ويعترف فرلشر نفسه بعدم حدرلها عام ١١٠١م. وكان الصليبيون يصيحون عند رؤيتها kyrie eleison «يا رب ارحمنا».

رحلة الحاج نانوال، الملحق الخامس، ص ١٦٥ - ١٦٧

Fulcher off Charters, op. cit., pp. 151 - 52.

The Speech of Urban: The Version of Robert of Rheims, (٢) (Peters.), pp. 26 - 29; cf. also: Runciman, The Councils, pp. 244 - 45.

وكذلك: قاسم عهده: الأندلسية، ص ٩٢ - ٩٧ زابروف: الصليبيون، ص ١٥ - ١٦.

Tudebodus, op. cit., pp. 15 - 16.

(٣)

The Speech of Urban: The Version of Robert of Rheims, (Pe- (٤) ters.), p. 28. cf. also: Runciman, the councils, p. 239.

الجموع المدفوعة للخروج، وأمر البابا المشاركين بخياطة الصليب على ملابسهم حيث أصبح شعاراً لهم. واختلفت المصادر في وصفها لهذا الأمر فيذكر المؤرخ المجهول وتيدبوده أن المشاركين قاموا بخياطة هذه الصلبان على ملابسهم عند اكتفاهم اليملى^(١). بينما يشير فولشر أن البابا أمر بوضع الصلبان على أكثاف المعاطف بمجرد القسم على المشاركة^(٢). ولكن جيبيرت أورد عبارة عامة فيقول أن البابا أمر بوضع الصليب على أى نوع من قماش القمصان أو العباءات^(٣). وخلافاً لبقية المصادر الأخرى يذكر روبرت الراهب بأن وضع علامة الصليب كانت تتم على غطاء الرأس أو الصدر عندما ينذر الشخص الخروج للعملة. وفي طريق عودته يضع علامة الصليب على ظهره ملابسهم بين كتفيه^(٤).

ومن بين الأمور الهامة التي أكد عليها أريان عدم التقاعس عن الخروج لمن نذر ذلك وأقسم عليه وذلك لأى سبب من الأسباب. كما نظم أمر خروج رجال الدين ودورهم في العملة. وعلى الرغم من أن روبرت الراهب أشار إلى ذلك ضمن خطبة البابا، إلا أنه من المرجح أن ذلك كان ضمن ما سارع به أريان عقب استجابة جموع العامة لدعوته دون انتظار للمرعد الذي حدده

The Speech of Urban: The Gesta version, (Peters.), pp. 25 - 26; (١)

Tdebodus, op. cit., p. 16.

Fulcher of Chartres, op. cit., p. 68.

(٢)

ووصف فولشر الصليب بأنه مصغر من الحرير والقماش المنمب ومزاد أخرى. وربما يدل هذا على وجوده في كليرمون.

Speech of Urban, The Version of Guibert of Nogent, (Peters), (٣) pp. 37.

وكذلك: قاسم عبده: نصير من روثائق، ص ٨٨ - ٨٩.

Speech of Urban, The Version of Guibert of Nogent, (Peters), (٤) pp. 28 - 29.

وكذلك: قاسم عبده: نصير من روثائق، ص ٧٩ - ٨٠.

لخروج الصليبية^(١).

أما فيما يتعلق بتنظيم أمور الحملة النظامية، فقد بدأ البابا الإعداد لذلك سواء ما يتعلق بالقيادة والتمويل وخط السير وغير ذلك من الجوانب التنظيمية. وعهد بقيادة الحملة إلى ادهيمار لى بوى الذى صاحب البابا عندما كان فى بوى واتجه إلى كليرمون. ويذكر بلندريك أن ادهيمار كان من بين الحاضرين وطلب من البابا مباركته قبل خروجه، وقام أريان بمنحه السلطة على الجميع كنائب بابوى فى قيادة الحملة^(٢). ويتضح هذا سياسة البابا فى إضفاء الطابع الدينى على الحملة عندما عهد بقيادتها إلى رجل دين^(٣). وفى رسالة البابا إلى المؤمنين فى الفلاندرز والمؤرخة فى ديسمبر ١٠٩٥ م أشار إلى اختياره لدهيمار قائداً للحملة وأمر المشاركين بطاعته أثناء قيادته لهم، كما حدد يوم عيد صعود القديسة مريم Assumption of the Blessed Mary (والذى يوافق ١٥ أغسطس) موعداً لخروج الحملة^(٤).

تركت خطب اريان الثلاث السابقة، وخاصة الخطبة الأخيرة آثاراً مدوية على جمهور الحاضرين. فقد سارعت فئات عديدة للخروج دون انتظار للموعد الذى حددته البابا فى خريف العام التالى. وقبل أن نتابع نشاط البابا فى غالة نتوقف عند مسألة على جانب كبير من الأهمية اختلفت آراء

(١) جدير الإشارة أن وضع الصليب صار أمراً مفروضاً على كل من ينذر الخروج للمشاركة فى الحملة كما ذكر مانوس رئيس أساقفة ماينز عام ١٠٩٩ م انظر:

Runciman, The Councils, p. 247.

(٢) أجمعت المصادر على وصف ادهيمار بالشجاعة والنبالة، وكانت له قرائه الخاصة وأشارت المرجع إلى أنه كان قائداً للحملة (dux) رندوباً بابوياً Legate واستخدمت بعض المصادر العربية الاسم الأجنبى محرراً فأطلقت عليه الكاف والوكان وصعته الكات انظر: ابن واصل: ملرج الكروب فى أنهار بنى أيرب، تحقيق د. حستين محمد ربيع، ومراجعة د. محمد عاشور، ج٤، القاهرة ١٩٧٢، ص ٩٨، هـ (٢).

Runciman, The Councils, pp. 249 50.

Runciman, The Councils, p. 249.

Peters (ed.), op. cit., p. 42.

(٣)

(٤)

المؤرخين الحديثين بشأنها. ونقصد بذلك هل كان البابا يهدف إلى تحرير الكنيسة الشرقية أم التوجه إلى بيت المقدس؟ ويؤيد كل من ماير Mayer وردولف هيستاند R. Hiestand الرأي الخاص بأن القدس لم ترد ضمن نص فولشر الشارترى، كما أن رسالتين للبابا إلى الفلمنك في نهاية عام ١٠٩٥ م لم تشيرا إلى القدس إلا هامشياً. ويدعم هيستاند ذلك بقوله أنه ليس من المؤكد في المصادر أن أريان قد تناول القدس كهدف سياسى وحريى لمشروعه^(١). أما للمؤرخ ريلى سميت فيرى أن هدف أريان كان تخليص الكنائس الشرقية بصفة عامة وكنيسة بيت المقدس بصفة خاصة. ويذكر أنه من الصعب قبول أن هدف أريان تحرير الكنائس الشرقية كهدف أساسى وذلك لأن البابا لا يستطيع تجاهل وضع القدس وتأثيرها^(٢).

واعتمد هؤلاء المؤرخون الحديثون على نصروص المؤرخين الأربعة لخطب البابا أريان، وعلى الرغم من أن فولشر لم يذكر القدس صراحة إلا أنه أشار إليها ضمناً، بينما أفاضت المصادر الثلاثة الأخرى في الحديث عنها ومعانيها والأماكن المقدسة بها، كما تحدثت عن الدفاع عن الكنيسة الشرقية أيضاً^(٣). ومن جانب آخر استند هؤلاء على مجموعة من الوثائق تعالت في خطابات من البابا، وبعض قرارات مجمع كليرمون^(٤). ومن بين الإشارات

(١) ماير: للمرجع السابق، ص ص ٢٥ - ٢٧.

Hiestand, op. cit., p. 32.

ونعذر الإشارة إلى أن ماير لورد لواء مؤرخين آخرين مثل أردمان Erdmann وكودرى Kowdery بشأن هدف أريان فيما يتعلق بالقدس. وتوجد دراسة نقدية لأبحاث أردمان انظر:

John Gilchrist, The Erdmann Thesis and the canon law, 1083 - 1141, in crusade and Settlement, pp. 37 - 45.

(٢) الحملة الصليبية الأولى، ص ص ٢٢ - ٢٨.

(٣) انظر ما سبق عن تحليل نصروص خطب البابا.

(٤) نشر Peters هذه للنصروص، وتوجد ترجمة قيمة لبعضها منها في كتاب د. قام صبه:

الحروب الصليبية (نصروص وولكنق)، ص ٨٩ - ٩٨.

Peters (ed.), op. cit., pp. 37 - 46.

التي وردت عن القدس ضمن هذه الوثائق ما ذكره البابا في خطابه إلى المخلصين في الفلاندرز (ديسمبر ١٠٩٥) عن خضوع القدس لعبودية لا تحتل، وكذلك الكنائس الشرقية مما دفعه لزيارة غالة^(١). أما أحدث المصادر الوثائقية التي تم اكتشافها وقامت معلومات جديدة عن رحلة البابا في دير القدس فلورنت أوف سامور^(٢) حيث أمضى حوالي أسبوع في أواخر يناير وحتى أوائل فبراير ١٠٩٥ م. وذكرت الوثيقة بأن البابا وعظ السكان المحليين للقيام بالرحلة إلى بيت المقدس عن طريق القسطنطينية وإعادة بناء الأماكن المقدسة التي خربها الوثنيون، وتلفت الوثيقة الانتباه إلى أمر هام وهو الطريقة التي أتبعها البابا في دعوته فقد ألقى ما أسمته الوثيقة بـ *Publice* وهي العظات العامة في الكنائس المحلية، أما العظة الخاصة *Privatim* فهي الطريقة التي أتبعها مع الأفراد وخاصة النبلاء لكي يدعموا حملته^(٣). وفي مقال لسيبيليا ثين ناقشت فيه أهمية بيت المقدس كهدف للحملة الأولى أثبتت اهتمام الغربيين بالقدس سواء للحج أو للتكفير عن الذنوب، ثم أوردت أنشودة ترجع إلى القرن الحادي عشر عن الضريح المقدس، وكان الصليبيون يرددونها أثناء الحملة. ثم أشارت إلى وثيقة تعود إلى مارس ١٠٩٦ - حيث كان البابا يقوم بالدعوة للحملة في أحد أديرة بواتيه - إلى أن البابا كان تحت أمرته العديد من الرجال من النبلاء من جميع البلاد سيرحلون إلى الضريح المقدس^(٤). وفي أثناء وجود البابا في

(١) Urban's Letter to the Faithful in Flanders, p. 42.

(٢) يقع على بعد ٤٥ كم. جنوب شرق أنجرز Angers في غالة.

(٣) George T. Beech, Urban II, The Abbey of Saint-Florent of Saumur, and the first crusade, in: *Autour de la Première croisade*, pp. 57 - 58, 61 - 62.

(٤) تقول للكلمات: باسم الرب نسبح في طريقنا، ونرحل على بركله، فخرة الرب والضريح المقدس تساعدنا.

Sylvia Schein, Jérusalem: objectif original de la première croisade, pp. 121 - 23.

أنجروانت (١٠ - ١٤ فبراير ١٠٩٦م) تذكر حولية فولك أوف لى رشين أن البابا أثناء زيارته لانجرز Angers حث شعبنا على الذهاب إلى بيت المقدس لمطاردة الوثنيين الذين احتلوا جميع الأراضي المسيحية حتى القسطنطينية^(١). وفي خطابه إلى أعوانه في بولونيا المؤرخ في سبتمبر ١٠٩٦، يشير أيضاً إلى القدس وسعادة البابا لسماعه برغبة البعض الذهاب إليها ثم يتناول المزاي التي سيحصلون عليها^(٢). وفي أكتوبر ١٠٩٦ - أي بعد رحيل الحملة - تستمر الإشارة إلى القدس وذلك في خطاب البابا إلى رهبان جماعة فالومبروسا^(٣).

وعلى الرغم من أن المؤرخ ماير يذكر أن القدس لم تعد تذكر بعد وصول الحملة إلى أنطاكية في مايو ١٠٩٨م، إلا أنه يوجد خطاب مؤرخ في سبتمبر ١٠٩٨م يذكر القدس حيث يدعون البابا للحاق بهم لكي يقودهم إلى تحرير الصريح المقدس^(٤). ومن ناحية أخرى تجاهلت هذه المراجع الحديثة العديد من الإشارات التي وردت عن الحملة الشعبية سواء تلك التي خرجت بقيادة بطرس الناسك وبداية رحلته إلى القدس، أو القسم الذي كان بقيادة أميكو وأن طريقه كان إلى القدس. وتلك الأسطورة التي ذكرت أن هذا القسم كانت تقوده أروزة وعذرة ملهمتان تعرفان طريقهما إلى بيت المقدس^(٥)!!

ولم يقتصر الأمر على هذه المصادر اللاتينية فحسب، بل أن نجد مؤرخاً مثل ابن الأثير يربط ما بين فكرة الحروب الصليبية وبين الحرب التي جرت

(١) Urban in Anjou, Lent, 1096: The Chronicle of Fulk le Réchin, (١) (Peters.), pp. 42 - 44.

(٢) Urban's letter to His Supportres in Bologna (Peters), p. 44.

(٣) Urban's Letter to the Monks of Vallombrosa, (Peters.), p. 44.

(٤) ماير: المرجع السابق، ص ٢٧، وعن الخطاب أعلاه.

Kreuzzugsbriefe aus den Jahren 1088 - 1100 ed. H. Hagenmayer, (Innsbruck, 1901) no. 12, p. 154 (in: S. Schein, op. cit., p. 123).

(٥) انظر نصوص تلك الحملة لدى: قاسم عبده: نصوص ووثائق، ص ٩٧ - ١٢١ زابروف: المرجع السابق، ص ٥٥ - ٥٦.

ضد المسلمين في أسبانيا. ويذكر ابن الأثير بأن صاحب فكرة التوجه إلى بيت المقدس هو روجر ملك صقلية الذي خشي على أملاكه من الفريسيين فلصحبهم بفتح بيت المقدس وتخلصونه من أيديهم (يقصد المسلمين) ويكون لكم الفخر^(١). وسواء أكان لروجر دور في ذلك أم لا، إلا أن رواية ابن الأثير تؤكد إلى جانب الروايات السابقة على أن استيلاء الصليبيين على بيت المقدس كان هدف تلك الحملة الصليبية الأولى. ومن جانب آخر فإن البابا أريان بدء الفكرة بانقاز بيزنطة من هجمات الأتراك السلاجقة وهو ما طرحه في بيتشانزا في مارس ١٠٩٥ م. ثم عندما انتقل إلى غالة وجد أن بيت المقدس أكثر اقناعاً كي تكون هدفاً لحملة وخاصة بين فئات العامة فواصل دعايته مستغلاً شغفهم وحبهم لهذه المدينة في نجاح دعوته.

مما لا شك فيه أن تلك الفترة الهامة التي أعقبت انتهاء مجمع كليرمون وحتى تحرك الحملة الصليبية الأولى والتي أمضاها البابا أريان في غالة حيث ظل يرتحل من مكان إلى آخر تركت أثرها المباشر على الإعداد لتلك الحملة الصليبية الأولى. وأمتدنا مآنتها المصدرية بالكثير من المعلومات الهامة عن خطب البابا أريان وفسرت العديد من جوانب هذا المشروع الذي يعد مشروعاً بابوياً خالصاً وقع على كاهل أريان تنفيذه وتحمل تبعاته.

عبر البابا جبال الألب مرة أخرى عائداً إلى إيطاليا وفي لوكا Lucca توقفت الجيوش المشاركة في الحملة للحصول على مباركة البابا ومنهم من اتجه عبر الموانئ الواقعة على الأديريات، بينما سلكت الغالبية الطريق البري عبر بيزنطة. ويقول رانسيومان بأن منظر تلك الجيوش وهي في طريقها لإنقاذ الصريح المقدس يؤكد على أن خطة البابا المعدة بعناية تؤكد على أنها في

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ١٠ أجزاء، بيروت ١٩٨٧، ج ٩، ص ١٣. وأورد ذلك ضمن حوادث عام ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م). وهذه قضية بحاجة للمناقشة على اعتبار أنها إشارة هامة قبل إعلان أريان لفكرته في كليرمون بحوالي أربع سنوات قبل وصلت إليه وأثرها في نفسه ١٩

طريقها الصحيح^(١). وبعد رحلة من المعاناة استمرت حوالي ثلاث سنوات استطاعت تلك القوات الصليبية الإستيلاء على بيت المقدس بعد مذابح مروعة داخل تلك المدينة المقدسة وذلك في ١٥ يوليو ١٠٩٩ م. ولم يهدأ البابا بهذا الانتصار طويلاً فقد مات في ٢٩ يوليو ١٠٩٩ م لكي يخلف وراءه تركة مثقلة بالعناء استمرت ما يقرب من مائتي عام.

الخاتمة:

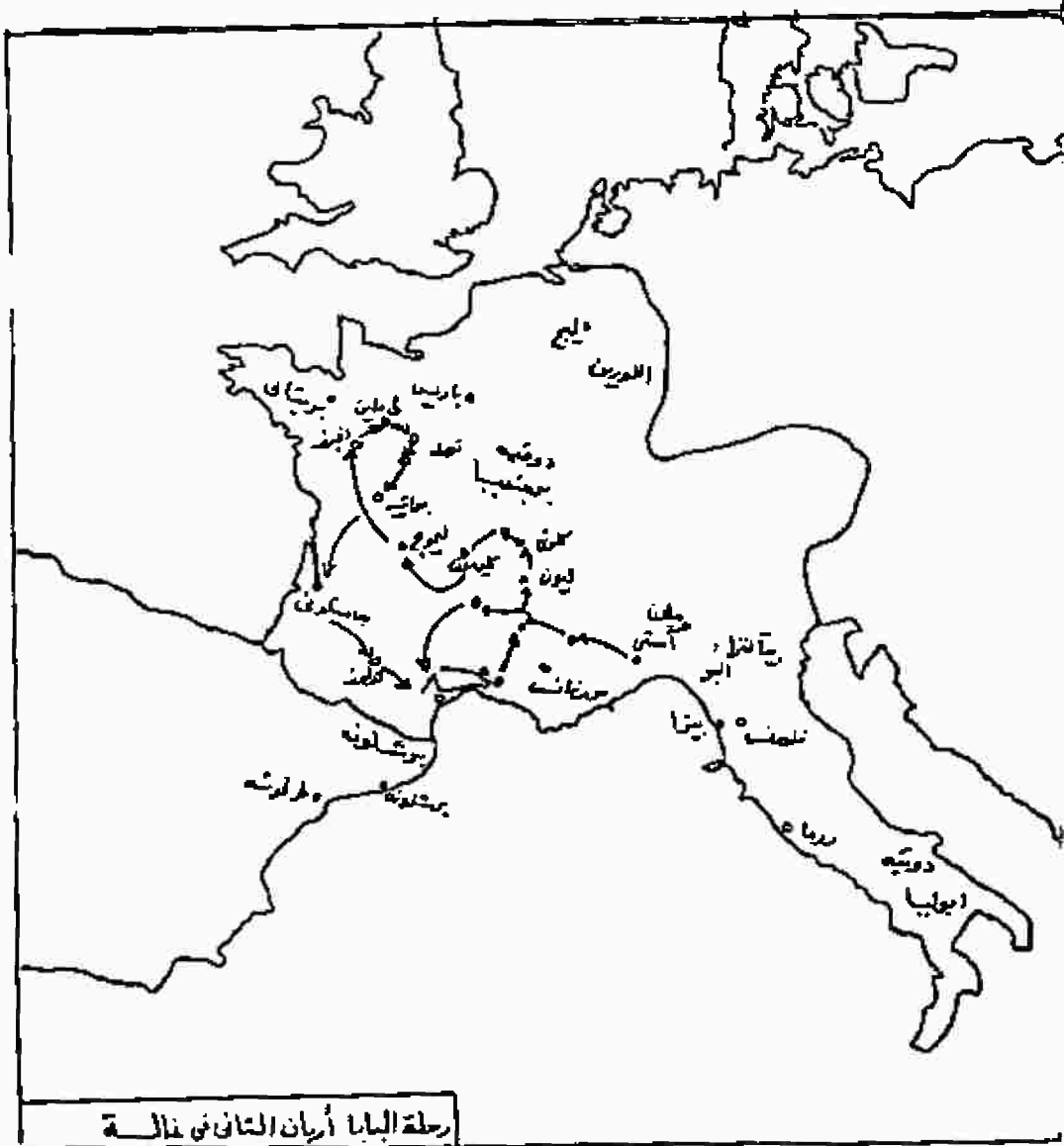
من خلال العرض السابق لخطب البابا أريان الثالث ودراسة مختلف نصوصها التي وردت لدى المصادر الخمسة الرئيسية، والمقارنة التي تمت بينها بوضع للباحث أهمية الاعتماد على نص خطبة المؤرخ فولشر الشارترى باعتباره أقرب من سجل نصوصها من ناحية، وكذلك لاكتمال أغلب أجزاء الخطب الثلاث لديه. وهذا ما أشار إليه المؤرخ مونزو منذ ١٩٠٦م، لم أخذ بهذا الرأي المؤرخ ريلي سميث. وكلاهما يعد من أبرز المتخصصين في دراسة الحروب الصليبية. ومن ناحية أخرى اختلف الباحث مع ما أورده مونزو من حيث نص كل خطبة لدى فولشر وأثبت أن الخطبة الأولى في الفصل الأول، والثانية في الفصل الثاني والثالثة في الفصل الثالث وذلك في الكراسة الأولى التي تركها فولشر ضمن كتابه.

كما تناول الباحث قضية هامة أخرى تتعلق بآراء المؤرخين الحديثين عن دوافع البابا أريان الثاني من خلال خطبه وهل كان يهدف إلى تحرير الكنيسة الشرقية أو كنيسة بيت المقدس. وفي ضوء دراسة الوثائق المنشورة، وتلك التي تم نشرها حديثاً، بالإضافة إلى مجموعة أخرى من الخطابات المعاصرة وكذلك المصادر التاريخية اللاتينية، بل أيضاً نص هام للمؤرخ ابن الأثير - وهو ما أشار إليه أيضاً الدكتور سعيد عاشور - استفاد الباحث من هذه الوثائق جميعاً في تبلي وجهه النظر الخاصة بأن هدف أريان الثاني كان هو تحرير بيت المقدس - على حد زعمه - أما ما يتعلق بتحرير الكنيسة الشرقية فقد كان ذلك ضمن خطابه في مجمع بيقشانزا في مارس ١٠٩٥م، ثم كرر ذلك في خطبته الافتتاحية في كليرمون في الثامن عشر من نوفمبر من نفس العام.

وأخيراً فقد اختتمت البحث بتناول تحركات البابا أريان في غالة حيث

استمرت رحلته ما يقرب من ثمانى أشهر نجح خلالها فى تنظيم أمر دعوته
للحملة الصليبية سواء ما يتعلق بالإمداد والتموين وقبادة الحملة وتمويلها
ومختلف الجوانب التى أسهمت فى نجاحها . واعتمد الباحث فى ذلك على
أحدث ما نشر من وثائق تتعلق بهذه الفترة الهامة والتى تفسر كثيراً مما ورد
فى خطب البابا أريان الثانى .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



الخلافاً بين الطليبيين وأثرها على الوجود الطليبي في الشرق فيما بين الحملتين الأولى والثانية

إعداد

دكتور محمد محمد عبد الحميد فرحات

أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد

كلية التربية بالعريش - جامعة قناة السويس

لم تكن الخلافات الصليبيين وليدة وجودهم فى الشرق بل نشأت
مواكبة للدعوة للحروب الصليبية، ولم تقتصر تلك الخلافات على فئة دون
الأخرى، بل امتدت لتشمل كل الفئات من أمراء، ونبلاء، وملوك، وحتى
العامة. كما لم تقتصر على العلمانيين وحدهم، بل طال رجال الدين أيضًا.
كما أنها لم تكن وقفًا على الرجال وحدهم بل شاركهم النساء كذلك. ولم
تكن تلك الخلافات مقصورة على الصليبيين بعضهم البعض، بل نشبت بين
الصليبيين وبين القوى المختلفة فى الغرب والشرق على حد سواء.

ولما كانت الخلافات الصليبيين كثيرة ومتشعبة يصعب معها حصرها
وتناولها بالدراسة والتحليل، لذا اقتصرنا هذه الدراسة على تناول الخلافات التى
حدثت بين كبار الأمراء الصليبيين بعضهم البعض أو بينهم وبين ملوك بيت
المقدس فى الفترة ما بين الحملتين الأولى والثانية لما لهذه الفترة من أهمية حيث
شهدت بدايات الاستيطان الصليبي للشرق وتبلورت خلالها أهدافهم. كما
ركزت الدراسة على إبراز الخلافات التى ترتبت عليها آثار كبيرة وغضت
الطرف عن غيرها من الخلافات.

فما أن بدأت الحروب الصليبية، ونجح الصليبيون فى عبور آسيا
الصغرى حتى انفصل كل من بلدوين أوف برايمون Baldwin of Bouillon
وتانكريد Tancred عن الجيش الرئيسى وتوجها إلى إقليم قليقية وقد تمكن
الأخير من دخول مدينة طرطوس وكان معه جماعة صغيرة تتألف من مائة فارس
ومائتين من المشاة ورفع أياته عليها بعد هروب الحامية التركية منها، إلا أن
بلدوين عندما وصل بعد ذلك إلى المدينة ومعهم خمسمائة فارس وألفين من المشاة
ساء ما حدث وأرغم تانكريد على التحلى عن المدينة والنهب إلى أدنة
وانفرد هو بطرطوس وعندما وصلت النجدة التى كان قد طلبها تانكريد من
الجيش الرئيسى وقوامها ثلاثمائة من النورماندين رفض بلدوين السماح لهم

بدخول المدينة -برغم قوسلاتهم- فمسكرروا خارجها وبينما هم كذلك باغتتهم الحامية التركية التي كانت تحرب المنطقة ليلاً فقتلهم عن آخرهم^(١) .

وقد تجدد الخلاف بين الأمويين مرة أخرى عندما تمكن تانكريد من دخول المصيصة في أكتوبر ٩٧-١٠١ م / ذى القعدة ٤٩٠ هـ وأثناء وجوده بالمدينة وصل بلطون وجيشه، فرفض تانكريد السماح لهم بدخول المدينة وأجبرهم على أن يضربوا معسكرهم خارجها ولكن الكثيرين من النورماندين، لم يهتموا أن يفلت بلطون دون عقاب على جريمته في طرطوس، فحرضوا تانكريد على الاشتراك معهم في هجوم مفاجئ على معسكره، ولكن سرعان ما ردعهم بلطون على أعقابهم مهزومين، ولما لم يجد الخلاف بين الجانبين نفعا انسحبا للصالح محالاً بينهما ولكن بعد أن أدرك المسيحيون الوطنيون أن مخلصهم الصليبيين ليسوا على استعداد للتعاون من أجل غير المسيحيين عامة حين تلوح فرصة للفوز بممتلكات خاصة، وأيقنوا أن تحرك الفرنج من منطلق مشاعر الإثارة ليس إلا تحركاً مصطنعاً، وتعلموا أن غير وسيلة للاستفادة من الفرنج هي الإيقاع بينهم^(٢) .

ولعل من أهم النتائج التي ترتبت على الخلاف بين تانكريد وبلطون أن قل عدد جنودهما، كما أضاع بلطون على تانكريد فرصة تأسيس إمارة في قليقية، وفي نفس الوقت فقد صرف بلطون النظر عن التمسك بإقامة إمارة له هناك إما بسبب قربها من الدول البيزنطية أو لحث الأرمن له بالإسراع شرقاً

Albert d'Aix, *Historia Hierosolymitana*, Ed.R.H.C.,H.Occ.,T. IV, Paris, 1879, p.p.342-43; Raoul de Caen, *Gesta Tancredi in Expedition Hierosolymitana*, Ed.R.H.C., H.Occ., T. III, Paris, 1866, p.p. 629-31.

^(١) زبد قصة الحملة على قليقية مفصلة عند :

Albert d'Aix, Op. Cit., T. IV, pp. 342 - 50; Raoul de Caen, Op. Cit., pp. 626-41, C.F. also, Mayer, *the Crusades*, Trans. From german by Gilleng ham, Oxford University press, 1972, p. 268.

وعن موقع مدن قليقية انظر الخريطة رقم (١) في آخر البحث.

إلى أعالي الفرات^(١).

وما كاد الصليبيون يستولون على أنطاكية حتى دب الخلاف بينهم؛ فعندما عقد القادة الفرنج اجتماعاً في كاتدرائية القديس بطرس بالمدينة في نوفمبر ١٠٩٨ م / ذي الحجة ٤٩١ هـ لتحديد خط سير الحملة وتقرير مصر أنطاكية ظهر الخلاف واضحاً بين برهيموند النورماندي Bohemond of Normandy وبرهيموند الصنجلي Raymond of Saint-Gilles حول أحقية كل منهما في ملكية المدينة، مما أثار السخط والتذمر بين الجنود وبقية الفرسان الفرنج، واتهموا قادتهم بخيانة القضية الصليبية، وهددوهم بالتخلي عنهم وتدمير أنطاكية وأسوارها^(٢).

وفي مراجعة هذا الموقف خشي القادة الأكثر اعتدالاً أن يلجأ برهيموند وبرهيموند إلى السلاح، فاقترحوا إجراء مناقشة يسودها الرد يشترك فيها الأمراء الرئيسيون فقط دون غيرهم. وبعد أن شهد الاجتماع المزيد من

^(١) Fulcher of Chartres, A History of the Exped. edition to Jerusalem, Tr. by Frances Ryan, Sisters of St. Joseph, edited with an introduction by Harold's Fink, Konrville, U.S.A., 1969, p. 89; Mathieu d'Edesse, Extrait, de la Chronique, Ed. R.H.C., Doc. Arm., T.I, Paris, 1869, p. 35.

انظر أيضاً: محمد الشيخ: عصر الحروب الصليبية في الشرق، القتيبي للطباعة والنشر، ١٩٩٧ م، ص ١٢٠ - ١٢١ سعيد حاشور: الحركة الصليبية، ٢ جزء القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٤ م، ج ١، ص ١٢٦ - ١٢٧.

^(٢) William of Tyre, A History of Dreads Done Beyoned the Sea, Tr. by Babcock and Krey, 2 vols, New York, 1943, Vol.I, p. 249; Fulchery of Chrtres, Op. Cit., p. 112.
انظر أيضاً:

برنارد هيل: تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، نقله إلى العربية وعلق عليه حسين محمد عطية، دار المعرفة العلمية، ١٩٩٠ م، ص ١٦٤ - ١٩٥.
انظر أيضاً:

يوشع براور: عالم الصليبيين، ترجمة وتعليق وتقديم: قاسم عبد قاسم وعبد خليفة حسن، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط ١، ١٩٩٩، ص ١٥.

المشاهد الغاضبة، أعلن ريموند أنه يوافق على القرارات التي يترصل إليها المجلس في نهاية الأمر بشأن أنطاكية شريطة أن يقسم بوهيموند على مصاحبة الحملة الصليبية إلى بيت المقدس، بينما أقسم بوهيموند أمام الأساقفة على عدم تأخير الحملة الصليبية أو الإضرار بها من أجل طمرحاته الشخصية^(١). وقد فشل المجلس في حسم مسألة أنطاكية، وظل كلا الأمرين يستأثر بجزء من المدينة، كما لم يحدد المجلس تاريخاً للانطلاق إلى بيت المقدس، ونتيجة لكل ذلك أضاع الصليبيون وقتاً ثميناً بقتالهم في أنطاكية مما أتاح الفرصة للفاطميين لحصار بيت المقدس والاستيلاء عليها من الأمانة في حرية تامة، كما أشاع روح التفرم والضعف بين الجند^(٢).

وإزاء ذلك رأى الصليبيون أنه من الحكمة شغل الجند بعمل مفيد يشد انتباههم وبلهيم عما يجري من خلاف بين قادتهم، وعليه قرروا مهاجمة مدينة معرة النعمان^(٣) والاستيلاء عليها لتأمين مسيرة الجيش عندما يتقدم جنوباً باتجاه

^(١) Historia Belli Sacri, (Tudebodius Continuatus), in R.H.C., H.O.C.C., T. III, p. 203.

انظر أيضاً :

ريموند أجيل : المصدر السابق، ص ١١٦٥ للدرج المجهول : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ترجمه وقدم له وعلق عليه د. حسن حبشي، دار الفكر العربي، ١٩٥٨م، ص ٦٨، وراجع أيضاً الرواية لبيزنطية من هذا الصراع في

Anna Comnena, The Alexiad, Trans. E.R.A. Sewter, Great Britain, 1969, p. 258.

^(٢) والجدير بالذكر أن الفاطميين لم يحاربوا في صراع بيت المقدس من إيلغازي وسقمان ولدى أرتوق لدى شعبان ٤٨٩هـ بعد حصار دام نيفا والربعين يوماً.

ولمزيد من التفاصيل انظر :

ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج ٩، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م، ج ٨، ص ١١٨٩ وابن القلائسي : قبل تاريخ دمشق، بيروت، ١٩٠٨م، ص ١٢٥.

^(٣) Puleher of Chartres, Op. Cit., p. 112; William of Tyre, Op. Cit., p. 310.

سميت بذلك نسب للنعمان بن بشير أحد صحابة رسول الله (ص)، الذي مات ودفن هناك جنوب أسوار المدينة، وراجع :-

بيت المقدس، ولكن سرعان ما تمجد الخلاف بين الأمويين مرة أخرى. فعلى الرغم من أن جنود ريموند هم الذين استولوا على المدينة؛ إلا أن بوهموند استأثر بالجزء الأكبر من الغنائم، مما أثار حفيظة ريموند ودفعه إلى مطالبة بوهموند بالتخلي عن المدينة، وقد رفض الأخير طلبه إلا إذا تخلى ريموند له عن المنطقة التي يحتلها في أنطاكية^(١).

ضجر الصليبيون من تمجد الخلاف بين الأمويين والحرا على ريموند بضرورة استكمال المسيرة إلى بيت المقدس فاضطر إلى الإعلان عن قرب استئناف الحملة آملاً أن يكون هو القائد الأرواح لها، وبسبب تلكه قام الصليبيون بإحراق وتدمير أسوار معرة النعمان حتى لا يبقى لريموند عثر في البقاء بالمدينة، في حين عاد بوهموند إلى أنطاكية ولمكن من طرد الحامية التي تركها ريموند بالمدينة واستأثر بحكمها ١٠٩٨ - ١١٠٤ م / ٤٩١ - ٤٩٨ هـ^(٢). كان للخلاف السابق آثاره السلبية على الصليبيين، فضلاً عن أنه أوغر صدور معظم القادة الصليبيين وبت الحقد والكراهية بينهم فإنه أدى إل تدمير مدينة معرة النعمان رغم ما بذلوه من جهد كبير في الاستيلاء عليها. والحقيقة

- يقررت الحروب : معجم البلدان ٥ جزء بيروت ١٩٧٩ م، ج ٤، ص ٥٧٤.

^(١) المزيد من التفاصيل من استيلاء الصليبيين على معرة النعمان وما جرى بها من أحداث راجع :

Fulcher of Chartres, Op. Cit., pp 112 - 113; Albert d'Aix, Op. Cit., p. 268; William of Tyre, Op. Cit., p. 310 - 13.

انظر أيضاً :

ريموند أجيل : المصدر السابق، ص ١٦٥ - ١١٦٩ ابن القلاسي : المصدر السابق، ص ١٢٦ -

١٢٧، ابن الأثير : المصدر السابق، ج ١، ص ١١٨٧ ابن العديم : زبدة الحلب في تلويح حلب،

٣ ج تحقيق الدكتور علي النعمان، دمشق ١٩٦٨ م، ج ٢، ص ١٤١ - ١٤٢.

Fulcher of Chartres, Op. Cit., p. 113; Albert d'Aix, Op. Cit., p. 268; William^(٢) of Tyre, Op. Cit., p. 313.

انظر أيضاً :

ابن القلاسي : المصدر السابق، ص ١٢٧، ابن العديم : المصدر السابق، ص ١٢٢.

C.F. also, Michand, History of Crusades, trans, From French by Robson, 3 vols London, 1957, Vol.1, p. 186.

أن إذهاب ريموند لمطلب جند لم يكن ممراً من الممرى فهو لم يتحرك إلى بيت المقدس إلا عندما تيقن من أنه سيكون القائد الأرواح للحملة. وبذا يتضح لنا أن هدفه لم يكن أبداً الصالح العام بقدر ما كان تحقيقاً لمآربه الشخصية، أما ريموند فقد قنع بأنطاكية وأبعد إلى الأراض وفضل البقاء بها على اللحاق بجنود الحملة الأمر الذى حرم الصليبيين من عون جنوده الذين بقوا معه مما أدى إلى تناقص أعداد الصليبيين وتعرضهم إلى مراقف لا يحسدون عليها أثناء رحلتهم إلى بيت المقدس.

تفجر الخلاف مرة أخرى بين الصليبيين عقب استيلائهم على بيت المقدس يوليو ١٠٩٩م / شعبان ٤٩٢هـ حيث نشب هذه المرة بين جودفري أوف برايون Godfrey of Bouillon وريموند كورنت تولوز الذى اعتقد أن الأول قد خلى عنه وسلم منه حكم بيت المقدس^(١)، لذلك رفض ريموند تسليمه برج دارد الذى تسلمه من الحامية الفاطمية، متعللاً بأنه يرى البقاء فى بيت المقدس للاحتفال بعيد الفصح التالى وسبكون البرج محل إقامته، وتمت ضغط من بقية القادة الصليبيين واتفق ريموند على أن يركه فى رعاية أسقف البشارة إلى أن يعقد مجلس عام للحملة الصليبية لحسم الأمر. على أنه ما أن انتقل ريموند من البرج حتى سلمه الأسقف إلى جودفري دون انتظار لقرار تمكيمي متروكاً بعدم توفر أسباب الدفاع عن البرج لديه، وإن قيل أن جنود ريموند هم الذين دفعوا الأسقف إلى ذلك حتى يجهزوا قائدهم على الإسراع والعودة إلى الغرب لذلك ثارت ثورة ريموند وغادر بيت المقدس، ونصب معسكره خارج المدينة

^(١) لمزيد من التفاصيل عن الخلاف بين جودفري وريموند حول حكم بيت المقدس

انظر :

William of Tyre; Op. Cit., p. 382.

انظر أيضاً : ريموند أنجيل : المصدر السابق، ص ٢٥٧ - ٢٥٨.

انظر أيضاً : محمد عبد الشيخ : المرجع السابق، ص ١٧٧.

بعد عودته من رحلة قصيرة إلى نهر الأردن^(١١).

لم يقف الخلاف بين الرجلين عند هذا الحد، بل بلغ مداه عند عسقلان فبعد أن نجح الصليبيون في هزيمة الوزير الفاطمي الأفضل شاهنشاه أغسطس ١٠٩٩ م / رمضان ٤٩٢ هـ وفراره من المعركة تاركاً في ساحتها أعداداً هائلة من جنوده قتلى وأسرى^(١٢). أرواد جردقري أن يستولى على المدينة خاصة أن الحامية الإسلامية الموجهة بها كانت تدرك جيداً عدم قدرتها على الصمود أمام هجمات الصليبيين، كما أن المذبة التي اقترنها الصليبيون في بيت المقدس لم تذهب سدى فلا يزال صداماً عالقاً في أذهانهم، ولما كان أهل عسقلان لا يرغبون في أن يلقوا نفس مصير إخوانهم في بيت المقدس فقد سعوا إلى مراسلة الكونت ريموند للتفاوض معه في شروط تسليم المدينة، حيث أنه الوحيد من بين القادة الصليبيين الذي حافظ على وعده للمسلمين وسمح للأمر انتخاب الدولة وحاميته بالخروج من بيت المقدس آمين^(١٣)، فأرسلوا إلى المعسكر

^(١١) مزيد من التفاصيل عن تلك الأحداث، راجع :

Fulcher of Chartres, Op. Cit., p. 124; William of Tyre, Op. Cit., pp. 367 - 8; C.F. also, Duggan, The Story of The Crusades, London, 1963, p. 78; Mayer, Op. Cit., p. 61.

والجدير بالذكر أن ريموند ضرب معسكره عند أريحا ولم يشأ أن يدخل بيت المقدس.

عن تلك انظر : ريموند أجيل : المصدر السابق، ص ٢٥٨.

^(١٢) مزيد من التفاصيل عن معركة عسقلان، راجع :

Fulcher of Chartres, Op. Cit., pp. 125 - 27; Albert d'Aix, Op. Cit., pp. 493 - 7; Caffaro Cashifelone, De Liberation Civitatum Orientis Liber, Ed.R.H.C., H.OCC., T.V, Paris, p. 57.

انظر أيضاً : ريموند أجيل : المصدر السابق، ص ٢٦٠ - ٢٦٢ ابن القلاسي : المصدر السابق، ص

١١٢٧ ابن الأثير : المصدر السابق، ص ١٩٠.

وعن تنظيم الجيش الصليبي في معركة عسقلان راجع : الخريطة رقم (٢) آخر البحث.

^(١٣) مزيد من التفاصيل عن الاتفاق بين الأمر انتخاب الدولة الفاطمي وريموند، انظر :

Fulcher of Chartres, Op. Cit., p. 124; Albert d'Aix, Op. Cit., p. 483.

انظر أيضاً : ابن الأثير : المصدر السابق، ج ٨، ص ١١٨٩ ابن جبير : أخبار مصر، ج ٢، ص ٦٢

هنري طاسب، ثقافة ١٩٦٩ م، ج ٨، ص ١٣٩ أعمال القرطبة، ص ١١٨ - ١٢٠.

الصليبي أنهم على استعداد لتسليم المدينة له في مقابل وعد بالآمان، إلا أن جود فرى رفض الاعتراف بأية شروط لا تقضى إلى تسليمه المدينة نظراً لارتياحه الشديد في ريموند منذ حادثة برج داود فتميز ريموند من الغيظ وذهب مغاضباً وترك حصار عسقلان وحذا حذوه كل من روبرت النورماندى Robert of Normandy وروبرت أوف فلاندرز Robert of Flanders بعد أن أصيبا بخيبة أمل من تقاعس جودفرى، وعندما وجد الأخير نفسه وحيداً أمام عسقلان ولما كانت قواته لا تقوى بمفردها على حصار المدينة فقد تركها وعاد أوراچه ثانية إلى بيت المقدس^(١).

أضاع الصليبيون نتيجة خلافاتهم - فرصة ذهبية للاستيلاء على عسقلان التي كانت لقمة سائغة سهلة المنال، ولكنها صارت شوكة في حلقهم قرابة نصف قرن من الزمان، فقد أدى تشكك وارتياح جودفرى في نوايا ريموند وعرقه من إقامة إمارة له في عسقلان على ساحل البحر قبالة مدينة بيت المقدس للأمر الذى يحرم المملكة من منفذ بحرى - إلى أن يقف حجر عثرة أمام ريموند وطموحاته، خاصة وقد رأى ميل أهلها له وبذا غلب أهواؤه الشخصية ضارباً عرض الحائط بالصالح العام، ولم يكن ريموند أحسن حالاً منه إذ أنه لم يكف بالانسحاب بقواته من أمام عسقلان بل راح يحرض أهل المدينة المسلمين على ضرورة الصمود والتصدي لقوات جودفرى وبذلك فوت على الصليبيين الفرصة للاستيلاء على عسقلان، خاصة أن أهل المدينة عندما رأوا ما عليه الصليبيون من فرقة استسلموا في الدفاع عن مدينتهم والتصدي للصليبيين. وهكذا ضاعت مدينة عسقلان من بين أيديهم بعد أن كانت قاب قوسين أو أدنى من السقوط، وبذا ارتكب الصليبيون خطأ كبيراً

^(١) Fulcher of Chartres, Op. Cit., p. 126.

(نظر أيضاً ابن القلاسى : المعبر السابق، ص ١١٣٧ ابن الأثير : المصدر السابق، جده، ص ١٩٠.

فى تقريبتهم فى المدينة، إذ أصبحت القاعدة الرئيسية للقوات الفاطمية البرية والبحرية التى تخرج منها الحملات لحرب الصليبين، كما كانت القاعدة الأمامية التى تمذ الموانئ الفاطمية الشامية. بما نحتاج إليه من مؤن وإمدادات عسكرية عند تعرضها للحصار الصليبي، هذا فضلاً عن أهمية موقعها بالنسبة لبيت المقدس.

وقد تجدد الخلاف بين الرجلين مرة أخرى عند أرسوف التى عرج عليها ريموند بعد انصرافه من عسقلان، وقد عرضت المدينة عليه التسليم فى مقابل وعد بالأمان، ولكن سرعان ما لحق به جودفرى ورفض للمرة الثانية أن تسلم المدينة لريموند على اعتبار أن أرسوف تعتبر تابعة لمملكة بيت المقدس، لذلك غضب ريموند من مسلح جودفرى وترك حصار المدينة بعد أن أوعز إلى أهلها بعدم الاستسلام والتصدى لقوات جودفرى الضعيفة^(١).

وهكذا ضاعت أرسوف كما ضاعت عسقلان من قبل نتيجة الخلاف بين الصليبين وبدلاً من أن يستغل الصليبيون نتيجة انتصارهم الكبير على الفاطميين عند عسقلان ويعملوا جاهدين على توسيع رقعة مملكتهم الوليدة مستغلين حالة الرعب والهلج التى انتابت المسلمين، نجدهم يتركون كل ذلك ويعملون على تحقيق أهدافهم الشخصية دون النظر إلى الصالح العام، فتفجرت الخلافات فيما بينهم وانعكست آثارها الوخيمة على وجودهم فى الشرق، ومن مظاهرها رحيل أعناد كبيرة من الصليبين من القادة والجنود إلى الغرب تاركين المملكة الناشئة عرضة لخطر المسلمين المتربصين بها^(٢).

^(١) لمزيد من التفاصيل عن حصار الصليبين لأرسوف والخلاف بين جودفرى وريموند، انظر :

Fulcher of Chartres, Op. Cit., p. 152; Albert d'Aix, Op. Cit., pp. 497 - 98; Caffaro, Op. Cit., p. 57

وعن موقع المدينة راجع الخريطة رقم (١).

^(٢) من أبرز القادة الصليبين الذين رحلوا عن الشرق ريموند كوت نولر وروبرت أوف فلاندرز، ولويس

من التفاصيل عن رحيل الصليبين عن الشرق انظر -

لعبت المطامع الشخصية دوراً كبيراً في تفجر الخلافات بين الصليبيين
فعندما أسر بوهيموند أمير أنطاكية على أيدي الأتراك الدانشمند بالقرب من
ملطية أغسطس ١١٠٠م / شوال ٤٩٣هـ^(١) أرسل إلى بلدوين أمير الرها رسالة
يتوسل إليه فيها بالإسراع إلى تخليصه من الأسر قبل أن ينقله أعداؤه إلى أعماق
الأناضول ولكي يدلل على شدة ما يعانيه أرسل إلى بلدوين خصلة من شعره
الأصفر ليكون مدعاة للخروج ونجدة، إلا أن بلدوين تباطأ بالخروج بحجة
تأمين حدود إماراته ضد غارات المسلمين المجاورين له. وعندما استعد للخروج
لإنقاذ بوهيموند اصطحب معه فرقة عسكرية صغيرة العدد قوامها مائة وأربعين
فارساً فقط.

ومهما يكن من أمر فإن بلدوين لم يكن جاداً في نجدة بوهيموند
وتخليصه من الأسر وإن تظاهر بعكس ذلك - والدليل على ذلك تناقله عن
الخروج على الفور هذا من جهة، كما أن العدد القليل الذي أخذه معه من
الفرسان لتلك المهمة كان من القلة بحيث لا يمكنه من مواجهة الدانشمند أو
مطاردتهم عبر منطقة جبلية وعرة من جهة ثانية، وربما وجد بلدوين في أسر
بوهيموند فرصة سانحة للتخلص من غريم له تقع حدود إمارته ملاصقة لحدوده
من جهة ثالثة، كما أنه عمل على فرض نفوذه على تلك المنطقة التي يحكمها
الارمن؛ فقد أعلنت مدينة ملطية بالفعل ولاعها له ودخلت في طاعته بعد أن

= Caffaro, Op. Cit., p. 57; Albert d'Aix, Op. Cit., pp. 494 - 99; Fulcher of Charters, Op. Cit., p. 128; William of Tyre, Op. Cit., p. 397.

^(١) والجدو بالآكر أن الأمير هاري ابن كمشكون تمكن من نصب كمين لبوهيموند بالقرب من ملطية
ولجأ في الإلتجاء به وأسره مع أحمد من فرسانه ثم زج به في غياهب سجن قلعة نكسلو بإقليم
بنطس، ولجأ من التناقل من تلك الأحداث رابع :

Fulcher of Charters, Op. Cit., p. 135; William of Tyre, Op. Cit., p. 421;
Albert d'Aix, Op. Cit., pp. 524 - 26; Raoul de Caen, Op. Cit., pp. 704 - 5,

انظر أيضاً :

كانت من قبل موالية لبوهيموند النورماندى^(١).

هذا فيما يختص بأمر الرها، أما فيما يتعلق بالملك بلدوين الأول ١١٠٠ - ١١١٨ م / ٤٩٣ - ٥١١ هـ والأمير تانكريد فلم يأسفا كثيراً على أمر بوهيموند بل كانا حريصين على بقائه أطول مدة في الأسر^(٢). وذلك حتى ينعم تانكريد بأنطاكية التي تورى حكمها بعد انتقاله إليها من الجليل، ففى حين تخلص الملك بلدوين من محاصرة تانكريد والذي كان يسبب له إزعاجاً كبيراً، وبذلك التقت مصالح للصليبيين الشخصية لتكون حجر عثر أمام محاولة إطلاق سراح الأمير بوهيموند النورماندى.

ومرة ثلث الأخرى تلعب المطامع الشخصية دوراً كبيراً فى تقعر الخلافات بين الصليبين فعندما التقت وجهة نظر صليبي الرها وأنطاكية على ضرورة فصل المدن الإسلامية فى الشام عن بقية المدن الإسلامية فى العراق والأناضول. اتفقوا على مهلة مدية حران ذات الموقع الاستراتيجى والاستيلاء عليها لتحقيق هدفهم المنشود من جهة، وتأمين حدود إمارتى الرها وأنطاكية ضد هجمات مسلمى العراق والموصل من جهة أخرى، لذلك توحدت قوات بلدوين لوف بورج Baldwin of Bourg أمير الرها مع قوات بوهيموند أمير أنطاكية وسارت سوياً صوب حران^(٣) يدفعها فى ذلك ما أصبح

^(١) Fulcher of Chartres, Op. Cit., p. 135; William of Tyre, Op. Cit., p. 421.

النظر أيضاً :

سعيد عاشور : للرجع السابق، ص ٢٩٥ - ٢٩٦.

^(٢) Albert d'Aix, Op. Cit., pp. 537 - 38; Fulcher of Chartres, Op. Cit., p. 151.

والمدبر بالذكر أن بوهيموند ظل فى الأسر حتى ١١٠٢ م، حيث أطلق سراحه فى مقابل ألف بيزانت، ولزبد من التفاصيل انظر :

Raoul de Caen, Op. Cit., p. 710; Albert d'Aix, Op. Cit., pp. 610 - 12.

^(٣) تشكلت القوات العالية من بلدوين لوف بورج أمير الرها وهرسلين لوف كورنشاى أمير معازل القرات وبوهيموند أمير أنطاكية وابن أخته تانكريد هنا فضلاً عن أعداد كبيرة من الأرمن بالإضافة إلى ثلاثة من كبار رجال الدين هم: بندكت رئيس أساقفة الرها اللاتينى وديكوت رئيس أساقفة يست-

عليه المسلمون في العراق بصفة عامة وحران بصفة خاصة من ندهور وتشرذم^(١)، وما أن ضرب الصليبيون الحصار على المدينة حتى أسقط في يد أهلها ورأوا أنهم لا قبل لهم بدفع القوات الصليبية والتصدي لها، لذلك أرسلوا وفدًا إلى الصليبيين يقبلهم لمقتايح المدينة ويتفاوض معهم^(٢) في شروط الصلح الذي يضمن لهم تأمين حياتهم وأموالهم مقابل تسليم المدينة ولكن سرعان ما نشب الخلاف بين بلنوين أوف بروج وبرهيموند النورماندي حول أبيهما يرفع رايته أولاً على المدينة وبينما هما مستغرقان في خلافهما إذا بقوات سقمان بن ارتق وحكمش التي توحدت معًا تباغتتهما عند حران ونقطع عليهما آمالهما في الاستيلاء على المدينة^(٣)، وتلور بين الفريقين وحى حرب ضارية دارت

سلفس السابق الذي كان متجهًا بأنطاكية وبرنولد أوف فانس بطريرك أنطاكية فلاتيني. راجع : William of Tyre, Op. Cit., p. 456; Albert d'Aix, Op. Cit., p. 614; C.F. also, Stevenson, the Crusaders in the East, Cambridge, 1907, p. 77.

وهن مواقع حران وراجع الخريطة رقم (١).

^(١) والمؤرخ يذكّر أن رمى الحرب الأهلية طردت بين السلطان عماد وأبيه السلطان لسلجوق بركياء روى التي تمتعت منذ ١٠٩٨ - ١١٠٤م / ٤٩٢ - ٤٩٧هـ.

ولمزيد من التفاصيل عن تلك الأحداث. راجع :

ابن الأثير : المصدر السابق، ج١، ص ١٩٣.

في حين غرقت حران أيضًا في حرب أهلية إذ كانت للمدينة لأحد عماليك السلطان ملكشاه ويدهى قراخا، الذي اتاب عنه بها عماد الأصفهاني الذي قام بحملة الأهالي للتخلص من قراخا الذي أساء السمعة مع أهالي المدينة وبعد أن تخلى عنه انقلب على أكتافهم بحران فخلص منهم جميعًا باستثناء غلام له يدهى حاول الذي تأمر عليه وقتله وهو سكرانه ولمزيد من التفاصيل انظر :

ابن الأثير : المصدر السابق، ج١، ص ٢٢١.

Mathieu d'Edesse, Op. Cit., p. 71; William of Tyre, Op. Cit., p. 457; Michel ^(١) -le Syrien; La Chronique de Michel Le Syrien, 3 vols, Tr ed by J.B. Chabot Paris, 1905, p. 195.

Mathieu d'Edesse, Op. Cit., p. 72; William of Tyre, Op. Cit., p. 458. ^(٢)

عندما علم كل من معي للدولة سقمان بن أرتق القطبي أمير ساودين وحسن كيفا وخمس فلوله حكم من لهم الموصل فصار الفرع لحران تناسبا خلافتهما ووحدا قواتهما للتصدي للفرنج وسارت قواتهما لحصار مدينة الرها ولمزيد من التفاصيل راجع : سبط بن الجوزي : مرآة الزمان، ج١، ص ١٠١.

دائرتها على قوات الرها الصليبية بينما ولت القوات الأنطاكية الأدبار منهزمة صوب الرها لتحتفى بها من جهة، ولتنظم شئون الدفاع عنها ضد الهجوم الإسلامى المرتقب من جهة أخرى^(١).

وكان من نتيجة تلك المعركة أن سقط عدد كبير من الصليبيين بين قليل وأسير^(٢)، وكان على رأس الأسرى الكونت بلدوين أوف بورج أمير الرها وتابعة جوسلين أوف كورتناى Joscelyn of Courtenay اللذين احتفظا بهما الأمير حكروش^(٣) والذي قام بالترجعه صوب الرها فى محاولة منه لاستعادتهما من أيدي الصليبيين منهزماً تلك النكبة التى ألت بهم والثى راح ضحيتها خيرة قوات الإمارة وقد ألفت القوات الإسلامية الحصار على المدينة وشددت من محرمها لتجبر أهلها على الاستسلام^(٤).

- مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، جيلو آباد الدكن، سنة ١٣٧٠هـ/١٩٥١م، ص ٢٩. أبو الحسن: الهجوم الزعزعة، ٩، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٤٨ - ١٣٩١هـ، ج ٥، ص ١١٨٨، ابن الأثير: التاريخ الباهر فى الدولة الاتاكية بالموصل، تحقيق عبد القادر طهيماء، القاهرة، ١٩٦٢م، ص ١٦.

Matthieu d'Edesse, Op.Cit., p. 72; William of Tyre, Op. Cit., p. 458; Raoul de Caen, Op. Cit., p. 717; Albert d'Aix, Op. Cit., p. 612; Michel le Syrien, Op. Cit., p. 195.

انظر أيضاً :

ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٢١، سبط بن الجوزى: المصدر السابق، ج ٨، ك ١، ص ٩، أبو الحسن: المصدر السابق، ج ٥، ص ١١٨٨.

Matthieu d'Edesse, Op. Cit., p. 72; Albert d'Aix, Op. Cit., p. 615; William of Tyre, Op. Cit., p. 459.

انظر أيضاً :

ابن القلاسى: المصدر السابق، ص ١١٤٢، ابن الأثير: المصدر السابق، ص ٢٢١، ابن العديم: المصدر السابق، ص ١٤٨.

^(١) فثبت أن قوات ستمان بن ارتق هى التى أسرت فرجيلين، إلا أن اتباع حكروش هجموا على عمدة ستمان وأخذوا الأسيرين. وكادت الحرب تنشب بين الأميرين المسلمين إلا أن ستمان تخلى بسط وأخر من ضبط نفسه وأمر قواته بعدم مهاجمة قوات حكروش، وللمزيد من التفصيل انظر: ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٢٢.

Albert d'Aix, Op. Cit., p. 616.

وأثناء فترة حصار المدينة التي استغرقت قرابة أسبوعين أرسل الأمير تانكريد -الذي تولّى مسؤولية الدفاع عن الرها- إلى خاله بوهيموند في أنطاكية يطلب منه العون والنجدة ضد القوات الإسلامية المحاصرة^(١)، ولما أبطلت عليه النجدة ولم يكن بوسعه دفع القوات الإسلامية عن الرها لم يجد أمامه سوى القيام بهجوم يالّس ضد القوات الإسلامية وقيل انبلاج الفجر وفي ظلمة الليل خرجت القوات الصليبية من الرها لتباغت القوات الإسلامية التي لم تتوقع مثل هذا الهجوم فنشرت فيها الرعب والفرع، وأجبرتها على الفرار دون نظام، وتصادف وصول النجدة الأنطاكية فاشتريت مع صليبي الرها في الهجوم ونجحوا في قتل عدد كبير من المسلمين وأسر عدد آخر^(٢). وكان من بين الأسرى أميرة رفيعة القدر كانت في معية الأمير حكيمش، وقد عرض الأخير على الصليبيين اقتداعها بخمسة عشرة ألف بيزانت أو مبادلتها بالكرونت بلدوين نفسه، وقد حث ملك بيت المقدس الأسيرين بوهيموند وتانكريد -عندما وصلته تلك الأنباء- على ضرورة اغتنام تلك الفرصة والعمل على إطلاق سراح الكرونت بلدوين إلا أنهما أحابا بأن التلّيف على قبول العرض يخلو من الدبلوماسية، وربما يؤدي الزدّد إلى أن يرفع حكيمش من قيمة الفدية وفي الوقت ذاته كانا يعدان التزيمات لاستلام الفدية وبقي بلدوين أسيراً^(٣).

ومهما يكن من أمر وعلى الرغم من أن الصليبيين قد ثاروا لمزيمتهم

^(١) استمر أهل الرها تانكريد حاكمًا عليهم شريطة أن يتخلّى عن الإمارة بمجرد إطلاق سراح الكرونت بلدوين، في حين عاد بوهيموند إلى إمارته.

لزيد من التفصيل انظر :

William of Tyre, Op. Cit., p. 459, cf. also, Grousset, Histoire des Croisades et du Royaume Franc de Jerusalem, 3 Vols., Paris, 1948, V.1, p. 407.

^(٢) ابن الأثير : المصدر السابق، ج ١، ص ٢٢٢.

انظر أيضًا :

Albert d'Aix, Op. Cit., pp. 616 - 17.

Albert d'Aix, Ibid, p. 618.

عند حران إلا أن خلافهم كان أعمق أثرًا من مجرد انتصارهم عند الرها، إذ ضاعت مدينة حران التي كانت لقمة سائغة بين أيديهم لا لقوة المدينة وبسالة أهلها، ولا لضعف الصليبيين وقلة عددهم بل لخلافهم وأنانيتهم وإن كان بلدوين أوف بروج وبوهيموند قد اتقيا على وحدة الهدف، إلا أن ما انطوى عليه صدرهما كان أكبر من مجرد وحدة ظاهرية وهكذا ضاعت حران من بين أيديهم بما تمثله من أهمية استراتيجية لهم وبقيت شوكة في حلقهم وقاعدة أممية للمسلمين ينطلقون منها لشن هجماتهم على الإمارات الصليبية الشمالية. ولما كان بوهيموند قد اختلف مع بلدوين أوف بروج عند حران حول أيهما يرفع رايته أولاً على المدينة، فإنه من الطبيعي ألا يسمى الأول إلى إطلاق سراح الأخير بعد أسره وإن حثه ملك بيت المقدس على القيام بذلك، إذ كان من مصلحة الأمير بوهيموند أن يبقى الكونت بلدوين أسيرًا وأن يحصل هو على الفدية القيمة لمد حاجته المالية، هذا من جهة، كما كان بقاء الكونت بلدوين أسيرًا يضمن بقاء تانكريد بعيدًا عنه حاكمًا للرها من جهة ثانية، ومجاورة تانكريد لأمانة أنطاكية أحب إليه من مجاورة الكونت بلدوين له من جهة ثالثة، وبذا يكون بوهيموند قد أذاق بلدوين من نفس الكأس الذي شرب منه من قبل، كما كان من مصلحة تانكريد أيضًا أن يظل الكونت بلدوين في الأسر ليحفظ هو بحكم الرها من جهة، وحتى لا يعود إلى أنطاكية ليصبح مرة ثانية بين يدي خاله من جهة أخرى، وغير دليل يثبت صدق ما ذهبنا إليه ما أشارت إليه المصادر العربية من أن القوات الأنطاكية لم تشرك بدور فعال في الحرب عند حران وكأنها تعمدت التفرير بقوات الرها وقائدها^(١).

هذا ولم تتوقف النتائج المترتبة على اختلاف الصليبيين وهزيمتهم عند

^(١) ابن الأثير : المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٢١ - ٢٢٢.

حاران على ما سبقت الإشارة إليه فحسب، بل نجح المسلمون بتشجيعون - كما أحرزوه من نصر - على مهاجمة الممتلكات الصليبية في أنطاكية، فقام رضوان أمير حلب بمهاجمة حدود الإمارة واستعادة عدد من الحصون التابعة لها، واتهمز الأرمن المقيمين شمال الإمارة الفرصة كذلك للتآمر ضد الصليبيين والعمل على الإطاحة بحكمهم^(١)، كما لم يدع الإمبراطور البيزنطي الكسيوس الأول (١٠٨١-١١١٨ م / ٤٧٤-٥١٢ هـ) Alexius I Comnenus تلك الفرصة ثقلت من بين يديه فدون أن يستفيد منها فتجده ينجح في استعادة مدن قليقية: أدنة وطرسوس والمصيصة، كما استطاع الأسطول البيزنطي الاستيلاء على مرفأ اللاذقية وأجزاء من المدينة، وإزاء تلك الخطوب التي كانت تهدق بالإمارة من كل مكان قرر بوهيموند الرحيل إلى الغرب لطلب العون والمساعدة وتولى تانكريد الرصاية على الإمارة (١١٠٤-١١١٢ م / ٤٩٨-٥٠٥ هـ) لحين عودته بعد أن أناب عنه في الرها ابن عمه وصهره ريتشارد كونت ساليرنو Richard of Salerno^(٢).

ولعله لا يجانبنا الصواب إذا قلنا أنه لو لم يكن ذلك الخلاف الذي دب بين بلدوين لوف بورج أمير الرها وبوهيموند أمير أنطاكية عند حران ما وقعت معركة حران من الأصل، أو إن قلر لها أن تقع لكسأت نتائجها بالتأكيد غير تلك النتائج السابقة إذ كان بوسع الصليبيين أن يتحصنوا ببحران بعد دخولها

^(١) تمكن المسلمون من استعادة عدد من الحصون منها: أرتاج، معرة سرين، معرة سربين. مما عزل الحاميات الفرنجية الصغيرة المرحدة في معرة النعمان وقلعة وكفر طاب فانسحبت إلى أنطاكية كما حاول الأرمن في شمال أنطاكية التمرد على الحكم الفرنجي وتحالف مع المسلمين إلا أن بوهيموند نجح في القضاء على هذا التمرد في مهده وذلك بإلقاء القبض على زعماء الأرمن وسجنهم. ولزهد من التفاصيل عن تلك الأحداث، راجع :

Raoul de Caen, Op. Cit., p. 712.

وانظر أيضاً : ابن العديم : المعاد السابق، ج ١، ص ٢٦٦.

^(٢) William of Tyre, Op. Cit., p. 460; Mathieu d'Edesse, Op. Cit., p. 73; Michel le Syrien, Op. Cit., p. 195; Albert d'Aix, Op. Cit., p. 616.

ولكان لديهم الوقت الكافى لترتيب صفوفهم استعداداً للقاء مرتقب بدلاً من أن يفاجئهم المسلمون ويجهروهم على غرض معركة قد أعدوا لها سلفاً، وما تعرضت إمارتا الرها وأنطاكية لتلك المخاطر التى واجهتهما وعرضتهما لخطر حسيمة، وما سقط ذلك العدد الكبير من القتلى والأسرى فى صفوف الصليبيين، الأمر الذى جعل المؤرخ منى الرهاوى يذكر أن «جثث الأرمن ودماهم غطت سطح الأرض فى حين استلأت أهدى التركمان بالقنائم»^(١). أما المؤرخ اللاتينى وليام الصورى فذكر «لم نقرأ خلال حكم اللاتين فى المشرق قبل أو بعد ذلك الحدث عن معركة قاذحة الخسارة كهذه التى ترتب عليها مذبحة مروعة للشجعان وهروب مشين لأبناء جنسنا»^(٢).

ولاشك فى أن اتحاد شقمان بن أرتق وحكرمش وما أحرزاه من نصر على الفرنج لم يقض على أسطورة الجيش الصليبي الذى لا يفهر والتى استحوذت على قلوب المسلمين منذ بعث الصليبيين إلى الشرق فحسب، بل كان باكورة للوحدة الإسلامية فى المشرق ضد الخطر الصليبي.

ومهما يكن من أمر فقد ظل بلدوين قرابة أربع سنوات فى غياهب السجن إلى أن أطلق الأمير جاولى سراحه عام ١١٠٨ م / ٥٠٢ هـ مقابل مبلغ كبير من المال^(٣)، وعلى الفور توجه بلدوين صوب أنطاكية حيث يقيم

^(١) Matthieu d'Edesse, Op. Cit., p. 72.

^(٢) William of Tyre, Op. Cit., p. 459.

^(٣) من انبات أن الأمير حوسلين أوف كورنشاى أطلق سراحه أولاً فى مقابل مبلغ عشرين ألف دينار، فى حين أطلق سراح بلدوين أوف بورج بعد ذلك فى مقابل مبلغ كبير من المال اختلقت المصادر فى تحديده.

وليزيد من التفاصيل عن كيفية إطلاق سراحهما ومقدار الخدية انظر :

Albert d'Aix, Op. Cit., p. 648; A.S.C. "The First and the Second Crusade" ed. and Tr. by A.S. Tritton, The Journal of the Royal Asiatic Society, London, 1933, Part. 1, pp. 69 - 101, p. 81; Matthieu d'Edesse, Op. Cit., p. 85; Michel le Syrien, Op. Cit., p. 195.

تأنكريد - الوصى الرسمى على إمارة الرها - وطلب منه سداد قيمة الفدية واستعادة إمارته فوافق تأنكريد وقدم له مبلغ ثلاثين ألف قطعة ذهبية وبعض الهدايا الأخرى ولكنه رفض إعادة الرها إليه. فذهب بلدوين مغاضباً إلى تل باشر حيث يقيم تابعه جوسلين أوف كورتناى وبدأ الاثنان يعدان العدة للحرب تأنكريد، وأرسل بلدوين يستنجد بجارلى والأستراك من ناحية، وكوغ باسيل والأرمن من ناحية أخرى^(١)، وقد استجاب كوغ باسيل لبلدوين على الفور، حيث أرسل إليه ألفين من المشاة وألفاً من الخيالة ردّاً على طلبه، أما تأنكريد فقد استدعى لملازمته رضوان ملك حلب وزحف معه إلى تل باشر حيث دارت بين الفريقين معركة انتهت بهزيمة تأنكريد وسقوط عدد من قواته صرعى وعاد أدراجهم إلى أنطاكية، بينما عاد رضوان إلى حلب^(٢).

وعندما وصل الأمر إلى هذا الحد من العداء وحرصاً على الكيان الصليبي في الشرق تدخل النبلاء وكبار قادة الصليبيين وأخضروا على عاتقهم مهمة التوفيق بين الطرفين ونجحوا فى عقد صلح بينهما بواسطة بطريق أنطاكية فتخلى تأنكريد عن الرها لبلدوين الذى عاد لإمارته مرة ثانية فى ١٨ سبتمبر ١١٠٨ م / ٩ صفر ٥٠٢ هـ^(٣).

- انظر أيضاً : ابن الأثير : المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٥٣.

A.S.C., p. 82.

انظر أيضاً : ابن الأثير : المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٥٣ - ٢٥٤.

كوغ باسيل هو أمير منطقة كيسوم وشقيق الأمير باكراد وفى ١١١٧ م قام بلدوين الثانى بتحريره وأعطيه من ممتلكاتها بكيسوم ورمبلان. انظر :

William of Tyre, Op. Cit., V. I, p. 188; C.F., also, Grousset, Op. Cit., p. 54.

(١) ابن الأثير : المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٥٤، ابن العديم : المصدر السابق، ج ١، ص ١٥٢.

انظر أيضاً :

William of Tyre, Op. Cit., V. I, p. 474; A.S.C., p. 82.

William of Tyre, Op. Cit., V. I, pp. 474 - 75; A.S.C., p. 82.

انظر أيضاً : ابن الأثير : المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٥٤.

كان هذا الصلح الذي تم بين تانكريد وبلدوين صلحاً ظاهرياً بينما ما انطوى عليه صلوبيهما كان أكبر؛ إذ أضر كل واحد منهما اليقظ للآخر وإن نظارهما بعكس ذلك. ولم يمض وقت طويل حتى بدا ما كانا يخفيان من قبل؛ إذ سارع بلدوين وجوسلين لاجدة الأمير جاولي ضد رضوان أمير حلب الذي سارع تانكريد لمساعدته^(١) ودارت بين الفريقين -الذي ضم كل منهما مزيج من الصليبيين والمسلمين- معركة دامية تمكنت قوات جاولي في بادئ الأمر من التصدي لفرنج أنطاكية وكبدتهم خسائر فادحة، وحينما لاحظ البلدوين في جيش جاولي ما أعده فرسان بلدوين من الخيل على سبيل الاحتياط تناسروا -أمام هذا الإغراء- ما أتوا من أجله وقاموا بأخذ الجياد وفروا بها، وعندما شاهدتهم الترك ولو أيضاً مدبرين وتركوا مواقعهم ولم يبق في ساحة القتال سوى بلدوين وجوسلين اللذين اضطرا أيضاً إلى الهرب بمن بقي معهما من الجنود. وكاد أن يقعا في الأسر ولكنهما استطاعا الهرب بشق الأنفس وانجملت المعركة عن هزيمة منكرة لجاولي وحلفائه ومقتل ألفي رجل من الجانبين^(٢).

ولنا أن نتساءل لصالح من منى الصليبيون بهذه الخسائر البشرية والمادية؟ هل لصالح القضية التي زعموا أنهم جاعوا من أجلها؟ أم بسبب

^(١) ترجع أسباب الخلاف بين جاولي ورضوان إلى قيام رجال الأمير بالاعتراض قاتلة مرسله من قبل بلدوين أوف بورج إلى جاولي وسحب الأموال التي كانت تضمن حركته من قبة بلدوين كان قد أرسلها من قبل بأمر كمال رضوان لمرض الضراب على الرقة التي كان جاولي يشوها ضمن ممتلكاته فاستشاط جاولي فبظاً لما حدث وقام بالرحف على بالي وأعطاه من رضوان في سبتمبر ١١٠٨ م / صفر ٥٠٦ هـ، ولربما من التفاصيل عن تلك الأحداث راجع :

ابن الأثير : المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٥٥.

انظر أيضاً : راسيمان : تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة نور الدين خليل، ج ٢، مكتبة الشروق، القاهرة، ١٩٩٤ م، ص ١٤٥ - ١٤٦.

^(٢) ابن الأثير : نفس المصدر والمصنف.

خلافاتهم نتيجة لأطماعهم الشخصية؟ وإذا غضضنا الطرف عن قتال الصليبيين بعضهم لبعض رغم بشاعته، فهل نصرة المسلمين - أعدائهم في الدين - نخدم قضيتهم وتستحق منهم أن نزهق من أجلها آلاف الأرواح من الصليبيين؟

كما لا شك فيه أن الخلافات بين الصليبيين لم تكن تختفى على المسلمين الذين استفادوا لصالحهم، بل إن انعدام الثقة بين الصليبيين نتيجة خلافاتهم أدت إلى أن يرتابوا في بعضهم البعض، إذ اتهم البلوئين تانكريد أنه أوعز إلى الأمير مودود^(١) - أمير الموصل - بمهاجمة إمارة الرها عام ١١١٠م / ٥٠٣هـ، ولما اشتد حصار المسلمين للرها أرسل أميرها تابعة حوسلين أوف كورتناي إلى ملك بيت المقدس - الذي كان يحاصر بيروت وتشد - يطلب منه العون والمساعدة، وقد سارع الملك - بعد استيلائه على بيروت - بالترجعه شمالاً لنجدة الرها متجنباً المرور بأنطاكية لعدم ثقته في أميرها تانكريد^(٢).

وعندما وصل الملك البلوئين إلى الرها اضطر مودود إلى رفع الحصار عن المدينة والعودة من حيث أتى^(٣)، وعليه فقد أرسل الملك يستدعي تانكريد

^(١) قام الأمير شرف الدين مودود بثلاث حملات عسكرية كانت الأولى ضد الرها في مايو ١١١٠م / ذي القعدة ٥٠٣هـ، ولم يبارح تانكريد بعد بد العزم للبلوئين في تلك الحدة، ولزهد من التفاصيل راجع : William of Tyre, Op. Cit., V.1, p. 463; Alben d'Aix, Op. Cit., p. 670; Mathieu d'Edesse, Op. Cit., pp. 91 - 93.
انظر أيضاً : ابن قتلاسي : المصدر السابق، ص ١٦٧ - ١٦٨ سبط بن الجوزي : المصدر السابق، ج ١، ص ٢٩٠.

^(٢) Mathieu d'Edesse, Op. Cit., p. 91; Alben d'Aix, Op. Cit., Loc. Cit.

^(٣) والجدير بالذكر أن الأمير مودود عندما رأى التحركات الصليبية تنال على الرها انسحب إلى حران لاستدراج الصليبيين ومنازلتهم في أرض مكشوفة إلا أن الصليبيين أحصموا عن بيع المسلمين فاضطر مودود إلى العودة إلى بلاده.
ولزهد من التفاصيل راجع :

Mathieu d'Edesse, Op. Cit., p. 93.

انظر أيضاً :

محمد محمد الشيخ : الجهاد للمقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها، دار الفكر، ١٩٧٢م، ص ٢٢٢.

لكى يرد على الاتهامات التى وجهها إليه بلدوين أوف بورج، وبعد تردد أذعن تانكريد إلى طلب الملك وفرر حضوره وجه اتهامات مضادة^(١) إلى أمير الرها، وقد طلب الملك منه التصالح، وفى حالة رفضه ذلك واستمراره فى كيد المكائد مع الأتراك فسوف يلتقى حرباً لا هراة فيها باعتباره عدواً للصليبيين، وأيد الفرمان المجتمعون ما قاله الملك، فاضطر تانكريد إلى التصالح^(٢).

وما كاد يتهى الخلاف بين بلدوين أوف بورج وتانكريد حتى تفجر خلاف آخر بين بلدوين أوف بورج وتابعه جوسلين أوف كورنتاي أمير المعقل القراية، إذ اتهم الأول تابعه بالتقاعس عن مد يد العون لإمارته على إثر ما لحق بها من تخريب ودمار على أيدي قوات موحود الذى تعمد إحراق وتدمير الأراضى الزراعية والحدائق المحيطة بالرها مما أدى إلى خلق وضع اقتصادى حرج للإمارة^(٣).

حقيقة أن تعرض إمارة الرها للتدمير والتخريب وإتلاف محاصيلها أمر لا شك فيه ولكن اتهام جوسلين أوف كورنتاي بالتقاعس عن مساعدة إمارة الرها وسيدها أمر مشكوك فيه وآية ذلك أن جوسلين بذل قصارى جهده من أجل مساعدة سيده؛ فقد ذهب بنفسه معروثاً إلى الملك بلدوين الأول طلباً لمساعدته ضد هجوم الأمير موحود عام ١١١٠م / ٥٠٣هـ، كما أنه شارك القوات الصليبية المتحدة فى تصديها لقوات موحود، هذا فضلاً عن أنه نجح فى إحباط مؤامرة دبرها الأمير موحود مع بعض أرمين الرها الذين كانوا يتولون

^(١) ذكر متى الرهاوى أن قوات الرها هزمت الذى قام باستثناء أمير الرها لمعاينته عند تانكريد.

C.F. Matthieu d'Edesse, Op. Cit., Loc. Cit.

Albert d'Aix, Op. Cit., p. 672; William of Tyre, Op. Cit., p. 463; Matthieu^(٢) d'Edesse, Op. Cit., Loc. Cit.

William of Tyre, Op. Cit., pp. 498-99; Matthieu d'Edesse, Op. Cit., pp. 93-^(٣) 94; A.S.C., p. 83.

حراسة بعض أبراج المدينة ونجح في إحباطها في الوقت المناسب ولولا ذلك لتمكنت القوات الإسلامية من دخول المدينة عام ١١١٢م / ٥٠٥هـ^(١). ولعل السبب الحقيقي وراء الخلاف بين الرحلين يرجع إلى عامل الحقد والحسد والكراهية الذي يُكنه بلطوين لتابعه جوسلين، ففي الوقت الذي أصبحت فيه إمارة الرها تعاني من آثار التخريب والتدمير لم تعرض ممتلكات جوسلين أوف كورتناي لأي أذى بل حاز سيناها من الشهرة والثروة ما لم يتمتع به سبيله، لذا فقد أسرّ بلطوين هذا الأمر في نفسه ولم يیده لأحد انتظاراً لفرصة مواتية، والتي سرعان ما واثته فعندما أرسل سفارة من قبله إلى أنطاكية مرت تلك السفارة ببل مباشر حيث يقيم جوسلين الذي أحسن وفادتهم ونزلهم، إلا أن بعض أتباعه عندما انفردوا بالمبعوثين أهانهم ووجهوا نقلاً لاذعاً إلى سيدهم بلطوين الذي غدا في رأيهم غير صالح لحكم البلاد، وأن الحكمة تقتضي أن يبيع إمارته للأسمر جوسلين ويحصل على مبلغ كبير من المال يعود به إلى فرنسا^(٢). وعندما علم بلطوين بذلك الأمر لميز من الغيظ واستدعى على الفور تابعه بمحنة التشاور فيما يخص شؤون الإمارة وعندما مثل بين يديه قام بالقبض عليه وزج به في غياهب السجن، وأذاقه صنوفاً شتى من العذاب. وتمت وطأة التعذيب اضطر جوسلين أوف كورتناي إلى التنازل عن إقطاعه والتحرر من ممتلكاته في مقابل إطلاق سراحه ثم عم وجهه شطريست القلنس حيث الملك بلطوين الأول الذي وفق به ومنحه حكم إقليم الجليل تعويضاً عما فقدته وذلك في ١١١٣م / ٥٠٧هـ^(٣)، وما يدعو للسخرية أن نرى الاسم بلطوين

^(١) Albert d'Aix, Op. Cit., p. 670; Matthieu d'Edesse, Op. Cit., pp. 101 - 2, A.S.C., p. 83.

انظر أيضاً : ابن الفلاس : المصدر السابق، ص ١٦٢ - ١٦٨.

^(٢) William of Tyre, Op. Cit., Loc. Cit.

^(٣) Matthieu d'Edesse, Op. Cit., p. 126; William of Tyre, Op. Cit., Loc. Cit.

نفسه يستدعى جوسلين مرة أخرى لا ليُعيد إليه ما سلبه منه بحسب، بل لِيُسَدَّ إليه حكم إمارة الرها. وذلك عندما استدعى ليكون ملكاً على بيت المقدس في عام ١١١٨م / ٥١١هـ^(١). أى أن المصلحة الشخصية هي التي دفعته في الأول لتجريد تابعه من إقطاعه وهي التي دفعته في الثانية لإعادته لحكم الإمارة بأسرها.

وما يلفت الانتباه أن علاقات الصليبيين قد قلت كثيراً خلال الفترة الممتدة من ١١١٣ - ١١٢٧م / ٥٠٧ - ٥٢١هـ. ولم يكن معنى ذلك أن الصليبيين قد ترفعوا عن مطامعهم الشخصية ونزلوا ما بينهم من أحقاد جانباً، ولكن كانت هناك عدة عوامل أجبرتهم على ذلك، منها: على سبيل المثال شعورهم جميعاً بالخطر المحدق بهم والذي بات يهدد بقائهم في الشرق وأغنى به ظهور حركة الجهاد المقدس التي حمل لوائها عدد من القادة المسلمين أمثال الأمير شرف الدين سوحرد^(٢) والبرسقي^(٣) وبرسقي بن

^(١) William of Tyre, Op. Cit., p. 520; Michel Le Syrien, Op. Cit., p. 196.

^(٢) قام السلطان محمد بن ملكشاه ١١٠٥ - ١١٠٨م / ٤٩٩ - ٥١٢هـ لانتفاذ قتله شرف الدين سوحرد للشام على إثر استغاثة فخر الملك بن عمار أمير طرابلس به وكان الفرنج قد حاصروا إمارته. فقام سوحرد في سبتمبر ١١٠٨م / صفر ٥٠٢هـ بأعط الحوصل من يد حاول وشرع في الجهاد للدين ضد الصليبيين بالشام. وقام بثلاث حملات عسكرية في الفترة ما بين عامي ١١١٠ - ١١١٣م حتى فشل على إحدى الباطنية في جامع دمشق، ولزيد من التفاصيل انظر :

أبو الحسن : للصمد السابق، ج ٥، ص ١٩٩ - ٢٠١، سبط بن الجوزي : المصدر السابق، ص ١٢٩١ ابن قتلاص : للصمد السابق، ص ١٦٧ - ١٦٨، ص ١٧٤ - ١٧٥ ابن الأثير : التاريخ الجاه، ص ١٧ - ١٨.

انظر أيضاً :

Fulcher of Charters, Op. Cit., pp. 201 - 2; William of Tyre, Op. Cit., V I, p. 463. Albert d'Aix, Op. Cit., pp. 670, 680 - 81, A.S.C., pp. 73, 82 - 83; Matthieu d'Edesse, Op. Cit., T. I, p. 91 - 94.

^(٣) قام السلطان محمد بعد فشل الأمير سوحرد بتولية أنسفر العسفي حاكماً على الموصل والحيرة وذلك في عام ١١١٤م / ٥٠٨هـ وقد أمره بحمل راية الجهاد ضد الصليبيين ولزيد من التفاصيل من جهاده -

برسقى^(١١) و يلعازى^(١٢) و بئلك بن بهرام^(١٣) ، الأمر الذى جعل الأمراء الصليبيين يتبنون خلافاتهم للتصدي لهذا الخطر، فضلاً عما سبق كان هناك عامل آخر

= انظر :

ابن الأثير : المصدر السابق، ج ٨، ص ١٢٧٣ ابن واصل : مفرج الكروب فى أخبار بنى أمرب، ج ١، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٥٣م، ص ٢٩، (انظر أيضاً :

محمد محمد الشيخ : المرجع السابق، ص ٢٢٥.

^(١١) برسقى بن برسقى : و برسقى هذا سليل أسرة عرفت بإعلاصها للسلاحقة وكان أبوه من أكابر الأمراء ومن أصحاب السلطان طغر بك وهو أول شحنة كان يتفاد قتل على يد أحد الباطنية فى شهر رمضان سنة ٤٩٠هـ / أغسطس سنة ١٠٩٧م بقى أبناؤه وعاصدة رنكى ويليكنس و برسقى على وفائهم للسلاحقة وقد اشترك برسقى مع مرعود فى قتاله ضد الفرنج ثم اعتبر بعد عزل الرسقى عن الموصل سنة ١١١٤م / ٨٠٠هـ لحمل راية الجهاد ضد الصليبيين، ولزهد من التفاصيل انظر :

ابن الأثير : المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٧٢ - ٢٧٣.

انظر أيضاً : محمد محمد الشيخ، المرجع السابق، ص ٢٤٠.

^(١٢) و اللفازى هو الابن الثانى لارتقى بن أكسب وكان قد انصرف بعد طرده وأخيه سقمان من بيت المقدس إلى بغداد، فشارك فى إحدى الفتنة بين الآخرين بركياروق ومحمد، ثم عين شحنة للمراة، ولزهد من التفاصيل انظر :

ابن القلائى : المصدر السابق، ص ٢٠٢، ابن الأثير : المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٢٩، ابن العديم : المصدر السابق، ج ٢، ص ١٩٦ - ١٩٧.

انظر أيضاً :

Matthieu d'Edessa, Op. Cit., T. I, pp. 126 - 27, 131.

انظر أيضاً :

محمد محمد الشيخ : المرجع السابق، ص ٢٧٢ - ٢٧٣.

^(١٣) و بئلك هذا هو نير فتولة بئلك بن بهرام الأرتقى كان من أنشط أفراد البيت الأرتقى. ولقد سبق له حكم سيماط وسروج، وعندما أسلمها الفرنج لقتل من غرقت عاصمة للكه وشارك عمه فى حروبه ضد الفرنج ثم ورنه بعد موته فى هذه اللمة.

لزهد من التفاصيل انظر :

ابن الأثير : المصدر السابق، ج ٨، ص ٣٠١، ٣١٥، ابن العديم : المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٠٦، ٢١٩ سبط بن الهرزى : المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٠٩.

انظر أيضاً :

Matthieu d'Edesse, Op. Cit., T I, pp. 131 - 33; A.S.C., pp. 90 - 1; Fulcher of Charter, Op. Cit., pp. 237, 247; William of Tyre, Op. Cit., V. I, pp. 540 - 42.

ألف بينهم وزاد من ارتباطهم ألا وهو رابطة المصاهرة؛ فقد تزوج روجر Roger -الذى خلف تانكريد في حكم أنطاكية (١١١٢-١١١٩م/ ٥٠٦-٥١٢هـ)- من أخت بلدوين أوف بورج أمير الرها، وتزوج برونز Pons أمير طرابلس (١١١٢-١١٢٧م/ ٥٠٧-٥٢٢هـ من أرملة تانكريد وأصبح صديقاً حميماً لروجر، كما تزوج جوسلين أرف كورتناي من ماريا Marie أخت الأمير روجر^(١)، ووجد بين هؤلاء الأمراء اتفاقيهم على اعتبار الملك بلدوين سيدهم الأعلى وكان ذلك تضامناً ناصر الحلوث، وهناك عوامل أخرى منها موت بعض الأمراء، ووقوع البعض الآخر في الأسر، ووضع الإمارات الصليبية تحت الوصاية لفترات متفاوتة مما أدى إلى الحد من خلافتات الصليبيين^(٢).

ومهما يكن من أمر فما أن تولى بوهموند الثاني Bohemond II حكم أنطاكية عام ١١٢٦-١١٣٠م/ ٥٢٠-٥٢٤هـ حتى دب الخلاف بينه وبين أمير الرها جوسلين أرف كورتناي إذ كان كل منهما غيراً من صاحبه، فقد حصل جوسلين بموجب هدنة مع العرسقي على مقاطعات كانت تابعة لإمارة أنطاكية من قبل^(٣)، وزاد من شدة الخلاف أن زوجته الأميرة ماريا قد حصلت على وعد بأن يكون مهرها مدينة عزاز^(٤)، بينما اعتمر بوهموند أن

^(١) A.S.C., p. 90; Fulcher of Charter, Op. Cit., p. 251 n. 8.

^(٢) نظى سيل الثالث لتي روجر الأنطاكي مصرعه في معركة ساحة قدم على أيدي المغازي سنة ١١١٩م وأسر كل من جوسلين الأول أمير الرها والملك بلدوين الثاني على أيدي ملك بن بهرام ١١٢٩م ووقعت إمارة الرها وأنطاكية وكذلك مملكة بيت المقدس تحت الوصاية لفترات متفاوتة من الزمن.

^(٣) لزيد من التفاصيل عن المعاهدة بين العرسقي وجوسلين الأول. انظر :

ابن العديم : المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٢١ - ٢٢٢،

انظر أيضاً :

Nicholson, Op. Cit., p. 77.

A.S.C., p. 90; William of Tyre, Op. Cit., Vol. 2, p. 34. ^(٤)

وعزاز بلدة فيها ثمة وفيرستان شمال حلب وهي طيبة لغراء، عذبة الماء. راجع : باقرت المسوى:

المصدر السابق، ص ١١٨.

روجر لم يكن سوى الوصى باسمه ولا حق له فى أن يهب أرضاً بأنطاكية ورفض الاتفاق، ونتيجة ذلك وجه جوسلين جنوده بمساعدة المرتزقة الأتراك للإغارة على القرى الأنطاكية القريبة من الحدود^(١). ورغم إعلان بطريرق أنطاكية حرمان إمارة الرها بأسرها إلا أن ذلك لم يردع جوسلين. ولولا تدخل الملك بلدوين وإرغامه الأسمرين على التصالح عام ١١٢٨م / ٥٢٢هـ لتدهورت الأمور ولأصبح فرنج الشمال فى موقف لا يحسدون عليه^(٢)، خاصة وقد تولى عماد الدين زنكى حكم الموصل وحلب ١١٢٧-١١٤٦م / ٥٢١-٥٤١هـ، وأخذ على عاتقه مهمة الجهاد المقدس ضد الصليبيين، وتأحل الخلاف حين من الوقت بين أنطاكية والرما حتى مقتل برهيموند الثانى على أيدي الأتراك الدانشمند فى فبراير ١١٣٠م / ربيع أول ٥٢٤هـ^(٣).

و لم تقتصر الخلافات بين الصليبيين على الرجال فقط، بل لعبت النساء دوراً هاماً فيها، فعلى إثر موت برهيموند الثانى أمر أنطاكية أسرع الملك بلدوين من بيت المقدس متوجهاً صوب أنطاكية ليتولى تنظيم شئونها وتعيين

^(١) William of Tyre, Op. Cit., Loc. Cit.; C.F. also, Grousset, Op. Cit., V.1, p. 631.

^(٢) ولعل من الأسباب التى دفعت للملك بلدوين للتصالح بين الأسمرين هو أن كلا الرجلين كانا يمتنان إليه بصفة القرابة فأحدهما ابن عمه والآخر كان صهره الذى زوجه ابنة حنقأ، ولزبد من التفاصيل عن ذلك انظر :

William of Tyre, Op. Cit., Loc. Cit., C.F. also Stevenson, Op. Cit., p. 119.

ومن حسن الحظ أن جوسلين الأول لم يلبث أن مرض نوبة وأحرى أن مرضه ليس إلا عتاشاً يلبثاً فوافقت على أن يعيد إلى برهيموند ما حازه من الغنائم، كما غنّى من دمواه فى عزاز وذلك بعد أن تم شفاؤه. ولزبد من التفاصيل انظر :

Michel le Syrien, Op. Cit., p. 224.

^(٣) الجدير بالذكر أن برهيموند لقي حتفه على أيدي الأتراك الدانشمند وذلك فى فبراير ١١٣٠م، ولزبد من التفاصيل عن تلك الأحداث، انظر :

William of Tyre, Op. Cit., Vol. 2, p. 43; A.S.C., p. 99.

انظر أيضاً :

ابن الأثير : المصدر السابق، ج ٨، ص ٣٢٦.

الرصي عليها؛ إلا أن ابنته أليس Alice، «طموحة -أرملة برهيموند- سبقته إلى ذلك وجعلت من نفسها الرصية على ابنتها كونستانس Constance، وعملت على الانفراد بالإمارة لا بوصفها الرصية فقط، بل الحاكمة لها كذلك، ولما علمت أليس بقدرهم والدها الملك بلدوين الثاني خشيت أن تقلت الأمور من يدها؛ فأرسلت على الفور رسلاً إلى عماد الدين زنكى فى حلب تعلن له أنها على استعداد للاعتراف بسيادته إذا ضمن لها امتلاك أنطاكية، إلا أن رسوطها وقع فى أيدي رجال أيها فانفضح أمرها. ولما أتركت قتل مخططها عمدت إلى غلق أبواب المدينة فى وجه أيها واستمالت إليها قلوب أهل أنطاكية بما أغدقته عليهم من خزائن الإمارة، ولعل الدماء الأرمنية التى كانت تجرى فى عرونها قد جذبت إليها قلوب المسيحيين المحليين بصفة خاصة إلا أن أمراء أنطاكية الصليبيين أبدوا امتعاضاً لتصرفها وعصوا أوامرهم، وقاموا بفتح أبواب المدينة أمام قوات الملك بلدوين وجوسلين أوف كورتناى الذى أتى لمساعدة الملك. وقد احتمت أليس بأحد أبراج المدينة ولم تخرج منه إلا بعد أن ضمن لها وجهاء الإمارة سلامة حياتها، وعندما مثلت بين يدي الملك عقبا عنها ولكنه أجبرها على التخلي عن الرصاية والزمها البقاء فى مدينتى اللاذقية وجبله اللتين منحهما برهيموند الثانى مهراً لهما، كما قام بإسناد الرصاية إلى جوسلين أوف كورتناى -أمير الرها-^(١) ثم عاد إلى بيت المقدس فى صيف ١١٢٠م / ٥٢٤هـ، حيث مات فى العام التالى ولحقه جوسلين أوف كورتناى فى نفس العام^(٢).

^(١) لمزيد من التفاصيل عن تلك الأحداث. راجع :

William of Tyre, Op. Cit., Loc. Cit., Michel le Syrien, Op. Cit., pp. 224, 230; A.S.C., p. 99.

وعن مرقع مدينتى جبلة واللاذقية انظر الخريطة رقم (١).

William of Tyre, Op. Cit., p. 45; A.S.C., pp. 99 - 100; Michel le Syrien, Op. Cit., p. 232

اتتهزت الأميرة أليس فرصة موت أبيها وعملت على إحياء مخططاتها القديمة للانفراد بالوصاية وحكم أنطاكية، وحتى تضمن لمخطتها النجاح جذبت إليها عددًا من الأمراء على رأسهم جوسلين الثاني أمير الرها ١١٣١-١١٤٦م/٢٥-٥٤١هـ، وبرنز أمير طرابلس وغيرهما من القادة الصليبيين^(١)، ولما علم صليبي أنطاكية بما تخططه أليس أرسلوا على الفور يستدعون الملك فولك Foulque (١١٣١ - ١١٤٣م/ ٥٢٥ - ٥٣٨هـ) الذي نهض على رأس جيشه متوجهًا صوب الشمال، وعندما وصل إلى طرابلس برأ رفض أميرها السماح له بالمرور عبر أراضيه فاضطر الملك أن يستكمل مسيرته بحرًا من بيروت إلى السويدية، وما كاد يصل إلى هناك حتى دخل في معركة دامية مع قوات الحزب المريد لأليس وعلى رأسهم الأمير بونز وتمكن من هزيمتهم وإن لم يتحداى في إنزال العقاب بهم نظرًا لقلة جنوده، وعليه فقد قبل اعتذار بونز وجوسلين الثاني وغيرهما من الأمراء، كما أجبر الأميرة أليس على التنازع بمدينة جبلة واللاذقية، وأسند الوصاية إلى رينالد مازوار Rainald Masour كونستابل الإمارة، ثم عاد أحراجة إلى بيت المقدس^(٢).

وما كاد فولك يعود إلى بيت المقدس حتى نشب خلاف جديد كاد أن يشعل نار حرب أهلية بين أمراء المملكة جميعًا؛ ذلك أن هير الثاني Hugh II أمير بافا الذي تزوج من الأميرة إيمما Emma أرملة إيوستس جارييه Eustace Grenier عام ١١٢٤م/ ٥١٨هـ لم يكن على وئام مع ولديها إيوستس الثاني Eustace II وريث صيدا وجونييه الأول Gautier I ١١٢٣-١١٤٩م/ ٥١٧ - ٥٤٤هـ وريث قيسارية لأنه بكرهما

^(١) William of Tyre, Op. Cit., pp. 43 - 4; Du Cange, Les Familles d'Outre - Mer, publiées Par M.E.G. Rey, Paris, 1869, p. 185; Cf. also, Setton, K.M., A History of the Crusades, Vol 1, U.S.A., 1958, p. 433.

^(٢) William of Tyre, Op. Cit., pp. 34 - 35; Michel le Syrien, Op. Cit., p. 233.

بقليل^(١)، ونظرًا لصلة القرابة التي كانت تربط بين هيو الثاني والملك بلدوين وابنته الأميرة الصغيرة ميليسند Melisend فقد أصبح من أهم أصدقائها المقربين^(٢)، ولم تنقطع العلاقة بينهما رغم زواج الأميرة ميليسند من فولك الأنجوى التي لم تغفل به مطلقًا -برغم حبه الكبير لها- بل ازدادت علاقة هيو بميليسند قوة بعد تربع فولك على عرش المملكة (١١٣١م/ ٥٢٥هـ)^(٣) حتى كثر حرمانها القيل والفلل ونكبت الغيرة من الملك فولك وأشعل من أوارها التفاف عدد من أعداء هيو حول الملك وعلى رأسهم ابوستاس الثاني ووالتر جارنيه فزادوا من شكوكه؛ ولم يجد الأمير هيو أمامه سوى أن يجعل لنفسه حزبًا معارضًا، وسرعان ما تحزب نبلاء المملكة كلها بين الملك والكرونت^(٤).

^(١) هيو الثاني هو ابن هيو الأول من زوجته مايللا وقد مرض هيو الثاني في أبريل أثناء ترحله والديه إلى الشرق. فتركه هناك في بلاط برهموند الثاني ابن عم مايللا المباشر وقتل هيو الابن متبنيًا في أبريل حتى مات والديه فأمر إلى الشرق للمطالبة بميراث أبيه فاحتفى به الملك بلدوين الثاني ورسله إقطاعيًا بلا موارث أبيه، ولزهد من التفاصيل انظر :

William of Tyre, Op. Cit., p. 70; C.F. also, Rohricht, Regesta Hierosolymitani, Innsbruck, 1893, doc. 104; La Monte, The Lords of Sidon in Byzantium, Vol. XVII, pp. 188 - 90; La Monte, Lord of Caesarea, in the Period of the Crusades in Speculum, Vol. XX II, Cambridge, 1947, p. 147.

^(٢) تضر ليس والدة هيو الأول خالة للملك بلدوين الثاني وبالتالي تصبح ميليسند ابنة عم هيو الثاني.

^(٣) والمعروف أن تلك بلدوين الثاني أرسل سفارة إلى فرنسا ليعرض مسألة زواج ابنته الكبرى ميليسند من أحد الأمراء الفرنسيين وقد وقع اختيار ملك فرنسا على فولك الخامس كونت أنجو ليكون الزوج المرتقب لميليسند ابنة الملك وقد قبل فولك هذا العرض إذ وعد بالام زواجه من ابنة الملك خلال مدة لا تزيد عن خمسين يومًا من تاريخ وصوله إلى الشرق وربما خلالنا عرش بيت القلس بعد موت الملك بلدوين أيضًا. وقد أصبح فولك بالفعل ملكًا على بيت القلس وتزوج هو وزوجته ميليسند في ١٤ سبتمبر ١١٣١م وتم ترسيمهما حسب العرف المتبع في كيسة القنينة من قبل ولهم بطريق بيت القلس. ولزهد من التفاصيل عن شعاع فولك انظر :

William of Tyre, Op. Cit., Vol. II, pp. 51 - 2; Roger of Wendover, Flowers of History, vol. I, London, 1848, p. 477; C.F. also, Grousset, Op. Cit., Vol. II, p. 851; Rey, Les Colonies Franques de Syrie, Aux, XI et X III Siecles, Paris, 1883, p. 13.

وفى أواخر صيف ١١٣٢م / ٥٢٦هـ. وبينما كان القصر الملكي ينص بأعداد كبيرة من الرجاء والنبلاء انهم حوثيه سيد قيسارية علناً الأمير هيو الثانى أمير يافا وزوج أمه بالتأمر على حياة الملك فولك، ودعاه متحدثاً إلى منازلته كى يبرئ ساحتها فأنكر هيو التهمة وقبل التحدى، وحددت المحكمة العليا تاريخاً للنزال، وعاد كل منهما إلى إمارته ليجهز نفسه لذلك اليوم. وفى اليوم المحدد تغيب هيو عن المباراة فأداته المحكمة غيائياً مما جعله يعيش فى ذعر دائم^(١)، ولم يجد أمامه من يد سوى الالتجاء إلى حامية عسقلان الإسلامية طالباً منها الحماية والأمن، فما كان من الحامية الإسلامية إلا أن أرسلت معه فرقة عسكرية أعادته إلى يافا بينما عاثت فى الأراضى الصليبية، الأمر الذى أدى إلى تأليب الراى العام الصليبي ضده، وتغلى مؤيدوه عنه، كما أسرع الملك فولك على رأس جيشه إلى يافا لتجديتها فاستلمت له المدينة على الفور، فى الوقت الذى تغلى فيه المسلمون عن هيو إذ وجدوا فيه حليفاً عقيماً لا جدوى من وراثة^(٢)، فأسقط فى يده وأيقن أن لا مخرج أمامه سوى الاستسلام للملك فولك، ولم يكن عقابه عسراً نظراً للعلاقة التى كانت تربطه بالملكة ميليند ابنة عمه التى بلا شك مارست ضغطاً على زوجها الملك فولك فى هذا الأمر، كما كان الملك نفسه يرغب فى تهدئة الأمور إذ أطلت أخطار الحرب الأهلية برأسها من جهة، واستغل الدماشقة الفرصة وانتزعوا بانياس من أيدي الصليبيين من جهة أخرى^(٣)؛ وعليه فقد اكتفى بنفى هيو ثلاث سنوات

- تنظر آيت :

ابن قتلاسى : المصدر السابق، ص ١١٣٦ ابن العديم : المصدر السابق ج ٢، ص ٢٥١.

^(١) لعل للملكة ميليند هى التى ألحزت خير بالنيب لشعورها بالخطر عليه لو ربما كانت زوجته كما هى السب من وراء ذلك لأنها أدركت أنها لابد أن تنقلب إما فزوج أو الابن لو ربما كان هيو هو نفسه الذى كان مكرماً لما ارتكب من إثم عاثاً من انتقام قرب.

William of Tyre, Op. Cit., p. 73. ^(٢)

^(٣) استطاع شمس الملوك إسماعيل أمير دمشق من انتزاع بانياس من أيدي الصليبيين فى ديسمبر ١١٣٢م/-

يجوز له بعدها أن يعود إلى أراضيه وقد أعفى من العقوبة.

وبينما كان هيو يستعد للرحيل عن الشرق هاجمه أحد الفرسان الصليبيين في بيت القلنس وطمعه في رأسه وجسده طعنات قاتلة، وعلى الفور حامت الشبهات حول الملك فولك الذي أراد أن يبعد أصابع الاتهام عن نفسه فقبض على المعتدى وسلمه إلى المحكمة حيث اعترف بأنه قام بذلك بوحى من نفسه فحكم عليه بالإعدام^(١)، ورغم ذلك ظلت الملكة ميليسند حانقة على زوجها الملك فولك ولم تغفر له ولا لحزبه المعارض لمير هذه القطة، وظلوا لعدة أشهر يخشون على حياتهم فلا يسعون إلا برفقة الحرس، ويقال أيضاً أن نفس الشعور كان يتاب الملك فولك، وإن ظلت رغبته الوحيدة هي الفوز بالحظوة لدى زوجته فكان لا يعصى لها أمراً بل يوافقها على كل ما تريد^(٢).

وإذا تركنا مملكة بيت المقدس وخلافاتها وعدنا إلى إمارتي الشمال الرها وأنطاكية نجد الخلاف يتفجر من جديد بين الإمارتين إذ استغل الأمر جوسلين الثاني فرصة تواجد الإمبراطور البيزنطي يوحنا كومنين John Comnenus بالمنطقة (١١٢٨م / ٥٢٢هـ) وعمد إلى إيقار صدره ضد الأمير ريموند الثاني أمير أنطاكية Raymond II of Saint Gilles (١١٢٦ - ١١٤٩م).

- صفر ٥٢٧هـ.

ولمزيد من التفاصيل عن ذلك انظر :

ابن التلحسى : المعصر السابق، ص ١٢٢٦ ابن الأثير : المعصر السابق، ج ٨، ص ١٢٢٢ أبو الفداء : المعصر في أخبار البشر، ج ٤، ص ١٢١، بروت، بدون تاريخ، ج ٣، ص ١٧ فتوى نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ٢٧، تحقيق سعيد عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م، ص ٨٢.

William of Tyre, Op. Cit., p. 74.

(١)

انظر أيضاً :

والسيهان : المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٢٤ - ٢٥.

William of Tyre, Op. Cit., pp. 74 - 75.

(٢)

٥٣٠-٥٤٤هـ) حتى يقلل من منزلة الأيوبيين لدى الإمبراطور على حد قول المؤرخ ولیم الصوري^(١).

وقد ظلت العلاقات بين الأيوبيين هادئة ظاهرياً - رغم ما يضمرة كل منهما للآخر من حقد وكراهية - إلى أن انكشف الأمر وأنصح كل منهما عن مكثون صدره؛ وذلك عندما حاصر عماد الدين زنكي الرها ١١٤٤م / ٥٣٩هـ إذ تقاعس ريموند الثاني عن مد يد العون لإمارة الرها، ولم تلق فدايات الاستغاثة التي طلبها جوسلين من أمير أنطاكية صدى لديه بل سر وفرح لما نزل بالرها من شذائد، الأمر الذي أتاح لعماد الدين زنكي الفرصة الكاملة لحصار المدينة والاستيلاء عليها^(٢)، وحتى عندما لاحت لجوسلين الثاني الفرصة

^(١) William of Tyre, *Ibid.*, p. 97; Michel le Syrien, *Op. Cit.*, p. 245.

والمدبر بالذكر أن تحالفاً تم بين الإمبراطور يوحنا كومنن (John Comnenus) وكلاً من الأمير ريموند الثاني أمير أنطاكية وجوسلين الثاني أمير الرها ضد المسلمين في الشرق وكان يهدف إلى انتزاع حماة وحمص وحلب وشيزر من أيدي المسلمين وتسحب ريموند الثاني أمير أنطاكية في مقابل تسليم الأمير أنطاكية إلى الدولة الزنكية وقد انتهى هذا التحالف بالفشل التام أمام شيزر. ولزهد من التفاصيل راجع :

William of Tyre, *Op. Cit.*, V.2, pp. 94 - 97.

انظر أيضاً :

ابن القلاسي : المصدر السابق، ص ٢٦٦، ٢٦٧ من الأثر : المصدر السابق، ج ٨، ص ١٢٥٨ ابن العديم : المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٦٥ من الأصل : المصدر السابق، ج ١، ص ٧٦.

^(٢) وثابت أن عماد الدين زنكي نجح في استرداد الرها يوم السبت ٢٢ ديسمبر ١١٤٤م / ٢٦ جمادى الأمر ٥٣٩هـ. ولزهد من التفاصيل عن استرداد الرها راجع :

William of Tyre, *Op. Cit.*, V.2, p. 144; Gregoire Le pretre, *Chronique de Gregoire le pretre*, Ed. R.H.C. Doc. Arm., Tome I, Paris, 1869, p. 157.

انظر أيضاً :

ابن القلاسي : المصدر السابق، ص ١٢٧٠ من الأصل : المصدر السابق، ج ١، ص ٢٩٤ من العديم :

المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٧٩،

انظر أيضاً :

عليه عبد الصبح الجزوري : إمارة الرها الصليبية، القاهرة، ١٩٧٥، ص ٢٩٥ - ٣٠٨.

لاستعادة إمارته بعد موت عماد الدين زنكي ١١٤٦م / ٥٤١هـ رفض ريموند أمير أنطاكية مد يد المساعدة لحمته مما أضعف محاولة جوسلين وجعل جيشه عاجزاً عن مواجهة الجيش الإسلامي الذي قاده نور الدين عمود وأنزل بالصليبين هزيمة ساحقة ضاعَت على إثرها كل الآمال لاستعادة الرها مرة أخرى^(١).

ومهما يكن من أمر فقد قامت الحملة الصليبية الثانية كنتيجة مباشرة لاسترداد المسلمين إمارة الرها فضلاً عن رغبة الغرب الأوروبي في مساعدة إخوانهم في الشرق ضد قوة الزنكيين التي أعلنت تنمر باضطراب مستمر في تلك الآونة. ووصلت جحافل الحملة الصليبية إلى الأراضي المقدسة وعلى رأسها إمبراطور ألمانيا كونراد الثالث Conrad III (١١٣٨ - ١١٥٢م / ٥٢٣ - ٥٤٧هـ) والملك لويس السابع Louis VII ملك فرنسا (١١٣٧ - ١١٨٠م / ٥٢٢ - ٥٧٤هـ)، وفي يوم السبت الموافق الرابع والعشرين من شهر يوليو ١١٤٨م / السادس من ربيع الأول ٥٤٣هـ حاصر الصليبيون دمشق حيث نزلوا بمنطقة البقاع وأخذوا مواقعهم أمام أبواب المدينة وشددوا من هجماتهم وأحرزوا بعض التفوق بينما أخذ الدمشقيون يستجلبون في الدفاع عن مدينتهم إلا أن الصليبيين سرعان ما رفعوا الحصار عن دمشق وعادوا

^(١) استغل جوسلين الثاني فرصة موت عماد الدين زنكي للعمل على استعادة إمارته فراسل سكان الرها من الأرمن الذين وصلوه بالمساعدة وقد تمكن من دخول المدينة ولكنه فشل في فتحها القلعة ثم تمكن نور الدين عمود من إزاله القرية الساحقة به وبترقه، ولزبد من التفاصيل عن تلك الأحداث راجع : William of Tyre, Op. Cit., V.2, pp. 158 - 161, Gregoire le pretre, Op. Cit., p. 160; Michel le Syrien, Op. Cit., p. 277.

تظر أيضاً :

ابن القلاسي : المصدر السابق، ص ١٢٢٨ ابن الأثير : المصدر السابق، ج ٩، ص ١١٤ ابن العديم : المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٢٩ أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحيية، ج ٢ ص ١٢٨٧-١٢٨٨هـ ج ١، ص ١٢٩ ابن وهبل : المصدر السابق، ج ١، ص ١١١.

أخراجهم من حيث أتوا بعد أربعة أيام فقط من حصارهم لدمشق. وهكذا فشلت الحملة الصليبية الثانية في تحقيق أهدافها بسبب ما نشب بين الصليبيين من خلافات^(١).

من العرض السابق يتبين لنا أن خلافات الصليبيين أثرت تأثيراً سلبياً على وجودهم في الشرق منذ البدايات الأولى لوجودهم بالمنطقة، حقيقة أن أثر تلك الخلافات عليهم لم يبدو واضحاً حلياً في الفترة الأولى من حكمهم ولا يرجع ذلك إلى أن تلك الخلافات لم تكن عميقة الأثر ولكن لأن المسلمين في تلك الفترة كانوا يعانون آثار التفكك والضعف والتشرذم السياسى والمذهبى الأمر الذى لم يحكمهم من استغلال خلافات الصليبيين لصالحهم، وما أن أفاق المسلمون من سيئاتهم العميقة وأدركوا ماهية الحروب الصليبية واستوعبوا الصدمة الأولى التى أفقدتهم توازنهم واعتدلت كفتا الميزان بينهم وبين الصليبيين حتى استغلوا خلافات الصليبيين استغلالاً كبيراً لصالحهم، وتوجروا

^(١) هناك عدة أسباب أدت إلى فشل الحملة لعل من أهمها المعرفة عن هاتين الرهيس التى جاءت من أجله وهو استعادة الرها من أيدي المسلمين والترف أمام نور الدين محمود المتزايدة وخيانة بعض الأمراء وتلقيهم لفرصة من المسلمين والانشغال الداخلي وعدم الثقة التى تقشت بين صفوف قادة الحملة، إذ تسرب نأ ميانة بعض نلاء للملكة إلى إسرائهم الرافدين المبدد، الأمر الذى انعكس سلباً على النشاط لمسكرى ضد المسلمين وكفلك ما وقع من تائف حول ملكية دمشق بعد سقوطها فى أيديهم. نقى حين لهد نلاء الملكة الصلبة من لائق ررررر أمير بيروت ليكون حاكماً عليها أهد الرافدون المبدد ترى الإكرامى لهذا اللصب. مما أثار غيرة كلا الفريقين ونط من مهمهم فى عاربة المسلمين وأهم من ذلك كله الدور الذى اضطلع به معين الدين أنر مدهر دمشق فى تصديه لتلك الحملة. ولزهد من التفاصيل انظر :

William of Tyre, Op. Cit., pp. 190 - 92; Roger of Wendover, Op. Cit., p. 502; A.S.C., pp. 298 - 99.

انظر أيضاً :

ابن القلاسى : المصدر السابق، ص ١٢٩٨ ابن الأثير : المصدر السابق، ص ٢٠ - ١٢١ التاريخ الباهر، ص ١٨٩، أبو شامة : المصدر السابق، ص ٥٢ - ١٥٣، أبو الفداء : المصدر السابق، ص ٣٠٠، ص ١٢٠ التبريزى : المصدر السابق، ص ٢٧، ص ١٥٠ - ١٥١.

ذلك بنجاحهم في استرداد إمارة الرها أولى الإمارات الصليبية التي بذل الصليرون جهداً كبيراً في تأسيبها، ورغم أن الصليبين أحسوا بتغير موازين القوى لغير صالحهم إلا أنهم لم يتداركوا أخطائهم بل كملوا في خلافاتهم الأمر الذي أعطى المسلمين الفرصة لاستئصال شأنتهم والقضاء عليهم، بدأ ذلك بفضل الحملة الصليبية الثانية ثم ما تلاها من حملات، واستطاع القادة المسلمون أمثال صلاح الدين الأيوبي، وبيبرس، وقلاوون، ثم الأشرف خليل بن قلاوون من استغلال الفرص المواتية ونجحوا بالفعل في إحداث جذور الصليبيين نهائياً من المنطقة.

بيان بالمختصرات الواردة بحواشي البحث

- A.S.C. : Anonymous Syriac Chronicle
R.H.C., Doc. Arm. : Recueil des Historiens des Croisades, Documents
Arméniens
R.H.C., B. Occ. : Recueil des Historiens des Croisades, Historiens
Occidentaux

أولاً : المصادر الأجنبية

- Albert d'Aix,

Historia Hierosolymitana, Ed. R.H.C., H.Occ., Tome IV,
Paris, 1879.

- Anna Comnena,

The Alexiad, Trans. E.R.A.Sewter, Great Britain, 1969.

- A.S.C.,

"The First and Second Crusade", ed. and Tr. by A.S.Tritton,
The Journal of the Royal Asiatic Society, London, 1933, Part
1, pp. 69 - 107.

- Caffaro, C.

De Liberation Civitatum Orientis Lifer, Ed. R.H.C., H.Occ.,
T.V, Paris

- Du Cagne,

Les Familles d'Outre-Mer, Publiées par M.E.G.Rey, Paris,
1869.

- Fulcher of Chartres,

A History of the Expedition to Jerusalem, Tr. by Frances
Ryam, Sisters of St. Joseph, edited with an introduction by
Harold's Fink, Konuville, U.S.A., 1969.

- Gregoire le Pretre,

Chronique de Gregoire le pretre, ed. R.H.C.Doc.Arm., T.I,
Paris 1869.

- Historia Belli Sacri, (Tudebodus Continuatus) in R.H.C., H.Occ,
T.III, Paris, 1866.

- Matthiew d'Edesse,

Extrait de la Chronique, Ed. R.H.C., Doc.Arm., T.I, Paris,
1869.

- Michel le Syrien,

La Chronique de Michel le Syrien, 3 Vols, Tr. ed. by J.B.
Chabot, Paris 1905.

- Raoul de Caen,

Gesta Transcrudi in Expeditione Hierosolymitana, E.R.H.C.,
H.Occ., T. III, Paris, 1866.

- Roger of Wendover,

Flowers of History, Vol I, London 1848.

- Rohricht,

Regesta Hierosolymitani, Insbruc, 1893, doc. 104.

-William of Tyre,

A History of Deeds Done Beyond the Sea, Tr. by Babcock
and Krey, 2 Vols, New York, 1943.

ثانياً : المصادر العربية والمصرية

- ابن الأثير : (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) أبو المحاسن علي بن أبي الكرم الملقب
عز الدين :

١- الكامل في التاريخ، ٩ ج، دار الفكر، بيروت ١٣٩٨ هـ /
١٩٧٨ م.

٢- التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، نشر وتحقيق عبد القادر
سليمان، القاهرة ١٩٦٣ م.

- ابن العديم : (ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) كمال الدين عمر بن أحمد بن حبة الله :
زبدة الحلب في تاريخ حلب، ٣ ج، تحقيق الدكتور سامي الدغمان،
دمشق، ١٩٦٨ م.

- ابن القلانسي : (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد :

تاريخ أبي يعلى حمزة بن القلانسي المعروف بذييل تاريخ دمشق، بيروت، ١٩٠٨ م.

- ابن ميسر :

أخبار مصر، ٢ ج، نشر هنري ماسيه، القاهرة ١٩١٩، ج ٢.

- ابن واصل : (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٨ م) جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سليم :

مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ٣ ج، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٥٣ م.

- أبو شامة : (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م) عبد الرحمن بن إسماعيل بن عثمان شهاب الدين :

الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ٢ ج في مجلد واحد، القاهرة، ١٢٨٧-١٢٨٨ هـ.

- أبو الفداء : (ت ٧٣٢ هـ / ١٢٣١ م) إسماعيل بن عماد الدين صاحب حماة :

المختصر في أخبار البشر، ٤ ج في مجلدين، بيروت، بدون تاريخ.

- أبو المحاسن : (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردى :

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٩ ج، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٤٨-١٣٩١ هـ / ١٩٢٩-١٩٤٢ م.

- وعموند أجيل :

تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، نقله إلى العربية وعلق عليه حسين محمد عطية، دار المعرفة الجامعية، سنة ١٩٩٠ م.

- مبط بن الجوزى : (ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٧م) أبو المنظر شمس الدين يوسف بن فيزوغلى :

مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان، ٨ ج، حيدر آباد الدكن، ١٩٥١-١٩٥٢م.

- المزرخ المجهول :

أعمال الفرغنة وحجاج بيت المقدس، ترجمه وقدم له وعلق عليه د. حسن حبشى، دار الفكر العربى، ١٩٥٨م.

- النويرى : (ت ٧٢٢هـ / ١٣٢٢م) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب الكندى:

نهاية الأرب فى فنون الأدب، ٢٧ ج، ٥٥ مجلد، تحقيق دكتور سعيد عاشور، مراجعة الدكتور محمد مصطفى زيادة، دكتور فؤاد عبد المعطى الصياد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٥ - ١٩٨٥م.

- ياقوت الحموى : (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ٥ ج، بيروت ١٩٧٩م.

ثالثاً : المراجع العربية والمصرية

- حسن عبد الوهاب :

تاريخ قيسارية الشام فى العصر الإسلامى، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٠م.

- رانسيماو :

تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة نور الدين خليل، ٣ ج، مكتبة الشروق، القاهرة، ١٩٩٤م.

- سعيد عاشور :

الحركة الصليبية، ٢ ج، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٢م.

- علية عبد السميع الجززورى :

إمارة الرها الصليبية، القاهرة، ١٩٧٥م.

- محمد محمد الشيخ :

- الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها، دار النشر،

١٩٧٢م.

- عصر الحروب الصليبية فى الشرق، الشنهاي للطباعة والنشر،

١٩٩٧م.

- يوشع برارر :

عالم الصليبيين، ترجمة وتعليق وتقديم قاسم عبده قاسم، ومحمد خليفة

حسن، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط أولى،

١٩٩٩م.

وابعاً : المراجع الأجنبية

- Duggan,

The Story of the Crusades, London, 1963.

- Grousset,

Histoire des Croisades et du Royaume Franc de Jerusalem, 3 vols, Paris, 1948.

- La Monte,

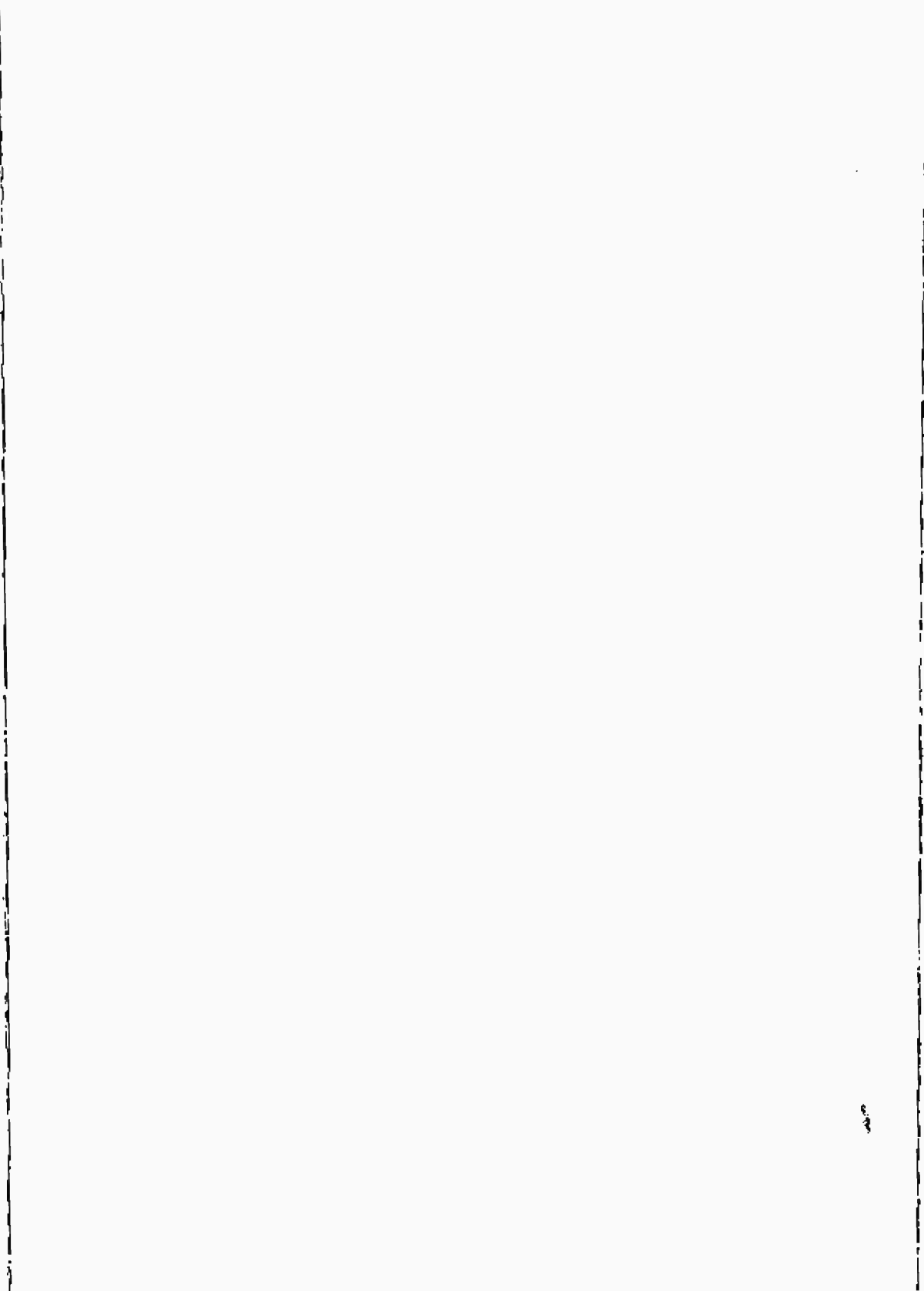
- The Lords of Sidon in Byzantion, Vol. XVII,

- The Lord of Carsarea in the Period of The Crusades in Speculum, Vol. XXII, Cambridge, 1947.

- Mayer,

The Crusades, Tr from German by Gillegham, Oxford, University Press, 1972.

- Michaud,
History of the Crusades, Trans. from French by Rabson.
- Nicholson, R.L.,
Joscelyn I, Prince of Edessa, Illinois, 1954.
- Oman, C.W.C.,
A History of the Art of War in the Middle Ages, Vol. I,
London, 1924.
- Rey,
Les Colonies Franques de Syrie aux XI et XIII siècles, Paris,
1883.
- Setton, K.M.,
A History of the Crusades, Vol. I, U.S.A., 1958.
- Stevenson
The Crusaders in the East, Cambridge, 1907.



دور الصليبيين في استيلاء البرقغاليين
على مدينة قصر أبي دانس
١٢١٧هـ / ١٢١٧م

إعداد الدكتور

محمد محمود النشار

أستاذ مساعد

أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد

كلية الآداب - جامعة طنطا

دور الصليبيين في استيلاء البرتغاليين على مدينة قصر أبي دانس

١٢١٤هـ/١٢١٧م

تُعد مدينة قصر أبي دانس^(١) Alcacer do sal (قصر الفتح والترجمة الحرفية للاسم البرتغالي هو قصر الملح) من أهم مدن غرب الأندلس، فقد أشارت المصادر جميعاً إلى أهمية هذه المدينة وأنها من أمنع القواعد الدفاعية الإسلامية عن تلك المنطقة، وهي تقع على مصب نهر شطوبر Sado وهو نهر صغير يصب في بحيرة ضحلة متصلة بالبحر تسمى اليوم Setubal أى البحيرة تتصل بالمحيط الأطلنطي ويتسع هذا المصب لدخول السفن الكبيرة حتى تصل إلى أسوار المدينة وهذا الخليج الذى يصب فيه النهر والمتصل بالمحيط فهو يتسع^(٢) ويصلح لتجمع السفن فيه.

(١) قصر أبي دانس حصن في ناحية (الجرف) في الأندلس وهو منسوب إلى ياثيه (أبي دانس بن عوسجة المصمودي) (جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ص ٤٦٦، ذكره في سياق كلامه عن المصامدة في الأندلس وقال: «ويروى دانس بن عوسجة كانوا أصحاب قلعة وإلى جدهم ينسب قصر أبي دانس في الجرف، وقد أعاد الحكم المستنصر بناء الحصن بعد غارة الجوس على غرب الأندلس ٣٥٩هـ/ ٩٧٠م وكان لقصر أبي دانس دور عظيم في العصر الموحدى تغلوا لاهتمام خلفاء الموحدين بالدفاع عن غرب الأندلس. هامش، ص ٢٧٢، ضمن تخفيفة للحلة السيرة. أشار إليها الإدريسي «القصر مدينة حسنة متوسطة على ضفة النهر المسمى شطوبر وهو نهر كبير تصعد فيه السفن والمراكب السفرية كثيراً وفيما استدار بها من الأراضي عليها أشجار الصنوبر وبها الإنشاء الكثير وهي في ذاتها رطبة العيش خصيبة كثيرة الألبان والسمن والعسل والحبوب وبين القصر والبحر ٢٠ ميلاً صنعة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، نشر موسى، المسترشد سنة ١٩٦٩، ص ١٨٦، والعميدى : صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٦٠ - ١٦١.

(٢) انظر وصف مناعة وقوة المدينة في

Basto, Op. Cit., P. 160, C.F. also : Herculanos , Op. Cit., T 2, P. 25.

وتتضح أهمية المدينة لمملكة البرتغال منذ عهد الملك ألفونسو هنريز والذى حاول الاستيلاء عليها أربع مرات حتى استطاع فى المحاولة الأخيرة عام ١١٥٨م/ ٥٥٢ هـ أن يستولى عليها عندما انتهز فرصة وصول بعض السفن الصليبية من فرنسا والمناطق المجاورة إلى لشبونة واتفق مع قادتها على محاصرتها، فحاصرها بالأسطول بحرا وبجيشه برا، وكان الحصار متكاملًا وتمكن الطرفان بهذه الطريقة من تضيق الخناق على أهلها واستمر الحصار مدة شهرين والقتال على أشده حتى سقطت المدينة فى ٢٤ يونيو سنة ١١٥٨م/ جمادى الأولى ٥٥٢ هـ^(١). وظلت تحت السيادة البرتغالية حتى استعادها الخليفة الموحدى يعقوب المنصور وذلك عندما كان يستعد لاسترداد مدينة شلب من البرتغاليين فتوجه بجيشه أولاً إلى مدينة قصر أبى دانس ونظم الخليفة قواته حول المدينة وأمر العبيد والأتباع بردم خندق كبير يحيط بالمدينة من جهاتها الأربع ثم ركز الموحدون هجومهم على الأسوار لكن البرتغاليين أمطروا المهاجمين بالنبال والحجارة مما أدى إلى إصابة عدد كبير من جنود الموحدين فقرر الخليفة عندئذ إيقاف القتال لمدة ثلاثة أيام حتى ينال الجنود قسطاً من الراحة وتكون سفن الأسطول الموحدى قد دخلت فى نهر شطوبر حاملة معها آلات الحصار والمجانيق. وبعد أن انتهت فترة الراحة أمر الخليفة بنصب أربعة عشر منجنيقاً خلال يوم وليلة حول أسوار المدينة ، وفى ١٥ من جمادى الأولى ٥٨٧ هـ/ ١٠ يونيو ١١٩١م أمر

(1) Cronica dos Godos : Apendice Brandao, cronica de conde D. Henrique, D. Tereso Einfante Alfonso, Porto 1944, P. 271; Chronicon Lusitano : Espana Sagrada, T 14, Madrid 1905, P. 415; Chronicon Conimbricense : Espana Sagrada T23, Madrid 1850, p. 332; Brandao, Mon Lus, Parte 3, P. 193; also : Herulano, Op. Cit., T2, P. 114.

الخليفة جنوده بالهجوم المكثف على المدينة فاشتد القتال بين الطرفين حتى أصاب المدينة بضرر كبير وتراجى للبرتغاليين صعوبة المقاومة مما دفعهم إلى طلب الأمان واستسلموا فحملهم الموحدون فى المراكب وأرسلوهم إلى أشبيلية واستولى الموحدون بذلك على المدينة وقام الخليفة بتنظيم شئون القلعة وأمر بإصلاح ما تهدم منها وترك بها حامية كبيرة نظم لرجالها الرواتب^(١)، وهكذا عادت المدينة مرة أخرى إلى السيادة الإسلامية وكان لقصر أبى دانس دور عظيم فى العصر الموحدى نظرا لاهتمام خلفاء الموحدين بالدفاع عن غرب الأندلس.

كان الحدث الهام الذى أعقب موقعة العقاب وأشار إليه المؤرخون المسلمون بأنه من أكبر الكوارث التى أصابت المسلمين فى الأندلس حتى أنها تعادل هزيمة العقاب كان استيلاء البرتغاليين والصليبيين على قصر أبى دانس.

الجدير بالذكر أن الحملة البرتغالية الصليبية لها مقدمات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالأحداث التى تمر بها شبه الجزيرة الأيبيرية آنذاك وتبدأ بموقعة العقاب ١٢١٢م / ٦٠٩ هـ La Batalla de las novas de Tolosa عندما اتحدت القوى المسيحية كلها فى شبه الجزيرة الأيبيرية وانضم إليها كثير من الصليبيين من خارج شبه الجزيرة (من شتى بقاع الغرب الأوربي) كما أشارت المصادر الإسلامية والمذونات المسيحية وبرعاية البابا أنوسنت الثالث (١١٩٨ - ١٢١٦م) وكان انتصار القوات المسيحية

(١) ابن عذارى : البيان المغرب، القسم الثالث (المهدين)، من ١٧٤ - ١٨٥، غنان : عصر المرابطين والمهدين، ج ٢، من ١٨٦ - ١٨٧.

Huici, Op. Cit., T1, pp. 355-356; Lomux, D.W. : La reconquista ,
Barcelone 1984, p. 155.

ضد الجيش الموحدى بقيادة الخليفة محمد الناصر (٥٩٠ - ٦١٠هـ / ١١٩٩-١٢١٢م)^(١).

والجدير بالذكر أن المصادر المسيحية اتفقت على اشتراك جيش من البرتغاليين واختلفوا فى قيادة هذا الجيش ما بين الملك ألفونسو الثانى (١٢١٥-١٢٢٢)^(٢)، والأمير البرتغالى بدرو Pedro أخو الملك وثالث أبناء الملك سانشو الأول (١١٨٥ - ١٢١١م)^(٣). ولكن لم يشترك ألفونسو الثانى (البرتغالى) بنفسه فى المعركة ويؤكد ذلك المؤرخ المعاصر رودريك الطليطلى

(١) للمزيد من التفاصيل عن هذه المعركة انظر :

ابن عذارى : البيان المغرب، القسم الثالث (الوحديين)، الدار البيضاء، ١٩٨٥، ص ٢٦٢ - ٢٦٥،
ابن أبى زرع : الأنيس الطوب بروض القرطاس، الرياض، ١٩٧٢، ص ٢٣٨-٢٤٠، العميرى : صفة
جزيرة الأندلس، القاهرة، ١٩٢١، ص ١٢٨ - ١٢٩. أما المصادر المسيحية أهمها :

Rodrigo. Historia de las hechas de Espana, Madrid 1982, pp. 308-323,
Primera Cronica general de Espana, Madrid 1955, p. 98, Cronica
Latine de los Reyes de Castilla, Un. de Cadiz, 1948, pp. Lucas de Tuy
: Cronica de Espana, Madrid, 1962, pp. 413-415.

بالإضافة إلى المؤلفات العربية وأهمها :

حنان : عصر المرابطين والموحدين، ج٢، القاهرة ١٩٦٤، ص ٢٠٢ - ٢١٧،
وهناك دراسة لويش سيرانده حول معارك الاسترداد الكبرى :

Huñi, M. : Las Grandes Batallas de la reconquista, Madrid 1956, pp. 213-340.

(2) Duarte, Nomes de leao : Chronica del rei dom a fonso 011,
Cronica das reis de Portugal, Porto 1975, p. 119. Cf. Also : Serano ,
J.V. : Historia de Portugal, Voll, Lisboa 1979, P. 121, Stephens,
H.M., : Portugal, London 1891, pp. 7-1 Denis, F. : Hisoria de
Portugal, Barcelona 1848, p. 17, Mattoso, A.G.: Historia de
Potugal, Voll, Lisboa 1939, pp. 69-70.

(٣) أشباح : تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ١١١ - ١١٢.

رئيس أساقفة طليطلة - الذى كان له دور كبير فى الإعداد والاشتراك فى هذه الواقعة - الذى لم يشر إلى ألفونسو بل أشار إلى ثلاثة ملوك قابوا الجيوش المتحدة هم سانشو السابع ملك ناغار ويدرو الثانى ملك أراجون (١١٩٦ - ١٢١٢م)^(١) وألفونسو الثامن (النبيل) ملك قشتالة (١١٥٨ - ١٢١٤م)^(٢) واتفق مع كثير من المؤرخين^(٣).

والجدير بالذكر أن موقعة العقاب من أشد النكبات التى تعرض لها المسلمون فى شبه الجزيرة الأيبيرية وكان لها أكبر الأثر فى تدهور أوضاع المسلمين فى الأندلس إذ أن سلطان الموحدين فيها قد انهار؛ وكان الخليفة محمد الناصر قد صب جام غضبه على زعماء الأندلس بعد الهزيمة لاعتقاده بأنهم السبب فى الهزيمة على الرغم من إعداد جيشه الكبير فقتل وعزل

(١) لمزيد من التفاصيل من يدرو الثانى ملك أراجون (١١٩٦ - ١٢١٢م).

انظر : بحثنا عنه (سياسة يدرو الثانى ملك أراجون فى جنوب فرنسا ١١٩٦ - ١٢١٢م - مجلة التاريخ والمستقبل - كلية الآداب - جامعة المنيا - العدد الثانى - يوليو ١٩٩٨).

(٢) حكم ألفونسو الثامن ملكة قشتالة من ١١٥٨ - ١٢١٤م وقد توفى والده سانشو الثالث وأبنيه من العمر ثلاث سنوات مما أدى إلى تصارع أسرتى كاسترو ولارا حول الرصاية عيه واندلعت الحرب الأهلية فى مملكة قشتالة حتى استطاع أن يوطد الأمور عام ١١٦٩م عندما بلغ سن الرشد. ومن أشهر ملوك قشتالة وقد شهد هزيمة الأرك عام ١١٩٥م على أيدي الموحدين وانتصاره عليهم فى موقعة العقاب ١٢١٢م/ ٦٠٩هـ. ولما حكمه احتفظت مملكة قشتالة بتفوقها السياسى والعسكرى على باقى الممالك الأسبانية المسيحية. ولمزيد من التفاصيل انظر :

Cronica Latina de los Reyes de Castilla , Un. Cadiz, 1984, pp. 21-35, Rodrigo, Op. Cit. pp. 296 - 329.

وانظر مؤلف جناتك عن ألفونسو الثامن :

Gonzalez J. El Reino de Castilla en la epoca de Alfonso VIII, Madrid, 1960.

(3) Rodrigi, Op. Cit., PP. 316-317, Cronica Latina, P. 30, Cf also Herculano, Op. Cit., PP. 217-218, Huici, Op. Cit., PP. 253-254.

كثيرت ثم عاد إلى المغرب لينقمس في مشكلاتها واحتجب في قصره تاركا
شئون الدولة وانغمس في لذاته كما أشارت المصادر حتى سُمِرَ في طعامه
وتوفي بعد عام من المعركة ٦١٠هـ - ١٢١٣م^(١).

تولى ابنه من بعده أبو يعقوب يوسف المنتصر بالله (٦١٠ - ٦٢٠هـ/
١٢١٣ - ١٢٢٤م) الذي كان لديه من العمر عشر سنوات (وفي رواية ١٥
عاماً) فدخلت دولة الموحدين دور الانحلال والضعف والصراع على انتزاع
العرش وانتهزت القوى الموحدية وأصبحت الأندلس مسرحاً للحروب الأهلية
وخير توضيح لذلك ما ذكره ابن أبي ذرغ.

دكان حين بويح صغير السن كما راق الحلم لا حكمة له ولا
تجربة ولا معرفة بالأمور فأقام بأشياخ الموحدين دولته مع أشياخ
من أعمامه فاستقرت خلافته لأجل ذلك ولم ينازع عليها ولم
يفز في أيامه ولم يقدر عليه وكانت أوامره لا تمتثل وكل من
ولى بلداً عمل فيه براهيه واستبد فيه بأمره فضعفت دولة
الموحدين في أيامه واعتراها النقص وأخذت في الإدبار،^(٢).

ويتضح مما سبق أنه كان أضعف من أن يتولى مقاليد الحكم بنفسه
فتركها لأعمامه طامحين ووزراء سيئ السمعة لاهم لهم إلا مصالحهم وكان
يحكم الأندلس أربعة من أعمامه : هم السيد أبو محمد عبد الله بن المنصور
ويحكم بلنسية ودانية وشاطبة ومرسية، والسيد محمد ويحكم قرطبة والسيد

(١) ابن أبي ذرغ : روض القرطاس ، ص ٢٤٦ ، أشياخ : المرجع نفسه ، ج ٢ ، ص ١٥٢ .

Huici, M ; Historia Politica del Imperio Almohades, T2, Tetuan
1956, P. 433.

(٢) ابن أبي ذرغ : روض القرطاس ، ص ٢٤٢ ، انظر أيضا مؤرخ مجهول : الحلال الموشية في ذكر
الأخبار المراكشية ، الدار البيضاء ١٩٧٩ ، ص ١٦٢ .

أبو على ويحكم أشبيلية، والسيد أبو عبد الله ويحكم جنوبي الأندلس^(١).
هكذا كانت أوضاع دولة الموحدين بعد موقعة العقاب وأثناء الحملة البرتغالية الصليبية.

أما بالنسبة لأثر معركة العقاب على الممالك المسيحية فإنها لم تنقذ الممالك المسيحية الأسبانية فقط بل إنها هيأت الأوضاع لتحقيق أكبر الإنجازات باستغلال الأوضاع المتدهورة للمسلمين في الأندلس ولكن ما لبثت أن ثارت المنازعات بين مملكتي ليون وقشتالة عقب موقعة العقاب مباشرة وعندما انتهت بعقد الهدنة أعقبها قحط مروع ومجاعة كبيرة أثرت على الممالك المسيحية لاسيما مملكة قشتالة فكان من المتعذر شن حملات منظمة على الأراضي الإسلامية^(٢).

وإن كانت هناك إشارات من المصادر إلى أنه في عام ١٢١٤م قد دعا ألفونسو الثامن ملك قشتالة كلاً من ألفونسو الثاني ملك البرتغال (١٢١١ - ١٢٢٢م) وألفونسو التاسع ملك ليون (١١٨٨ - ١٢٢٠م) لتوثيق أو اصر الصداقة والسلام بينهم وتنظيم حملة مشتركة ضد أراضي المسلمين لكن ألفونسو الثامن توفي قبل تنفيذ ذلك في ١٦ أكتوبر سنة ١٢١٤^(٣).

أما بالنسبة لمملكة البرتغال فإن ويشى ميراندا أشار إلى أنها لم تعاني من القحط والوباء اللذين نشبا في باقي الممالك المسيحية^(٤). لكنها انشغلت بمشكلات عديدة ومعقدة منذ بداية عهد الملك ألفونسو الثاني

(١) أشباح : المرجع نفسه ، ج ٢ ، ص ١٥٢ .

(٢) Rodrigo , Op. Cit., PP. 326-427, Cronica Latino, PP. 40-41.

(٣) أشباح ، المرجع نفسه ، ص ١٢٧ - ١٢٨ .

(٤) Huici, Op. Cit., T2, P. 442.

(١) (١٢١١-١٢٢٢م) ، بسبب وصية أبيه سانشو الأول حيث كان قد أوصى بالملكة لابنه ألفونسو ومنع إقطاعيات وأراضى لإخواته البنات مع تعهد ألفونسو الثاني باحترام هذه الوصية، ولكن بعد وفاة أبيه طالب بأن تخضع هذه الأراضي لسلطته، وكان ذلك بداية لنزاع خطير آنذاك تدخلت فيه القوى الأخرى المتمثلة في مملكة قشتالة والبابوية حيث أيد البابا أنوسنت الثالث مطالب إخوة ألفونسو، وأرسل مبعوثين لحل هذه المشكلة ولكن لم ينجحوا في الوصول إلى اتفاق مع الملك مما دفع البابا إلى إصدار قرار الحرمان الكنسي ضد ألفونسو الثاني مما أثار الأخير واستولى بالقوة على أملاك إخوته ونشبت الحروب بينهم وتدخل جيش قشتالي لكن لم ينجحوا في إجباره على التراجع ولم يجدوا إلا المفاوضات والتوسطات في السبيل لحل هذه المشكلة وهذا ما تم في عام ١٢١٦م (٢).

ولذلك أعاققت هذه المشكلات أى توجه أو مشاريع لغزو أراضى المسلمين إلى أن حانت الفرصة في عام ١٢١٧م، عندما دعا البابا أنوسنت

(١) ولد ألفونسو الثاني في تمريية ٢٢ أبريل سنة ١١٨٥م وكان لديه ٢٦ عاماً عندما تولى العرش في ٢٧ مارس سنة ١٢١١م وكان قد تزوج في سنة ١٢٠١م من برنينا أوراكا ابنة ألفونسو التاسع ملك ليون.

Rodrigo. Op. Cit., P. 272; CF. also : Cronico do Rei D. Afonso II, Crônicas Dos Sete Primeiros Reis de Portugal, Edicao. Crítico Carlos Das Silve Tarouco, Vol 1, Lisboa 1952, pp. 181-182. Denis, Op. Cit., P. 17.

(2) Duarte : Chronica de Rie Dom Afonso II, Crônicas Dos Reis de Portugal, Porto 1975, p. 118.

أشباح : المرجع نفسه ، ص ٢٠٢ - ٢٠٤ .
• ولزيد من التفاصيل انظر .

Herculano , Op. Cit., T2. pp. 181-205.

الثالث للحملة الصليبية الخامسة ضد مصر ثم تابعها بعد وفاته البابا هونوريوس الثالث (١٢١٦-١٢١٧م)^(١)، وقد استجابت لها مختلف القوى الأوروبية يهمنها منها إحدى الفرق من غرب أوروبا والمكونة من عدة مناطق أهمها هولنده عند أمر أميرها بتشكيل حملة أسطول بقيادة الكونت جالرمو Guilherme ومن كولونيا أيضاً بقيادة الكونت ويز Withe ومن هنفاريا عندما أمر ملك هنفاريا أندر Andr الأمراء بالاشتراك في هذه الحملة بجيوشهم بالإضافة إلى فرق من ألمانيا تضم بعض العناصر السابقة وكذلك قوات من الفريزيين بقيادة الكونت جورج فون والفلاندرز ومن هيناو Henau والفلمنك ومختلف بقاع القرب الأوربي حيث استعد الجميع للإبحار من ميناء وليردينجز Wliardingess^(٢).

وصل هذا الأسطول - الذي اختلف المؤرخون في عدد سفنه ما بين ١٥٠ سفينة^(٣)، و ١٠٥ سفينة^(٤)، و ٢٠٠ سفينة^(٥) . و ٢٠٠

(1) Brandao, A, Monarquia Lusitana, Parte 4, Lisboa 1974, p. 89;
CF. also : Herculano, Op.Cit., T2, P. 253, Peres, D. Historia de Portugal, Vol 2, Barcelos 1929, P. 185.

(٢) اختلفت المصادر في عناصر هذه الحملة ومجموع العناصر في المؤلفات التالية :

Duarte, Op. Cit., P. 120, Cronica do Rei, D. A. Fonso II, P. 185;
Brandao, Monlus., p. 89, CF. also : Herculano, Op. Cit., P. 254;
Peres, Op.cit., P. 185; Serrao, J.V.: Historia de Portugal, Vol1, Lisboa 1979, PP. 121 - 122, Chantal's : Historia de Portugal Barcelona 1960, pp. 46-47.

- أشباخ : المرجع نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٠٥ ، عن : عصر الرابطين والموحدين ، ج ٢ ، ص ٢٢٨ .

(3) Duarte, Op. Cit., P. 120.

(4) Cronico, do Rei, D.A. Fonso II, P. 185.

(5) Chantal, Op. Cit., P. 46 : Denis, Op. Cit., p. 18.

- أشباخ ، المرجع نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٠٥ .

سفينة^(١). ويبدو أن اختلاف عدد السفن يرجع إلى أنه كثيراً ما بعض السفن كانت تضم إلى الأسطول في أثناء إبحره إلى السواحل الغربية لشبه الجزيرة الأيبيرية ثم إلى الأرض المقدسة ببلاد الشام.

وصلت السفن إلى ميناء فارو Faro^(٢)، في جليقية وتوجه الصليبيون براً لزيارة كنيسة القديس شانت ياقب وطلب البركات والتوفيق منه^(٣)، ولكنهم استقبلوا استقبالا سيئاً من أهالي جليقية لاعتقادهم أنهم قراصنة خاصة وهم لا يغيب عن أذهانهم القراصنة النورمان، فهم يخشون منذ سنوات عديدة حضورهم لكي يسرقوا رأس القديس شانت ياقب ولذلك أقفلوا طريق شانت ياقب دي كومبوستلا ولم تتم الزيارة^(٤)، وتوجهوا بحذاء الساحل إلى الجنوب ثم تعرضوا لعاصفة هوجاء فتفرقت السفن وتشتت وغرق بعضها وتوجه الباقي إلى ميناء رأس القديس فيكنت Cabo desam Vicente" لكي تتجمع بعض السفن ثم توجهوا إلى ميناء لشبونة Lisbona عند مصب نهر التاجة في ١٠ يولية سنة ١٢١٧^(٥)، لكي تنتظر تجمع باقي السفن.

(1) Herculano, Op. Cit., P. 254.

(٢) إحدى الموانئ الصغيرة جداً بالقرب من مدينة شانت ياقب وهي في جليقية وتطل على المحيط الأطلنطي وهي غير مدينة فارو في جنوب البرتغال والتي تدمر شتتيرة الغرب.

(3) Ibid., P. 255.

(4) Chantal, Op. Cit., P. 47.

- وقد تعرضت حملات صليبية من قبل إلى نفسها هذه الأحداث وعلى سبيل المثال الحملة المكونة من الفلمنك والألمان والإنجليز الذين تجمعوا في حوالي ٦٠ سفينة لكي يشاركوا في مقدمات الحملة الصليبية الثالثة سنة ١١٨٩م - ٥٨٥ هـ وقف أهالي جليقية ومنعهم بالقوة من دخول المدينة ونشب القتال بين الطرفين وراح ضحيته عدد كبير من القتلى من كلا الجانبين وأجبر الصليبيين على العودة إلى سفنهم.

Herculano, Op. Cit., PP. 42-43, Peres, Op. Cit., P. 12.

(5) Duarte, Op. Cit., P. 120; Cronicado Rei D.A. Fonso II, P. 185; CF. also : Serrao, Op. Cit., P. 121; Herculano, Op. Cit., T2, P. 255.

وفي أثناء انتظار باقى السفن الشاردة وإصلاح السفن العاطية، بدأ يفكرون كعادتهم منذ عهد الملك ألفونسو هيزيكز فى استغلال وجود هذه الحملة الصليبية لكى يستعينوا بها فى تنفيذ مشاريعهم وأحلامهم فى أراضى المسلمين خاصة وأن مملكة البرتغال شهدت نشاطا محموماً للحركة الصليبية إذ إنها تتمثل فيها الروح الصليبية بأكمل معانيها أكثر من أى منطقة أخرى فى شبه الجزيرة الأيبيرية وذلك نتيجة لسواحلها التى شهدت كثيراً من الحملات الصليبية التى كانت تمر بها.

أمر الملك ألفونسو الثانى أسقف لشبونة سويرو Soeiro برناسة وفد - وكان ألفونسو الثانى يستخدمه فى مهام الدولة متعلماً كان مبعوثه من قبل إلى روما لأجل حل مشكلاته مع البابوية -، وكان معه أسقف يابره Evora ورئيس دير الكوبازة Alcabaca وقائد بلمالة وهو مارتينو Martinho وكثير من الفرسان المشهورين من مختلف أعضاء جماعات رهبان فرسان الداوية بقيادة بدرو البيتيز Pedro Alvitiz والإستبارية لاستقبال الصليبيين استقبلاً رائعاً^(١).

وهنا بدأ الأسقف سويرو يمرض عليهم أنه بدلا من الحملة الصليبية فى الأراضى المقدسة فهنا لايقبل المجد والثواب عن الشرق لأنه الأعداء هنا هم الأعداء هناك ومن أجل الكفاح من أجل الكاثوليكية^(٢)، واستعرض فى خطاب بليغ بكلمات رنانة وتصوير بليغ حدد هدفه بقوله :

«إن حضوركم حسن لأنه توجد القلعة المدعوة القصر والتى تقع

(1) Herculano , Op. Cit., P. 257, Perse, Op. Cit., P. 185, Fortunato de Almeida : Historiede Portugal , T1, Coimbro 1922, P. 197, Stephens, Portugal , London, 1891, P. 72.

(2) Brandao, Mon. Lus. P. 89.

فى جنوب أرضنا وتسبب لنا كثيرا من الأضرار ولذلك نطلب
منكم المساعدة فى تدميرها ويدون شك فإن الله سيضفى علينا
المجده^(١).

وقد شرح لهم مدى الأضرار من هذه القلعة خاصة وأن المسلمين
يخرجون منها للإغارة على الأراضى البرتغالية ويسببون كثيرا من الأضرار
لها وعرض عليهم المزايا المختلفة ووضح لهم أنه من الصعب طرد المسلمين
من هذه القلعة بون المساعدات^(٢)، خاصة وأنهم كثيرا ما هاجموا المدينة برا
لكن كان هناك نقص فى الحصار البحرى^(٣).

وهنا يثار تساؤل مهم هو: ما هى حقيقة الأضرار التى تعرضت لها
أراضى البرتغال من مدينة قصر أبى دانس Alcacerdo sal، وما أهمية
الدوافع الحقيقية للاستيلاء على هذه المدينة.

ومن الجدير بالذكر أن هذه المدينة تقف عائقاً أمام مشاريع مملكة
البرتغال فى حركة الاسترداد تقف هذه المدينة لأن البرتغاليين لا يستطيعون
الاستيلاء عليها بون حصار بحرئ لم يتوفر هذا لهم وفى الوقت نفسه
لا يستطيعون التقدم جنوبا ويتركون من خلفهم هذه المدينة القوية الحصينة
التي تعتبر المشرقة على منطقة الانتخرا وجنوب غرب شبه الجزيرة
الأيبيرية، أما إشارة الأسقف سوير فى خطابه إلى أنها سببت أضرارا
كثيرة، حقيقة إنها قريبة جدا من أراضى البرتغاليين إذ نجد أنها قريبة من
قلعة بلالة Palmela التي تقع فى الشمال الغربى منها قريبة وأيضا من

(1) Cronica do Rei D. A. Fonso II, PP. 186-187, CF. also : Serrao,
Op. Cit., P. 122.

(2) Duarte, Op. Cit., PP. 120 - 121.

(3) Herculano , Op. Cit., T2, P. 57.

مدينة يابرة (يبورة) Evora التي تقع إلى الشمال الشرقى منها إلا إن حملات ضد الأراضي البرتغالية منها هي حجة استخدمها الأسقف لكي يزكى حماس الصليبيين ويفريهم بالاشتراك في مشروع الحملة ومن خلال بحثنا عن أى نشاط أو حملات من هذه المدينة خاصة بعد موقعة العقاب لم نعثر على شئ من هذا خاصة وأن ما أشرنا عن أوضاع المسلمين في الاندلس بعد موقعة العقاب ينفي أن تكون هناك هجمات منظمة أو حملات من هذه المدينة ضد الأراضي البرتغالية لكن أهميتها بالنسبة لمملكة البرتغال تكمن في أن الاستيلاء عليها يفتح أمامها مجال استئناف حركة الاسترداد لأنها كانت العائق وحائط الصد الرئيس أمام مشاريع تقدم البرتغاليين في الأراضي الإسلامية في الجنوب الغربى من شبه الجزيرة الأيبيرية نحو الجنوب. وإذا عدنا إلى موقف الصليبيين من عروض الأسقف سوريو نجد أنه قد تنوع الاستجابة وما بين تنفيذ رغبة الباباوية وأنهم حملوا الصليب من أجل الأراضي المقدسة في الشرق وتنازعوا فاستجاب بعضهم ومنهم القلمنكيين الذين قبلوا بشروط ورفض بعضهم ودخلوا إلى الشرق ومنهم الفريزيين^(١).

بدأت الاستعدادات بأمر من الملك ألفونسو الثانى الذى كان مشغولا بنزاعاته ومشكلاته - كما أشار ويثى ميراندا -^(٢). أو مريضا فى قلمرية كما أرادت أن تبرر المدونات البرتغالية عدم اشتراكه فى هذه الحملة -^(٣). واجتمع مع أسقف لشبونة سوريو المشرف العام على الاستعدادات والحملة - كل من دون بدرو مقدم الداوية وجماعته ودون جوثالو مقدم الأسبترارية

(1) Peres, Op. Cit., P. 185; Serrao, Op. Cit., P. 122.

~ فى رواية اشياخ رحل ٨ سفينة منهم، نفس المرجع، ج ٢، ص ٥٢.

(2) Huici, Op. Cit., T2, P. 442.

(3) Duarte, Op. Cit., P. 121; Brandao, Mon., Lus., P. 90.

وجماعته ومارتين بايز بارجاو Martin Pais Barregao قائد جماعته شانت ياقب في البرتغال وزعمها وكذلك أسقف بايرة Evore ورئيس دير الكوياسة وقائد بلمالة Palmela بون مارتين سيريز Dom Martin Peris وكثير من الفرسان والمشاه البرتغاليون حيث قدر عددهم جميعا ٢٠ ألف من المشاة بينهم عدد قليل من الفرسان^(١)، وكان الهدف التوجه برا إلى مدينة قصر أبي دانس، في حين خرجت السفن الصليبية وأشارت المصادر إلى أنها ثمانون سفينة مع بعض القوارب وم انضم إليها من السفن الشاردة في الطريق وتوجهوا جميعا جنوبا إلى مصب نهر شطوير (Sado Satubal) في ٢ يوليو سنة ١٢١٧ م وتوغلوا في النهر حتى وصلوا إلى قرب مدينة القصر حتى إنهم أسروا في طريقهم بعض ما وجدوا من صائدي السمك من المسلمين ثم عسكروا في الضاحية المواجهة لأسوار المدينة وانتظروا أربعة أيام حتى وصل البرتغاليون في ٢ أغسطس سنة ١٢١٧ م، تجمعت القرات البرتغالية والصليبية أمام أسوار مدينة قصر أبي دانس^(٢).

وهنا كانت المفاجأة للمسلمين الذين أسرعوا بالتحصن داخل المدينة واعتمدوا على حصانة أسوارها وعلوها وقوة تحصيناتها، وحاميتها القوية التي أشارت إليها المصادر البرتغالية وأفاضت^(٣)، وقد أشار الأستاذ

(1) Basto , Op. Cit., P. 159; Brandao, Mon... Lus., P. 90; Chronica do Rei D.A.Fonso, P. 88; CF also : Fortunato , Op. Cit., P. 197.

(2) Duarte Op. Cit., P. 121; CF. also : Serrao, Op. Cit., P. 122; Herculano , Op. Cit. T2, PP. 259-260.

(٣) انظر تفصيلات ذلك في

Basto : Op. Cit. P. 160;

Brandao , Mon... Lus... P. 90, Cronica do Rei, D.A.Fonso II, PP. 188-189).

باسيليويابون في دراسة أثرية له أن المدينة كانت لديها أسوار قوية وقلعة والأسوار كلها تشتمل على أبراج وأبراجها على ارتفاع يتراوح ما بين ٧٥ و٨٠ متراً وسماك السور ٢,٢٦ متر وبعض الأبراج تعطيك انطباعاً بأنها منفصلة عن الأسوار إلا إن أسوارها وأبراجها محكمة^(١).

بدأ هجوم القوات المشتركة على أسوار المدينة في يوم ٢ أغسطس بقذف المدينة وضواحيها ولم يستطع المسلمون الخروج من داخل الأسوار وقد نجحت المدينة في صد هذا الهجوم خاصة وإن أسوارها تحتوى - كما أشونا - على كثير من الأبراج المحصنة القوية للمراقبة والدفاع وقد حاول المهاجمون وضع السلام على الأسوار لكنهم فشلوا لاستئصال المسلمين في الدفاع وبدأ القتل يتساقطون من الجانبين^(٢).

عانت القوات البرتغالية الصليبية إلى معاودة الهجوم مرة أخرى على أسوار المدينة واستعانوا في ذلك باثنين من الأبراج وعلى الرغم من ذلك نجح المسلمون في رميها بالنار وأحرقوها مما دفع المهندسين إلى إنشاء أبراج أخرى وتغطيتها بمراد لا تشتعل بها النار وهاجموا الأسوار مرة أخرى واشتد القتال وبدأ الهجوم شديداً ودافع المسلمون دفاع المستميت وكثر عدد القتلى من الجانبين^(٣).

طورت القوات البرتغالية من هجومها وبدأت في استخدام آلات الحرب بشكل مكثف لتغطية المهندسين المسيحيين الذين نجحوا في الوصول إلى

(1) Pavon : Basilio : Ciudades Y Fortalezas Lusomusulmanas , Madrid 1993, P.

(2) Duarte, Op. Cit., P. 121; CF. also : Herculano : Op. Cit., T2, P. 260.

(3) Cronicado Rei D. A Fonso, P. 189, CF. also : Peres, Op. Cit., P. 189; Fortunato , Op. Cit., P. 197.

أسوار المدينة ولمحاولة إحداث ثغرات فى هذه الأسوار لكن المسلمين أحبطوا عملهم ومنعوه من ذلك^(١)

وهكذا استمر الحصار شهرا ونصف الشهر وتعددت محاولات الصليبيين والبرتغاليين فى مهاجمة الأسوار وحاولوا إحداث ثغرات أو هدمها وفى مواجهة ذلك استمات المسلمون فى الدفاع عن المدينة وأصبح القتلى والجرحى كثيرون من كلا الطرفين^(٢). فلم يجد حاكم المدينة عبد الله بن وزير^(٣) إلا طلب النجدة بارسال رسائل إلى ولاة الأندلس جميعاً من أجل تقديم المساعدة لقصر أبى دأش وكانت أخبار هذه الأحداث قد وصلت هذه الأحداث إلى الخليفة المستنصر الموحدى الذى أمر ولاته فى شبه الجزيرة بتقديم المساعدة لأبى عبد الله^(٤).

(1) Herculano, Op. Cit., T2, P. 260.

(2) Dyarce, Op. Cit., P. 120; Cf. also: Huici, Op. Cit., T2, P. 442.

(٣) أشار إليه ابن الأبار فى الحلة السراء بأنه كان واليا على قصر الفتح وماليه من القلبر وبعد وفاته ولى عبد الله ذلك وقد تقدم ذكر أبيه أبى بكر فى آخر الملة السادسة، وكان أكبر بنية والوارث دون إخريه... ولم تظل ولايت ولا كانت تتبين كفايته، حتى نازله الإفرنج وتغلبوا عليه فى جمادى الأولى سنة ٦١٤هـ بعد وقعة هناك فقد فيها آلاف من المسلمين يتقاتل رؤسائهم يوم التقى الجمعان وهما إحدى الكراش المنثرة حينئذ بما آل إليه أمر الأندلس الآن وأسر عبد الله هنا ومن كان معه ثم تخلص من تلك الحال بحيلة توجهت له واستعمل بعد وفاته على مراكز إثر خلاصه وقيست عليه العامة بتمزيك محمد بن يوسف بن هو الملقب بالمتوكل - أياها عليه وعلى أهل بيته وسبق إليه فقتله وأخاه أبا عمر وعبد الرحمن منصرفه من الوقعة العظمى عليه بمارحة من الثغر الجنوبي فى سنة سبع وعشرين وستمائة، ج ٢، ص ٢٩٥ - ٢٩٦، دار المعارف ١٩٨٥، وقد أشار ابن أثار أيضا إلى أبيه محمد بن سعيد بن عبد الوهاب بن وزير القيس أبى بكر أنه من أشهر زعماء عرب الأندلس وأقرب اسمه بشرة الأندلسيين على المرابطين وكان ولى قصر الفتح المنسوب إلى أبى دأش عن استرجاعه من أيدي الروم فى جمادى الأولى سنة ٨٧٤م/ ١١٩١م، ص ٢٧٠ - ٢٧٢

(٤) ابن أبى زرع - روض القرطاس، ص ٢٤٢ - حنان - المرجع نفسه، ج ٢، ص ٢٢٨.

Herculano, Op. Cit., T2, P. 261.

استجابت المدن المجاورة لقصر أبي دانس وتكون جيش من مسلمي الأندلس وأشارت المصادر والمدونات البرتغالية إلى أنهم كانوا بقيادة أربعة ملوك (ويقصد بهم ولاية أي حكام ولايات) وهم ولاية بطليوس وقرطبة وإشبيلية وجيان^(١). ومن انضم إليهم من جنود مناطق غرب الأندلس كما أشار ابن أبي زرع^(٢). وقد وضع ذلك المؤرخ هرقلائو وقال بأنه قد انضمت أيضا قوات من شريش Jerez^(٣). واستجبة Ecija وقرمونة Carmona^(٤) وإحدى المدن التي تدعى Xeques desiolonio^(٥) (لم نستدل على اسمها العربي).

ومن الجدير بالذكر أن مدونة الكوياسة قد أشارت إلى ثلاثة ملوك (ثلاثة ولاية) هم حكام قرطبة وإشبيلية وجيان^(٦). وهذا يتفق مع الرواية

(١) Duane, Op. Cit., P. 121; Basto, Op. Cit., P. 161; Cronicedo Rei D. A. fonso, P. 190; Cf. also . Stephens, Op. Cit., P. 72.

(٢) ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ٢٤٢.

(٣) شريش : عرفها العميري « من كور شيزونة بالأندلس » بينها وبين قلشانة خمسة وعشرين ميلا وهي على مقربة من البحر ... وشريش متوسطة حصينة حسنة الجهات قد أطافت بها الكروم الكثيرة وشجر الزيتون والتين والعنطة ، بها مكنة صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٠٢ والمصادر العربية جميعاً التي تناولت وصف الأندلس نصت على أن شريش كانت قاعدة أو حاضرة كورة شيزونة.

(٤) قرمونة : أشار إليها العميري بقوله : « مدينة بالأندلس في الشرق من إشبيلية وبينها وبين إستجة خمسة وأربعون ميلاً وهي مدينة كبيرة قديمة . المصغر نفسه ، ص ١٥٨ - ١٥٩ . وفي وصف ابن الشباط لها « قال في اختصاص اقتباس الأنوار - قرمونة مدينة بالأندلس شرق من إشبيلية وغرب من قرطبة وهي مدينة قديمة - تاريخ الأندلس لابن الكريبوس ووصفه لابن الشباط ، تحقيق أحمد مختار العياشي ، معهد الدراسات الإسلامية بمطريد ، ١٩٧١ ، ص ١٢٨ وهي الآن مركز إداري في مقاطعة إشبيلية.

(5) Herculano , Op. Cit., T2, P. 261.

(6) Brandao, Mon ... Lus... P. 91.

الإسلامية (ابن أبي زرع والحميرى)^(١) فلم بشيروا إلى بطليوس Badajoz وإن كانوا قد أشاروا إلى خروج جنود أيضا من غرب الأندلس وهي تشمل بطليوس وشريش مناطق غرب الأندلس الأخرى، وذلك يوضح أن الجيش كان من مختلف مدن ومناطقها غرب الأندلس بنجدة مدينة قصر أبي دانس خاصة وأنه كان هناك أمر من الخليفة المستنصر لكل مسلمي الأندلس.

تكون الجيش وقد بلغ تعداده كما أشارت لمونات البرتغالية خمسة عشر ألفاً من الفرسان وثمانون ألفاً من المشاة و ١٢ سقينة (وفى رواية ١٠) كحملة بحرية^(٢). وفى رواية أخرى لمدونة الكوياسة وهي أقرب المدونات البرتغالية إلى الأحداث أنهم خمسة عشر ألفاً من الفرسان وأربعون ألفاً من المشاة وكان معهم أسطول من السفن^(٣). لكن المدونات المسيحية دأبت على المبالغة فى أعداد المسلمين لكى تبرز أهمية هذا النصر والدليل على ذلك - كما أشرنا - مدونة الكوياسة التى أشارت إلى عدد أقل ويلاحظ أنه كلما بعدت المؤلفات التاريخية زمنياً عن الحوادث كلما زادت المدونات المسيحية فى أعداد الجيوش الإسلامية.

استعدت القوات الإسلامية وتوجهت براً وبحراً إلى قصر أبي دانس ووصل الجيش البرى فى ١٠ سبتمبر سنة ١٢١٧م واستقر فى ضاحية تدعى سبتموس La Ribeirie Sitimos على بعد ثلاثة أميال من معسكر الصليبيين^(٤)، وكما أشارت المصابير البرتغالية أحس البرتغاليون

(١) ابن أبي زرع : الروض القرطاس، ص ٢٤٢، الحميرى : حلة جزيرة الأندلس ، ص ٨٢.

(2) Duarte, Op. Cit., P. 121; Basto, Op. Cit., P. 161; Cronica do Ric, D. A. fonso II, P. 19).

(3) Brandao, Mon..Lus., P. 91; CF. also : Peres, Op. Cit., T2, P. 187, Herculano, Op. Cit., T2, P. 261.

(4) Cronicado Ric D. Afonso II, P. 190; CF. also : Herculano, Op.Cit., T2, P. 261, Huici, Op. Cit., T2, P. 442.

والصليبيون أحسوا بالخطر الكبير مما دفع قوادهم إلى تركية حماسهم وطرح الخوف جانباً وقام الأسقف سوير وخطب فيهم ليطرحوا الخوف جانباً^(١). ولكن في مساء يوم ١٠ سبتمبر سنة ١٢١٧ نفسه وصلت إمدادات جديدة للمسيحيين أيضاً كانت غير متوقعة حيث وصلت إلى نهر شطوير ٢٦ سفينة أتت من غرب أوروبا من لاسيما اقليم هولندة بقيادة الكابتن هنري Henrique de Venuso، الذي كان قد حارب وشارك من قبل في الحروب الصليبية في بلاد الشام^(٢) وقد أشار المؤرخ^(٣) هرفلانو أنهم من الصليبيين الذين فرقهم العاصفة التي كانت في (٢٩ مايو) لكن ذلك يستبعد لأنه الفترة من ٢٩ مايو حتى ١٠ سبتمبر فترة كبيرة تمتعنا من تصديق أن هذه السفن شاردة والأقرب إلى منطق الأحداث أن هذه السفن كانت غير المجموعة السابقة خاصة وأن مجموعات من السفن تخرج في أوقات مختلفة للمشاركة في الحروب الصليبية ويؤكد وجهة نظرنا أن إحدى الدونات أشارت إلي أن هذه السفن خرجت من المدينة المدعوة تاجيت Tageito^(٤). وكانت هذه السفن هي مجموعة تتقاطر استجابة لدعوة البابوية للحملة الصليبية الخامسة واستجاب هؤلاء الصليبيون الجدد لدعوة البرتغاليين بالمساعدة في الحملة على قصر أبي دانس خاصة - وكما أشرنا - أن جميعاً هذه الحملات كانت تمر على سواحل البرتغال وترسو في موانئها للتزود بالماء والطعام وأنه منذ عهد ألفونسو هيركز تتم الاستعانة بهذه الحملات في مشاريع البرتغاليين ضد المسلمين.

(1) Basto, Op. Cit., P. 162.

(2) Duarte, Op. Cit., P. 121; Basto, Op. Cit., P. 161; Brandao, Mon.. Lus., P. 91.

(3) Herculano, Op. Cit., T2, P. 262.

(4) Chronica do Rei D. Afonso II, P. 190.

وفى الوقت نفسه أرسلت نجدة من البرتغاليين بأمر من الملك ألفونسو الثانى وكان تعدادها أكثر من خمسمائة فارس^(١)، وهم من جماعات رهبان فرسان الداوية والاستبارية ومن خارج الأراضى البرتغالية - من مملكة ليون غالباً - وقدر عددهم بثلاثمائة والباقيون من فرسان البرتغاليين وكانت النجدة بقيادة زعيم من زعماء الداوية وهو بيدرو البيثيز Pedro Alvitz^(٢).

اختلفت المدونات البرتغالية فيمن بدأ الهجوم لكنها اتفقت على أن القتال بدأ يوم ١١ سبتمبر وبدأ أولاً بالأسطول الإسلامى حيث توجهت السفن الصليبية وهاجمت السفن الإسلامية التى فرت عقب هزيمتها^(٣)، ثم بدأ الجيش البرتغالى الصليبي فى مواجهة الجيش الإسلامى وأشارت إحدى المدونات البرتغالية إلى أن الصليبيين لم ياكفوا ملابس المسلمين الموسيقى وهى الطبول التى يدقونها بصخب^(٤)، وهناك إشارة إلى أن البرتغاليين والصليبيين كانوا يتفوقون فى العدد على المسلمين^(٥) لكن قراءة الأحداث تنفى ذلك إذ أن عدد جيش البرتغاليين والصليبيين كما كان أشير عشرين ألفاً أو أكثر قليلاً لكن حقيقة أن المدونات البرتغالية بالغت فى أعداد المسلمين ما بين ١٥ ألف فارس و ٤٠ إلى ٨٠ ألفاً من المشاة إلا أنه من المنطقى أن تكون أعداد المسلمين أكثر لأن هذا الجيش مكون من مختلف المدن والمناطق الإسلامية فى غرب الأندلس ومن الممكن أن تضم أعداد من أجزاء الأندلس لأنها تمت بأمر من الخليفة المستنصر لنجدة قصر أبى دانس وكان من المنطقى أن تكون أعداد الجيش كبيرة وتغوى فى كل الأحوال أعداد

(1) Brandao, Mon., Lus., P. 91.

(2) Herculano, Op. Cit., T2, P. 202; Peres, Op. Cit., T2, P. 188.

(3) Cronica do Rei D. Afonso II, PP. 190-191.

(4) Duarte, Op. Cit., PP. 121-122.

(٥) عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ج ٢ ، ص ٢٢٩ .

الجيش البرتغالي الصليبي فقد اتفقت جميع المصادر والمدونات البرتغالية جميعاً. على أن الجيش المسيحي قد أحس بالخطر لتفوق أعداد المسلمين.

بدأ هجوم المسلمين بقوة وكان الجيش البرتغالي الصليبي قد نظم صفوفه. لكنهم شعروا بالخوف من شدة هجوم المسلمين ومن كثرة أعدادهم وهنا تصدى راعي الحملة أسقف لشبونة سوبرو وبدأ يركّز حماسهم بخطبه ووعظه وانتهى اليوم الأول وكانت النتيجة فيه للمسلمين ثم بدأ اليوم الثاني وكان الانتصار في بداية الأمر للمسلمين لكن انقلبت الحال وطور المسيحيون هجومهم وقذفوا بأنفسهم في قلب قوات المسلمين ونجحوا في قتلهم وجعلهم يتقهقرون قليلاً عن ميدان المعركة، وقد أشادت المدونات البرتغالية بالفرقة التي أتت لنجدة البرتغاليين والصليبيين وهم الفرسان الخمسمائة والذين كانوا في مقدمة المهاجمين بقيادة بدرو البيتييز وأحاط الجيش المسيحي بالمسلمين من جميع الجهات^(١). وكان اليوم الثالث للمعركة واستمر القتال وهنا خلطت المدونات البرتغالية الأحداث بالمعجزات والأساطير كعانتها في الحروب إذ أشارت إلى أنهم قد رأوا الصليب لامعاً في السماء بشيراً بالنصر - استخدمت هذه الرواية دائماً منذ عهد قسطنطين الكبير - وأنه إحدى الفرق من الفرسان الرائعين المرتدين البياض مثل الداوة قد شوهدت وهم يعتقدون أنهم الملائكة وكانوا سبب النصر على المسلمين^(٢). وقد سجلت الحادثة في أشعار كانت لها دور كبير بمرور الزمن في ترسيخ

(1) Duarte, OP. Cit., P. 122, Cronica de Rei D. Afonso II, PP. 190-191; Brandao, Mon. Lus., P. 91; CF. also : Herculano, Op. Cit., T2. PP. 263-265.

(2) Brandao, Mon. Lus., P. 92; CF. also : Peres, Op. Cit., P. 188; Herculano, Op. Cit., P. 264.

الأساطير والبطولات الخارقة للمسيحيين بالإضافة إلى إعطاء بطولات عجيبة تفوق قدرة البشر من خلال مدونه جودفري قائد بلعالة^(١).

والجدير بالذكر أن الروايات الإسلامية صسنت عن اخبار هذه النكبة إلا ابن أبي زرع الذي أشار في اخبار موجزة وخاصة عن أحداث المعركة ذاتها فلم يشير إلا إلى «فالمسلمون قد خامر قلبهم الرعب وولوا الأبرار وأخذوا في الفرار لما سبق لهم من الرعب في هزيمة العقاب لأن العدو قد تكالب وقوى وأستأنس فركبهم بالسيف وقتلهم عن آخرهم»^(٢). وأشار الحميري أيضاً بقوله.

«ويلغ الامر الولاة الذين في غرب الأندلس وإشبيلية وقرطبة وجيان فتجهزوا لدفاع العدو وجاء منهم جيش عظيم لكنهم تخاذلوا علي عادتهم فكانت الهزيمة عليهم وولوا منهزمين ووقع القتل والأسر ولم يبرز للمسلمين من الروم إلا نحو سبعين فارساً»^(٣).

وأشار ابن الأبار أيضاً إلى ذلك بقوله :

«ولم تطل ولايته ولا كادت تتبين كفايته، حتي نازله الفرنج وتغلبوا عليه في جمادى الأولى سنة أربع عشرة وستمائة، بعد وقية هنالك فقد فيها الآف من المسلمين بتخاذل رؤسائهم يوم التقى الجمعان، وهي إحدى الكوائن المنذرة حينئذ بما آل إليه أمر الأندلس الآن وأسر عبد الله هذا ومن كان معه ثم تخلص من تلك الحال بحيلة توجهت له»^(٤).

(1) Peres, Op. Cit., T2, P. 188.

(٢) الروض الفطاس ص ٢٤٢ - ٢٤٣.

(٣) صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٦٢

(٤) الحلة السراء ج٢، ص ٢٩٥.

ومما يشير التساؤل أن المؤرخ الثبت ابن عذارى لم يشير إلى تلك الحادثة علي الرغم من أهميتها حتي اعتبرها ابن أبي زرع والحميري وابن الأبار من النكبات الكبيرة التي تعرض لها المسلمون ويشير في حوادث سنة ٦١٤-٦١٥هـ.

«فلم تحقق خبراً أذكره في سنة أربع عشرة وخمسة عشرة»^(١).

ويتضح من تلك الروايات السابقة أن الغموض يشوبها ولم تشر إلى أية أحداث إلا بأن المسلمين في الرواية الأولى قد خشوا من العدو عندما شاهده رولوا الأديار خوفاً مما حدث لهم من قبل في موقع العقاب وانتهز الجيش المسيحي هذا وتغلبهم بالقتل ورواية ابن الأبار فتلقى اللوم وسبب الهزيمة علي تخاذل رؤسائهم أما رواية الحميري وتوضح الرأي نفسه لكنها تصيف «ولم يبرز للمسلمين من الروم إلا نحو سبعين فارساً» ويفهم من ذلك أن الذي واجه المسلمين كان سبعين فارساً من المسيحيين وهذا غير منطقي خاصة وأن الجيش يمثل كل بقاع غرب الأندلس وهو كثير العدد والعتاد حتي إن المدونات البرتغالية أشارت إلي أن المسيحيين هم الذين أحسوا بالخطر وسيطر عليهم الخوف وانتصر المسلمون في بادئ الأمر ولكن انقلبت الحال عليهم في اليوم التالي، واستمرار المعركة ثلاثة أيام دليل علي أن المسلمين قد قاموا لم يتخاذلوا ولكن الهزيمة كانت عليهم وأري أنه من الممكن أن يكون المقصود أن هناك فرقة من المسيحيين مكونة من سبعين فارساً أنت ببعض البطولات أو تتبعت بعض المسلمين المتفرقين أثناء هروبهم وأخذت في قتلهم.

أما بالنسبة للهزيمة للمسلمين فلا جدال في أن كل ما نعر به دولة الموحدين من انقسامات ومشكلات وضعف وهزائم كان ماثلاً أمام الجيش

(١) ابن عذارى : البيان المغرب - فتح الموحدين ، ص ٢٦٦

الإسلامي لاسيما موقعة العقاب وكانت الثقة لديه مفقودة في قوته وفاعليتها ويبدو أن السبب الرئيس في ذلك هو أن الجيش مكون من عدة قواد ولم تكن القيادة موحدة ولم يكن هناك تنسيق في القتال وهذا ما أدى إلى التخطيط بعد تحقيق النصر في أول الأمر ويبدو أن هذا الأسلوب الساخر من ابن أبي زرع والحميري صفة عامة لانهازم المسلمين وضياح أملاكهم في الأندلس خاصة وأن هزيمة المسلمين على الرغم من أعدادهم الكبيرة وقتل أعداد كبيرة منهم دفعتهم إلى هذه السخرية.

أما بالنسبة للروايات البرتغالية فقد بالغت كثيراً في أعداد القتلى المسلمين ففي رواية قتل اثنين من الولاة و ٢٠ ألف مسلم غير الأسري^(١) وفي رواية أخرى قتل الولاة الأربعة (أي حكام إشبيلية ويطليوس وجيان وقرطبة) مع ثلاثين ألفاً غير الأسري^(٢)، وأشار برنداو قدروا أن هناك بعض المؤرخين أشاروا عدد الموتى بستين ألفاً. إلا إن هرقلانو أشار إلى قتل والي قرطبة ووالي جيان وكان مجمل القتلى ما بين ١٤ إلى ١٥ ألف بالإضافة إلى عدد كبير من الأسري^(٣). ويبدو أن الذي زاد من عدد القتلى إشارة إحدى الروايات إلى أنه أثناء الفرار بعد الهزيمة وارتباك الجيش الإسلامي غرق كثير من المسلمين في النهر عندما حاولوا عبوره^(٤).

ويغض النظر عن مبالغات الروايات البرتغالية كانت هزيمة المسلمين كبيرة ومقتل بعض قواد (ولاة) الجيش دليل على شدة المعركة وكثرة القتلى والأسري ولا جدال في أن أعدادهم كانت كبيرة كما تتفق في ذلك الروايات البرتغالية مع الروايات الإسلامية كما أشار ابن أبي زرع «وقتلهم عن

(1) Cronica do Rei D. Alonso II, P. 193 ; Basto, Op. Cit., P. 164.

(2) Duarte , Op. Cit., P. 122.

(3) Herculano, Op. Cit., 'f2, P. 267.

(4) Peres, Op. Cit., P. 189.

آخرهم» وإشارة ابن الأبار «فقد منهم آلاف من المسلمين».

وهكذا لم تكن هذه المعركة نهاية المطاف لكنها جعلت المدافعين عن المدينة في موقف سيء وصعب للغاية خاصة وأن نجدة أخرى من السفن الإسلامية حوالي ٢٠ سفينة جاءت ودخلت إلي نهر شطوبر مما دفع أسطول الصليبيين إلي مهاجمة هذه السفن التي أسرع بالهروب وإن كانت الروايات قد أشارت إلي أن الصليبيين قد دمروها^(١)، إلا إنه في إحدى الروايات أيضاً دمر «الأسطول الإسلامي عن طريق إحدى العواصف»^(٢) وأياً ما كان من هذه الروايات إلا أن فشل هذه الحملة أيضاً كان له تأثير سيء علي المدافعين عن المدينة .

وعلي الرغم من هذه الهزيمة التي أثرت كثيراً علي المدافعين عن المدينة والذين فقدوا الأمل في النجدة إلا أنهم صمدوا للحصار وبدأت القوات المسيحية توجه هجماتها العنيفة ضد المدينة بقذفها بالحجارة وكان نتيجةها مزيد من الموتى والجرحى داخل المدينة^(٣).

كرر الصليبيون والبرتغاليون محاولاتهم للوصول إلى أعلى أسوار المدينة فقاموا بصنع اثنين من السلالم الخشبية الطويلة للمرة الثانية لوضعها على أسوار في أثناء قذف المدينة لكي يصدوا وينقلوا القتال من أسفل إلى الأسوار والأبراج لكن المسلمين نجحوا في رميها بالنار التي أحرقتها^(٤)، وأصبح المسلمون حويصين على عدم وصول القوات الصليبية إلى الأسوار.

(1) Brandao, Mon.. Lus., P. 93; CF. also : Herculano , Op. Cit., P. 267.

(2) Peres, Op.Cit., T2, PP. 188-189.

(3) Brandao, Mon.. Lus., P. 93.

(4) Basto, Op. Cit., T2, PP. 164-165.

بدأ شهر أكتوبر وبدأت بعض الأصوات تلح في الإبحار إلى الشرق لكن الصليبيين لم يكونوا في عجلة من أمرهم فلم ينسحبوا وإن كانت لديهم خشية من وصول قوى إسلامية جديدة^(١).

عندما رأى المهاجمون أنهم قد فشلوا في محاولاتهم جسيماً في الوصول إلى الأسوار وخاصة محاولة الحفر تحت الأسوار لإحداث ثقب في سور المدينة استجابوا للنصيحة أميرال الأسطول الصليبي بصنع برجين عاليين يماثلان في ارتفاعهما أبراج المدينة وجهازهما بحيث لا تؤثر فيهما النار وشحنوهما بالرماء بحيث تحميتهما من القذائف من فوق الأسوار وزحفوا بالبرجين مع دفع المجانيق إلى جوار البرجين أثناء الزحف بحيث تقذف المدينة بعد اختيار أحسن موقع في الأسوار يصلح لهذا الهجوم^(٢).

ويبدو أنه توافق مع قذف المدينة وأسوار وأبراج القلعة بالمجانيق هطول الأمطار بشدة مما أثر على أبراج القلعة التي تأثرت أيضاً بالقذف ومن ثم سقط بعضها على المهاجمين^(٣).

وهكذا أصبح الموقف صعباً للغاية بالنسبة للمسلمين في داخل المدينة مما دفع أبا عبد الله الذي وجد أنه ليس له أي أمل في النجدة ولا في الاستمرار في القتال والدفاع وأنه سوف يأسر هو وحامية القصر - إلى

(1) Peres, Op. Cit., T2, P. 189.

Brandao, Mon., Lus., P. 93; Basto, Op. Cit., P. 165; CF. also :
Herrulano, Op. Cit., P. 269; Huici, Op. Cit., P. 443.

(2) Fortunato, Op. Cit., P. 197.

(3) Duarte, Op. Cit., P. 122; Basto, Op. Cit., P. 165, Cronica do Rei
D.Afonso II, P. 193; Brandao, Mon., Lus., P. 93; CF. also :
Herrulano, Op. Cit., T2, P. 270; Huici, Op. Cit., T2, P. 443; Perse,
Op. Cit., P. 189.

عرض الهدنة وانسحاب بالمسلمين مع أسرهم وأموالهم كلها، فرقضت القوات البرتغالية والصليبية ووافقوا فقط على أن يسمح للمسلمين بالخروج أحياء، دون أن يحملوا شيئاً معهم ففتحوا الأبواب وانطلقوا إلى حال سبيلهم وهكذا اتفقت الروايات البرتغالية جميعاً على أن المدينة سلمت وخرج رجالها سالمين وذلك في يوم عيد القديس لوكا في ١٨ أكتوبر سنة ١٢١٧م^(١)، لكن رواية أشباخ أن المدينة عوملت معاملة مدينة فتحت عنوة فقتل من أهلها كل من كان أهلاً لحمل السلاح وأخذ باقي السكان أسرى^(٢).

والجدير بالذكر أن رواية أشباخ أقرب إلى منطق الأحداث حيث إن المسلمين قد عرضوا التسليم بعد تهدم الأبراج وبعض أسوار القلعة وأصبح دخولها محتماً، أي أن المسلمين قى وضع لا يسمح لهم بالمساومة خاصة وأن المسيحيين متعطشون للانتقام ويملؤهم الحقد والكره للمسلمين ويبدو أن الروايات البرتغالية أرادت التخفيف من بشاعة المذابح التي ارتكبتها المسيحيون داخل المدينة ومما يدل على ذلك هذه الروايات نفسه التي أشارت إلى أن أبا عبد الله بن وزير سلم نفسه وتظاهر باعتناق المسيحية طلباً للسلامة ثم عندما حانت له الفوصة فر إلى الأرض الإسلامية ولجأ فيما بعد إلى إشبيلية^(٣)، وقد أكد ابن الأبار الروايات البرتغالية في هذا الشأن عندما قال «وأسر عبد الله هذا ومن كان معه ثم تخلص من تلك الحال بحيلة توجهت له» وهي التظاهر باعتناق المسيحية كما وضحتها الروايات البرتغالية وكل هذا يوضح أن المدينة اقتحمت عنوة وقتل وأسر سكانها كما أكدت الروايات الإسلامية^(٤)، ومما يدل أيضاً على ذلك أنه بعد الاستيلاء على

(١) أشباخ : المرجع نفسه والجزء ٠ ص ٢٠٦.

(2) Peres, Op. Cit., T2, P. 189; Huici, Op. Cit., T2, P. 443.

(٣) حنان : المرجع نفسه ، ص ٢٢٩ - ٢٤٠.

(٤) أشار ابن أبي زرع «وفي سنة خمس عشرة وستمئة دخل ألفونسو الثاني ملك البرتغال قصر أبي

دانس بالسيف وقتل من به من المسلمين». روض القرماس، ص ٢٧٢

المدينة قتل المسيحيون كل المسلمين الموجودين في القرى المجاورة لهذه المدينة^(١)، وكان تسليم المدينة في ١٨ أكتوبر سنة ١٢١٧م (١٤ رجب ٦١٤هـ) بعد شهرين ونصف من بدء الحصار في ٢ يونيو سنة ١٢١٧م، وقد قام الملك ألفونسو الثاني بتوزيع كثير من العطايا على جماعات رهبان فرسان الداوية والإستبارية مكافأة لهم على نورهم الكبير في الاستيلاء على المدينة^(٢)، ثم أمر الملك أيضا بتسليم المدينة إلى جماعة رهبان فرسان شانت ياقب للدفاع عنها واستغلال إمكاناتها لما أظهروه أثناء القتال من الشجاعة والفائقة وكان من مراكز هذه الجماعة في قلعة بلمالة^(٣).

وكان سقوط قصر أبي دانس هذه المرة نكبة أخرى تعرض لها المسلمين في غرب الأندلس لما لها من أهمية كبرى سواء أكانت للمسلمين أم البرتغاليين، بالنسبة للمسلمين كانت من أهم قواعد الغرب الأندلسي وكان الصدام من أجلها عنيفا والحملات عليها متكررة والاستيلاءات عليها تمت من قبل منذ عهد الملك ألفونسو هنريكز وكان سقوطها إيذانا بتوالي سقوط قواعد الغرب الأندلسي والموحدون مشغولون بمشكلاتهم في المغرب والأندلس، أما بالنسبة للبرتغاليين مدينة كانت حاجزا أمام استمرارهم في التقدم جنوبا بالإضافة إلى أهميتها الاقتصادية والاستراتيجية فإن أهميتها تماثل أهمية سنترين بمنطقة التاج حيث يمكن منها الإشراف والدفاع عن أراضي الإلتخو كما أنها خطوة مهمة وكبرى في توسع مملكة البرتغال وفي حركة الاسترداد بها.

(1) Huic, Op. Cit., T2, P. 443.

(2) Les Hospitaliers, P. 38.

(3) Perts, Op. Cit., P. 191.

وفى بدايات شهر نوفمبر سنة ١٢١٧م عاد الأسطول الصليبي حيثئذ وأساقفة لشبونة وبابرة ومقدم الداوية وزعيم الاستبارية وقائد حامية بلمالة كتبوا إلى البابا هونوريوس الثالث رسالة يصفون فيها نصرهم الكبير ويطلبون منه السماح بالأذن للصليبيين بالبقاء لمدة عام فى شبه الجزيرة الأيبيرية لكى يساهموا مع البرتغاليين فى القتال ضد المسلمين وطردهم من هذه الأراضى^(١)، وكتبوا أيضا للفرض نفسه لكونت هولنده حيث إن جاثبا كبيرا من الأسطول تابع لهولنده^(٢). وكانت رغبة الصليبيين أيضا فى البقاء لبعض الوقت بالبرتغال لمواصلة الفتوحات وحصد المكاسب^(٣)، لكن البابا رفض وأرسل خطابا مؤرخا ٢٦ يفاير سنة ١٢١٨م من أجل أن يتوجه الصليبيون على الفور إلى الأراضى المقدسة للاشتراك فى الحملة الصليبية الخامسة على مصر^(٤).

والجدير بالذكر أن عهد هذا الملك لم يشهد أية غزوات على أراضى المسلمين ملموسة على الرغم من الإشارة التى أشار إليها رودريك الطليطلى أنه أثناء حكمه استولى على مدينة القصر وقلاع أخرى^(٥). لكنه لم يوضح ما القلاع الأخرى وذلك جعل بعض المؤرخين يحاولون نسبة بعض الفتوحات لقلاع إسلامية إليه منها على سبيل المثال قلعة شرية Serpa ومورا Moura^(٦)، وهذه قلاع تم الاستيلاء عليها فيما بعد فى عهد ابنه سانشو

(1) Peres, Op. Cit., P. 189.

(2) Herculano, Op. Cit., P. 270.

(3) Huici, Op. Cit., T2, P. 444, Marques, O, Historin de Portugal, Lis
Bao-1976, P. 107.

(4) Les Hospitaliers, Op. Cit., P. 38.

- مئان : المرجع نفسه والجزء - من ٢٤٠ -

(5) Rodrigo, Op. Cit., P. 271 , Primera cronica, PP. 652-653.

(6) Peres, Op. Cit., P. 191.

الثانى ولم نعتثر فى المصادر على أية غزوات واستيلاءات على المدن إلا إذا اعتبرنا أن بعض القرى المحيطة بقصر أبى دانس هى المقصودة بهذه القلاع.

وبهذا لم تكتمل مشاريع مملكة البرتغال فى عهد الملك ألفونسو الثانى والجدير بالذكر أن هذا العمل (الاستيلاء على قصر أبى دانس) جعل المؤرخين ينقسمون ما بين مدح هذا الملك نتيجة لهذا النصر الكبير وذمه مثل المؤرخ رودريك الطليطلى الذى يقول إن الملك كان «فى بداياته أكثر مسيحية وفى النهاية أطلق العنان لغرائزه»^(١) لكن لا يغيب عن أذهاننا أن هذا رأى رودريك وهو رجل الدين ورئيس أساقفة طليطلة فى مملكة قشتاله خاصة وأن ألفونسو الثانى كانت له مشكلات كثيرة طوال حكمه مع البابوية حتى إنه صدر ضده قرار الحرمان الكنسى أكثر من مرة، وإن كان هناك أيضا بعض المؤرخين المحدثين مثل فورتانتو Fortunato الذى قال «أن ألفونسو الثانى لا يقل شجاعة عن أبيه وجده»^(٢). ورأى ستيفن «وكان حكم ألفونسو الثانى قد ترك علامات بارزة فى تاريخ البرتغال وقد أعاد الاستيلاء على قصر أبى دانس وهنا أثبت هذا الملك أنه محارب قدير مثل أبيه لكنه كان أكثر تعاسكا فى الثراء والقوة للتاج»^(٣) ويغلب عليه الدهاء وقوة الهممة وتغلب عليه الشجاعة وصفات الفروسية كراى أشباخ^(٤).

ومن الجدير بالذكر أن التشدق بكونه محارباً قديراً لم تثبت صحته فهو لم يشترك فى هذه المعركة سواء أكان ذلك بسبب مشكلاته أم بسبب

(1) Rodrigo, Op. Cit., P. 272, Primere Cronice, P. 652-653.

(2) Fortunato, Op. Cit., P. 198.

(3) Stephens, Op. Cit., PP. 70-71.

(٤) أشباخ : المرجع نفسه والجزء ١ من ١٥١.

بدانته حتى أطلقت عليه المصادر لقب الباذن، لقد قدم التسهيلات والاستعدادات والإشراف العام لكنه لم يقُد المعركة بنفسه وإنما الفضل للمشاركين في الحملة .

وتبقى نكبة الاستيلاء على قصر أبي دانس من أكبر نكبات المسلمين بعد موقعة العقاب وكانت البداية لتكالب البرتغال والممالك المسيحية الإسبانية على المدن والقللاع الإسلامية في حين كان الموحدين مشغولين بمشكلات الوراخ والعرش وظهور بني مرين وانقسام المسلمين في الأندلس وينور الثورة ضد الموحدين كانت هي معول الهدم في الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الأيبيرية.

ليون ليون جيليقية نهر منهر نوى

براغا جومارس بورتو نهر دويرة

لانيجو بازو نهر مونديجو قلمرية ليريا طمان شنترين نهر التاجه

ابيز شنترين لشبونة قصر ابي دانس يابرة بلعانة جلمانية بطليوس

نهر وادي يانة مورا شيرة باجة مارتله شلب طييرة ولبة

إشبيلية فارو

ليون ليون جيليقية نهر منهر نوى

براغا جومارس بورتو نهر دويرة

لانيجو بازو نهر مونديجو قلمرية ليريا طمان شنترين نهر التاجه

ابيز شنترين لشبونة قصر ابي دانس يابرة بلعانة جلمانية

بطليوس نهر وادي يانة مورا شيرة باجة مارتله شلب طييرة

ولبة إشبيلية فارو

البرتغال بعد الاستيلاء على قصر ابي دانس في ١٢١٧م

- Peres : D. : "Historia De Portugal Vol 2, Barcelos 1929.

المراجع الأجنبية

أولا، المصادر البرتغالية والإسبانية،

- Basto : A. M. :

" Cronico de Cinco Reis de Portugal" Vol 1, Porto (N.D.)

- Brandao : A :

" Monarquia Lusitana" Parte 3, Lisboa 1973.

- "Chronicon conimbricense"

Espana Sagrada. T23. Preperor Por Henrique Florez,
Madrid 1850.

- "Chronicon Lusitano"

Espana Sagrada. T14. Preperor Por Henrique Florez,
Madrid 1905.

Cronicas Latina de los Reyes de Catilla Traduccion Luis
Charlo Brea, Un. de Cadiz 1984.

- "Cronica de Rie D. Afonso II, Croncas dos sete
Primeiros Reis de Portugall. Vol1, Edicao Critico Pelo
Carlos do Silva Tarouca, Lisboa 1952.

- "Cronica dos Godos"

Apendice Brandao, Cronica de conde D. Henrique , D.
teresa Einfante D. Afonso Porto 1944.

- Duarte Nunes de Leao :

Cronica del Rei D. Afonso 011, Cronicas dos Reis de
Portugal, Porto 1975.

- **Lucas de Tuy :**

"Cronica de Espana"

Madrid 1926.

- **Primera**

Cronica General de Espana Publicada Por Ramon
Menendez Pidal, T2, Madrid 1955.

- **Rodrigo Jimenes de Rada :**

"Historia de los Hechos de Espana"

Madrid 1982.

ثانياً ، المصادر العربية ،

- ابن الأبار : (ت ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر

القضاة :

«الحلة السيرة»

جزان تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة سنة ١٩٨٥ .

- ابن أبي زرع : (ت ٧٢٦هـ / ١٢٢٦م) أبو الحسن علي بن عبد الله .

«الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس»

مع الرباط سنة ١٩٧٢م

- ابن عذاري : (ت ٧١٢هـ / ١٢١٢م) أبو عبد الله محمد المراكشي .

«البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب»

القسم الثالث (تاريخ المرينيين) نشر في ميراندا نطوان ١٩٦٠م.

- الإدريسي . (ت ٦٥هـ / ١٢٥٢م الشريف محمد بن عبد العزيز)

« صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ووصف أفريقيا وأسياتيا »

تحقيق نوذى ، أمستردام سنة ١٩٦٩م .

- الحميرى : (عاش فى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى) أبو عبد الله

محمد بن عبد الله بن عبد المنعم .

« صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المطار فى خبر الأقطار »

تحقيق ليفى يريمنسال ، القاهرة ١٩٣٧م .

- مؤرخ مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية

تحقيق الدكتور سهيل ذكار ، الدار البيضاء ١٩٧٩ .

ثالثا : المراجع الأوبية :

- Denis : F :

Historia de Portugal .

Barcelona 1845.

- Fortunato de Almeida :

Historia de Portugal ,

T1, Coimbra 1922.

- Herculano , A :

Historia de Portugal ,

T3, T4, 1982.

Huici : M :

I- Historia Política del Imperio Almohade, T2, Tetuan

1957.

2- Las grandes Batallas de la Reconquista, Madrid 1956.

Gonzalez J. El Reino de Castilla en la epoca de Alfonso VIII, Madrid 1960.

- Les Hospitaliera de la morte de D. Afonso Heriquez a la suppression des Templiers Paris 1977.

- Lomax : D. W.

La Reconquista

Barcelona 1984.

, Marques : O :

Historia de Portugal.

Lisboa 1976.

- Mattoso : A. G.:

Historia de Portugal .

Historia de Portugal.

Vol 1, Lisbau 1939.

- Pavon, P :

Ciudades Y Fortezas Lusomusulmanas, Madrid 1993

- Peres : D :

"Historia de Portugal"

Vol 2, Barcelos 1929.

- Serrao, J. V.:

Historia de Portugal

Vol 1, Lisboa 1979.

- Shantal : S :

" Historia de Portugal "

Burcelona 1960

- Stephens : H. M :

Portugal

London 1891

- رابعا ، المراجع العربية والمترجمة ،

- محمد عبد الله عتّان . عصر المرابطين والموحدين ، ج٢ ، القاهرة ١٩٦٤ .

- أشباح : تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين ، ج٢ ، القاهرة سنة ١٩٩٦ .

- محمد محمود النشار . تأسيس مملكة البرتغال مؤسسة عين القاهرة ١٩٩٥ .

مواقف الشورى في غزوات النبي صلى الله عليه وسلم

إعداد

د. فورة بنت عبد الملك آل الشيخ

أستاذ مساعد التاريخ الإسلامي

وعميدة كلية التربية للبنات بجدة - سابقاً

١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد:

إن من كمال الشريعة الإسلامية أنها جاءت لتحقيق مصالح العباد والبلاد، وإصلاح أمورهم في المعاش والمعاد، فرسمت منهجاً فريداً، ووضعت نظاماً بديعاً، أرست فيه قواعد الإصلاح، وأبانت فيه معالم الطريق للوصول إلى الحق، لذلك عني الإسلام بتربية الأمة على تحمل المسئولية، وفتح لأهل العلم والرأي آفاقاً رحبة ومجالات فسيحة لإبداء الرأي في المقترحات، وفتح حرية الرأي والمناقشة للوصول إلى الأصلاح والأفضل. فكان أن وضع الإسلام مبدأ عظيماً، ومنهجاً قوياً، وأرعى أساساً متيناً، وقاعدة كبرى، تنطلق من خلالها الأمة للوصول إلى الهدف المبتغى، ذلك المبدأ الهام هو مبدأ الشورى.

قال تعالى "وأمرهم شورى بينهم". نص مكى، كان قبل قيام الدولة الإسلامية، وهو أعم وأشمل من الدولة في حياة المسلمين، إنه طابع الجماعة الإسلامية في كل حالاتها، ولو كانت الدولة بمعناها الخاص لم تدم بعد.

أما الشكل الذي تتم به الشورى فليس مصبوحاً في قالب حديدي، بل هو متروك للصورة العلانية لكل بيئة وزمان^(١). والأمر لفظ عام للأفعال والأقوال كلها^(٢).

والقرآن الكريم عندما نص على مبدأ الشورى كقاعدة واجبة وملزمة في الأمر العام للأمة فإنه اكتفى بالنص على المبدأ العام، وترك التفاصيل الأخرى المتعلقة بهذا المبدأ للأمة تكفيها حسب ظروفها المختلفة والمقترحة^(٣).

والأمر هنا خصيصة من خصائص الأمة الجديدة يفيد الأصالة والإطلاق، ويعتبر ركيزة من ركائز قيامها بالمعنى الأخلاقي الكبير، إذ أنها لم تكن قد تحولت بعد إلى جماعة سياسية^(١). ولقد عرفت البشرية أنظمة حكم مختلفة عبر التاريخ الطويل ومنها نظام الديمقراطية.

وظهرت تساؤلات كثيرة عن موقف الإسلام من نظام الديمقراطية، وعلى وجه الخصوص علاقة الثورى بالديمقراطية؟! وقبل الإجابة على هذا السؤال لا بد لنا أن نعرف معنى هذه الكلمة. فهي كلمة يونانية تتألف من كلمتين الأولى Demo مأخوذة من Demos وتعنى الشعب. أما الثانية Cracy فتكلم على نمط الحكم أو السلطة ومأخوذة من Kratia والكلمة اليونانية DemoKratia تعنى حكومة الشعب^(٢) والتي بموجبها يكون أي فرد من الشعب له الحق في إبداء الرأي والمواقفة والرفض، وإعصاح المجال لإبداء الرأي والرأي الآخر^(٣).

وفي البحث عن معنى كلمة Democracy في القاموس^(٤) نجد الآتي:

- (١) الحكم بواسطة الشعب أو ممثليه.
- (٢) التحكم بأي منظمة من قبل أعضائها.
- (٣) وحدة سياسية أو اجتماعية يحكمها بصورة مطلقة أعضاؤها.
- (٤) روح المساواة الاجتماعية.
- (٥) العوام، أو عامة الناس كقوة سياسية.

(٦) حالة اجتماعية لا توجد فيها.

وبمقارنتها بالشورى في الإسلام نجد أن المعنى الأول يقوم على أن أساس فكرة الحكم يقوم على شرع الله، وأن للشعب الدور الذي يحدده الإسلام، فالأمة كلها تخضع إذن لشرعة الله أولاً ثم يقوم كل فرد وكل جماعة بل الشعب كله بالأمانة التي كلفه بها الإسلام، والمعتيان الثاني والثالث مرتبطان بالطاقة البشرية فقط، مقطوعة الصلة عن العقيدة والإيمان. وكذلك سائر المعاني الرابع والخامس، فصارت الديمقراطية في الغرب مبتورة الصلة بالله والإيمان والعقيدة^(٨).

أما الشورى الإيمانية فهي قضية ربانية، ووحى من عند الله، والديمقراطية إنتاج بشري.

إن الشورى نظام متماسك القواعد، متكامل الأسس لا يحتاج إلا إلى صدق الممارسة والإيمان، وقوة العلم، وترابط الأمة. والديمقراطية تجربة بشرية.

إن الشورى توفق في المؤمن كل شعور بالمسئولية، وأحاسيس الأمانة، وجدية العمل، حين تربطه بعقيدة ومنهج، وخطة وقواعد، وإيمان بالله واليوم الآخر. والديمقراطية عكس ذلك^(٩).

إن الفكر الذي تحمله هذه الألفاظ هو من صنع الإنسان، ومن نتاجه البشري وأما قواعد الإيمان ونصوص الدين فهي منهاج رباني، أنزله الله وحياً على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ليمثل الحق المطلق للبشرية كلها.

إن المنهاج الرباني جاء مفصلاً بيناً، كاملاً، معجزاً، وجاء باللغة العربية، لغة الوحي، ليفي بما يحتاجه الإنسان المؤمن دون أن

يضطر إلى أخذ القواعد المنهجية الكلية من أي مصدر آخر، وإذا أردنا الاستفادة من غيرنا من الأمم فيمكن أن نستفيد في بعض النواحي العملية والفنية على صورة مرحلية حتى ننهض على أقدامنا، ولكن ليس في النواحي الفكرية والتصورات العقائدية^(١٠).

وهناك فرق هام بين ميزان الشورى في الإسلام وميزان الديمقراطية، هو النظرة إلى المسؤول والمسئولة، النظرة إلى الصلاحيات والمسؤوليات والموازنة بينهما. ففي الديمقراطية تظل المسؤوليات والصلاحيات أمراً يقتدره كل الشعب، أم في الإسلام فإن أساس الصلاحيات والمسؤوليات والموازنة بينهما، ومنزلة المسؤول وحدوده ومكانته، تتبع كلها نبعاً خالصاً تقياً من الإيمان بالله واليوم الآخر، من عقيدة ودين، ومنهاج رباني متكامل^(١١).

الشورى مبدأ شرعي هام، بنص القرآن والسنة المطهرة، فقد أكدّه المنهج النبوي، وفسره واقع التطبيق العملي له في عهد النبوة.

البحث:

وفي بداية هذا البحث لابد أن نعرّف الشورى في اللغة، فهي مصدر للفعل شاور. تقول شاورته في الأمر، أي طلبت رأيه، واستخرجت ما عنده وأظهرته^(١٢).

والشورى هي عرض المعضلة أو المعضلات في أمور الدنيا والدين، على الذين عرّفوا بالتجربة العملية والرأي السديد، وسماع الآراء المختلفة، واستخلاص الحل المناسب لتلك المعضلة، أو المعضلات من تلك الآراء المعروضة، والقرار على تنفيذ الحل المناسب^(١٣).

وقد كان للشورى في عهد النبي صلى الله عليه وسلم مكانة عالية، فكان يستشير أصحابه في كل الأمور التي لم ينزل بشأنها وحي

من السماء، إبتداء بقضايا الحرب والسياسة، وانتهاء بالمسائل الشخصية لذا كان تطبيق الشورى متصفاً بالمرونة، متوافقاً مع ظروف الواقع.

من هذا المنطلق رأيت أن أفرد هذا البحث عن الشورى في غزوات النبي صلى الله عليه وسلم خاصة في بدر وأحد والخندق، وأثرها الكبير على المسلمين، كذلك لأبين كيف أن الشورى كانت مطبقة في شؤون الحرب على الرغم مما تقتضيه النظم العسكرية من ضرورة الخضوع لأداء القيادة العليا دون مناقشة أو اعتراض.

هذا بالإضافة إلى عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم وسمو أخلاقه، حيث لم يكن ينفرد برأيه دون مشورة أصحابه.

كما أننا بتسليط الضوء على هذا المبدأ الهام "مبدأ الشورى" في حياة الرسول عليه السلام، نأخذ منه القوة الحسنة في حياتنا كلها إنفاذاً لقوله تعالى (وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)^(١٤).

(وقد رسمت الشريعة الإسلامية إطاراً للشورى يميزها عن غيرها من المفاهيم فالشورى في الإسلام أساسها واقع التكريم الإلهي للإنسان بتمييزه عن بقية الخلق بالفعل والمنطق، إذ أن طلب الرأي والمشورة لا يكون إلا ممن لديه ملكة إعمال العقل فيما يعرض عليه من أمور يقلبها على أوجهها المختلفة، معتمداً في ذلك على مقوماته العقيدة والثقافة، وتجربته الذاتية حتى يصل إلى رأي يتوافق مع كل ذلك)^(١٥).

وبلاحظ من تسمية سورة كاملة في القرآن الكريم باسم سورة الشورى اهتمام الإسلام العظيم بهذا المبدأ الهام لإقامة النظام الكفيل بإسعاد الناس وتحقيق مصالحهم والإعتراف بكرامتهم والإقرار بحريتهم، والمساواة بينهم. لذلك أتى الله في القرآن الكريم على

الأئصار في التزامهم بالشورى وعدم إنفاذ أمر إلا بالرجوع إلى بعضهم وأخذ رأيهم^(١٦).

وقبل الدخول في صلب الموضوع أود بداية أن أعطي نبذة عن أصل الشورى وبدايتها قبل الإسلام. حيث كانت الشورى أسلوباً معروفاً في حياة العرب قبل الإسلام، ولكنها لم تكن آنذاك نظاماً له قواعده وأصوله، وإنما كانت على شكل أعراف وتقاليد موروثية^(١٧). وعندما بنى قصي بن كلاب بن مرة -جد النبي صلى الله عليه وسلم- في الجاهلية دار الندوة بمكة جعل بابها إلى الكعبة، وصارت داراً للشورى. ذلك لأن قصياً بعد أن تمت له الغلبة جمع قريشاً من الشعاب والأوية والجهال إلى مكة، فحكم فيهم، وملك عليهم، وأطاعوه، وعندما هابت قريشاً قطع شجرة الحرم في منازلهم، قطعها قصي بيده، وأعائوه، فتبعنت به قريش فكانت لا تعتد أمراً ولا تفعل فعلاً إلا في داره، فما تتكح امرأة ولا رجل من قريش إلى في داره، وما يتشاورون في أحد ينزل بهم إلا في داره أيضاً، ولا يعتد لواء لحرب قوم من غيرهم إلا في داره يعتدها لهم بعض ولده. وإذا أوانت قريش إرسال غيرهم لا تخرج، ولا يرحلون بها إلى من دار الندوة، ولا يقتمون إلا نزلوا فيها تشريفاً لقصي وتيمناً برأيه ومعرفةً بفضلته^(١٨).

لذلك كانت دار الندوة بمثابة دار مشورة في أمور السلم والحرب، ومجلس المدينة التي عرف رؤساؤها كيف يحصلون على الثروة، وكيف يستعاضون عن فقر أرضهم بتجارة تدر عليهم أرباحاً عظيمة. وفي هذه الدار يجتمع الرؤساء والأعيان للتشاور في الأمور والبت فيها، ولم يكن يخلها إلا ابن الأربعة وما زاد. فهي دار مشورة وحكومة في آن واحد^(١٩).

وكذا توارث بنو عبد الدار الندوة حتى باعها عكرمة بن عامر

بن هاشم بن عبد مناف عبد الدار من معاوية فجعلها دار الإمارة بمكة^(٢٠).

ومن الأدلة على أن الشورى كانت أسلوباً معروفاً في حياة العرب قبل الإسلام، ما نكر عن مجلس القبيلة، فليس حكم شيخ القبيلة حكماً مطلقاً لا مشورة فيه، بل إن للحكم لدى القبائل حكماً مستمداً من رأي وجهاء القبائل وعقلائها وفرسانها، ويكون بيت شيخ القبيلة، هو مجلسها، فإذا وقع حادث لاجتماع عقلاء القوم في مجلس الشيخ، وتباحثوا في الأمر، ففيه يتم إعلان الحرب وحل كل ما يحدث من مشاكل بين الأحياء والأفراد في القبيلة^(٢١).

وكان أهل يثرب قبل ظهور الإسلام ومقدم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أمراً تشاوروا فيه، ثم عملوا عليه، فمدحهم الله تعالى في كتابه الكريم في قوله تعالى (وأمرهم شورى بينهم)^(٢٢).

والتعبير بجعل أمرهم كله شورى، ليصبح الحياة كلياً بهذه الصبغة، وهو كما قلنا نص مكى، كان قبل قيام الدولة الإسلامية، فهذا الطابع إذاً أعم وأشمل من الدولة في حياة المسلمين، إنه طابع الجماعة الإسلامية في كل حالاتها، ولو كانت الدولة بمعناها الخاص لم تتم بعد^(٢٣).

نذكر ميد قطب في ظلال القرآن^(٢٤) في تفسيره لهذه الآية وما بعدها قولاً حسناً نورد فيه ما يلي : (في هذه الآيات يصور خصائص هذه الجماعة التي تطبعها وتميزها، ومع أن هذه الآيات مكية نزلت قبل قيام الدولة المسلمة في المدينة، فإننا نجد أن من صفة هذه الجماعة المسلمة (وأمرهم شورى بينهم) ما يوحى بأن وضع الشورى أعق في

حياة المسلمين من مجرد أن يكون نظاماً سياسياً للدولة، فهو طابع أساسي للجماعة كلها يقوم عليه أمرها كجماعة ثم يتسرب من الجماعة

إلى الدولة بوصفها أقراراً طبيعياً للجماعة).

وقيل في معنى هذه الآية تشاروهم حين سمعوا بظهور الرسول صلى الله عليه وسلم وورود النقباء إليهم، حتى أن اجتمع رأيهم في دار أبي أيوب الأنصاري على الإيمان بالرسالة المحمدية، ونصرة الرسول صلى الله عليه وسلم^(٢٥).

وهكذا نرى أن مبدأ الشورى كأحد الأعراف الأساسية للمحمودة في حياة العرب قبل الإسلام، أقره الإسلام كأحد للنظم السياسية ففي قوله تعالى (وشاروهم في الأمر)^(٢٦) أمر للرسول صلى الله عليه وسلم فعمل به عليه السلام، وكان يكثر من مشورة أصحابه في معظم الأمور تطبيقاً لقلوبهم، وليكون أنشط لهم فيما يفعلونه^(٢٧). وقد روي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قولها: "ما رأيت رجلاً أكثر استشارة للرجال من رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢٨)". وعندما سئل صلى الله عليه وسلم عن العزم؟ قال: "مشاورة أهل الرأي ثم اتباعهم"^(٢٩).

وكان عليه الصلاة والسلام يقول : "المستشار مؤتمن"^(٣٠)، مؤتمن على ما يسمع وما يقول وما يفعل. فالشورى أمانة ومستولية^(٣١). يقول صلى الله عليه وسلم "لا تدم من استشار" وذلك أن الحاكم أو المؤمن عندما يستطلع رأي من هم أهل للشورى من أهل الخبرة فإنه يستفيد من حصيلة ما عند هؤلاء من التجارب والعلم، وفي هذا من الفائدة والنفع على الأمة ما لا يخفى^(٣٢) فتكون سيرته عليه الصلاة والسلام وسنته في هذا الجانب الشورى وغيره دستوراً للمسلمين يعملون بمقتضاه.

وكانت هذه الشورى تشمل النواحي الدنيوية في الأمور المتعلقة بالحرب ومصالح المسلمين، وأما غير ذلك من الأمور التي

تتعلق بالأحكام الدينية فلم يكن يشاروهم فيها لأنها منزلة من عند الله تبارك وتعالى^(٣٣). فهي واجبة التنفيذ شرعاً بحكم القرآن والسنة.

ويأتي دور الحديث بعد هذه المقدمة السريعة، عن بعض الأشكال المختلفة لمواقف الثوري التي كان يتخذها الرسول صلى الله عليه وسلم، وأبرز هذه الأشكال التي يتناولها البحث، هي أمثلة بما كان يتم في وقت الغزوات، حيث القرار الذي يجب أن يكون سريعاً وحازماً وصائباً، ولم يكن عليه السلام ينفرد برأيه في مثل هذه المواقف بل كان يستشير أصحابه.

فكانت الثوري في الغزوات بمثابة مجلس قادة عسكريين يجتمع لمناقشة الخطط الحربية وهذا يُلنا دائماً وأبداً على شخصية الرسول القائد صلى الله عليه وسلم وحنكته في الأمور كلها.

ففي غزوة بدر الكبرى سنة ٢هـ - على سبيل المثال لا الحصر أراد الرسول صلى الله عليه وسلم القضاء على الامكانات الاقتصادية لقريش كوسيلة من وسائل إضعاف قدرتها العسكرية، ووجد الفرصة مناسبة عندما علم أن أبا سفيان بن حرب مقبلاً من الشام في حير عظيمة لقريش فيها أموالهم وتجارة من تجارتهم، وفيها ثلاثون رجلاً أو أربعون من قريش فندب المسلمين إليهم مشجعاً ومتفائلاً بحصول المسلمين على تجارة قريش. واستجاب الناس لذلك وخرجوا خفافاً وتقالاً. لأنهم لم يظنوا أن الرسول صلى الله عليه وسلم سيقتل حرباً. وخرج الرسول صلى الله عليه وسلم من المدينة في ليل مضت من شهر رمضان في السنة الثنية للهجرة مع أصحابه، واستعمل عمرو بن كلثوم على الصلاة بالناس في المدينة، ثم رد أبا لهابة من الروحاء واستعمله على المدينة، ونفع اللواء إلى مصعب بن عمير، وأمامه

رايتان سوداوان إحداهما مع علي بن أبي طالب يقال لها العقاب،
والأخرى مع بعض الأنصار^(٣١).

وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الأخبار، ويسأل
من لقي من الركبان تخوفاً على أموال الناس، حتى أصاب خبراً من
بعض الركبان، أن محمداً يترصد مع أصحابه له ولغيره، فاستأجر
رجلاً بعثه إلى مكة يستنفر قريش إلى أموالهم ويخبرهم أن محمداً
عرض لها في أصحابه. ولما جاء الخبر إلى قريش تجهزوا مراعاةً،
فكانوا بين رجلين، إما خارج وأما باعث مكانه رجلاً ولم يتخلف من
أشراف قريش أحد^(٣٢).

وعندما علم الرسول صلى الله عليه وسلم بمسير قريش ليمنعوا
غيرهم، استشار أصحابه وذلك لأن هذه الحرب فرضت فرضاً على
جماعة المسلمين قليلة العدد، فهم قد خرجوا لاعتراض قافلة، فواجهوا
جيشاً يفوقهم عدداً وعدة. فلم يرغب عليه السلام أن يكره ثومة على
القتال دون أن يأخذ رأيهم، خصوصاً أنها أول حرب يخوضها
المسلمون ضد أعدائهم.

إن جماعة المسلمين التي خرجت من المدينة كانت تضم
مهاجرين وأنصار، عدد المهاجرين فيها في رواية ابن هشام^(٣٣) ثلاثة
وثمانون رجلاً وعدد الأنصار مائتين وواحد وثلاثون رجلاً. ومن
الملاحظ أن الأنصار كانوا أكثر عدداً في هذه الجماعة، ولم يكن
المسلمون على استعداد في العدد والعدة لخوض القتال، وإنما هذه
الحرب فرضت عليهم فرضاً حيث أنه من الملاحظ أن قريش رغم
علمهم بنجاة القافلة إلا أنهم عسكروا بكل قوة لإرهاب المسلمين،
ففوجئ المسلمون بهذا التجمع القرشي وكان لا بد من قبول التحدي.

ومن ناحية أخرى يلاحظ ان جماعة المسلمين كانت تضم مهاجرين وأنصاراً، وإذا كان لدى المهاجرين الدافع المعنوي للقتال لما لا قوة من أذى قومهم من جهة، ومحاولة استرداد بعض أموالهم التي تركوها بمكة نجاة بأرواحهم ودينهم، فلم يكن لدى الأنصار مثل هذا الدافع لقتال قريش، فضلاً عن عدم التزامهم بالدفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو القتال معه خارج المدينة، فهم قد عاهدوه في بيعة العقبة الثانية قبل الهجرة على المنعة له في ديارهم داخل يثرب، وقالوا له: "إنا براء من نعمك حتى تصل إلى تيارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ضماننا نمنعك مما تمنع منه أبناؤنا ونسائنا" (٣٧).

كذلك نصت القواعد على تعاون المسلمين على من دهم يثرب كما ورد في نص الصحيفة التي أصدرها الرسول صلى الله عليه وسلم لتنظيم المجتمع في يثرب عقب الهجرة.

إن فالأمر جد خطير، ومبعث الخطورة هنا يكمن في أنه إذا اعتذر الأنصار عن القتال مع الرسول صلى الله عليه وسلم خارج بلدهم فلا تثريب عليهم، ومعنى هذا توقف أكثر من ثلثي عدد المسلمين عن القتال، فيصبح القتال مجازفة بأرواح المسلمين والمجتمع الوليد "قاعدة الدولة الإسلامية" كل هذا كان بلا شك يدور في فكر الرسول الكريم!

أيرغم الأنصار على الاشتراك مع إخوانهم المهاجرين في القتال الوشيك الحوث؟! وليس هذا من الحكمة، لا من جانب النبي القائد فحصب، ولا من جانب الاتباع.

وهنا تصبح الشورى أمر لا بد منه فهي الحل الوحيد للوصول إلى الرأي من الترار المناسب، ويتحمل الجميع عندئذ المسؤولية وبعقلية القائد الحكيم ينطلق لسانه صلى الله عليه وسلم وسط أصحابه

بقوله "أشيروا عليّ أيها الناس". فجاءه الرد من المهاجرين، فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال وأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال يا رسول الله إنها والله قرّيش لا تسلّم عزها أبداً، ولتقاتلنك قالتهم لذلك اهبتهم، وأعدّ لذلك عدته^(٢٨). فسّر الرسول الكريم لسماعه هذه الآراء وأراد أن يستوثق من أمر الأنصار، خوفاً من أن يكون ردهم "أن عليهم نصرة من دهمه بالمدينة من عدوه، وإن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عذر من بلادهم"^(٢٩). لذا كرر عليه السلام ما قاله آنفاً "أشيروا عليّ أيها الناس". أحسن الأنصار على الفور بهذه المشكلة، وأدركوا ما كان يدور في فكر الرسول صلى الله عليه وسلم، لذلك كان جواب أحدهم سعد بن معاذ سيد الخزرج "والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال : أجل. قال سعد فقد آمنّا بك وصتقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فأمضي يا رسول الله لما أريدت. فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبر في الحرب صُتق في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله"^(٣٠).

أما المقداد بن عمرو الأنصاري فقد قال يا رسول الله: "أمضي لما أراك الله فنحن معك. والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون"^(٣١). ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد^(٣٢) لجالدنا معك نونه حتى نبلغه، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم خيراً ودعا له^(٣٣).

ولا شك أن الرسول الكريم قد استبشر خيراً عند سماعه تلك

الاقوال المؤمنة المخلصة من جانب الأنصار، وكأنما هي بيعة وعهد جديدين من الأنصار. فأمر أصحابه الكرام بالمسير لمواجهة قريش قائلاً "سيروا على بركة الله فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم"^(٤٤).

ويتجلى لنا موقف آخر للشورى في غزوة بدر عندما سار الرسول صلى الله عليه وسلم بأصحابه حتى أتى أننى ماء من بدر فنزل به، فقال له العتاب بن المنذر بن الجعرج يا رسول الله : "أرأيت هذا المنزل، أمزلاً أنزله الله ليس لنا أن نتقدمه، ولا نتأخر عنه؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟" فقال عليه السلام: بل هو الرأي والحرب والمكيدة. فقال يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أننى ماء من القوم فننزله. ثم نفور"^(٤٥) ما وراءه من القلب ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون. فقال الرسول القائد: لقد أشرت بالرأي، ونهض ومن معه حتى إذا أتى أننى ماء من القوم نزل عليه ثم أمر بالقلب فقورت وبنى حوضاً على القلب الذي نزل فيه"^(٤٦).

هنا يظهر لنا عدم انفراد الرسول الكريم برأيه، ويتنازله وهو القائد ورضاءه دون استعلاء أو كبرياء لمشورة ورأي أحد أصحابه ما دام هذا الرأي سديداً وصائباً وفيه مصلحة الجماعة.

كما يلاحظ أيضاً أن الشورى هي هذا الموقف قد عرضت على الرسول صلى الله عليه وسلم دون أن يطلبها ومن فرد واحد قبلها وفي هذا تشريع ملائم وبيان أهمية الشورى في حياة المسلم.

ويتضح في هذا الموقف ثمرة المشورة الأولى فقد أعطى الصحابة رضوان الله عليهم الشجاعة لسؤاله ومشاركته الرأي.

ولا زلنا نستعرض موافق الشورى المتعددة في غزوة بدر الكبرى فقد أتت هذه المرة من سعد بن معاذ الذي أشار على الرسول

صلى الله عليه وسلم ببناء عريش له بقوله: يَا نبي الله ألا نبني لك عريشاً تكون فيه، ونعدّ عندك ركائبك، ثم تلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا، كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى، جلست على ركائبك فلحقت بمن وراعنا فقد تخلف عنك أقوام، يا نبي الله ما نحن بأشد لك حباً منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حرب ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك، فأتى عليه الرسول خيراً، ودعا له بخير، ثم بُني للرسول عريشاً فكان فيه^(٤٧).

مما سبق نرى أدب الصحابة في مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم حرص الأنصار رضوان الله عليهم على النفاذ عن من بقي بالمدينة منهم، ولم يخرجوا مع الرسول، ورأفة قائد هذه الأمة ونبيها محمد صلى الله عليه وسلم وحرصه على أصحابه، ودعائه لهم في جميع الأوقات. كيف لا يكون كذلك وقد وصفه ربه بأنه على خلق عظيم.

وقد حقق الله النصر لنبيه عليه السلام وأصحابه رضوان الله عليهم على زمرة الكفر، وخذل عدوهم، واستشهد في هذه الموقعة عدد من المسلمين، وقتل عدد آخر من المشركين، وتجاوز الأسرى سبعين أسيراً، فوجد الرسول نفسه أمام موقف رغب أن يستشير أصحابه فيه خصوصاً أنه لم ينزل فيه حكم من القرآن فاستشار أصحابه في الأسرى ماذا يفعل بهم؟! فجاءه أكثر من رأي. الأول رأي عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي أشار بقتلهم وعمر معروف عنه الصرامة في الحق وقوة اليأس. وقال: "اضرب أعناقهم فإنهم أئمة الكفر وأن الله أغناك عن الفداء".

أما أبو بكر الصديق رضي الله عنه بلينه وحنوه، فقد أشار بالفداء. وكان من بين الأسرى العباس والعقيل بن أبي طالب الذين كانا يطمعان في فداء نفسيهما بالمال. ومما قال أبو بكر: "قومك وأهلك

استبقيهم لعل الله يتوب عليك، وخذ منهم فدية تقوي بها أصحابك" فقال أغلب الصحابة إلى رأي أبو بكر ففرض به الرسول، ونزل القرآن الكريم مؤيداً لعمر معتباً لرسوله في سورة الأنفال في قوله تعالى: "ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة"^(٢٨). فقررت هذه الآية أن شرط للفداء هو سيطرة الإسلام وقوة جانبه وانكماش الكفر وضعف سلطانه.

كما أن الحكمة الإلهية لم ترد للمسلمين من النظرة إلى المال ميّزناً، أو جزء من ميزان الحكم في قضاياهم الكبرى التي قامت على أساس النظرة الدينية وحدها مهما كان الحال والظروف، خصوصاً أنهم أمام أول تجربة لهم من هذا النوع، فلو تركوا لهذه النظرة خشى عليهم أن يجري ذلك مجرى القاعدة المطردة فتستولي النظرة المادية على مثل هذه الأحكام^(٢٩).

والمثال الآخر الذي أسوفه في هذا المجال هو في غزوة أحد سنة ٣ هـ فقد تابع الرسول صلى الله عليه وسلم فرض الحصار الاقتصادي على قريش، بقطع طريق تجارتهم مع بلاد الشام فقد أرادت قريش النار لتتلاهم يوم بدر واستعادة زمام المبادرة وضرب القوة الإسلامية التي تهدد كوافل مكة التجارية. فأعدوا العدة المعنوية والمادية وخرجوا من مكة وعددهم ثلاثة آلاف مقاتل ونزلوا العرض بالقرب من المدينة وحطوا فيه رجالهم وأقاموا معسكرهم فيه، وأطلقوا أبليهم وخيلهم حتى أتت على زرع المسلمين به وكان خروجهم للنار تقتلى بدر. وعندما علم المسلمون بأمر قريش، باتت وجوه الأوس والخزرج كسعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، وسعد بن عباد عليهم السلام في المسجد بباب الرسول صلى الله عليه وسلم حتى أصبحوا،

ورأى الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة الجمعة رؤيا، فلما أصبح خطب في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "أيها الناس إني رأيت في منامي رؤيا، رأيت كلتي في درع حصينة، ورأيت كأن سيفي ذا القنار انتضم من عند ظبئه، ورأيت بقرأ تنبج، ورأيت كائي مردف كبشاً، فقال للناس: يا رسول الله فما أولتها؟! قال: أما للدرع الحصينة فالمدينة فامكثوا فيها، وأما إنقضام سيفي فمصيبة في نفسي، وأما البقر المنبج فتكلى في أصحابي، وأما مردف كبشاً، فكبش الكتيبة نقتله لن شاء الله^(٥٠)."

واستشار الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه وأحدث جيش قريش هذا ريد فعل مختلفة داخل المدينة واختلافاً في الرأي حول تكتيك الحرب بين من يريد الخروج للقاء العدو وبين من يرى التحصن بالمدينة وجمل الذراري والنساء في الأطم ، وأن دخل عليهم العدو المدينة قاتلهم في أزقتها.

وكان هذا رأي المحنكين في الحرب من أهل المدينة وخلاصة تجاربهم في شؤون الحرب والنفاع، وقد مال الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الأخذ بهذا الرأي. غير أن هناك رأي آخر تتحدث به الفئة الثانية وهم الأغلبية ممن فاتهم شرف الاشتراك والتصر في بدر، من الذين اعتبروا كعودهم بالمدينة جبناً وتخاذلاً عن لقاء العدو وهم كانوا متحمسين، لو دفعهم روح الحماس والجهاد في سبيل الله إلى أي مكان يتواجد فيه أعداء المسلمين.

ونزولاً على رغبة الأغلبية، دخل الرسول عليه السلام بيته لوجهز لأمر القتال. وتذكر المصادر^(٥١) التاريخية ما أحست به الجماعة المتحمسة للقتال من ندم لأنهم أكرهوا الرسول على رأيهم، فعلموا يطلبون منه البقاء والأخذ برأيه بقولهم: "يا رسول الله إن شئت فاقعد"

ولكن الرسول عليه السلام لم يشأ أن يغير رأيه وما اتخذته من قرار، والأمر يحتاج إلى موقف حاسم يضع الأمور في نصابها ويعطي به درساً لهؤلاء المترددين في الرأي والقرار. فكان جوابه عليه السلام بعبارة موجزة فيها حزم وعزم: "لا ينبغي للنبي إذا أخذ لأمة الحرب ولئن في الناس بالخروج إلى العدو، أن يرجع حتى يقاتل".

ولعل الحكمة في هذا أن دعوة البحث في الأمر بعد أخذ العدة للقتال شئ خارج عن حدود ما يقتضيه مبدأ التشاور خصوصاً في القضايا الحربية التي تحتاج مع المشورة إلى قدر كبير من الحزم والعزم.

وأما المثال الثالث الذي أورده في هذا المجال فهو خاص بغزوة الخندق في السنة الخامسة للهجرة.

سميت بغزوة الأحزاب لتحزب قبائل العرب لقتال المسلمين، ونكرت المصادر^(٥٢) التاريخية أن سبب هذه الغزوة قدوم جماعة من زعماء يهود بني النضير لمكة ودعوتهم قريش إلى حرب الرسول صلى الله عليه وسلم وقالوا لهم: "سنكون معكم حتى نستأصله". وقالوا أيضاً: "إن ما أنتم عليه خير من دين محمد".

ولا يخفى مكر اليهود وحقدهم على الرسول صلى الله عليه وسلم، وخصوصاً بعد محاربته لبني النضير في العام الرابع وإجلالهم، فأرادوا تحزيب قبائل العرب ضده، وتحريضهم على حرب المسلمين. فكان أن ذهبوا إلى غطفان ودعوهم إلى مثل ما دعوا إليه قريشاً، كما التقوا ببني فزارة وبني مرة.

وهكذا تحالفت هذه القبائل الوثنية مع اليهود ضد المسلمين وخرجت قريش بقودها أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان بقودها

عينية بن حصن وبني فزارة، والحارث بن عوف العُري في بني مرة
ومسعد بن رخیلة في أشجع^(٤٣).

فلما بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم خبر خروجهم من مكة
ندب الناس وأخبرهم خبر عدوهم، ووعدهم النصر إن هم صبروا
وانتقوا وأمرهم بطاعة الله ورسوله وشاورهم في الأمر وكان عليه
السلام يكثر مشورة أصحابه في الحرب ومما قال لهم: "أبرز لهم من
المدينة؟ أم نكون فيها؟ أم نكون قريباً ونجعل ظهورنا على هذا الجبل؟".
وهكذا طرح النبي عليه السلام على أصحابه خيارات ثلاث
يشاورهم فيها ولكن سلمان الفارسي رضي الله عنه قدم اقتراحاً آخر
جديداً لا علم للعرب به. فقال يا رسول الله: إنا إذا كنا بأرض فارس
وتخوفنا الخيل خنقنا علينا فهل لك يا رسول الله أن نختدق؟^(٤٤).

فاستجاب الرسول صلى الله عليه وسلم لمشورة سلمان،
وأعجب برأيه وأعجب هذا الرأي المسلمون إذ الخنق من الأمور التي
لا يعرفها العرب كوسيلة من وسائل الدفاع والتحصين للعدو، وها هو
عليه السلام يضرب دون استعلاء أو استكبار أروع الأمثلة للقائد الملم
المحتك الذي يستفيد من خبرة رجاله في الحرب، ولهذا كانت سنته
وستظل نبراساً وهدياً للمسلمين في جميع أمور حياتهم.

تتافس المسلمون على سلمان الفارسي رضي الله عنه فقال
المهاجرون: سلمان منا. وقال الأنصار هو منا ونحن أحق به، فبلغ
الرسول عليه السلام قولهم فقال: سلمان منا آل البيت^(٤٥).

خرج المسلمون من المدينة وعسكر بهم الرسول في سفح جبل
سلع وجعلوه خلفهم، وكانوا ثلاثة آلاف رجل فهبوا جميعاً يحفرون
الخنق بينهم وبين عدوهم، واشترك معهم الرسول صلى الله عليه
وسلم في حفره وكانت غزوة الأحزاب أول غزوة في التاريخ
الإسلامي يحفر فيها الخنق، إذ كان ذلك متعارفاً عليه بين الأعاجم

نقط. وهذا من جملة الأدلة الكثيرة التي تدل على أن الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها التقطها، بل هو أولى بها من غيره.

وطال حصار الأحزاب المسلمين، حيث أقاموا كريماً من شهر لم يكن بينهم حرب إلا الرمي بالنبال والحصا. ولقد صور القرآن الكريم حال المسلمين تصويراً بليغاً في قوله تعالى في سورة الأحزاب^(٥٦): "إذا جاعوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا".

ولقد صورت هذه الآيات الجانب النفسي لأهل المدينة. ولما رأى الرسول صلى الله عليه وسلم شدة البلاء على المسلمين، أراد أن يقدم على أمر يخفف عنهم ما هم فيه، وهذا الأمر اتفقت بعض الروايات التاريخية^(٥٧) عليه، وهو أنه صلى الله عليه وسلم دخل في مفاوضات سرية مع عطفان، فبعث إلى عيينة بن حصن النزارى والحاتر بن عوف بن أبي حلوثة المزي، وهما قائد عطفان، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة لينصرفا بمن معهم من عطفان وغيرهم ويرجعا بقومهم عنها فوافقا فأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ وسعد بن عباد بذلك واستشارهما، فقالا: يا رسول الله أهدأ أمر تحبه فنصنعه لك؟ أو شيء أمرك الله به فنسمع له ونطيع؟ أم أمر تصنعه لنا؟

قال: "بل أصنعه لكم، والله ما أصنعه إلا لأني قد رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة. فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله، والله لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وما طمعوا قط أن ينالوا ثمرة إلا بشراء أو قري، فحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له، وأعزنا بك نعطيهم أموالنا، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فسرّ الرسول صلى الله

عليه وسلم بذلك، وقال لهم: "أنتم وذلك". وقال لعبيته والحارث
انصرفا فليس لكم عندنا إلا السيف^(٥٨).

نستنتج من ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم أراد أن
يطمئن إلى مدى ما يتمتع به أصحابه من القوة المعنوية، ولم يكن يحب
أن يسوق لأصحابه إلى حرب أو مغامرة لا يجدون في أنفسهم شجاعة
كافية لخوضها كما تثل أيضاً على مشروعية الشورى في كل ما لا
نص فيه.

وبعد فما أحرى المسلمين اليوم باقتفاء أثر قدوتهم ومعلمهم
ومرشدهم نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم، في السير على هذا المبدأ
الشرعي الهام الذي نص عليه القرآن الكريم بصيغة الأمر في قوله
تعالى: "وشاورهم في الأمر".

فالشورى قاعدة من قواعد الدين، وصفة من أهم صفات
المؤمنين، وميزة من أهم مميزات الدولة الإسلامية وسماستها الشرعية.
سميت باسمها سورة كاملة في كتاب الله، ونزل فيها آيات تنقل
إلى يوم القيامة، وما ذاك إلا لأنها نهج يقتنى وسنة تتبع. أمر الله بها
نبيه صلى الله عليه وسلم وطبقها المصطفى عليه أفضل الصلاة
والسلام في الأمور العامة والخاصة ونفذتها الأمة جيلاً بعد جيل.

قال ابن العربي: الشورى لغة للجماعة ومعيار للعقول وسبب
إلى الصواب وما تشاور قوم قط إلا هدوا والمشاورة أصل الدين وسنة
الله في العالمين وهي قرينة الصلاة والإتفاق في سبيل الله. قال تعالى:
"والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم وما
رزقناهم بفقون"^(٥٩).

إن الشورى مع عظمة خيرها، وامتداد بركتها، وعظمة
نظامها، فإن أبنائها وعلماءها لم ينهضوا بها ليتنموا للعالم كله

الصورة المشرفة العظيمة للشورى، إنهم لم ينهضوا ليقدموا عظمة القواعد للريائية التي تقوم عليها للشورى، وعظمة الأسس الإيمانية التي تبنى عليها للشورى، وعظمة النظام المتكامل الذي يمثل نظرية الشورى في الإسلام.

إن المسلمين لا يشعرون اليوم أن الشورى في الإسلام نظام متكامل، نظام لبثاً في مكة قبل قيام الدولة، ثم نما «هذا النظام مع نمو سائر قواعد العقيدة والإيمان»^(١٠).

الحواشي

- (١) قطب، سيد، تفسير جزء الثوري، ص ٨٣-٨٤.
- (٢) الأصفهاني، الراغب، مفردات القرآن، ج١، ص ٢٤.
- (٣) قطب، سيد، مرجع سابق، نفس الصفحة.
- (٤) الطبري، محمد بن جرير، التفسير الكبير، م٤، ص ١٠١.
- (٥) النحوي، عدنان، الثوري لا الديموقراطية، ص ٣٥.
- (٦) الأنصاري، عبد الحميد، الثوري وأثرها في الديموقراطية، ص ٢.
- (٧) قاموس كولنز، طبعة ١٩٧٩م.
- (٨) النحوي، مرجع سابق، ص ٣٧.
- (٩) المرجع السابق، ص ٤٠.
- (١٠) المرجع السابق ص ٣٠-٣١.
- (١١) المرجع السابق، ص ٥٥.
- (١٢) ابن منظور، (محمد بن مكرم بن علي. ت ٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، المجلد الرابع، ص ٤٣٤-٣٣٧.
- (١٣) خطاب، محمود شيت، الثوري العسكرية في عهد الرسالة، ص ٦.
- (١٤) سورة الحشر، آية ٧.
- (١٥) الحسين، زيد بن عبد المحسن، مقال في الفيض بعنوان: "وأمرهم شورى بينهم"، العدد ٢٠٦، ص ٤.
- (١٦) العمري، أكرم، الإسلام والوعي الحضاري، ص ١٥٦.
- (١٧) النحوي، عدنان، ملامح الثوري في الدعوة الإسلامية ص ٢٤ -الصالح، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج١، ص ٣٢٤.

(١٨) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جـ٤، ص٤٤-٤٥.

(١٩) المرجع السابق، جـ٤، ص٤٧.

(٢٠) المرجع السابق، جـ٤، ص٥٠.

(٢١) المرجع السابق، جـ٥، ص٢٣٨.

(٢٢) سورة الشورى، آية ٣٨.

(٢٣) قطب، سيد، تفسير سورة الشورى، ص٨٣.

(٢٤) جـ٧، ص٢٩٢.

(٢٥) النحوي، مرجع سابق، ص٤٧.

(٢٦) سورة آل عمران، لية ١٥٩.

(٢٧) ابن كثير (إسماعيل بن عمر. ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، تفسير

القرآن للعظيم، جـ١، ص٤٢٠.

(٢٨) الاصبهاني (عبد الله بن محمد، ت ٣٦٩هـ/٩٧٩م)، أخلاق

للنبي صلى الله عليه وسلم وأدابه، ص٢٤٠.

(٢٩) ابن كثير، مصدر سابق، نفس الجزء ونفس الصفحة.

(٣٠) المصدر السابق نفس الجزء ونفس الصفحة.

(٣١) النحوي، مرجع سابق، ص٧٥.

(٣٢) كيار، عفيف. تفسير جزء الشورى، ص٣٨.

(٣٣) النحوي، مرجع سابق، ص٤٧.

(٣٤) ابن هشام (عبد الملك، ت ٢١٣هـ/٨٢٨م)، السيرة النبوية،

جـ١، ص٦١٢-٦١٣-إسماعيل، أحمد علي، التبعة العسكرية

في صدر الإسلام والعهد الأموي، ص٥٢.

(٣٥) ابن هشام، مصدر سابق، جـ١، ص٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٩.

(٣٦) السيرة النبوية، جـ١، ص ٦٨٥، ٦٩١، ٧٠٦.

- (٣٧) المصدر السابق، جـ ١، ص ٦١٥.
- (٣٨) الواقدي (محمد بن عمر بن واقد، ت ٢٠٧هـ / ٨٢٢م)،
المغازي، جـ ١، ص ٤٨.
- (٣٩) ابن هشام، مصدر سابق، جـ ١ ص ٦٧٥.
- (٤٠) المصدر السابق، جـ ١، ص ٦١٥ - الواقدي، مصدر سابق،
نفس الجزء ونفس الصفحة.
- (٤١) سورة المائدة، آية ٢٤.
- (٤٢) برك النعماد: بكسر الفين، موضع وراء مكة بخمس ليال مما
يلي للبحر. وقيل بلد باليمن. صفى الدين البغدادي (ت ٧٣٩هـ /
١٣٣٨م) مراصد الإطلاع على سماء الأمكنة والبقاع،
جـ ١ ص ١٨٧.
- (٤٣) ابن هشام، مصدر سابق، ص ٦١٤ - ٦١٥.
- (٤٤) الواقدي، مصدر سابق، جـ ١، ص ٤٩ - عروة بن الزبير،
مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم، ص ١٣٦.
- (٤٥) نفور: من الغور وهو ذهاب الماء في الأرض ومنفل فيها.
ابن منظور، لسان العرب، مجلد ٥، القلب: جميع قليب وهي
البئر. ابن منظور، لسان العرب، مجلد ١.
- (٤٦) ابن هشام، مصدر سابق، م ١، ص ٦٢٠ - ابن حزم (على ابن
أحمد، ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م)، جوامع السيرة ص ١١١ - ١١٢ -
ابن سيد الناس (محمد بن سعيد الناس ٧٣٤هـ / ١٣٣٣م)،
عيون الأثر، جـ ١، ص ٢٥٠ - ابن كثير، مصدر سابق، جـ ٢،
ص ٤٠٢.
- (٤٧) ابن هشام، مصدر سابق، م ١، ص ٦٢٠ - ٦٢١ - ابن عبد
البر (يوسف بن عبد البر ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) الدرر في
اختصار المغازي والمير، ص ١١٣

(٤٨) أية ٦٧.

(٤٩) البيوطي، فقه السيرة، ص ٢٣٩-٢٤٠، ثلبي، المجتمع الإسلامي، ص ١١٧.

(٥٠) الواقدي، مصدر سابق، جـ ١، ص ٢٠٩.

(٥١) عروة بن الزبير، مصدر سابق، ص ١٦٨-١٦٩-ابن حزم،

مصدر سابق، جـ ٢، ص ٤٠٣-ابن كثير، مصدر سابق،

جـ ١، ص ٤٢٠.

(٥٢) الواقدي، مصدر سابق، جـ ٢، ص ٤٤٤-٤٤٥-ابن هشام،

مصدر سابق، م ٢، ص ٢١٤.

(٥٣) ابن هشام، مصدر سابق، م ٢، ص ٢١٥.

(٥٤) الواقدي، مصدر سابق، جـ ٢، ص ٤٤٤-٤٤٥.

(٥٥) مصدر سابق، جـ ٢، ص ٤٤٦-٤٤٧-ابن عبد البر، مصدر

سابق، ص ١٧٩-١٨٠.

(٥٦) أية ١٠.

(٥٧) ابن حزم، مصدر سابق، ص ١٨٨، ابن عبد البر، مصدر

سابق، ص ١٨٤.

(٥٨) ابن كثير، مصدر سابق، جـ ٢، ص ٢٠١-٢٠٢.

(٥٩) سورة آل عمران، أية ١٥٩.

(٦٠) النحوي، مرجع سابق، ص ٤١-٤٢.

ثبت المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- إسماعيل، أحمد علي، التعبئة العسكرية في صدر الإسلام والعهد الأموي، دار الشورى، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.
- ٣- الأصبهاني (عبدالله بن محمد بن جعفر ت ٣٦٩-٩٧٩م)، لخلق النبي صلى الله عليه وسلم وأدابه، القاهرة، ١٩٧٢م.
- ٤- الأصفهاني (الراغب)، مفردات القرآن، ج١، مصر، (د.ت).
- ٥- الأنصاري، عبد الحميد إسماعيل، الشورى وأثرها في الديموقراطية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
- ٦- البغدادي (صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ت ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م)، مرصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج١، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.
- ٧- البوطي، محمد سعيد، فقه الميرة، دار الفكر، الطبعة الخامسة، ١٣٩٣هـ/١٩٧٢م.
- ٨- ابن حزم (علي بن أحمد سعيد ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م)، جوامع السيرة، القاهرة، (د.ت).
- ٩- الحسين، زيد بن عبد المحسن، مقال بعنوان: وأمرهم شورى، مجلة الفيصل، العدد ٢٠٦.
- ١٠- خطاب، محمود شيت، للشورى العسكرية في عهد الرسالة، دار القبلية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- ١١- ابن الزبير، عروة، مفازي الرسول صلى الله عليه وسلم، جمع وتحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، مكتب التربية العربي لدول الخليج العربية، ١٤٠١هـ.

- ١٢- ابن سيد الناس (فتح الرحمن محمد بن محمد الشافعي ت ٧٢٤ هـ/١٣٢٣م)، عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، ج-١، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).
- ١٣- شلبي، أحمد، موسوعة النظم والحضارة الإسلامية، المجتمع الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٧٤م.
- ١٤- الصالحى، محمد بن يوسف الشامي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج-١.
- ١٥- الطبري، (محمد بن جرير)، للتفسير الكبير، م٤، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٢هـ.
- ١٦- طيارة، عفيف عبد الفتاح، تفسير جزء الشورى، دار العلم للملايين، بيروت، (د.ت).
- ١٧- علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج-١، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٧٠م.
- ١٨- العمري، أكرم ضياء، الإسلام والوعي الحضاري، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- ١٩- قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج-٧، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.
- ٢٠- تفسير سورة الشورى، دار الشروق، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- ٢١- ابن كثير (أبي النذاه إسماعيل ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، التفصيل في اختصار سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، الطبعة الأولى، دمشق، ١٣٩٩هـ.
- ٢٢- السيرة النبوية، ج-٢، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٦هـ/١٩٦٩م.

- ٢٣- تفسير القرآن العظيم، ج١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م.
- ٢٤- ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم ت ٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٦م.
- ٢٥- النحوي، عدنان، ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية، الطبعة الثانية، الرياض، ١٤٠٤هـ.
- ٢٦- الشورى لا الديمقراطية، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- ٢٧- ابن هشام (عبد الملك بن هشام الحميري ت ٢٣٣هـ/٨٢٨م).
- ٢٨- الواقدي (محمد بن عمر واقد ت ٢٠٧هـ/٨٢٢م)، المغازي، ٣ أجزاء، لندن، ١٩٦٦م.
- ٢٩- قاموس كولنز، طبعة ١٩٧٩م، لندن وجلاسكو.

الاستشفاء خارج مصر
منذ عهد محمد على حتى نهاية عهد اسماعيل
١٨٠٥-١٨٧٩م

دكتور
فوزى السيد السيد المصرى
مدرس التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الآداب - جامعة طنطا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تتناول هذه الدراسة واحداً من الموضوعات الهامة في تاريخ مصر الحديث ألا وهو الاستشفاء خارج مصر منذ عهد محمد على حتى نهاية عهد اسماعيل (١٨٠٥-١٨٧٩م). حيث أن الحكومة بذلت قصارى جهدها للنهوض بالصحة العامة في البلاد في تلك الفترة، فأنشأت المستشفيات واستقدمت الأطباء الأجانب لعلاج الأهالي، ورغم تلك الجهود التي بذلت لعلاج المرضى إلا أن بعض الحالات استعصى علاجها في مصر وتم التصريح لأصحابها بالسفر إلى الخارج للعلاج، ورغم تحمل الحكومة لكافة نفقات علاج المريض فقد كانت أيضاً تصرف له نصف راتبه طوال فترة علاجه بالخارج مما كلف خزانة الدولة مبالغ طائلة.

ورغم جهود الحكومة لتسهيل سفر المرضى الذين استعصى علاجهم بمصر للعلاج بالخارج إلا أن العلاقات السياسية كان لها أثرها في تحديد الدولة التي سيسافر إليها المريض للعلاج. حيث كان توتر العلاقات السياسية مع إحدى الدول يقف حائلاً دون إرسال المريض للعلاج لديها وكان طلب المريض في مثل هذه الحالة يقابل بالتأجيل أو الرفض.

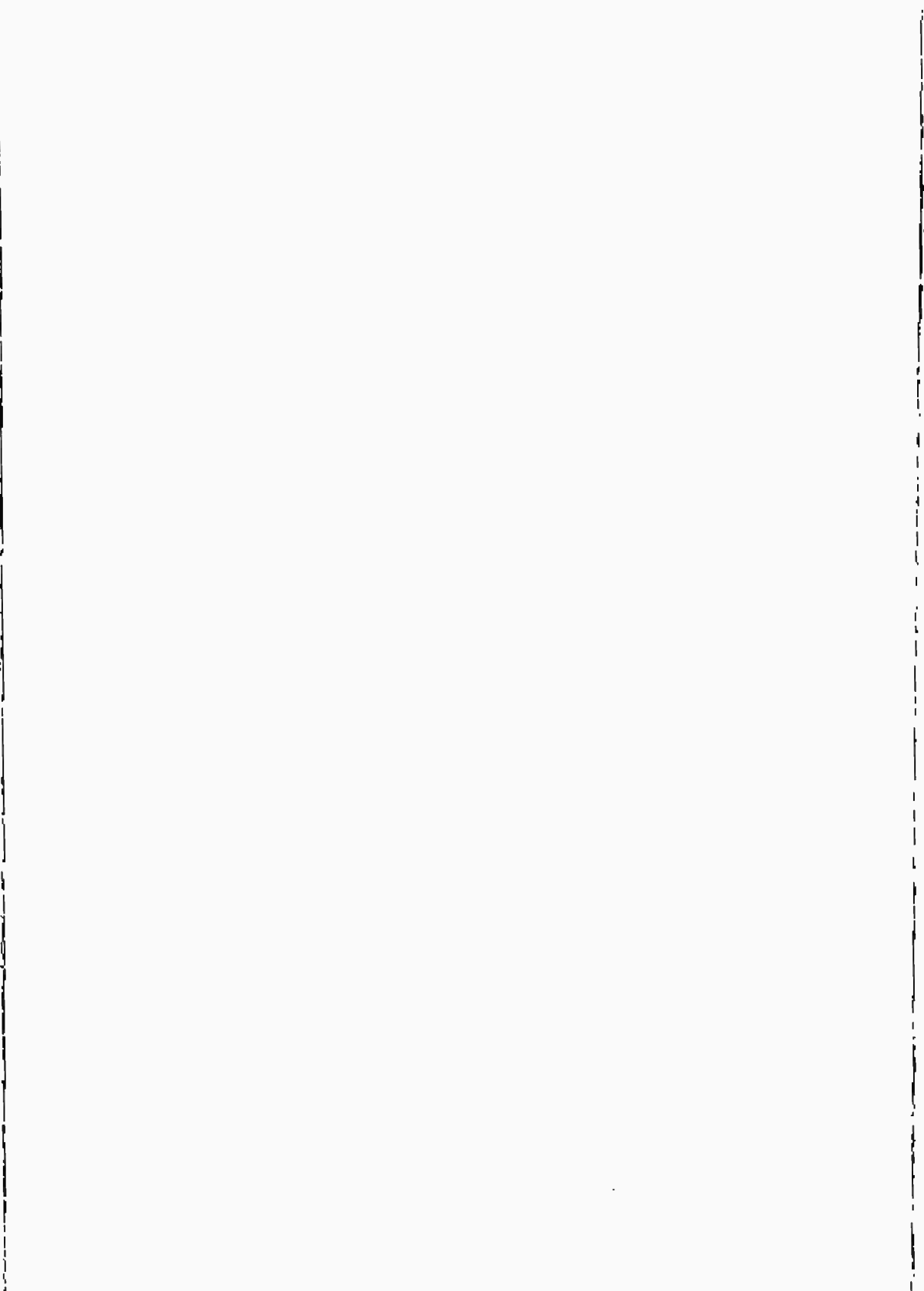
ويمكن القول أن اهتمام الحكومة بالسماح للمرضى الذين استعصى علاجهم في مصر بالسفر إلى الخارج للعلاج رغم تكاليفه الباهظة إلا أنه من جهة أخرى كان يعكس مدى اهتمام الحكومة بالصحة العامة مما أدى إلى تقديمها في تلك الفترة.

والله الموفق.

دكتور

فوزي المصري

مايو ١٩٩٩م.



اهتم حكام مصر في الفترة من عام ١٨٠٥م إلى عام ١٨٧٩م بشئون الصحة اهتماماً بالغاً، وكانت الوسائل التي لجأوا إليها إما وقائية كالنجس الصحي أو علاجية كالاعتماد على معاونة الأطباء الأجانب أمثال كلوت بك، وكذلك إنشاء مدرسة للطب وجلب الكتب الطبية والأدوية وإقامة المستشفيات، وإيفاد البعثات الطبية إلى الخارج، وتشجيع الأطباء الأجانب على القدوم إلى مصر لمداواة المرضى. فضلاً عن مطاردة الدجالين ممن يمارسون الطب من الأجانب أو الوطنيين.

ورغم كل هذه الجهود التي قام بها حكام مصر في تلك الفترة للعناية بالشئون الصحية في مصر وكان لها ثمرتها المرجوة إلا أنه كانت هناك بعض الحالات استعصى علاجها داخل البلاد، وحفاظاً على الصحة العامة فإن هؤلاء الحكام لم يتهاونوا في إرسال أصحاب تلك الحالات إلى الخارج للعلاج مما كان له أثره في الحفاظ على الصحة العامة في مصر خلال تلك الفترة.

الحالات التي كان يصرح لأصحابها بالسفر إلى الخارج للعلاج؛ كان يصرح بالسفر إلى الخارج للعلاج للمرضى ذوي الحالات المرضية التي كان يستعصى علاجها في مصر كالمصابين بمرض الرمد الزمن^(١) كما كان يسمح بالسفر إلى الخارج للمصابين بأمراض الصدر المزمنة وخاصة التهابات الرئة^(٢)، وكان يصرح أيضاً للمصابين بالأمراض الباطنية التي ينتج عنها

(١) محافظ الداخلية عيسى. محظلة ١٥، وثيقة ٤٨ عرض، في ١٩ محرم ١٢٩٠هـ (٢٠ مارس ١٨٧٣م) من كاتب ديوان خديوي إلى ناظر الداخلية.

(٢) دفاتر معية سنية عيسى، دفتر ١٨٧٠ صادر، ص ٧٧، وثيقة ٤٣ في ٢٢ صفر ١٢٩١هـ (٩ إبريل ١٨٧٤م) من المعية السنية إلى ديوان الداخلية.

حدوث ضعف عام ^(١١) وخاصة أمراض الكبد. ^(١٢) كما كان يصرح لمرضى «عرق النسا» الذين يستعصى علاجهم في مصر بالسفر إلى الخارج للعلاج ^(١٣) وكان المرضى المصابين بأمراض «الأذن» يسمح لهم بالسفر للعلاج في الخارج أيضاً ^(١٤) وبالإضافة إلى هؤلاء كان المرضى المصابين بالباصور يسمح لهم كذلك بالسفر إلى الخارج للعلاج. ^(١٥) فضلاً عن كل ذلك فقد كان يصرح للمصابين بمرض «الكلب» الذين استعصى علاجهم بمصر بالسفر إلى باريس للعلاج. ^(١٦) الإجراءات التي كانت تتخذ للتصريح للمريض بالسفر إلى الخارج للعلاج؛ رغم جهود الحكومة لتسهيل سفر المرضى الذين استعصى علاجهم بمصر للعلاج بالخارج إلا أن ذلك لم يكن بالأمر الهين في كافة الأحوال، لأن ذلك التصريح الذي كان يتطلب موافقة الرأى ^(١٧) كانت العلاقات السياسية في

(١) دفاتر معية شبة عربي، دفتر ١٨٧١، ص ٨٤، وثيقة ٤٥ في ١٥ جماد ثان ١٢٩٢ هـ

(٢) ١٩ يونيو ١٨٧٥ م) من المعية الشبة إلى محافظة مصر.

(٣) محافظ الداخلية، محفظة ٥ أوامر تركي، ملف ٥، وثيقة ٦ عرض في ٢٠ ربيع أول

١٢٩٠ هـ (١٦ يونيو ١٨٧٣ م) من محمد توفيق إلى الباشا رئيس محاسبة مجلس

المالية.

(٤) أمين سامي؛ لقويم النيل وعصر اسماعيل، دار الكتب المصرية، المجلد الثالث، ج ٣،

القاهرة، ١٩٣٦ م، ص ٦.

(٥) دفاتر معية شبة عربي، دفتر ١٨٧٠ صادر، ص ٨٤، وثيقة ١٠٤ في ١٦ ربيع أول

١٢٩١ هـ (٤ مايو ١٨٧٤ م) من المعية إلى ديوان المالية.

(٦) محافظ الجهادية، محفظة ٤ أوامر تركي، وثيقة ٢/٢٨٨ في ٧ رجب ١٢٦١ هـ (١٣

يوليو ١٨٤٥ م) من الجناب العالي إلى مدير الجهادية.

(٧) الرطن؛ العدد ٨٦ في ١ يناير ١٨٧٧ م، ص ٤.

(٨) محافظ الجهادية، محفظة ٤ أوامر تركي، وثيقة ٢/٢٨٨ في ٧ رجب ١٢٦١ هـ (١٣

يوليو ١٨٤٥ م) من الجناب العالي إلى مدير الجهادية.

بعض الأحوال تقف حجر عثرة أمام إعطائه للمريض، فإذا كانت العلاقات السياسية متوترة مع إحدى الدول كان الجناب العالي لا يوافق على إرسال الحالات المستعصية للعلاج بها بل كان يأمر بالانتظار حتى تتغير الأحوال السياسية السائدة في تلك الدولة، وقد حدث ذلك عندما طلب «أرتين بك» من عباس باشا التصريح له بالسفر إلى الأستانة للعلاج إلا أن الوالي لم يجبه إلى طلبه بسبب علاقاته السيئة مع الصدر الأعظم رشيد باشا ورد على «أرتين بك» بأنه سيرسله للعلاج بالأستانة بعد أن يصله خير عزل الصدر الأعظم. ^(١) وهنا يدل دلالة واضحة على أن العلاقات السياسية مع البلاد المطلوب التوجه إليها للعلاج كان لها أثرها على قرار الوالي بالموافقة أو الرفض على السفر إلى تلك البلاد للعلاج.

وكانت موافقة الوالي لأصحاب تلك الحالات تستلزم اتخاذ بعض الإجراءات قبل أن يصرح لأحدهم بالسفر إلى الخارج للعلاج. منها أن يتم توقيع الكشف الطبي على المريض من قبل مجموعة من الأطباء، وأن يحرروا تقريراً طبياً عن حالته يوضحون فيه أنه تم علاجه بمصر لفترة وأن العلاج لم يأت بالنتيجة المرجوة، كما يوضحون فيه أن حالته تستدعي السفر للعلاج بالخارج ^(٢) وكان يتعين أن يوضح التقرير الطبي المدة التي يحتاجها المريض

(١) محافظ عابدين، محافظة ١٢٤، ملف التفريعات، وثيقة بدون رقم في ٩ ذي القعدة ١٢٦٦هـ (١٧ سبتمبر ١٨٥٠م) من قاطعة الزهراء إلى الجناب العالي عباس حلمي الأول، ملحق رقم (١).

(٢) محافظ الناحلية، عربي، محافظة ١٦ وثيقة ٢٣٢، في ٢٣ جماد أول ١٢٩٠هـ (٢٠ يوليو ١٨٧٢م) من رئيس المجلس الخصوصي إلى مستشار المجلس الخصوصي، ملحق رقم (٢).

للعلاج هناك. (١) كان يتحتم على الموظف الذى سيسافر إلى الخارج للعلاج أن ينسحب وكيلاً عنه ليقوم بأعمال وظيفته طوال مدة سفره للعلاج بالخارج، كما كان يتحتم على كليهما أن يكتبتا تعهداً بذلك حتى لا تتعطل أعمال الوظيفة التى كان يقوم بها الموظف طوال مدة علاجه بالخارج. (٢)

ومما سطر الإشارة إليه أن ذلك الشرط الأخير كان مطبقاً على جميع الموظفين الذين يسافرون للعلاج بالخارج دون استثناء حتى أنه طبق على موظفى القنصليات الأجنبية الموجودة فى مصر ، حيث أن الوكيل القنصلى للولايات المتحدة الأمريكية فى الإسكندرية كان قد أصيب بمرض استعصى علاجه فى مصر وأراد أن يسافر إلى أوروبا للعلاج وأوضح فى عريضته اسم من سينوب عنه لإنجاز أعمال مكتب وكيل القنصلية بتلك المدينة خلال فترة وجوده بأوروبا للعلاج. (٣)

وكانت المدة التى يسمح بها للمريض للبقاء فى الخارج للعلاج تتراوح بين شهرين (٤) وستة أشهر فى معظم الحالات طبقاً لما يكتبه الأطباء فى تقريرهم. (٥) ولم تكن هذه المدة التى حددها الأطباء نهائية إذ كثيراً ما كانت

(١) محافظ الداخلية، عريس، محفظة ١٨، وثيقة ٤٥ فى ٨ صفر ١٢٩١هـ (٢٨ مارس

١٨٧٤م) من كاتب ديوان خديوى إلى ناظر المالية.

(٢) دفاتر معية منية عريس، دفتر ١٨٧١، ص ١٤، وثيقة ٤٥ فى ١٤ جماد ثان ١٢٩٢هـ.

(٣) ١٩ يوليو ١٨٧٥م) من المعية المنية إلى محافظة مصر.

(3) American Archive. Vol. 14. P. 264. Despatch No. 233. Agency and Consulate General of the U.S in Egypt, Cairo, June 5th. 1878.

(٤) دفاتر معية منية عريس، دفتر ١٨٧٠ صادر، ص ٧٧ وثيقة ٤٣ فى ٢٢ صفر

١٢٩١هـ (٩ إبريل ١٨٧٤م) من المعية إلى ديوان الداخلية.

(٥) دفاتر الأوامر الكرام، دفتر ١٩٠١ أوامر عريس، ص ٢٤، وثيقة ٦ فى ٢٨ ربيع ثان

١٢٧٩هـ (٢٤ أكتوبر ١٨٦٢م) أمر كريم إلى محافظة مصر.

فترة العلاج بالخارج تتطلب وقتاً أطول مما حدده الأطباء في تقريرهم الطبي الذي وافق عليه الوالي مما يجعل المريض مضطراً لأن يطلب من جهة عمله أن ترفع الأمر إلى الجناب العالي للموافقة على مد الأجازة المصرح له بها للبقاء في الخارج للعلاج، وكان يلزم في تلك الحالة أن يرفق مع طلبه تقرير الطبيب المعالج له في الخارج موضحاً فيه أن المريض في حاجة إلى فترة أطول للعلاج وأنه بحاجة إلى مد الأجازة الممنوحة له، وكان الوالي لا يمانع في مثل هذه الحالة في مد الأجازة للحصول على الشفاء المطلوب، حيث أن « المسيودوات الأرسطة السروجي بمدرسة الطريجية » أرسل يريد أن يرخص له بمدة زيادة على الأجازة التي سبق إعطاؤها له لعلاج عينيه في فرنسا، وقد أرسل رفق طلبه الشهادات الطبية من فرنسا التي توضح أن حالته الصحية تحتاج إلى مد الأجازة، تمت الموافقة له على طلبه.^(١)

ومما يجدر الإشارة إليه أن الوالي لم يكن يسمح بمد تلك الأجازة أكثر من مرة بل كان يأمر بقطع مرتب الموظف الذي سافر للعلاج في الخارج فوراً إذا لم يعد في آخر مدة أجازته الثانية، حيث صدر أمر الجناب العالي بعدم الموافقة على تجديد أجازة القائ مقام الخواجه « ذقنون » من أعضاء شورى الأطباء مرة ثالثة وأن يقطع معاشه إذا لم يعود إلى المحروسة في آخر أجازته الثانية.^(٢)

(١) محافظ الناخلبة عريس، محفظة ٩ وثيقة ٩٥ في ٩ جماد ثان ١٢٨٤هـ (١٨ أكتوبر

١٨٦٧م) من ناظر مدرسة الطريجية إلى وكيل الجهادية.

(٢) محافظ الجهادية. أوامر تركي، محفظة ٥. وثيقة ٢٨/٢ في ٢٢ ذي القعدة

١٢٦٣هـ (١ نوفمبر ١٨٤٧م) من الجناب العالي إلى وكيل الجهادية. ملحق (٣).

وكانت الحكومة تتكفل بدفع نفقات علاج كل من يسافر للعلاج بالخارج والتي تشمل أجر الطبيب وثمان الدوا الذي عولج به المريض إلا أنها لم تكن تدفعها إلا بعد أن يتم الشفاء أو عودة المريض من الخارج.^(١)

أما عن المرتب الذي كان يتقاضاه المريض عند سفره للعلاج بالخارج فهو نصف ما كان يتقاضاه أثناء ممارسته لمهام وظيفته قبل السفر^(٢) وفي بعض الحالات كان الموظف يتقاضى ثلثي مرتبه^(٣) ولكن في بعض الحالات الإستثنائية كان الموظف السافر للعلاج بالخارج يمنح مرتبه كاملاً وذلك مثلما حدث مع كلوت بك عند سفره للعلاج بفرنسا.^(٤) وكما حدث مع على أفندي راغب وكيل مرور مصر الذي طلب السفر إلى أوروبا للعلاج لمدة شهرين بمرتب كامل وأجيب إلى طلبه.^(٥) وكان ذلك المرتب الذي خصص للمريض السافر للعلاج بالخارج يصرف إلى من يوكله المريض. حيث كان يتحتم عليه قبل سفره تعيين وكيلاً عنه لصرف مرتبه ويخطر بذلك الجهة التي كان

(١) دفاتر معية سنية تركي، دفتر ٢١ ص ٦٧، وثيقة ٣٤٠ في ١٦ جماد أول ١٢٤١هـ.

(٢٨ ديسمبر ١٨٢٥هـ) من المعية السنية إلى ناظر التجارة بالاسكندرية.

(٢) محافظ الجهادية، أوامر تركي، محفظة ٥ وثيقة ٣/٥ في ٣ رجب ١٢٦٢هـ (٢٣)

يونيو ١٨٤٦م) من الجناب العالي إلى وكيل الجهادية.

(٣) دفاتر معية سنية عربي، دفتر ١٨٧١، ص ٨٤، وثيقة ٤٥ في ١٥ جماد ثان ١٢٩٢هـ

(١٩ يوليو ١٨٧٥م) من المعية السنية إلى محافظة مصر.

(٤) محافظ الجهادية، أوامر تركي، محفظة ٥، وثيقة ٣/١٥٦ في ١١ رمضان ١٢٦٣هـ

(٢٤ أغسطس ١٨٤٧م) من الجناب العالي إلى وكيل الجهادية.

(٥) دفاتر المعية السنية عربي، دفتر ١٨٧٠، صادر، ص ٩٥، وثيقة ٥٧ في ٢٣ ربيع ثان

١٢٩١هـ (١١ يونيو ١٨٧٤م) من المعية إلى ديوان الداخلية.

يصرف منها مرتبه^(١) وإذا لم يتمكن من توكيل من ينوب عنه لصرف المرتب فإنه كان يقوم بصرف ذلك المرتب الذى خصص له بعد حضوره إلي مصر وتسليمه عمله. (٢)

وكان يتحتّم أن تكون الشهادة الطبية التى يقدمها المريض مستوفية لكل الشروط التى حددتها الحكومة حيث كان من الضرورى أن يوضع بها وظيفته، وأن تكون تلك الشهادة من أطباء معتمدين من مجلس الصحة، وأن يوضع بها كذلك الجهة التى يطلب المريض السفر إليها للعلاج، كما يوضع بها المدة اللازمة للعلاج بالخارج، فضلاً عن كل ذلك لا بد أن تكون تلك الشهادة معتمدة ومصدقة من مجلس الصحة. (٣)

ومما تجدر الإشارة إليه أن السفر للعلاج بالخارج لم يكن مقصوراً على الرجال فقط دون النساء بل أن النساء كثيراً ما صرح لهن بالسفر إلى الخارج للعلاج، حيث «صرح بإعطاء أجازة إلى حرم المرحوم سليم بك الكريدلى من أرباب المعاشات بالسفر إلى الخارج للعلاج» بناءً على الشهادة الصحية التى قدمتها والتى أوضع فيها الأطباء المعالجين أن مرضها يستعصى علاجه فى مصر وأنه يجب أن تسافر إلى الخارج للعلاج، وقد تمت الموافقة لها على طلبها. (٤)

(١) دفاتر معية سنية عربى، دفتر ١٤٨ صادر، ص ٦٥، وثيقة ٢٩ فى ١٩ جماد ثان ١٢٩٣هـ (١٣ يوليو ١٨٧٦م) من المعية إلى محافظ الاسكندرية.

(٢) دفاتر معية سنية عربى، دفتر ١٩٢٧ أوامر كريمة، ص ٦٤، وثيقة ٥٤ فى ٧ ذى القعدة ١٢٨٥هـ (١١ مارس ١٨٦٩م) أمر كريم إلى الداخلية.

(٣) دفاتر معية سنية عربى، دفتر ١٨٦١، ص ٧٩، وثيقة ٣٧ فى ١٧ جماد أول ١٢٩٠هـ (١٣ يوليو ١٨٧٣م) من المعية السنية إلى محافظ اسكندرية.

(٤) دفاتر معية سنية عربى، نفس الدفتر والوثيقة.

التذاكر التى تعطى للمريض المسافر للعلاج بالخارج:

كان المريض المسافر للعلاج بالخارج يحصل على تذاكر مرور صحية يتم التوقيع عليها من مأمورى الصحة بالجهات التى بها حجر صحى، أما الجهات التى لا يوجد بها حجر صحى فسيتم التوقيع على تلك التذاكر من طرف مأمورها. ^(١) وفضلاً عن تلك التذاكر فقد كان يتحتم على كل من يغادر البلاد سواء للعلاج أو لغيره أن يحمل تذكرة مختومة بخاتم مصر (جواز سفر) حيث أن مجلس الشورى كان قد قرره أن يكون بيد كل انسان تذكرة مختومة بختم مصر، يقدمها المسافر عند خروجه منها أو عند دخوله إليها، كما كان يقدمها عند انتقاله من بلد إلى آخر، وكانت هذه التذاكر من الأهمية للدرجة أن المسافر كان يتحتم عليه تقديمها إلى الجهات المختصة متى طلب منه ذلك. ^(٢)

الجهات التى يصوح للمرضى بالسفر إليها للعلاج:

لم يكن مسموحاً للمريض بالتوجه إلى أى بلد يطلبها للعلاج بها بل أن العلاقات السياسية كثيراً ماكان لها أثرها فى الموافقة على السفر إلى هذا البلد أوذاك، وفى بعض الأحوال قوبلت طلبات المرضى الذين يطلبون جهات معينة للسفر إليها للعلاج بالرفض أو التأجيل بسبب توتر العلاقات السياسية مع الدول المطلوب السفر إليها. ^(٣)

(١) دفاتر معية سنية عربى، دفتر ١٨٩٥ ج ٢ أوامر، ص ٩٨، وثيقة ١٧٣ فى ١٥ صفر

١٢٧٨ هـ (٢٣ أغسطس ١٨٩٦ م) أمر كريم إلى رئيس مجلس الصحة.

(٢) ابراهيم زكى: الحالة المالية والنظير الحكومى والاجتماعى فى عهد الحملة الفرنسية

ومحمد على، المطبعة العصرية بصر، ١٩٢٨ م، ص ١٩٦.

(٣) محافظ عابدين، محفظة ١٢٤، ملف المتفرقات، وثيقة بدون رقم، فى ٩ ذى القعدة

١٢٦٦ هـ (١٧ سبتمبر ١٨٥٠ م) من لاطمة الزهراء إلى الجناب العالى عباس حلى

وكانت فرنسا من أهم الدول التي أرسل المرضى إليها للعلاج في تلك الفترة حيث أن معظم المرضى المصابين بالأمراض الباطنية التي استعصى علاجها في مصر كانوا يقصدون فرنسا للعلاج. ^(١) ولم يقتصر السفر إلى فرنسا لعلاج الأمراض الباطنية فقط بل إن كثيراً من مرضى العيون وخاصة الرمد كانوا يطلبون السفر إليها لعلاج عيونهم فيها. ^(٢)

وكانت النمسا من الدول التي سافر إليها المرضى الذين استعصى علاجهم بمصر حيث سافر إليها الكثير من أصيبوا بالرمد للعلاج فيها، وكان أشهر من عولج من مرض الرمد بالنمسا هو اسماعيل باشا خديو مصر حيث أصيب في طفولته بالرمد الصدیدی فأرسل إلى مدينة فينا للعلاج، وكانت آنذاك عاصمة لإمبراطورية النمسا والمجر. ^(٣)

ولم يكن العلاج بالنمسا قاصراً على مرضى الرمد فقط بل عولج فيها أيضاً المرضى المصابين «بالإلتهابات المفصلية الروماتيزمية» الذين تعذر علاجهم بمصر فأرسلوا إلى النمسا للعلاج حيث أن «الحجاجة نوتيسيره حكيمباشي مديرية الشرقية كان قد أصيب بالتهاب مفصلي روماتيزمي وظل يعالج في مصر لمدة سنتين إلا أن العلاج لم يفلح في شفائه فطلب التوجه إلى النمسا للعلاج في حماماتها المعدنية، وتمت الموافقة له على ذلك. ^(٤) وكانت تلك الحمامات المعدنية موجودة في مدينة كارلسباد. ^(٥)

(١) دلائر معية سنبة عرس، دفتر ١٨٧١، ص ٨٤، وثيقة ٤٥ في ١٥ جماد ثان ١٢٩٢ هـ (١٩ يوليو ١٨٧٥ م) من المعية السنبة إلى محافظة مصر.

(٢) ضاحاظ الداخلية عرس، محفظة ٩، وثيقة ٩٥ في ٩ جماد ثان ١٢٨٤ هـ (١٨ أكتوبر ١٨٦٧ م) من ناظر مدرسة الطبجية إلى وكيل الجهادية.

(٣) مكى شبكة: تاريخ شعوب وادی النيل (مصر والسودان) في القرن التاسع عشر، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥ م، ص ٥٦٥.

(٤) دلائر الأوامر الكرام: دشر ٤-١٩ عرس، ص ١٧ وثيقة ١٢٠ في ٥ ذي الحجة ١٢٧٩ هـ (٢٥ مايو ١٨٦٣ م) أمر كريم إلى مدير الشرقية.

(٥) دلائر المعية السنبة عرس، دفتر ١٨٧٠ صادر ص ٩٥، وثيقة ٥٧ في ٢٣ ربيع ثان ١٢٩١ هـ (١١ يونيو ١٨٧٤ م) من المعية إلى ديوان الداخلية.

وقد أقيمت الحمامات المعدنية في كارلسباد بالنمسا نتيجة لوفرة المياه المعدنية الیودية بها، وهي مياه جيدة للصحة تنج عن استخدامها في العلاج نتائج عظيمة، وكانت تستخدم هذه المياه في علاج «أنواع الأمراض الخنازيرية كالقروح وأمراض السيلان الأبيض ذي الطبيعة الخنازيرية» ويظهر أثرها في علاج هذه الأمراض بعد فترة قصيرة من استخدامها، كما ثبت نجاحها في علاج التوسات ولين العظام، كما كانت تستخدم هذه المياه لعلاج «التهابات الجيوب الأنفية» عن طريق الإستنشاق أو كسعوط، كما كانت تستعمل لعلاج أمراض البلعوم كغرغرة، وفي علاج التهابات الحنجرة بالبخار، كما كانت هذه المياه تستعمل أيضا لعلاج الإلتهابات المزمنة للعظام والمفاصل، وفضلاً عن كل ذلك فقد كانت تستخدم لعلاج المرضى المصابین بمرض الزهري، كما كانت تستعمل لعلاج التهابات الرئة وأمراض الدرن وتضخم القلب، وكانت الجرعة اليومية من هذه المياه كعلاج تتراوح بين أوقية إلى ١٦ أوقية في اليوم حسب نوع المرض والسن ونية المريض.^(١)

ورغم أن تلك المياه الیودية كانت تشحن بالبواخر إلى مصر في صناديق يحتوى كل منها على خمسين زجاجة ليستخدمها من لا يستطيع السفر إلى النمسا للعلاج^(٢) إلا أن بعض الموظفين الأجانب كانوا يطلبون الذهاب إلى هناك للعلاج أو لقضاء فترة النقاهة وإنجاز بعض أعمالهم^(٣) في حين كان بعضهم يطلب السفر إلى هناك أيضا للعلاج وقضاء فترة النقاهة ورؤية ذويهم خاصة إذا كان قد مر عليهم فترة طويلة دون أن يتمكنوا من رؤيتهم.^(٤)

(١) بحسب الطب، العدد ٢٨ في السبت ٢٦ ربيع أول ١٢٨٥هـ (١٦ سبتمبر ١٨٦٨م).

(٢) بحسب الطب، نفس العدد.

(٣) محافظ الجهادية. أوامر تركي. محفظة ٣، وثيقة ١٧٨/٢ في ٢٣ ذي الحجة ١٢٦٠هـ ٥ يناير ١٨٤٥م من الجناب العالي إلى مدير الجهادية.

(٤) محافظ الجهادية. أوامر. محفظة ١٥، وثيقة ١٠/٦ في ٢١ محرم ١٢٨٨هـ (١٣ إبريل ١٨٧١م) من اسماعيل إلى ناظر الجهادية. ملحق رقم (٤).

وكانت الدولة العثمانية مقصداً لكثير من كانوا يرغبون في العلاج بالخارج، حيث سافر العديد منهم إلى أزمير لعلاج عيونهم من مرض الرمد بعدما استعصى علاجهم في مصر.^(١) ومنهم من كان يرغب في السفر إلى الأستانة لعلاج صحته العلية^(٢) ومنهم من كان يسمع له بالتوجه إلى إحدى المدن الواقعة على ضفاف البسفور للعلاج وقضاء فترة النقاهة بها.^(٣)

وكانت جزر البحر المتوسط أيضاً من بين البلاد التي قصدها كثير من راغبي العلاج في الخارج حيث كانت جزيرة كريت مقصداً لبعض هؤلاء المرضى إذ « سمح لحرم المرحوم سليم بك الكريدلى من أصحاب المعاشات » بالتوجه إليها للعلاج من مرضها الذي استعصى علاجه بمصر.^(٤) وفضلاً عن جزيرة كريت فقد كانت جزيرة مالطة هي الأخرى مقصداً لكثير من المرضى للعلاج بها- ربما لقربها من مصر- وكان أشهر من عولج فيها الجنب العالى محمد على باشا وإلى مصر عندما عاوده المرض في فبراير ١٨٤٨م.^(٥) فاجتمع المجلس الصحى وقرر أن جناحه العالى في حاجة إلى السفر إلى مالطة للعلاج وقضاء فترة النقاهة بها فأبحر إليها تاركاً حفيده عباس باشا في القاهرة ونجده

(١) محافظ الداخلية عيسى، محافظة ١٠، وثيقة ٧٧ في ٢٢ ذي الحجة ١٢٨٥هـ (١٤ إبريل ١٨٦٩م) من ناظر ديوان الداخلية إلى وكيل الداخلية.

(٢) محافظ عابدين، محافظة ١٢٤، ملف المتفرقات، وثيقة بدون رقم في ٩ ذي القعدة ١٢٦٦هـ (١٧ سبتمبر ١٨٥٠م) من فاطمة الزهراء إلى الجنب العالى عباس باشا.

(٣) محافظ عابدين، محافظة ١٢٧، ملف المتفرقات، وثيقة بدون رقم في ٢٠ شوال ١٢٦٩هـ (٢٧ يوليو ١٨٥٣م) من كلين هانم إلى الجنب العالى عباس باشا.

(٤) دفاتر معيئة شعبة عيسى، دفتر ١٨٦١، ص ٧٩، وثيقة ٣٧ في ١٧ جماد أول ١٢٩٠هـ (١٣ يوليو ١٨٧٣م) من العبة إلى محافظ الأسكندرية.

(٥) محمد مختار: التوفيقات الإلهامية، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٣١١هـ، ص ٦٣٢.

سعيد باشا في الإسكندرية لتصرف أمور الحكومة فيها أثناء فترة علاجه بالظمة. (١)

وفي بعض الأحوال كان المرضى لا يحددون الجهة التي يرغبون في التوجه إليها للعلاج بل إن كثيراً منهم كان يطلب السفر إلى أوروبا للعلاج (٢) ومنهم من كان يطلب إعطاءه رخصة بالتوجه لبحر برا للعلاج وتغيبير الهوى. (٣)

وكان من أشهر الأجانب الذين كانوا يعملون بمصر وقصدوا أوروبا للاستشفاء خلال تلك الفترة كلوت بك (٤) رئيس شؤرى الأطباء (٥) وكلوتشى بك مفتش صحة الإسكندرية (٦) فضلاً عن قسطنطين سولفاجو الوكيل القنصلى للولايات المتحدة في الاسكندرية. (٧)

- (١) كريم ثابت: محمد على، طبعة ثانية، مطبعة المعارف، القاهرة، ١٩٤٣م، ص ٣٠٠.
- (٢) دفاتر الأوامر الكرام، دفتر ١٩٢٤، أوامر، ص ٧٤، وثيقة ٦٧ فى ٢٨ محرم ١٢٨٥هـ (٢٤ مايو ١٨٦٨م) أمر كريم إلى ديوان الداخلية.
- (٣) محافظ الداخلية عربى، محفظة ١٥، وثيقة ٤٨ فى ١٩ محرم ١٢٩٠هـ (٢٠ مارس ١٨٧٣م) من كاتب الديوان الخديوى إلى ناظر الداخلية.
- (٤) كلوت بك، لحة عامة إلى مصر، ترجمة محمد مسعود، ج ٢، مطبعة أبى الهول، القاهرة، بدون، ص ٦٥٥.
- (٥) محافظ الجهادية، أوامر، محفظة ٥، وثيقة ١٥٦/٤ فى ١١ رمضان ١٢٩٣هـ (١ أكتوبر ١٨٧٦م) من الجناب العالى إلى وكيل الجهادية.
- (٦) دفاتر الأوامر الكرام، دفتر ١٩٢٤، أوامر، ص ٧٤، وثيقة ٦٧ فى ٢٨ محرم ١٢٨٥هـ (٢٣ مايو ١٨٦٨م) أمر كريم إلى ديوان الداخلية.
- (٧) American Archive. Op. Cit. p. 264.

ولم تكن دول أوروبا هي المقصد الوحيد للعلاج خارج مصر في تلك الفترة بل إن كثيراً من المرضى كان يصرح لهم بالسفر إلى بلاد الشام للعلاج بعد أن استعصى علاجهم في مصر.^(١) فمنهم من صرح له بالسفر إلى بيروت لمدة خمسة أشهر هو وأسرته للعلاج انته الرضاعة بعدما استعصى علاجها بمصر^(٢) ومنهم من صرح له بالسفر إلى فلسطين للاستشفاء بحمامات بحيرة طبرية.^(٣)

صرافقة الأطباء لبعض المرضى المسافرين للعلاج بالخارج،

حرص الأغنياء من المرضى الذين استعصى علاجهم بمصر وسافروا للعلاج في الخارج على اصطحاب الأطباء معهم حفاظاً على صحتهم حيث سمح سعيد باشا وإلى مصر لأحمد باشا النكلي بالسفر إلى أوروبا للعلاج في حماماتها المعدنية، كما وافق أن يصحبه في رحلته العلاجية الطبيب الذي كان يعالجه في مصر وهو الدكتور «فوجنى».^(٤)

ولم يكن الأغنياء وحدهم الذين سمح لهم بأن يرافقتهم الأطباء أثناء رحلتهم للعلاج في الخارج بل أن الحكومة سمحت أيضاً للفقراء الذين كانت حالتهم الصحية حرجة بأن يرافقتهم الأطباء أثناء رحلتهم العلاجية إلى الخارج

(١) دفاتر معية سنية تركي، دفتر ٦٢، وثيقة ٧٠، في ١٦ ربيع أول ١٢٥١هـ (١٣ يوليو ١٨٣٥م) من الجناب العالي إلى بالي بك.

(٢) محافظ الناخلية عريس، محفظة ١٨، وثيقة ٣٨، في ٨ ربيع ثان ١٢٩١هـ (٢٦ سابر ١٨٧٤م) من مأمور ضبطية مصر إلى مستشار الناخلية.

(٣) دفاتر عابدين تركي، دفتر ٢١٤، ص ١٣، وثيقة ٥٢، في ٢٥ ذي القعدة ١٢٥٢هـ (٣ مارس ١٨٣٧م) من الجناب العالي إلى الباشا السرعسكر إبراهيم باشا.

(٤) محافظ الجهادية، محفظة ١٠، أوامر تركي، وثيقة ٩٨، في ١٨ شعبان ١٢٧٣هـ (١٣ إبريل ١٨٥٧م) من سعيد باشا إلى ناظر الجهادية.

وذلك حفاظا على صحتهم مما كان له أثره الطيب على المجتمع فى تلك الفترة. حيث أرسلت مصلحة الصحة العمومية « ثلاثة أشخاص من الساكنين أصيبوا بعبضة كلب » وعولجوا لمدة أربعين يوما ولكن حالتهم الصحية لم تتحسن فقررت مصلحة الصحة سفرهم بحرا إلى مرسيليا ومنها إلى باريس حيث يتوجهون إلى الطبيب المتخصص فى علاج مثل تلك الحالات وهو «الموسين باستير» ولم يفت مصلحة الصحة فى مثل هذه الحالة أن تزودهم بكل ما يلزمهم أثناء سفرهم كما خصصت لهم طبيباً يرافقهم خلال رحلتهم العلاجية لمراقبة حالتهم الصحية وتذليل كل ما يصادفهم من عقبات. (١)

وقد أدى التصريح للموظفين بالسفر إلى الخارج للعلاج إلى حدوث خلط لدى موظفى الماهيات، ففى بعض الأحيان كان كل من يتغيب عن عمله لفترة حتى «ولو كان فى مأمورية فى مصالح الميرى» يقوم موظف الماهيات بخضم نصف مرتبه ظناً منه أنه سافر إلى الخارج للعلاج، حيث أن أحد موظفى مجلس الصحة بالإسكندرية قدم شكوى إلى رئيس مجلس الصحة يتظلم فيها من أنه أرسل فى مأمورية عمل إلى القاهرة ولما عاد من مأموريته فوجئ بخضم نصف مرتبه لأن موظفى الماهيات ظنوا أنه سافر إلى الخارج للعلاج، وطالب فى عريضته بصرف نصف مرتبه الذى خصمه الموظفون، وذلك لأنه من حقه حيث كان فى مأمورية لصالح الميرى. (٢)

وهكذا يتضح أنه رغم الجهود التى بذلها حكام مصر فى الفترة من عام ١٨٠٥ - ١٨٧٩م لإنشاء المستشفيات واستقدام الأطباء لعلاج المرضى إلا أنه

(١) الوطن : عدد ٨٦ فى ١ يناير ١٨٧٧م، ص ٤.

(٢) دقاتر تفتيش عموم الصحة، دلتشر ١٦٥، ص ٣٦ وثيقة ١٩٥ فى ١٩ جماد أول ١٢٦٦هـ (٢٩ مارس ١٨٥٠م) من تفتيش عموم الصحة إلى رئيس مجلس سانشاء اسكندرية. ملحق رقم (٥).

كانت هناك بعض الحالات استعصى علاجها في مصر وكتب الأطباء المعالجين تقريراً بأن تلك الحالات يجب علاجها في الخارج، وقد صرح حكام مصر في تلك الفترة لأصحاب تلك الحالات بالسفر إلى الخارج للعلاج.

ومما يجدر الإشارة إليه أنه رغم جهود الحكومة للتسهيل لرغبي السفر للعلاج بالخارج إلا أن ذلك لم يكن دائماً ميسوراً حيث أن بعض طلبات أولئك المرضى كانت تقابل بالرفض أو التأجيل إذا كانت العلاقات السياسية سيئة مع إحدى البلاد المطلوب السفر إليها للعلاج.

وكان المرضى الذين يصرح لهم بالسفر إلى الخارج للعلاج يتقاضون نصف مرتبهم - غالباً - كما كان يصرح لبعضهم بأن يرافقه طبيب لمتابعة حالته الصحية طوال فترة علاجه بالخارج وذلك على نفقة الدولة التي كانت تتكفل أيضاً بتكاليف العلاج والدواء مماكف خزانة الدولة مبالغ طائلة في تلك الفترة. ومهما يكن من أمر فإن تصريح الحكام لأصحاب الحالات التي استعصى علاجها في مصر بالسفر إلى الخارج للعلاج قد ساعد على تقدم الصحة العامة في مصر في تلك الفترة.

ملاحق البحث

ملحق رقم (١)

توتر العلاقات السياسية مع الدولة العثمانية ورفض عباس باشا
التصريح للمرضى بالسفر إليها للعلاج

محافظ عابدين، محفظة ١٢٤، ملف المتفرقات، وثيقة بدون رقم نى ٩
ذى القعدة ١٢٦٦هـ (١٧ أكتوبر ١٨٥٠م) من فاطمة الزهراء، إلى الجناب العالى
عباس حلمى الأول.

كتب أرتين بك إلى أعتاب دولتكم يقول: أنه سأل جنابكم العالى أن
تأذن له فى السفر إلى الأستانة من أجل تفجير الهواء. فلم تشأ أن تأذن له
قائلاً: وانتظر أياماً قلائل ولمسرف أرسلك بعد أن يأتينى خبر عزل رشيد
باشا.

ملحق رقم (٢)

صورة للشهادة الطبية التى يحررها الأطباء المعالجين
للمريض الذى استعصى علاجه بمصر ويقرون فيها وجوب
سنه للعلاج بالخارج.

محافظ الداخلية عمرى، محفظة ١٦، وثيقة ٢٣٢ فى ٢٣ جماد أول
١٢٩٠هـ (٢٠ يوليو ١٨٧٢م).

نحن الراضعين أسعانا وأختامنا فيه نقر أن حضرة مرتينى بك مفتش
عموم الصحة بمصر كان مصاب منذ ٧ شهور تقريبا بالتهاب شعبى شعرى نحو
الرئة اليسرى مضاعف باحتقان كبدى مزمن، وكنا دعيينا للمشارة مع الحكيم
المعالج له جملة مراراً ونوعنا طرق المعالجة على قدر ما أمكننا ومع ذلك لاتثمر
المعالجة ثمرة جيدة وأخيراً إستقر رأينا على توجيهه حالاً إلى البلاد الباردة
كأوروبا لانخفاض درجة الحرارة بها ولتجنبه حرارة القطر المصرى وبالنحصر
لاستعمال الحمامات المعدنية التى بدونها لايشفى ويكون مدة مكثه هناك أربعة
شهور تقريبا حيثما لا يوجد وسيلة أخرى لعلاجه سوى توجيهه هناك.

محمد أفندى بدرحكيم وخوجة بالاستبالية والمدرسة الطبية

محمد أفندى فوزى حكيم وخوجة بالاستبالية والمدرسة الطبية

٢١ جا ١٢٩٠هـ

ملحق رقم (٣)

تطعم مرتب المرتفق إذا لم يعد بعد مد إجازته
أثناء علاجه بالخارج

محافضة الجهادية . تركى، أوامر، محفظة ٥ وثيقه ٨٠٨/٣ فى ٢٢
ذى القعدة ١٢٦٢هـ (١٩ نوفمبر ١٨٤٧م) من الجناب العالى إلى وكيل الجهادية.

عدم الموافقة على تجديد أجازة القائم مقام الخواجة «ذقنون» من أعضاء
شورى الأطباء مرة ثالثة، ويقطع معاشه إذا لم يعود إلى المحروسة فى آخر
إجازته الثانية.

ملحق رقم (٤)

التصريح لبعض الموظفين الأجانب بالسفر إلى الخارج
للعلاج ودوية ذريتهم

محافظ الجهادية. أوامر. محفظة ١٥ وثيقة ١٠/٦ في ٢١ محرم
١٢٨٨هـ (١٤ إبريل ١٨٧١م) من اسماعيل إلى ناظر الجهادية.
لقد وافقنا على ما جاء في خطابكم المؤرخ في ١٢ محرم ١٢٨٨هـ من
طلب الترخيص للخواجة يوسف حزرزوني رئيس مهندسى وإبورات بأجازة
مرضية لمدة ستة أشهر لتبديل الهواء في أوربا بسبب المرض العارض له وليرى
أهله وأولاده الذى مارآهم منذ ثلاث سنوات، فأجروا له إيجاب ذلك على الوجه
المذكور.

٢١ محرم ١٢٨٨هـ

اسماعيل

ملحق رقم (٥)

شك موظفى الماهايات فى كل من بتغيب عن عمله وخصم نصف راتبه على أساس أنه سافر إلى الخارج للعلاج

دفاتر تفتيش عموم الصحة، دفتر ١٦٥، ص ٣٦، وثيقة ١٩٥ فى ١٩ جماد أول ١٢٦٦هـ (٣ إبريل ١٨٥٠م) من تفتيش عموم الصحة إلى رئيس مجلس سائتاه اسكندرية.

أنه لما صدر أمر المجلس ببغى فى مأمورية ملاحظة أشغال المحروسة من خصرص إدارة الأمور الصحية قد نفلت ما أمرت وحضرت المحروسة ولكن كشف مرتباتى لم يزل فى المدرسة بقيودات دفاترها وقد حصل عندهم ظن من توجهى إلى المحروسة بأننى متوجه على دوا نفسى من أجل تغيير الهوى بإذن رفعتكم، وما علموا أنى مرسل فى مأمورية فى مصالح الميرى حتى أنهم قيدونى بنصف مرتب وكلما كتبت إلى سعادة المدير لصرف النصف المحجوز ترد إفادة بأن المحجز صار لكونى متوجه بالأجازة لتغيير الهوى، وحيث الأمر كذلك وفى معلومية رفعتكم أنى مرسل بأمر لتضاء المصلحة التى أناقبها الآن بالمحروسة ليس من أجل تغيير الهوى . لزم ترقيم هذا لرفعتكم كى يصير إعلام المديرية بتوجهى تبعاً للأمر حكم الموضع أعلاه حتى يصير اعتمادهم على ذلك ويصرف ما صار حجزه من نصف مرتبى حيث أنى أستحقه على جميع الوجوه والرأى فى ذلك لرفعتكم. أفندم.

المصادر والمراجع

أولاً: وثائق غير منشورة:

أ: الوثائق العربية :

١- دفاتر الأوامر الكرام عيسى :

أرقام ١٩٠١ ، ١٩٠٤ ، ١٩٢٤ .

٢- دفاتر تفشيش عموم الصحة :

دفتر رقم ١٦٥ .

٣- دفاتر عاهدين تركي :

دفتر رقم ٢١٤

٤- دفاتر معية سنية عيسى :

م	رقم الدفتر	م	رقم الدفتر
١	١٤٨ صادر	٤	١٨٧١
٢	١٨٦١	٥	١٨٩٥ ج ٢
٣	١٨٧٠ صادر	٦	١٩٢٧

٥- دفاتر معية سنية تركي :

دفاتر أرقام ٢١ ، ٢٢ .

٦- محافظ الداخلية :

م	رقم المحفظة	م	رقم المحفظة
١	٥	٤	١٥ أوامر
٢	٩	٥	١٦ عيسى
٣	١٠	٦	١٨ عيسى

٧- محافظ الجهادية:

م	رقم الحفظ	م	رقم الحفظ
١	٣ تركي	٣	٥ تركي
٢	٤ تركي	٤	١٠ تركي

٨- محافظ عابدين ، تركي:

محافظ أرقام ١٢٤، ١٢٧.

ب: الوثائق الأجنبية:

American Archive. Vol. 14, P264, Despatch No. 233, Agency and Consulate General of the U.S in Egypt, Cairo June, 5th, 1878.

ثانياً: المراجع:

١- إبراهيم زكي: الحالة المالية والتطور الحكومى والإجتماعى فى عهد الحملة

الفرنساوية ومحمد على، المطبعة العصرية بمصر، ١٩٢٨.

٢- أمين سامى: تقويم النيل وعصر اسماعيل، دار الكتب المصرية، المجلد

الثالث، ج٣، القاهرة، ١٩٣٦م.

٣- كريم ثابت : محمد على، طبعة ثانية، مطبعة المعارف، القاهرة، ١٩٤٣هـ.

٤- كلوت بك : لمحة عامة إلى مصر، ترجمة محمد مسعود، الجزء الثانى،

مطبعة أبى الهول، القاهرة، بدون.

٥- محمد مختار : التوفيقات الإلهامية، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٣١١هـ.

٦- مكى شبكية: تاريخ شعوب وادى النيل (مصر والسودان) فى القرن

التاسع عشر، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥م.

ثالثاً: الدوريات:

١- الوطن : عدد ٨٦ فى ١ يناير ١٨٧٧م.

٢- يعسوب الطب: العدد ٢٨ فى ٢٦ ربيع أول ١٢٨٥هـ.

الأصل فى اللغة

دراسة أنطولوجية فى قصيدة تراكل

" أمسية شتوية "

دكتورة

صفاء عبد السلام على جعفر

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

قسم الفلسفة

الناشر

دار الرفاء لدنيا الطباعة والنشر

تليفاكس: ٥٢٥٤٤٣٨ - الإسكندرية

المقدمة

... نحن أبناء هذا العصر قد نشعر بصعوبة في أن تكون لدينا تجربة أساسية مع اللغة "حتى إذا كانت هذه التجربة تقاوجنا ، وتلفت انتباهنا إلى حقيقة علاقتنا باللغة ؛ ذلك أن الفوص في تجربة مع اللغة - وهو هدف هايدجر من محاضرة "اللغة" موضوع هذا البحث - يختلف عن مجرد إحصاء معارف ومعلومات عنها ، وهو الأمر الذي تضطلع به العلوم المتنوعة التي تتناول اللغة ومنها علم اللغة ، وعلم لغة اللغة ، وعلم النفس ، ولغة اللغة ، وما بعد اللغة.

وعلى الرغم من أهمية هذه العلوم ، فإن محاولة الوصول إلى "تجربة مع اللغة" أمر جد عسير ، وعلينا أن نتساءل مع هايدجر عن الطريق الذي يمهّد لنا الوصول إلى تلك التجربة^(١) ، من خلال البحث في "الأصل في اللغة" أو ماهيتها الأساسية من وجهة نظر أنطولوجية .

إن إنسان هذا العصر يحيا حياة "الإطار" Gestell أو الشكل "دون المحتوى" التي تخلق حقاً من معنى السكن والإلف ، والكشف عن هذا المعنى هو أحد أهداف هذا البحث^(٢) .

(1) Kockelmans, J.J. : "On The Truth of Being-Reflections On Heidegger's Later Philosophy", Indiana Uni- Press, Bloomington, U.S.A., 1984, P.159-160 .

(2) Heidegger, M. : "Poetry - Language- Thought, trans, by A. Hofstadter, Harper & Row Publishers, New York, U.S.A., 1975, P. XIII.

أكد هايدجر دوماً أن تاريخ الميتافيزيقا التقليدية هو تاريخ نسيان الوجود، وهايدجر يحاول أن يذكرنا بغياب الوجود عنا ، وبأننا نحيا في زمن لم يعد يفكر تفكيراً حقيقياً في هذا الغياب ، وهو يهدف من ذلك إلى "التحول" نحو الوجود، وهو ما لا يمكن التنبؤ بموعده حدوثه^(١).

إن محاضرة "اللغة" عند هايدجر هي دراسة في أصل اللغة لا في استخدامها ووظائفها ؛ إنها دراسة في ماهيتها التي يكون بها الوجود ، وليست مجرد وسيلة أو أداة ؛ فهي اللغة التي تمنح ، وتعطي ، وتحرر، وتسير، وهي في ذلك ليست قوة متعالية كما جاء في الفهم الميتافيزيقي التقليدي^(٢).

ويعني ذلك أن "التفكير في الوجود" عند هايدجر لا يوجد إلا حيث توجد لغة الوجود التي ينصت إليها الإنسان^(٣). إن ماهية اللغة هي القول^(٤)، والقول في اشتقاقه الأصلي من اللغات الهندو -أوروبية يعنى "الإشارة" و "الدلالة"، و "الإظهار"، والإظهار مرتبط بإثارة الوجود التي تحرر ، وتعطي، وتمنع، وتخفى، وهي تظهر "العالم" في العمل الفني مثلاً الذي يظهر حقيقة الوجود أو يحجبها .

(١) تداء الحقيقة - ترجمة ودراسة وتقديم عبد الغفار مكاوي . سلسلة التصريح

الفلسفية (٩) دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ص : ٢١٠ .

(٢) نفس المرجع ، ص : ٢١٨ .

(3) Kockelmans, J.J. ; "On The Truth ..", P.158.

(٤) حاول هايدجر أن يرجع بالقول Sagen إلى كلمة Sage و Saga ، وهي الحكاية الخرافية المأثورة - دون أساس تاريخي- عن خوارق الأبطال في آداب الشعوب الشمالية .

(قارن : عبد الغفار مكاوي : تداء الحقيقة ، ص : ٢١٥) .

إن اللغة هي القرب الكامن في قوى العالم الأربع : الأرض - السماء - القانون - الخالدون ، وهي "التجميع الأصلي" في تعبير هايدجر لكلمة "اللوجوس" عند هيرقليطس ، وهي لذلك ساكنة وبلا صوت ، لأنها هي التي تنعم على الإنسان بفعل "يوجد" بحيث تكون لغة "السكنة" هي لغة السامية كما سيأتى بيانه. واللغة "تعبّر" ، وهي بذلك "تدل" ، و"تثير" ، وتصل إلى كل جهات الوجود ؛ فتظهر الموجودات أو تحجبها ، والإظهار "حدث يدركه الإنسان" بالإنصات إلى حديث اللغة" ، وحديث اللغة هو "الحدث" الذى يمنح الإنارة والانفتاح للموجود ، ويعطيه كلمة "يوجد" ويرد الموجود إلى أصله .

أما عن "النطق" فهو فى حقيقته تطابق مع قول اللغة وحديثها ؛ "فاللغة تستخدم الإنسان لكي ينطق عما تقوله اللغة الساكنة" على حد تعبير هايدجر^(١).

* * *

أولى "هايدجر" الشعر - بوصفه ماهية اللغة الحقيقة - عناية خاصة ، واستشهد فى ذلك بعبارة فريدريش هيلدرلين Hölderlin (١٧٧٠-١٨٤٣م) الشاعر الألماني الحديث : إن أحب الأحياء - أى الشاعر والمفكر - يكونون على جبلين منفصلين ، وإن كانا متجاورين^(٢).

(١) عبد الظلر مكاوى : تداء الحقيقة" ، ص : ٢١٨-٢١٩ .

(٢) عبد الظلر مكاوى : "شعر وفكر - دراسات فى الألب واللسلة" ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥ ، ص : ٦٢ .

وجدير بالذكر أن الشعر عند "هيلدرلين" -الذى حظى باهتمام كبير لدى هايدجر- هو أكثر المشاغل براءة وخطراً ، لأنه شكل من أشكال اللعب أو خلق الصور والأخيلة بحرية من "مادة" اللغة ، واللغة "أخطر" ما أعطى للإنسان لأنها تجمع البشر في "أساس" وجودهم وتشعرهم بالكينونة ، وتناهى بهم عن ضجيج وثرثرة الحياة اليومية الزائفة .

إن الوجود الإنساني في صميمه "وجود شعري" Poetical - dichterisch ، لأن الإنسان كما يقول هيلدرلين يسكن على الأرض سكناً شعرياً^(١) .

أما عن غاية الفلسفة والشعر الأخيرة فهي العودة إلى "الأصل" أو "للوجود الذى يظهر كل موجود" لكنى يتحد بالكل ، فيود التجانس^(٢) والكينونة .

واللغة بوجه عام ، ولغة الشعر بصفة خاصة ليست مجرد أداة للتفاهم ؛ وإنما هى التى تكفل للإنسان إمكانية أن يظل منفتحاً للوجود ، وأن يصبح موجوداً تاريخياً ؛ فاللغة هى "الحدث" الذى يتحكم فى أعلى إمكانات الإنسان ، وعماهيته لأفئدة^(٣) إلا بالرجوع إلى ماهية الشعر نفسه ، لأنه اللغة الأولى التى تؤسس الوجود بالكلمة^(٤) .

يتضح مما سبق أن الشعر عند هايدجر "تأسيس" بالكلمة وفى الكلمة ؛ فهو يدعم صلة الإنسان بالوجود بحيث يصبح "الشعراء" هم الذين يكشفون عن حقيقة الوجود ، لأنهم وحدهم الذين يؤسسون ماهو باق ، والباقي هو الوجود نفسه الذى يتجلى فى نوره كل موجود ، ويتم ذلك عن طريق القول الحقيقى الذى "يسمى"

(١) نفس المرجع ، ص : ٥٠ - ٥٢ .

(٢) نفس المرجع ، ص : ٥٤ .

(٣) نفس المرجع ، ص : ٥١ .

رباع العالم الفريد كما سيأتى بيانه ، وبهذه التسمية يؤسسا فى الوجود ، ويضعها فى نوره ، وهذا القول الجوهرى هو الشعر ، والشاعر ينطق بواسطته عن حقيقة الوجود^(١).

* * *

يقع هذا البحث تحت عنوان "الأصل فى اللغة- دراسة أنطولوجية فى قصيدة تراكل أمية شعرية"، وجنورج تراكل (Trakl.G. ١٨٨٢م - ١٩١٤م) هو شاعر نمساوى تعبيري expressionist ، تأثر فى مرحلة مبكرة من تكوينه بيودلير ، والرومانتيكيين الجدد ، وريمبو ، وتناول شعره موضوعات عدة مثل الليل ، والغروب ، والحزن ، والإثم ، والمعاناة ، والموت ، والتطلع إلى الجمال . أما عن أسلوبه فيبتعد عن الإتجاه الشخصى ، تعبيراً عن الحزن والاكتئاب العميق^(٢).

والتعبيرية فى شعر "تراكل" تظهر فى إبداعه تكوينات من الصور المجازية ، وكل صورة لها مذاق انفعالى خاص ، وترتبط مع سائر الصور المجازية فى القصيدة ، ومع ذلك فالقصيدة عنده لا تكون من سلسلة متقة من المفاهيم والأفكار بقدر ما هى سبل متدفق من الصور غير المتسقة ؛ إن شعر "تراكل" ليس نسقاً من الأفكار ، وإنما مجموعة من الصور والاستعارات المجازية المتدفقة التى تمثل حلماً غير متسق الأجزاء .

(١) نفس المرجع ، ص : ٢٢ .

(2) Enzyklopädie : Weltliteratur im 20 Jahrhundert , herausgeg. von Prauneck M., Rowohlt, Germany, Vol.4, Juni, 1981, "Trakl, G."

وعلى الرغم من ذلك فكل قصيدة عند "تراكل" متسقة من حيث التكوين الموسيقي ، وعن حيث كونها تركيباً من الصفات الاستيعابية المنفصلة تماماً عن الأفكار المنطقية^(١) .

ويمكن القول بأن الصورة المجازية عند "تراكل" تشبه بقية اللون في اللوحة التعبيرية ؛ فتلک البقعة لاتصف الشئ المراد التعبير عنه ، وإنما تشخص حالة انفعالية معينة يريد الرسام أن يطلعنا عليها .

ومن ناحية أخرى ، فإن "تراكل" يقوم في مذهبه التعبيري بتجريد كل ما هو غير أساسي بما في ذلك الضمير الشخصي "أنا" من وجوده ، ويعبر عن الماهية المتبقية بالمجاز ؛ فهو يجرد شخصيته الواقعية ، أو الأنا التجريبية من عوالمها الأساسية ، أو من شعورها كي تحول المضمون الذاتي إلى موضوع دون أن تخسر ما فيه من ذاتية ؛ وإنما على العكس تعمقه وتقوم بتوضيحه^(٢) .

تلک نبذة مختصرة عن "تراكل" ومذهبه التعبيري في الشعر ، ولقد وقع اختيار هايدجر على قصيدته "أمسية شتوية" لتكون محور محاضراته عن "اللغة" التي ألقاها في عام ١٩٥٠ م ، وهي المحاضرة التي يقوم عليها هذا البحث متضمناً تفسير هايدجر الأنطولوجي للقصيدة سألقة الذكر .

وأما عن هدف البحث فهو محاولة الإجابة عن الأسئلة الثلاثة التالية :

س١ : كيف أحدث هايدجر ثورة كوبرنيقية في تفسيره للأصل الأنطولوجي للغة ؟

(1) Sokel, W. : "The Writer in Extremes in 20 th Century German Literature , Stanford Uni. Press, California, U.S.A., 1968, P.49-50.

(2) Sokel, W. : "The Writer...", P. 50.

س٢: ما معنى الدخول في تجربة مع اللغة عند هايدجر؟

س٣: كيف تحدث اللغة في قصيدة تراكل من وجهة نظر هايدجر؟

وأما عن "منهج البحث" فلقد أثرنا المنهج التحليلي التركيبي النقدي لتحليل محاضرة "الغنة"، وقصيدة تراكل من وجهة نظر أنطولوجية، بهدف الوصول إلى "بناء لركبي" يفسر لنا مؤلف هايدجر من اللغة في خاتمة هذا البحث، كما استخدمنا المنهج التاريخي أحياناً لتبع العلاقة بين اللغة والوجود في مؤلفات هايدجر العديدة بشكل موجز تمهيداً للبحث في أصل اللغة عنده .

وأما عن محتويات البحث، فهي كما يلي: مدخل تمهيدى يتناول السؤال عن العلاقة بين اللغة والوجود عند هايدجر، ثم المفهوم الفلسفى لمحاضرة اللغة في مؤلفات هايدجر المتطورة: ويتضح هذا المفهوم من خلال الموضوعات التالية على التوالى:

أولاً: الإنسان بوصفه إنساناً موجود يتحدث .

ثانياً: اللغة تحدث .

ثالثاً: ماهية اللغة هي لغة الماهية .

رابعاً: علاقة القرب بين الشعر والتفكير .

خامساً: التفسير الأنطولوجى لقصيدة تراكل . وفيه نتناول البنية الفنية للقصيدة، ومعنى "التسمية" فى القصيدة من وجهة نظر هايدجر، ثم تفسيره الأنطولوجى لرباع العالم الفريد كما جاء فى القصيدة . ثم تأتى خاتمة البحث وفيها محاولة للإجابة على الأسئلة الثلاثة التى وردت فى المقدمة، ثم قائمة بأهم المصادر والمراجع، وثبتت بأهم المصطلحات الواردة فى البحث .

والله الموفق،،

مدخل تمهيدى

(السؤال عن العلاقة بين

اللغة والوجود عند هايدجر)

السؤال عن العلاقة بين اللغة والوجود هو أحد الموضوعات الهامة التي شغلت هايدجر منذ بداية تفكيره الفلسفي؛ فقبل أن يكمل أطروحته للدكتوراه كتبت في دراسة له عن المنطق أنه يرغب في أن يكتشف العلاقة الضرورية بين اللغة والمنطق حتى يمكن أن نعتبر أن الموجود موجود بالفعل أو موجود حقيقى.

وظهر اهتمام هايدجر باللغة واضحاً^(١) في أطروحته للدكتوراه وهى بعنوان: "نظرية الحكم في النزعة النفسية في المنطق"^(٢) عام ١٩١٤م ورسائله المؤهلة للتدريس بالجامعة عن "نظرية المقولات والمعنى عند دuns سكوتس ١٩١٦م، وفيها ذهب إلى أن "المقولة" تشير إلى وجود الموجودات، و"المعنى" يفترض العلاقة بين الوجود واللغة التى تعبر عنه.

وعلى الرغم من أن هايدجر في عام ١٩٢٢م كان له رأى سلبى عن قيمة هذه الأبحاث، فإن طريقته من المنطق إلى الأنطولوجيا كان ضرورياً للفهم الصحيح لتفكيره المتطور؛ فلقد أكد هايدجر نفسه أن إهتمامه بمشكلة المقولات بمثابة إرهاب فى لمفهومه المتطور عن سؤال الوجود، كما أكد أن بحثه عن المعنى والدلالة فى العصور الوسطى قد أدى به إلى السؤال عن اللغة^(٣).

(1) Kockelmans . J.J : "On the Truth of Being- Reflections On Heidegger's Later Philosophy", Indiana University Pres, Blomington, U.S.A., 1984, P.142.

(٢) Die Lehre Vom Urteil im Psychologismus- 1914 .

Die Kategorien - and Bedeutungs lehre des Duns Scotus, 1916.

(2) Ibid., P. 142 .

القى هايدجر فى عام ١٩٢٠م محاضرة بعنوان "فينومينولوجيا الحدى والتعبير" (*) أشار إليه فيما بعد تحت عنوان "التعبير والمظهر" (**)، وعند ذلك الحين أصبح السؤال عن العلاقة بين الوجود واللغة "محورياً" فى فكر هايدجر (1). أما فى كتابه الرئيسى "الوجود والزمان" Sein und Zeit ١٩٢٧م، فقد وصف "الآنية" Dasein بوصفها الذات الحقيقية لكل حديث عن الوجود، وأشار إلى أن الكلام الحقيقى يستل عن النظام اليمانيطيقى المنطقى الخاص باللغة؛ فالموضوع الأساسى فى الكتاب يفترض أن كل كلام أو حديث يقوم بصورة نهائية على لغة الوجود، وقد دافع هايدجر عن الناحية عن رأى القائل بأن الكلام "يتج" المعنى إلى الحد الذى نعبر فيه بالكلمات، وبذلك فهو يتكون فى اللغة، ومن ناحية أخرى وصف اللغة بأنها "إيضاح" "للوجوس" الآنية أو هى المعنى الكلى حيث يكون للوجوس وجود عالمى خاص به. وفيما بعد تخلى هايدجر عن فكرة أن "للآنية لغة"، ودافع عن كونها "الجهة" التى تتحدث إليها اللغة؛ فلم تعد اللغة مجرد أداة، وإنما أصبحت تتحدث بنفسها، وأصبح حديث الإنسان مجرد رد فعل لحديث اللغة مما يفترض مبقاً أن الآنية يتبنى أن "تتصت" إلى لغة الوجود (2).

أشار هايدجر فى "الوجود والزمان" إلى أن الكلام Redu هو التركيب الأنطولوجى للآنية، وهو الذى يجعل لغة الحديث ممكنة، وإذا كانت كلمة

(*) Phenomenology of Intuitron and Expression .

(**) Expression and Appearing .

(1) Ibid., P.143 .

(2) Ibid., P.147 .

"لوجوس" Logos^(*) تعنى الكلمة ، فذلك لأنها تعنى أساساً عملية التوضيح أو لرك
الشئ ليكون مرئياً .

يتضح مما سبق أن هايدجر يربط بين الوجود وأصل اللغة برباط وثيق؛ فاللغة
بساطة هي الوجود ذاته في صورة كلمات ، ومع ذلك لفى الدلالة بين الوجود
واللغة : لغة الآنية ، تبقى لغة الوجود في مكان الصدارة ؛ إن كلام الإنسان الحقيقي
إنما هو استجابة "لصوت الوجود الصامت" كما يرى هايدجر ، والنتيجة هي أن اللغة
"تبدو" كما لو كانت في متناول الآنية أو أنها من اختراعها ، بينما تكتشف الآنية ذاتها
فقط من خلال اللغة⁽¹⁾ ؛ ويعنى ذلك أن الآنية في حديثها يمكنها أن تصل إلى
الحقيقة فقط عندما يتجه إنصاتها وكلامها نحو قول الوجود⁽²⁾⁽³⁾ .

وهايدجر في "لففته المتطورة" يضع الكلام الشمري الحقيقي ، ونحو الاهتمام
اليومي على طرفي نقيض ، ويعبر ذلك عن اهتمامه بالتمييز بين الوجود الحقيقي
والوجود الزائف ، وهو عندما أكد - متأثراً بالشاعر الألماني هيلدرلين - أن "اللغة
بيت الوجود"⁽⁴⁾ إنما كان يعنى أن الكلام يتأثر بالاستعمال اليومي ، وأن الوجود

(*) في المؤلفات المتطورة أدى اللوجوس بوراً أساسياً ، حيث أستخدم لتوضيح أن
محاولة التكبير في مشكلة الوجود يجب أن تشمل على التأمل في ماهية اللغة ،
وأن التأمل في ماهية اللغة هو الطريق الأساسي الذي ينبغي أن نسلكه إلى الوجود .

(Cp. Kockelmans, J.J : On the Truth... " , P.148.

(1) Ibid., P. 148- 149 .

(2) Ibid .

(**) The Saying of Being .

(***) Sprache ist das Haus des Seins .

ذاته يتكشف عن طريق الآنية المتناهية ، وأن الكلام إذا دل على الوجود الحقيقي ، فإنه يحمل طبيعة كاشفة للوجود تستضي بالتصميم الحقيقي^(١) .

ولمى "المدخل إلى الميتافيزيقا" سنة ١٩٣٥ م وصف هايدجر الوجود بأنه لغة اللوجوس فى ضوء الانفتاح ، وبوسع الآنية أن تكون ذاتها حقيقة بوصفها ألقى الوجود نظراً لأنه لغة أولوجوس ، واستناداً إلى أن "اللوجوس" يمدنا بالأساس اللازم للاستخدام الحقيقى للكلمات ، وهو الأمر الذى يدركه الشعراء والمفكرون إدراكاً حقيقياً^(٢) .

ومن ناحية أخرى ، فقد أوضح هايدجر لمى "المدخل إلى الميتافيزيقا" أنه ثمة علاقة وثيقة بين السؤال عن الوجود وأصل اللغة ؛ فالسؤال عن الوجود إنما هو محاولة التعبير عن الوجود من خلال كلمات^(٣) "Zum Wort zu bringen" .

ولمى محاضرات هايدجر عن هيرقليطس الشذرة B50 التى ألقاها فى عام ١٩٤٤ م أشار إلى أن ماهية اللغة لا تتمثل فى الصوت أو الدلالة - وهما بحق من خصائص اللغة - وذلك لأنهما لا يعبران عن المجال الذى تهتم به اللغة ذاتها ، وهو - لمى رأى هايدجر - المجال الأسمى .

(1) Langan, T. : (The Meaning of Heidegger- Acritical Study of an Existentialist Phenomenology) , Routledge & Kegan Paul, London, 1959, P. 49.

(2) Korkelmans, J.J. : "On The Truth .." , P. 150.

(3) Ibid., P. 148 .

إن الطريق إلى ماهية اللغة يقوم على الإنصات الجيد للمعنى الأصلي للكلمتين اليونانيتين Legein و Logos الأولى تعنى يقول أو يتكلم ، والثانية هى القول أو الكلام ، واللوجوس عند هايدجر هو "القول الأصلي للوجود" أو هو الوجود بوصفه قولاً ، أو الوجود بوصفه لغة^(١) .

لذا كان الكلام حقيقياً ، فهو استجابة لقول الوجود الأصلي ، بحيث يتم ترك الموجود للانفتاح ؛ فاللوجوس هو بمثابة عملية تجميع the gathered-togetherness للموجودات ولذاتها بوصفها قولاً أصلياً ؛ ويعنى ذلك أن هايدجر فى تلك المحاضرة يحاول أن يفكر فى ماهية اللغة من خلال ماهية الوجود^(٢) .

وفى "خطاب حول النزعة الإنسانية" sumsinamuH ned reb ١٩٤٧م وصف هايدجر مرة أخرى كيف أن العلاقة بين الوجود والإنسان تقوم على التفكير ؛ فالوجود من حيث طبيعته محتجب ، وعن طريق التفكير يحدث تجلى الوجود أو تكشفه ؛ وهذا الظهور يتم حدوثه فقط من خلال اللغة التى تعبر عن الوجود .

ذهب هايدجر إلى أن لغة الإنسان مثل تفكيره ، لا بد من النظر إليها بوصفها استجابة للوجود ، وأنه عن طريق لغة المفكرين النظام الذين يعبرون من الوجود تستقر الآنية فى بيت الوجود . ويشير إلى أن مهمة الآنية ليست تشييد هذا السكن ؛ إنها بالأحرى تساهم فى اكتماله عن طريق التفكير الذى هو تفكير فى الوجود ، ولما كان الوجود ذاته يكون بالفعل على الطريق إلى اللغة ، فإن تفكير الآنية يحقق

(1) Ibid., P. 150- 151 .

(2) Ibid., P. 151.

الحضور للوجود عن طريق الكلام أو اللغة؛ أو بعبارة أخرى، إن تفكير الآنية يعد الوجود بالكلمات الضرورية لاكتشافه وانفتاحه .

يقول هايدجر في "خطاب حول النزعة الإنسانية" إن التفكير في قوله الخاص يحضر الكلمة غير المنطوقة unspoken إلى مجال اللغة ، ويعنى ذلك أن الوجود يتم الكشف عنه عن طريق اللغة ، وأنه دوماً في طريقه إلى اللغة، وبذلك تصبح اللغة ذاتها إيضاحاً للوجود^(١).

أما عن موضوع هذا البحث فهو محاضرة ألقاها هايدجر في أكتوبر ١٩٥٠م بعنوان اللغة^(٢)، واتخذ فيها قصيدة جنورج تراكل بعنوان "أسية شتوية" مثلاً لتوضيح ماهية اللغة أو أصل اللغة من وجهة نظر أنطولوجية .

يرى هايدجر في هذه المحاضرة أن حديث التفكير الأصلي حديث شاعري Poetic- Dichterisch وليس فثرياً؛ فالمقابل للقصيدة الشعرية ليس النثر؛ بل إن النثر الخالص ذو طبيعة شاعرية مثل الشعر، كما أن صوت الفكر يجب أن يكون شاعرياً؛ لأن النثر هو قول الحقيقة ، والقول هنا اكتشاف للموجودات؛ فهو يدعو كل ما يوجد إلى الحضور في وحدة الوجود التي تجمع بين الموجودات جميعاً . كما

(1) Ibid., P. 151- 152 .

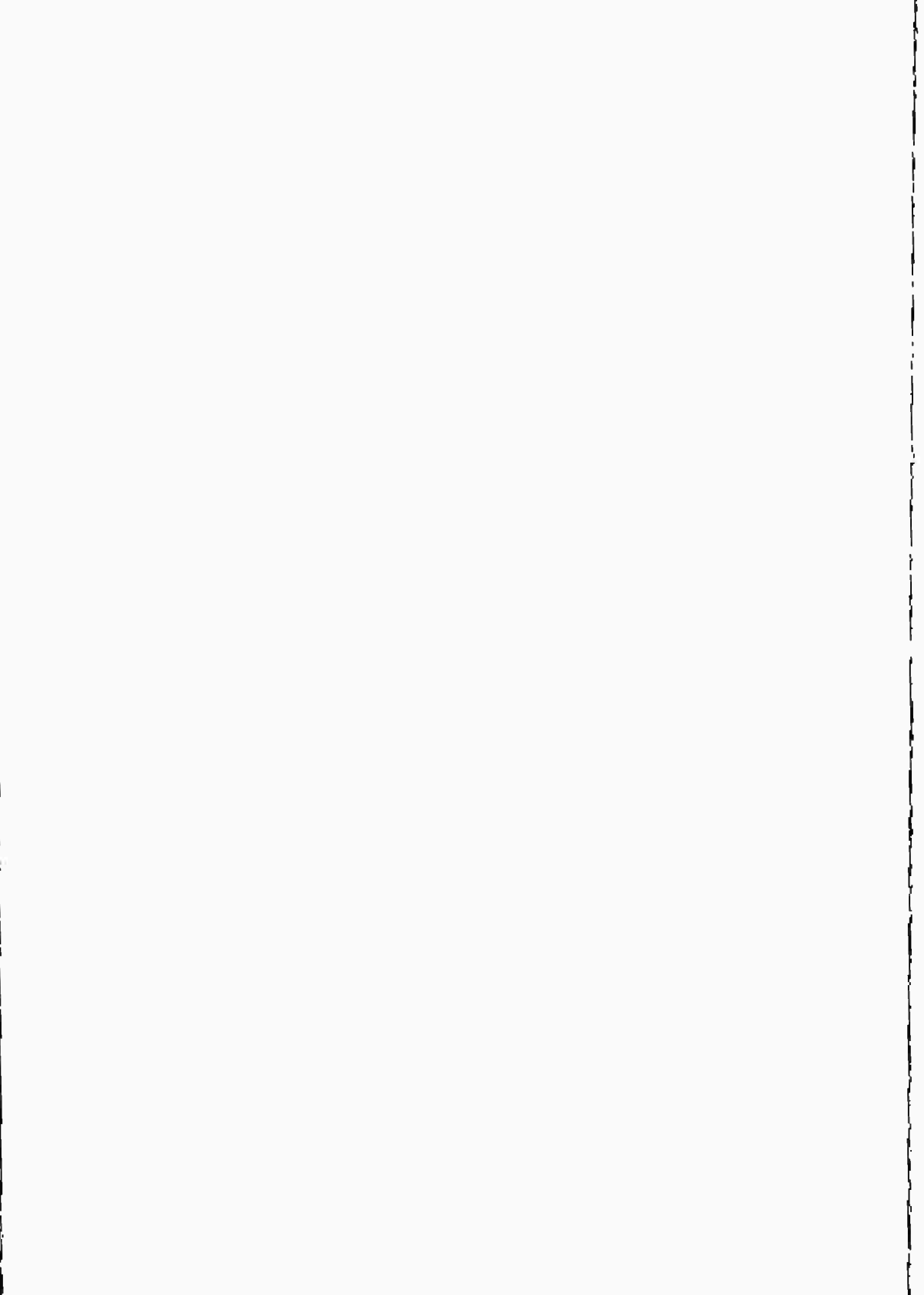
(٢) ألقى هايدجر هذه المحاضرة في السابع من أكتوبر سنة ١٩٥٠م في بولز هيبه Böhlerhöhe في نكري الناقد الأدبي ماكس كورميرل M.Kommerell ، وأعيدت مرة أخرى في الرابع من فبراير سنة ١٩٥١ في شترتجارت Stuttgart ، ثم نشرت في كتاب هايدجر "على الطريق إلى اللغة Unterwegs zur Sprache" .
(Cp. Heidegger, M. : "Poetry Language and Thought" trans. by A. Hofstadter, Harper & Row Publishers, New York, U.S.A. 1975, P. XXV. .

سيأتي بيانه : ذلك أن الشرع عند هايدجر تأيس للحقيقة ، واللغة الحقيقية هي التي تحضر من خلالها الموجودات في افتتاح الحقيقة ، وهذه اللغة هي الشعر ، لذا وقع اختيار هايدجر في هذه المحاضرة على قصيدة تراكل "أمنية شتوية" ، وهي القصيدة التي توضح لنا - كما سيأتي بيانه - أن اللغة تدعو إلى حضور رباع العالم الفريد^(١) : الأرض - السماء - الثنائون - الخالدون (رسل الربوبية) ، وتدعو الأشياء إلى الحضور ، كما تدعو إلى الدلالة الحميمة بين العالم والأشياء والفرق بينهما^(٢) .

(*) في محاضرة هايدجر عن "اللغة" اتضح تأثير محاضراته عن الشعر سنة ١٩٥٠ م ، فالوجود (الواحد) يترك بوصفه رباعاً فريداً das Geviert - Fourfold ، وهذا الرباع بدوره يترك الأشياء كي توجد ، ويسمح بالتفكير في الموجودات ؛ فاللغة فسي أصلها لوجوس وصمت يجد في رهابه كل الموجودات ما يحتاجونه من راحة ومكنة .

(Cp. Richardson W.J. : Heidegger , Through Phenomenology to Thought", P.577) .

(1) Heidegger M. Poetry, Language, Thought", trans. and Introduction by Hofstadter A., P. IX, X, XII, XIII .



المفهوم الفلسفي لمحاضرة "اللغة"
فى
مؤلفات هايدجر المتطورة

(أولاً) الإنسان بوصفه إنساناً موجود يتحدث :

يقول هايدجر :

"الإنسان يتحدث ، ونحن نتحدث فى حال اليقظة والحلم، نحن نتحدث دوماً حتى عندما لا ننفوه بكلمة واحدة بصوت عال ، وإنما ننصت أو نقرأ ، وحتى عندما لا ننصت أو نقرأ فنحن نقوم بعمل ما أو نركن إلى الراحة .. نحن نتحدث باستمرار بطريقة أو بأخرى ، ونحن نتحدث لأن الحديث أمر طبيعى بالنسبة للإنسان ، فالإنسان يتحدث ولقاً لطبيعته ، والإنسان تمييزاً له عن النبات والحيوان هو التكاليف الحى القادر على الحديث" (١) .

ويعنى ذلك - كما يرى هايدجر - أن الحديث وحده هو الذى يمكن الإنسان من أن يكون كائناً حياً بوصفه إنساناً ؛ فاللغة تدخل فى علاقة قرب وثيقة مع وجود الإنسان ، ونحن نلتقى باللغة أينما ذهبنا ، فبى من ثم لا نتفاجئنا ؛ بل إنه ما أن يدرك الإنسان ذاته وما يوجد حوله من موجودات حتى يدرك وجود اللغة فى الولى نفسه (٢) .

وضع هايدجر محاضرات ثلاث عن "ماهية اللغة" Das Wesen der Sprache، يقول فى "القدمة" : إن هدفه هو "الدخول فى تجربة مع اللغة" ولا يبنى ذلك أن نقوم بتجارب على اللغة أو نجمع معلومات عنها كما يفعل علماء اللغة

(1) Heidegger, M., : "Die Sprache" in Unterwegs zur Sprache" Vittorio Klosterman Frankfurt am Main, Gesamtausgabe, Band 12, Germany, 1985, S.9.

(2) Ibid, S.9.

وما بعد اللغة^(١)، بل معناه أن ننتبه إلى "علاقتنا باللغة"، ونأمل في سكننا في اللغة،
ونستوضح طبيعة شيء يتعلق بصميم وجودنا^(٢).

في المحاضرة الأولى، حاول هايدجر أن يلفت انتباهنا إلى التجربة الشعرية
في اللغة مبيناً الصلة بين التفكير والشعر. وفي المحاضرة الثانية ألقى مزيداً من الضوء
على طبيعة هذه الصلة ومنهج التمييز بينهما. أما المحاضرة الثالثة -وهي موضوع
بحثنا- فهي محاولة للدخول في تجربة مع اللغة^(٣).

يقول هايدجر: "...سوف نفكر في اللغة ذاتها وحسب، فاللغة ذاتها هي اللغة
ولا شيء غير ذلك..."^(٤)

(*) سؤال هايدجر عن ماهية اللغة لا يمتنع مساك الميثافيزيقا الحديثة التي تنقيد بها
بحرث "ما بعد اللغة"، وهي بحرث السيطرة التقنيّة التي تهدف إلى تشخيص أداة
التوصيل والإعـلام بين الكواكب المختلفة، أما ما بعد لغة فهي لغة بعدية
تنصب على دراسة لغة أخرى (الحساب المنطقي) ونضم نظريات بعدية عن
الخصائص البنائية والدلالية والصورية للغة التي ندرسها، ولهذا النظريات أهمية
كبيرة في تطور السيبرنطيقا والعقول الحاسبة.

(الفرن: عهد الفغار مكاوي: نداء الحليفة، ص: ٢٠٦).

(١) عهد الفغار مكاوي: نداء الحليفة - ترجمة ودراسة وتقديم، سلسلة التصووس
الفلسفية (٩)، دار الثقافة للطباعة والنشر - القاهرة، ١٩٧٧، ص: ٢٠٦.

(2) Kockelmans, J.J., : "On The Truth of Being", P.158-159.

(3) Heidegger, M. : ("Die Sprache" in Unterwegs zur Sprache),
S.10.

إذن علينا أن نحيا تجربة اللغة بحيث تعبر عن نفسها بنفسها : فاللغة تتميز بأنها تعيش فيها، ونأنتها دون أن ننتبه إلى ذلك أو نحاول لتركيز أبصارنا عليها، فكيف نخرج من هذه الحال ونفكر في ماهيتها أو أصلها؟^(١)

ذلك السؤال هو ما يحاول هايدجر الإجابة عليه في هذه المحاضرة .

(ثانياً): اللغة تتحدث : Die Sprache Spricht- Language Speaks

يقول هايدجر في محاضراته "اللغة" :

".. كيف تحدث اللغة بوصفها كذلك ؟ والإجابة هي أن اللغة تتحدث". ولكن هل يُعتبر ذلك إجابة ؟ يمكن أن يكون الأمر كذلك إذا عرفنا ما هو الحديث: ... إن تأمل اللغة يتطلب الدخول في حديث اللغة كي نمكث مع حديثها وليس مع حديثنا ... ونحن لا نريد أن نؤسس اللغة بناء على شيء آخر يختلف عن اللغة ذاتها ، كما لا تهدف إلى تفسير الأشياء الأخرى عن طريق اللغة .. "اللغة هي اللغة"^(٢) ، وهذه العبارة لا تؤدي إلى شيء آخر تقوم عليه اللغة ... اللغة تتحدث .. ونحن إذا سلمنا بهذا المعنى نشعر بالإلف والسكن والثور على المستقر^(٣) .. اللغة لتحدث ، ماذا عن حديثها ؟ وأين نلتقي بهذا الحديث .. حديث اللغة يبين كيف يمكن الحفاظ على اللغة ، وتحقيق الحضور لها^(٤).

(١) عبد الغفل مكاوي : تداء الحقيقة ، ص : ٢٠٦ .

(٢) "Die Sprsche ist Spache- Language is Language".

(2) Heidegger ,M. : ("Die Sprache" in Unterwegs zur Sprache), S.10-11.

(3) Ibid, S.13- 14.

يتبين لنا من النص السابق أن اللغة تتحدث بمقدار ما تثير وتوضح . وبمقدار ما تتغلغل في كل مجالات الحضور ، وبمقدار ما تترك ما هو حاضر ليكشف عن نفسه أو يحتجب . ويترقب على ذلك أنه علينا أن ننصت إلى اللغة ، وأن نترك ما نقوله يتحدث بنفسه إلينا ، وهذه الإرادة في أن نترك اللغة تتحدث بنفسها إلينا تبقى كل أنواع الاستماع أو الإنصات . كما أن حديثنا يأتي بعد الإنصات إلى اللغة ؛ فالصوت غير المسموع للغة هو الذي يثير فينا إرادة الحديث^(١).

إذن علينا أن نسمح للغة بأن تتحدث بنفسها إلينا ، ويفترض ذلك مسبقاً أن أسلوب وجودنا منفتح أصلاً على ما نقوله . نحن ننصت إلى "حديث" اللغة فقط إلى الحد الذي نكون فيه في المجال الذي تفتح فيه إلينا في "حديثها" ؛ فاللغة تمكن الإنسان من الإنصات إليها ، ومن ثم تتيح له إمكانية الحديث^(٢).

ذهب هايدجر إلى أن الرأي السائد في تفسير معنى الحديث هو أنه التعبير الذي يمكن الاستماع إليه ، ومن ثم يصبح وسيلة للإتصال بمشاعر الإنسان وأفكاره ؛ إلا أن هذا الوصف للغة يثير أموراً ثلاثة يتم التسليم بها بلا مناقشة :

أولاً : القول بأن الحديث هو التعبير ، وهو أكثر الآراء شيوعاً ، ويفترض مسبقاً وجود فكرة عن شيء داخلي يعبر عن نفسه تعبيراً خارجياً . إلا أن هذا التصور عند هايدجر يحيل اللغة إلى تصور خارجي وسطحي .

(1) Kockelmans J.J : "On the Truth ..", P.153.

(2) Ibid .

ثانياً : القول بأن اللغة نشاط للإنسان ، فلإنسان يتحدث دوماً لغة ما ، ولا يمكن القول في إطار هذا الرأي بأن "اللغة تتحدث" ، وإنما "اللغة هي التي تحقق للإنسان الوجود" ؛ فالإنسان يتحدث عن طريق اللغة .

ثالثاً : القول بأن التعبير الإنساني إنما هو عرض أو تفسير لما هو موجود في الواقع . وعلى الرغم من ذلك ، فإن هايدجر يرى أن الآراء السابقة لا تكفى لمعرفة ماهية اللغة ؛ فهناك من جهة من يؤكدون أن مصدر اللغة إلهي وليس إنسانياً خالصاً ، وهناك من جهة أخرى من يعرفون اللغة بأنها كلام مسموع يعبر عن الانفعالات الداخلية .. إلخ ، إلا أن هذه التفسيرات لاجدوى من ورائها في وصف ماهية اللغة ؛ فهي وإن كانت يقبلها العقل ، فإنها لا تجعلنا قط نفهم اللغة بما هي كذلك^(١) .

يعنى ما سبق أنه على الرغم من أنه يمكن القول بأن اللغة لا تتحدث ما لم يجعلها الإنسان أولاً تصدر صوتها عن طريق أعضاء الكلام ، فإنه من الصواب أيضاً أن نقول -ولقاً لما يراه هايدجر- إن اللغة نفسها تتحدث ؛ وهي تتحدث بمقدار ما تفصح لنا عن شيء ما ، أو تكشف النقاب عنه^(٢) ، والإنسان في حديثه^(٣) إنما "ينصت" إلى ما ينبغي أن تقوله اللغة .

(1) Heidegger, M. : ("Die Sprache" in Unterwegs zur Sprache)

S.11-13.

(2) Kockelmans. J.J. : "On the Truth..." , P.153.

(*) يلاحظ هنا التمييز الدال بين الحديث Speaking والقول saying ؛ فمن الممكن للإنسان أن يتحدث كثيراً بينما لا يقول شيئاً ، ومن الممكن أن يقول كثيراً من خلال

الصمت !

(Cp. Kockelmans J.J. : "On the Truth.." , P.152.

يرى هايدجر أن "الإنسان لا يكون كذلك إلا بقدر ما ينصت إلى نداء اللغة،
• ويقدر ما يُستخدم للغة وللحديث بها"، وهذه العبارة تغلب علاقة الإنسان باللغة رأساً
على عقب: فإذا كانت اللغة مكن الإنسان الذي يحيا فيه دون أن ينتبه إليه أو يتفكر
في أمره، فهو أبعد الأشياء عنه وأقربه إليه في الوقت نفسه! والإنسان هنا يتواري
كليلاً كي تحتل اللغة المقدمة.. فاللغة هي التي تستخدم الإنسان، وعليه أن ينصت
إليها^(١)؛ والإنسان من حيث طبيعته "ملقى" به في اللغة^(٢)؛ أي أنه في حدوث اللغة،
يصبح للوجود مكان الصدارة لا بمعنى إيجابى فقط، وإنما بمعنى سلبي^(٣) متضمن
في واقعة الارتقاء في العالم الخاصة بالموجود الإنساني.

إذن الإنسان عند هايدجر يحاول أن يعد نفسه للدخول في تجربة مع اللغة،
و"التفكير" يعنى عنده أولاً ولبل كل شئ "الإنصات": فاللغة هي التي تنبج بذاتها
إلينا، وتحدث إلينا عن ماهيتها الخاصة^(٤).

وجدير بالذكر أن الدخول في تجربة مع اللغة لا يعنى أن هذه التجربة من صنع
الإنسان، فالإنسان يخضع لها، ويتقبلها عندما تفاجئه، ويتحملها عند حدوثها، فإذا ما
عثر الإنسان على الطريق الصحيح لوجوده في اللغة، فإنه تتكون لديه تجربة أصلية
مع اللغة تسمى صميم وجوده، ويتحقق له التحول الذي ينشده^(٥).

(١) عبد الغفار مكارم: نداء الحقيقة، ص ٢١٤.

(٢) "By nature man is thrown into Language".

(٣) Kockelmans, J.J. : "On the Truth ..", P.149.

(٤) Ibid., P.163.

(٥) Ibid., P. 159 .

(ثالثاً) ماهية اللغة هي لغة الماهية :

يمكن القول في ضوء ما سبق أن "اللغة" أو الكلمة هي التي تساعد الشيء على الوجود أو تحفظه ، أو أنها هي التي تجعله شيئاً . والعلاقة بين الشيء والكلمة أقرب إلى "التحكين" ؛ فالكلمة هي التي "تمكن" الموجود من الوجود ، وتكمله له .

والكلمة "لا تكون" بالمعنى الذي "تكون" به الأشياء والموجودات ؛ بل إن وجودها متميز عن سائر الأشياء ؛ فلا نقول إنها تكون ، وإنما إنها "تعطى" Es gibt ، وهي تعطى الوجود بمعنى "الإثارة" التي تتجلى فيها الموجودات وتظهر دون حاجة منها إلى خلقها وإيجادها^(١) .

إذن اللغة عند هايدجر هي "لغة الوجود" ، ولابد أن نتحدث إليها ، وأن تعبّر لنا عن ماهيتها "لماهية اللغة هي لغة الماهية" ، ولن ينشأ لنا تجربة اللغة حتى يحدث هذا ، وخير ما يمهّد لهذا الحدث أن نحس بالقرب بين الشعر والفكر ، ونتمكن من السكن في هذا القرب كما سيأتي بيانه تفصيلاً .

"إن ماهية اللغة هي لغة الماهية" : الماهية في الشطر الأول من العبارة تختلف عن الماهية في الشطر الثاني ؛ في الأول تأتي إجابة على السؤال عما هي اللغة ، وهي هنا الموضوع الذي نبحث عن ماهيته عن طريق تصورنا عنه بحيث يمكننا الإجابة عن السؤال "ما هو؟" ؛ أي أن هذا الشطر يعبر عن مجال التصور الميتافيزيقي التقليدي ؛ أما الماهية في الشطر الثاني من العبارة فهي التي تنقلنا من ميدان التصور الميتافيزيقي إلى مجال الفكر غير الميتافيزيقي ؛ فهي ليست الآن إجابة على السؤال عما هو الموضوع ؛ فلنا بصدد موضوع أو شيء موضوعي ؛ وإنما تفيد الحفاظ

(١) عبد الغفار مكاوي : تداء الحقيقة ، ص ٢١١-٢١٣ .

والعطاء ، فاللغة تتمثل بصميم وجودنا ، وتحركه وتنتمي إلى الماهية التي تحرك وتمنح^(١) .

إن اللغة عند هايدجر توجه إلينا النداء ، ونحن نتصت إليها باستمرار ، ولكننا لانفكر في ذلك ، وإذا لم نتصت إليها في كل مكان ، لن يكون بوسعنا أن نتحدث ولو كلمة واحدة ، بحيث يمكن القول بأن "ماهية اللغة هي لغة الوجود"^(٢)؛ فالوجود ملك للغة ، ولم يعد معنى الماهية ، وإنما الحضور ، والحفاظ ، وهو بهذا المعنى يُسمى ما يشغلنا وما يشتر انتباهنا من الأشياء ، لأنه يصنع طريقه إلى كل الأشياء ، وهو يصنع ذلك الطريق لأنه "يتحدث"^(٣) .

يتضح مما سبق أن ماهية اللغة ترتبط بالقول الأصلي^(٤) (Ursage Primordial Saying) بوصفه إيضاحاً وكشفاً ، والإنسان بوسعه أن يصل إلى الحقيقة فقط عندما يتجه في إنصاته وحديثه نحو قول الوجود The Saying of Being^(٥) .
واقول بمعنى "التجلي" و "الظهور" و "الهبّة" ، و "التحرير" ، وما يُمنح هنا هو العالم الذي يوضحه القول بالكشف عنه ، ومنح العالم الذي يتم بالإثارة والاحتجاب

(١) نفس المرجع ، ص ٢١٥ - ٢١٦ .

(2) Kockelmans, J.J. : "On The Truth...", P. 163- P. 166.

(*) يلاحظ أن العلاقة بين الوجود والقول الأصلي سيطرت على تاريخ الفلسفة منذ ظهورها ؛ وتجلى ذلك في كلمة لوجرس^(٦) ، وهذه الكلمة تميز أيضاً عن العلاقة بين الشئ والكلمة .

(3) Ibid., P. 149- 152.

هو ماهية القول في اللغة^(١)، فضلاً عن أن قول اللغة يحرر العالم بحيث يكون متناهيًا وزمانيًا^(٢).

إن وظيفة اللغة عند هايدجر هي "ترك الوجود ليكون ذاته"^(٣)، ولأن الموجودات الأخرى بخلاف الإنسان لا يتولر لديها هذا المدخل الخاص إلى اللغة، فإنها لا تستطيع أن تتحدث؛ ذلك أن المعنى الأساسي للتفكير هو ترك الموجود لكي يوجد، ولكي يعبر عن الحقيقة في صورة كلمات^(٤).

أشار هايدجر إلى علاقة القرب بين الشعر والتفكير فضلاً عن كونهما نوعين من القول، كما أشار إلى أن إدراك هذه العلاقة قد يتيح لنا الدخول في تجربة مع اللغة^(٥)، وهو الهدف الذي أكد على أهميته في مستهل محاضراته عن "اللغة" كما سيأتي بيانه فيما يلي.

(1) Ibid., P. 165.

(2) Ibid., P. 153.

(*) "To let Being be itself"

(3) Richardson W.J., "Heidegger, Through Phenomenology..", P.540- 541.

(4) Kockelmans J.J.: "On the Truth ..", P.166.

(رابعاً) علاقة القرب بين الشعر^(١) والتفكير :

يقول هايدجر : "موضوع الحديث الخالص هو الشعر^(٢) وعلينا أن نعتبر هذه العبارة فرضاً أساسياً"^(٣) يدوم من النص السابق أن التفكير في ماهية اللغة ألجا هايدجر إلى التماس العمود من الشعراء ربما لأن علاقتهما باللغة متميزة ، ولأنهم أقدر من غيرهم على التعبير عنها ، ولأن الشاعر هو حارس الكلمة ومديرها^(٤).

يرى هايدجر أنه حتى عندما نبدأ في التفكير ، وننصت إلى الشعراء^(٥) - وكلاهما يدوران في تلك اللغة - وعندما نمكث بالقرب من الشعر والتفكير ، فإننا لانعرف حقيقة ماهية ذلك القرب ؛ وإنما تكون على الطريق إليه وحسب^(٦).

(**) Dichtung- Poetizing لا تعني بالألمانية مجرد نظم الشعر ؛ ولكنها تعني النشاط الذي يخلق ويشكل ، ويتحقق على صورة كشف أنطولوجي (قارن : مارتن هايدجر : ما الفلسفة؟ ما الميتافيزيقا - هيلنرلين وماهية الشعر ترجمة فؤاد كامل ، محمود رجب ، مراجعة عبد الرحمن بدوي ، سلسلة نصوص فلسفية ، دار الثقافة ، القاهرة ١٩٧٤ ، ص : ١٢٩) .

(*) Rein Gesprochenes ist das Gedicht - What is Spoken Purely is the Poem.

(1) Heidegger, M : ("Die Sprache" in Unterwegs zur Sprache) , S.14.

(٢) عبد الغفار مكاوي : تداء الحقيقة ، ص : ٢٠٧ - ٢١٠ .

(**) تحول هايدجر في منتصف الثلاثينيات نحو الفن تحولاً واضحاً في محاضراته عن "الأصل في العمل الفني" ، ومحاضراته عن "هيلنرلين وماهية الشعر" ، والفن كل فن عند هايدجر هو من حيث الماهية شعر .

(Vgl. : Winfried, F. : "M. Heidegger", I.B. Metzlersche Verlagsbuch- handlung, Stuttgart, 1970, Germany, S.71) .

(3) Kockelmans, J.J. : "On The Truth ..", P. 169.

وما يتعلمه الشاعر من تجربته مع اللغة هو أن الكلمة تؤنس الشيء بوصفه كذلك، وتجعله خاضراً، وإذا كانت التجربة الحقيقية مع اللغة تجربة تفكير عند هايدجر، فلا ينبغي أن نفعل أن طريق التفكير يرتبط بعلاقة الرب وثيقة مع طريق الشعر الحقيقي؛ فكلاهما في حاجة للآخر كي يتأسس الوجود، وكلاهما طريقة في القول Sagen- saying، وتدل هذه العلاقة على معنى الإلف والسكن في هذا القرب^(١).

وإذا كانت "اللغة بيت الوجود" فإن اللغة هي التي تكشف عن الوجود ذاته، وبمقدار ما يتم التعبير عن الوجود عن طريق اللغة، تصبح هذه اللغة لغة الوجود مثلما تكون السحب سحب السماء، فضلاً عن أن الوجود في حاجة إلى الموجود هناك أو الموجود الإنساني كي يوجد، وبالتالي فإن التفكير في الوجود لا يتم إلا عن طريق اللغة التي يتمتع بها الإنسان راعى الوجود^(٢).

ولكن ما طبيعة الصلة بين التفكير والشعر عند هايدجر؟ يرى هايدجر أن "المفكر يتحدث عن الوجود أما الشاعر فهو يسمى المقدس"^(٣)؛ أي أن الشعراء هم الذين يسمون الآلهة، وسمون الأشياء والموجودات، وبهذه التسمية أعانوا الإنسان

(1) Ibid., P. 161- 165 .

(2) Richardson W, J. : Heidegger, Through Phenomenology to Thought", P. 535, 540 .

(٣) The thinker utters Being, the Poet names the Holy- Der Denker sagt das Sein, Der Dichter nennt das Heilige" (WIM) S.51.

على أن يتحقق في التاريخ ، وفي العالم ، ويتمثل بالأشياء من حوله^(١)، فالشعر تأسيس للوجود عن طريق الكلام^(٢).

وإذا كانت ماهية الشعر تكمن أساساً في علاقته الخاصة بالوجود والحقيقة، فذلك لأن الشعر انفتاح للموجود ، وهذا الانفتاح يحمل معان ثلاث: البدء Anfangen والتأسيس Gründen، والهبه^(٣) Schenken ؛ فالأشياء يتحقق لها الحضور عندما يسميها الشاعر ، وهي غير موجودة مادامت عالم تُسمى بعد^(٤).

(خامساً) التفسير الأنطولوجي لقصيدة تراكل :

يقول هايدجر : في محاضرة "اللغة" : " .. ولكن ماهي تلك القصيدة التي تعطينا أكثر من غيرها .. كي ننصت إلى موضوع الحديث ؟ إنها قصيدة بعنوان " أمسية شتوية Ein Winterabend – A winter Evening لجنورج تراكل^(٥) .

(١) مارتن هايدجر : في الفلسفة والشعر ، ترجمة وتقديم عثمان أمين ، مكتبة نغاليس الفلسفة الغربية ، الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص : ٢٤ ..
(٢) نفس المرجع ، ص : ٩٢ .

(**) يقول في الألمانية It gives the word-Es gibt das wort ومعناها كما يرى هايدجر أن الكلمة تمنح ذاتها ، ومعنى في ذلك تمنح الوجود أيضاً .

(Cp. Kockelmans J.J : "On The Truth ..", P.165.

(3) Winfried . "M, Heidegger", S.72.

(4) Kockelmans, J.J. : "On The Truth..", P.161.

(5) Heidegger, M.: "Die Sprache..", S.14.

تقول القصيدة^(٢) :

حينما يتساقط الثلج فوق النافذة
وتدق أجراس المساء دلائها المتواصلة
تكون المائدة قد أعدت لعدد من الناس كبير
والبيت في أحسن أحواله .
وبعض المتجولين
يقفون عند البوابة في الدروب المظلمة
وتثمر شجرة النعم ثمارها الذهبية

(٢) EIN WINTERABEND

Wenn der Schnee ans Fenster fällt,
Lang die Abendglocke läutet,
Vielen ist der Tisch bereitet
Und das Haus ist wohlbestellt.
Mancher auf der Wanderschaft
Kommt ans Tor auf dunklen Pfaden.
Golden blüht der Baum der Gnaden.
Aus der Erde Kühlem Saft
Wanderrerr tritt still herein;
Schmerz versteinerte die Schwelle.
Da erglänzt in reiner Helle
Auf dem Tische Brot und Wein.

A WINTER EVENING

Window with falling snow is arrayed,
Long tolls the vesper bell,
The house is provided well,
The table is for many laid.
Wandering ones, more than a few,
Come to the door on darksome courses.
Golden blooms the tree of graces
Drawing up the earth's cool dew.
Wanderer quietly steps within;
Pain has turned the threshold to stone.
There lie, in limpid brightness shown,
Upon the table bread and wine.

(Cp. Halliburton, D. "Poetic Thinking - An Approach to Heidegger" The Uni. of Chicago Press Ltd, London, 1981, P.185- 186.

II من العسارة الرطبة للأرض !

* * *

ويدلف المتجول إلى الداخل

والألم قد أحال البوابة إلى حجر

III وهناك يطحن فوق المائدة

الخبز والنبيد ناصعاً نقياً^(٩).

أ- البنية الفنية للقصيدة :

قام هايدجر بتحليل القصيدة في محاضراته عن "اللغة" فذهب إلى أنها تتكون من مقاطع ثلاثية ، "الوزن والإيقاع" فيها يمكن تعريفهما بدقة وفقاً للقواعد الخاصة بالشعر ، أما مضمون القصيدة فيمكن فهمه ؛ إذ لا توجد كلمة واحدة غير مألوفة أو تسم بالغموض ، إلا أن البيتين الثالث والرابع في المقطع الثاني يتسمان ببعض الغرابة .

و"الخيال" في القصيدة يبرز جمالها الاستطيقى من ناحية البنية الفنية . والقصيدة عموماً و"صف لأمية شتوية" : المقطع الأول منها يصف ما يحدث في الخارج من لاقط الثلوج وورلين أجراس الماء ، والأشياء في الخارج تسمى الأشياء الموجودة داخل البيت في الصميم ؛ فالثلوج تتعاقب فوق زجاج النافذة ، ورنين أجراس الماء تدلف إلى كل بيت ، بينما قد تم إعداد كل شيء ، بما في

(٩) هذه الترجمة القصيدة محاولة متواضعة من كاتبة المصطلح لتدفعها إلى اللغة العربية .

ذلك المنضدة الخاصة بتناول المأكول والمشرب على خير مايرام^(١).

أما المقطع الثاني من القصيدة فيبرز تناقضاً؛ فبينما يجلس عدد كبير من الناس إلى المائدة بالداخل، فإن بعض المتجولين يترددون في الدروب المظلمة حيث وذهاباً ولايست ينزلون فيه. وهذه الدروب تنتهي إلى بوابة.

وفي المقطع الثالث يُدعى المتجول الوحيد إلى الدخول من الظلام الحالك في الخارج إلى الضوء المشع داخل البيت.

من ذلك العرض الربيع لمضمون القصيدة، يتضح كيف تم استخدام - اللغة - للتعبير عن مشاعر البشر، وموقفهم من العالم الذي يواجههم؛ ومع ذلك فإن هايدجر يرى في عبارة هامة^(٢) له أن اللغة ليست تعبيراً ولا نشاطاً صادراً عن الإنسان، وإنما "اللغة تتحدث"^(٣).

كما يبين أننا الآن نبحث عن "حديث اللغة في القصيد"؛ فإذا كان "عنوان القصيدة" هو أسمية شتوية، فإن ذلك العنوان قد يجعلنا نتوقع أن القصيدة وصف لأسمية شتوية كما تحدث في الواقع؛ ولكن القصيدة لا تصور تلك الأسمية وفقاً لزمان أو مكان محددين، كما لا يمكننا الزعم بأن هذه الأسمية قد حدثت بالفعل في ذلك الزمان أو المكان، فالقصيدة زاخرة بالخيال حتى عندما تصف لنا أمراً يمكن حدوثه في الواقع. والخيال الشعري في هذه القصيدة "يتحدث"، وموضوع الحديث هو ما

(1) Ibid., S. 15-16.

(2) ("Die Sprache ist in ihrem Wesen Weder Ausdruck noch eine Betätigung des Menschen, die Sprache Spricht", (Cp. Heidegger, M. "die Sprache", S.16.

يدور في خلد الشاعر ، وما يعلن عن مضمونه : "واللغة القصيدة" يمكن تفسيرها على أنحاء شتى ، واللغة تبرهن على أنها تعبير ؛ ومع ذلك فهذه النتيجة تتعارض مع التقنية القائلة بأن "اللغة تتحدث" بافتراض أن الحديث هي ماهيته الأساسية ليس تعبيراً ، أو بعبارة أدق ، فإن القول بأن اللغة تعبير لا يفر لنا "ماهية اللغة .. فالعبارة الدالة القائلة بأن "اللغة تتحدث" تعنى أن اللغة - وليس الإنسان - هي التي تتحدث ، ولا ينكر بذلك هايدجر أن "الظواهر اللغوية" تندرج تحت عنوان رئيسي هو التعبير Ausdruck - expression ، ولكن الأمر يؤدي الى تساؤل هام : كيف يتحدث الإنسان ؟ وما هو الحديث ؟^(١)

يتضح مما سبق أن هايدجر قد استخدم قصيدة "تراكل" في محاضرة اللغة لتوضيح كيف ترك اللغة العالم ليكون موجوداً ؛ فيرى هايدجر أن المقطع الأول من القصيدة يدعو "الأشياء" إلى الحضور ، والمقطع الثاني يدعو "العالم" إلى الحضور ، أما المقطع الثالث فيتناول "الفرق" بين العالم والأشياء ، وهذا الفرق يحدث عن طريق قول اللغة بصفة خاصة^(٢) . أو عن طريق الوجود بوصفه قولاً - Sagen - Utterance .

إن ماهية اللغة عند هايدجر لاتفصل عن ماهية الوجود ، والشعر تأسس للوجود ، علماً بأن كل عمل فني تأسس للحقيقة ، وهو من ثم في ماهيته شعر^(٣) . كما

(1) Ibid., S.17.

(2) Ibid., S.18 .

(3) Heideggers, J.J. : "On The Truth...", P. 153-154.

(4) Richardson W.J. : "Through Phenomenology..", P.498.

أن الفكر والشعر يبعثان من اللوجوس ذاته، والفكر مستمداً من الشر الأصلي له سمة شعرية خاصة به ، ولا يمكننا فهمها حتى ندرك الماهية الأصلية للغة أو اللوجوس^(١) .

يرى هايدجر أن اللغة تحدث بوصفها الفرق بين العالم (الوجود) والأشياء

(الموجودات)^(٢) ، وهو ما يُسمى عنده بالفرق الأنطولوجي *Ontologische Differenz* ، ولكي يحدث اللوجوس بوصفه فرقاً أنطولوجياً تظهر الحاجة إلى الإنسان أو الموجود الإنساني الذي يفتح وجوده على اللوجوس بوصفه فرقاً^(٣) ، والوجود ندركه بوصفه لوجوس بمقدار ما ندرك اللوجوس بوصفه اختلافاً ، وحدوث هذا الاختلاف هو الذي يظهر الفرق الأنطولوجي . ومهمة الإنسان تنحصر في الإستجابة إلى النداء الموجه إليه والمعبر عن حاجة اللوجوس إلى "الهنالك" أو "العالم" كي يحدث هذا الفرق ، فضلاً عن أن الاستجابة لهذا النداء هي بمثابة حدوث للغة الإنسانية في صورتها الحقيقية^(٤) .

(١) Ibid, P. 558.

(٢) "Die Sprache west als der sich ereignend Unter- Schied für Welt und Dinge"

(3) Ibid., P. 580 .

(٤) هي تأملات هايدجر المتطورة حول اللغة ذهب إلى أنه في الفرق الأنطولوجي يكون الوجود لهماً أصلياً للحقيقة ، والحقيقة معنا تعني الافتتاح أو الكشف ؛ كما يصبح العالم مشيراً إلى المعنى أو الدلالة الكلية للموجودات ، والموجودات إما أن تكون موجودات متعينة أو موجودات في كليتها ، والعالم والموجودات يختلفان اختلاف العالم والأشياء في الفرق الأنطولوجي .

(Cp. Kockelmans. J.J. : "On The Truth..", P. 157- 158 .

(3) Ibid., P. 581.

ومن ناحية أخرى يرى هايدجر أن "اللوجوس" يعبر سلباً عن مجال "مالايقال" الكامن وراء كل قول أصلي؛ وأن هذا المجال ليس عدماً أو لا شيئ؛ بل هو الثروة الكامنة لما يقال؛ إنه صوت بلا ضجيج، فكل تسمية أصلية وحقيقية تعبر عن شيء لا يقال.

إذن للوجود الأولوية في حدوث اللغة، ليس فقط في إيجائيتها، وإنما في سلبيتها أي في مجالها غير المقول. والإنسان وفقاً لطبيعته "ملقى به" في اللغة، وهو من ثم لعبة الوجود السلبى بوصفه كلاماً غير مقول، ويتم ذلك عندما يتغلغل الإنسان في مجال غير المقول the un - said بالتغلغل وراء المعانى الماكوفة اليومية. وذلك فيما يسمى عند هايدجر "بالقرار" (1) decision - أو "التصميم" Entschlossenheit - Resoluteness.

(ب) التسمية في قصيدة تراكل Das Nennen- The Naming

يتساءل هايدجر في محاضرة "اللغة" عن طبيعة "التسمية" في قصيدة تراكل، وطبيعة الدور الذى تؤديه فى القصيدة، كما يتساءل عما إذا كانت هذه التسمية تكشف الأشياء والأحداث الماكوفة مثل الثلوج - الأجراس - النافذة، تالط الثلوج، رنين الأجراس وذلك من خلال اللغة.

يرى هايدجر أن هذه التسمية هى بمثابة نداء للكلمة، "فالتسمية نداء" (2)، والنداء يقرب المناذى، ويحقق الحضور للموجودات حتى تصبح أكثر قرباً (3)، ففى التسمية ننادى الأشياء التى نسميها إلى شينيتها، ويتم الكشف عن (4) الم (5).

(1) Ibid., P. 609- 610 .

(2) Das Nennen ruft - The naming calls .

ولكن النداء Das Herrufen - The Calling يوجه نداءه إلى المنادى حيث يكون ذلك المنادى غالباً ، وهو فى ذلك ينادى للتقرب ، وعن ناحية أخرى فإن النداء ينادى ذاته ؛ فيبقى دائماً "هنا" و "هناك" ، "هنا" فى الحضور Anwesen - Presence و "هناك" فى الغياب Abwesen - Absence .

يرى هايدجر أن تساقط الثلوج ، ورنين الأجراس فى القصيدة يتحقق لهما الحضور فى النداء . فإذا كان الأمر كذلك ، فما الذى ينادى عليه فى المقطع الأول من القصيدة ؟ أو ما موضوع النداء ؟

إن المقطع الأول ينادى الأشياء ، ويدعوها إلى الحضور ، وهو لا يدعوها إلى الحضور لتكون بين الأشياء الحاضرة ؛ فهو لا يدعو المنضدة المذكورة فى القصيدة للحضور بين صفوف المقاعد ؛ فالنداء يدعو الأشياء للحضور بعد أن كانت محتجبة فى الغياب .

ومن ناحية ثالثة ، يرى هايدجر أن "التسمية دعوة" (١) ؛ إنها "تدعو" الأشياء للحضور فى عالم الإنسان ؛ لتساقط الثلوج يجعل البشر يستظلون بالسما الذى تميل إلى الغمام ليلاً ، ودقات أجراس الماء تجعلهم "كفنائين" die mortals - Sterblichen (٢) فى مواجهة الخالدين (أورسل الربوبية) the divine - das Göttliche

(1) Heidegger, M. : "Die Sprache.", S.18.

(2) Ibid., S. 19.

(*) Das Heissen ist Einladen- Bidding is inviting .

(3) Ibid., S. 18-19.

وفى البيتين التاليين :

البيت فى أحسن أحواله

والمنضدة قد أعدت لعدد من الناس كبير .

يدو الحديث كما لو كان عن شئ حاضر ويؤكد ذلك قبل الكينونة المفهوم ضمناً فيهما ؛ ومع ذلك فالبيتان يتحدثان بطريقة النداء، ويحققان الحضور للبيت والمنضدة التى أحسن إعدادهما ؛ إلا أن ذلك الحضور يتجه نحو شئ ما لم يزل غائباً .

إذن المقطع الأول من القصيدة ينادى الأشياء إلى شئيتها ويدعوها إلى الحضور ؛ فالنداء الموجه إلى الأشياء يدعوها إلى الحضور فى العالم والظهور فيه، مما يعنى أن المقطع الأول من القصيدة لا يسمى "الأشياء" فقط ، وإنما يسمى "العالم" فى الوقت نفسه ، إنه ينادى "الكثرة" التى تعبر عن "الفانين" فى رباع العالم كما سيأتى بيانه فيما يلى^(١) .

(ج) رباع العالم الفريد فى قصيدة تراكل *des Geviert- the fourfold*

يمكن القول بأن أعمال هايدجر المتطورة وبخاصة محاضراته عن "الشئ" تسمية "الرباع" أى اتجاهات العالم الأربعة من أرض وسماء ، وفانين ، وخالدين فى علاقتهم ببعضهم البعض . وفى محاضرة "اللغة" -موضوع هذا البحث- أوضح هايدجر كيف أن اللغة هى التى تحمل تفاعل هذا الرباع أو هدم الوجاهات الأربع ،

(١) Ibid., S. 19-20 .

أو هذا العالم^(١)، وفي هذا التفاعل يحدث القرب، و"القرب والقول" عند هايدجر أسلوبان لإظهار اللغة وإحضارها للوجودات من التحجب إلى النور والانتكشاف^(٢).

واللغة بدورها تدعو الأشياء للحضور، والأشياء التي تدعوها اللغة وتسميها تجتمع فيما يسميه هايدجر "بالرباع": السماء - الأرض - الفانون - الخالدون، وهذا زمن بعيد يتحد هذا الرباع بشكل فريد يجعل من الأشياء التي تسميها اللغة رباعاً يقيم في حياة الإنسان^(٣).

إذن "الكلمات" أو "اللغة" هي "الجهة" التي تسمع للأرض والسماء، وتدقق الأعماق وقوة الأعالي بأن تتقابل وتتفاعل. وفي هذا التفاعل يتم القرب والإظهار والإحضار؛ أي يكون الوجود. ويعني ذلك أن "اللغة" عند هايدجر هي "سيدة العلاقات"، وتحركة العالم، وكاشفة الوجود؛ فهي التي تعطي وتمنح، تحفظ وتحمي، وعلى الإنسان أن يسكن في بيتها، ويعرسه ويرعاه^(٤).

وإذا أردنا البحث عن فكرة "الرباع" في "قصيدة تزاكل" فسوف نجد أن البيت والمنضدة في المقطع الأول من القصيدة يربطان الفانين بالأرض - earth Erde، وبالأشياء التي تم تسميتها، ونداء هذه الأشياء يضم إليها السماء والأرض من جانب، والفانين والخالدين من جانب آخر، وكل عنصر من هذه العناصر الأربعة يتوحد في

(١) عبد الغفار مكاوي: تداء الحقيقة، ص: ٢١٦.

(٢) نفس المرجع.

(3) Kockelmaus, J.J; "On The Truth..", P. 154.

(٤) عبد الغفار مكاوي: تداء الحقيقة، ص: ٢١٧.

إتجاه كل منها إلى الآخر ، ووحدة الرباع هذه هي ما يطلق عليه هايدجر اسم العالم^(١) Welt- World .

ذهب هايدجر إلى أن المقطع الأول من القصيدة "يتحدث" من خلال دعوة الأشياء إلى الحضور^(٢) .

والمقطع الثاني "يتحدث" بطريقة مختلفة :

"بعض من المتجولين

يقفون عند البوابة في الدروب المظلمة"

فهو ينادي ويسمى الفانين ، ولا ينادى كل الفانين وإنما "بعض" الفانين
بحسب الذين يتجولون في الدروب المظلمة ، وهؤلاء الفانون مقبلون على الموت
كما أن المتجولين يتجهون نحو الموت ، حيث يتألق في الموت الكشف

(١) Heidegger, M. : "Die Sprache..", S.19.

(2) Ibid., S. 20.

الرائع عن الوجود^(١)

إذن على المسافرين على الدرب المظلم أن يقطعوه تجوالاً طلباً للبيت
والمنحة، وعليهم أن يقوموا بذلك لأنفسهم وإنها من أجل عدد كبير من البشر
حتى يتحقق معنى السكن والإلف مع الأشياء .

البيتان التاليان يسميان الأشياء -الباب- الدروبي المظلمة ، وهما بذلك
يسميان "العالم" بوضوح ، ولكنهما يسميان أيضاً وبشكل فجائي شيئاً مختلفاً كل
الاختلاف :

"وتثمر شجرة النعم ثمارها الذهبية

من العصرة الرحبة للأرض "

يبدو من البيتين السابقين أن الشجرة جذورها ممتدة في "الأرض" ، ولذلك
فهى تنمو منفتحة لنعمة "السماء" . إن القصيدة تسمى "شجرة النعم" ، وفيها يجتمع
رباع العالم؛ علماً بأن كلمة "العالم" لم تعد تستخدم إستخداماً ميتافيزيقياً فلم تعد
تصف الطبيعة أو التاريخ أو اللاهوت ، ولم تعد تعنى مجموع الكائنات الحاضرة .

إذن البيتان الثالث والرابع من الحقطع التالي هما بمثابة نداء "شجرة النعم"
ودعوة لحضور العالم ، وهذه الدعوة هى دعوة رباع العالم " ، وهى من ثم دعوة
العالم إلى الأشياء ؛ فضلاً على أن التأكيد على كلمة "ذهبي" يحقق الانكشاف للشئ
أو يحفظ بهاءه وروعة مظهره"^(٢)

(1) Ibid.,

(2) Ibid., S. 20-21.

إذن السقطع الأول من التصيدة يدعو "الأشياء" إلى الحضور في العالم، والمقطع الثاني يدعو "العالم" إلى الحضور بالنسبة للأشياء والدعوتان مختلفتان ولكن لا منفصلان ، بل ينتمى كل منهما إلى الآخر ، ويتغلغل كل منهما في الآخر؛ ومع ذلك فلا يمكن أن يحل أحدهما محل الآخر ، وهما في "قريبهما" الأبدى يبقى كل منهما منفصلاً عن الآخر^(١).

هذه الصلة الحميمة بين العالم والشئ لا وجود لها إلا عندما يفصل كل منهما عن الآخر بوضوح ، ويسمى هايدجر هذا الاتقام "بالتفريق" (Unter-schied- the difference). وفي هذا التفريق يتم حضور الأشياء وصلتها الحميمة بالعالم ، علماً بأن هذا التفريق إنما هو ظاهرة فريدة ، ولا يؤخذ هنا بمعنى الاختلاف بين أنواع متعددة ؛ إنه اختلاف فريد يستبعد الوسط ، ومن خلاله يصبح العالم والأشياء في وحدة ؛ فهو يوجه العالم نحو الأشياء ، والأشياء نحو العالم ، وليس هذا الفرق "شيئاً" ثالثاً تضيفه إلى العالم والأشياء ؛ إنه بالأحرى يحدد العالم والأشياء في حضورهما ، وفي وجود كل منهما في اتجاهه نحو الآخر^(٢).

ومن ناحية أخرى فإن هذا "التفريق" لا يمكن تجريده عن العالم والشئ بوصفه العلاقة بينهما ؛ فهو يكشف عن "الحادث" (appropriation - das Ereignis في الأشياء عندما تُحضر العالم ، وفي العالم في علاقته بالأشياء^(٣)).

(1) Kockelmans, J.J. : "On the Truth..." P.155.

(2) Heidegger, M. : "Die Sprache..", S. 22.

(3) Kockelmans, J.J. : "On the Truth..." P.155.

(4) Heidegger, M. : "Die Sprache..", S. 22.

إذن يمكن القول بأن البيت الأول من المقطع الثاني من القصيدة يدعو الأشياء إلى الحضور ، والبيت الثاني يدعو العالم إلى الحضور ، والبيت الثالث يدعو إلى العلاقة بين العالم والأشياء ، ويدعوهما إلى الصفة ، وهذا البيت الأخير يدعو إلى "الفرق" ، وهو لا يدعو إلى التفكير فيه أو إلى التفكير في ماهيته عن طريق "التسمية"؛ إنه بالأحرى يدعو إلى البعد الذى يحققه هذا الفرق فى وساطته بين العالم والأشياء ، كما أنه يدعو إلى الأشياء والعالم معا، وهو بذلك يدعو إلى الفرق بينهما ، ولكنه يدعو دعوة صامتة .

ويمكن القول بأن الدعوة الأولى إلى القرب بين الأشياء والعالم هى بمثابة نداء حقيقى، وهى دعوة تعبر عن ماهية حديث اللغة ؛ "اللغة تتحدث" حقاً ، ما تدعو إليه يأتينا من خارج الفرق إلى مجاله الداخلى حيث تستقر الأشياء فى العالم، وبذلك يحزر "الفرق" الأشياء ليحقق كل منهما وجوده الخاص .

وبعنى ذلك كما يرى هايدجر أن اللغة فى أصلها النهائى هى حدوث للفرق الأنطولوجى بوصفه "كوجوس" ؛ فاللغة تحدث بوصفها ذلك الفرق الموجود بين العالم والأشياء ، أى أن "نداء الفرق" ليس صادراً من الإنسان بل العكس هو الصحيح ؛ لما هو إنسانى يصبح كذلك عن طريق اللغة، ويتحقق له الحضور فى ضوء حديث اللغة ، ومع ذلك فإن هذا الحضور يحدث فقط بمقدار ما تحتاج ماهية اللغة إلى حديث الفانين من البشر^(١) .

* * *

(1) Kockelmans, J.J. : "On the Truth..." P.155- 157.

إذن المقطع الأول من القصيدة يدعو الأشياء إلى الحضور والمقطع الثانى يدعو العالم للحضور حيث تكفل عالمية العالم حضور الأشياء ؛ أما المقطع الثالث والأخير فهو يدعو إلى حضور الصلة الحميمة بين العالم والأشياء ، ولذلك يبدأ هذا المقطع على النحو التالى :

ويدلف المتجول إلى الداخل
والألم قد أحال البوابة إلى حجر
وهناك يقطع فرق المائدة
ناصعاً ونقياً الخبز والتبيد

ولكن القصيدة لا توضح إلى أين يتجه النداء ؛ بل تدعو المتجول إلى الصمت الذى يقف متربصاً عند البوابة، ولجأة يتحول النداء إلى "الألم" الذى حول البوابة إلى حجر ، وهذا البيت فى رأى هايدجر يتحدث عن موضوع القصيدة بأسرها ؛ فهو يسمى "الألم" والقصيدة لا تفسر أى ألم هذا ؟ ولا توضح إلى أى مدى يُنادى على الألم ؟

١

ويلاحظ هايدجر أن هذا البيت هو البيت الوحيد فى القصيدة الذى صيغ فى صورة الفعل الماضى : "الألم قد "حول" البوابة إلى حجر ، ومع ذلك فهو لا يتحدث عن شئ مضى ولم يبد حاضرًا ؛ وإنما يسمى شيئاً باقياً دوماً ؛ ففى عملية التحول إلى حجر تبقى البوابة حاضرة ، وعن طريق تلك البوابة يسرى كل ما بالخارج إلى الداخل والعكس صحيح^(١) .

(١) Heidegger, M. : "Die Sprache..", S. 23- 24.

ولكن ماهى طبيعة الألم - Schmerz - Pain فى هذا القطع ؟ إنه بمثابة صدع Riss - Riß ولكنه لا يتزق إلى شدرات ، فهو يجذب كل شئ إليه ويجمعه من جديد ؛ وهو النقص الذى يحقق الانقسام والوحدة بين الأشياء . إنه هو "الوسيط" الذى يجمع بين الأشياء ، أو هو الفرق ذاته^(١) :

والألم قد حول البوابة إلى حجر

هذا البيت يسمى "الفرق" ، ولكنه لا يدعو طبيعته بذكر اسمه ؛ إنه بالأحرى يدعو الفصل الذى يقوم به الوسيط ، كما يدعو الجمع بين الأشياء ، وهو بذلك يعتقد صلة حميمة بين العالم والأشياء ، وينبئ ألا نظن أن هذا الألم إحساس أنثروبولوجى يجعلنا نشعر بالمعاناة أو العذاب ، كما لا ينبئ أن نفكر فى هذه الصلة من الناحية النفسية بوصفها تعبيراً عن حالة انفعالية :

وهناك يطمع فوق المائدة

الخبز والنبيذ ناصعاً تقياً

أين يطمع الضوء النقى الخالص فى هذين البيتين ؟ إنه يطمع على البوابة فى مستقر الألم ، حيث يلمع بريقه ويتلألأ ، ويحتوى فى داخله على ضوء العالم وبريقه ، وفى ذلك البريق يتحقق للخبز والنبيذ بريقهما الخاص .. إن الأشياء العظيمة تتلألأ فى بساطة شئيتها : فالخبز والنبيذ هما فاكهة السماء والأرض ، وهما من هبات الإله والفانين ، كما أنهما يحتقان رباع العالم الفريد حين حصولها على الشعور بالرضى والاكفاء فى تركها رباع العالم ليستقر معها .

(١) "Der Schmerz ist der Unter-Schied selber". (Cp. Heidegger, M.: "Die Sprache..", S. 24.

إذن المقطع الثالث من القصيدة يدعو العالم والأشياء إلى "الوسيط" الذي يجمع بينهما في صلة حميمة ، وهذا الوسيط هو الألم^(١) .

ذهب هايدجر إلى أن "التسمية" التي تدعو إلى الصلة الحميمة بين العالم والأشياء للحضور هي التسمية الحقيقية^(٢) ، وهذه التسمية هي ماهية الحديث التي تتضح من موضوع الحديث في القصيدة ، إنه حديث اللغة . إذن اللغة تتحدث كما سبق أن بينا ، وهي تتحدث بتسمية موضوع الحديث: الشئ - العالم^(٣) ، والعالم - الشئ^(٤) تدعوها للحضور في الفرق بينهما ، وهذا الحضور يدعو العالم والأشياء من خارج الفرق إلى داخله .

إن الفرق يترك شئنية الشئ das Dingen des Dinges -
The thinging of the thing تستقر في عالمية العالم ، Worlding of the
Welten der Welt - World ، وهذا الفرق يستعد الشئ ليتر في رباع العالم ،
علماً بأن هذا الاستبعاد expropriation لا يلغى الشئ ، وإنما يحقق وجوده
الخاص^(٥) .

يرى هايدجر أن "الفرق" ليس تمييزاً ولا علاقة ؛ إنه بالأحرى "بعد"
Dimension - Dimension للعالم والأشياء ، وفيه يستقر العالم والشئ ، وهو "بعد"
بمقدار ما يصنع من مقاييس للعالم والشئ كل من زاويته ، وهذا "المقياس"

(1) Ibid., S. 25.

(٢) Das eigentliche Heissen- authentic bidding .

(٣) Ding- Welt, Thing - World .

(٤) Welt - Ding , World - Thing

(2) Ibid. S. 26.

Erkennen- erkennen "يحقق الانفتاح بينهما ، ويوجه كل منهما إلى الآخر ، إذن "الفرق" وسيط بين العالم والأشياء يقبض حضورهما ، وفي التسمية التي تنادى الشيء والعالم ما يُنادى ، بحق إنما هو ذلك "الفرق" (١) .

أما عن الاستقرار الذي يحققه "الفرق" فهو يعنى البقاء في الصمت stillness
die stille- "الفرق" يحقق السكينة للشيء ، كما أن الشيء يحققها للعالم .

والفرق يحقق السكينة بطريقة مزدوجة : عن طريق ترك الأشياء لتبقى في حضور العالم ، وترك العالم ليكتفى بنفسه في الشيء (٢) .

وأما عن ماهية الصمت فيرى هايدجر أنه ليس مجرد انعدام الصوت Lautlose- Soundless ، ففي انعدام الصوت ينزل الافتقار إلى الحركة أو الصوت موجوداً ، ولكن الصمت من حيث الماهية يصمت (٣) ، وفي هذه الحالة يرى هايدجر إنه يكون متحركاً ومضطرباً أكثر من أي شيء آخر (٤) .

إن "الفرق" يحقق السكون أو الصمت بطريقتين : إنه يصمت في الأشياء من حيث شئيتها ، وفي العالم من حيث عالميته ، وعندما يجمع "الفرق" كلأمن العالم والأشياء إلى ما بينهما من صلة حميمة ، فهو يدعوهم إلى الحضور لماهيتهما الخاصة.

(1) Ibid., S. 23.

(2) Ibid., S. 26.

(*) "Die Ruhe aber hat ihr Wesen darin, dass sie stillt".

(3) Ibid., S. 26.

ومن ناحية أخرى فإن "الفرق" هو "التسمية" ، وتسمية الفرق تجمع كل منادى إلى داخل نطاقها ، واللغة تتحدث لأن تسمية "الفرق" تنادى العالم والأشياء إلى ما يجمعهما من صلة حميمة .

واللغة بوصفها "رنين الصمت" (١) هي التي يحدث فيها "الفرق" بين العالم والأشياء ، علماً بأن هذا "الرنين" ليس إنسانياً بل العكس هو الصحيح؛ فالإنسان من حيث ماهيته "معطى ذو طبيعة لغوية" sprachlich-linguistic ، وكلغة لغوى فى هذا الميالى تعنى الحدوث من جراء كلام اللغة ، وما يحدث أو الموجود الإنسانى يتم حضوره إلى ذاته عن طريق اللغة ؛ وفى هذا الحدوث الذى يتم فى حضور الصمت تحتاج اللغة إلى حديث الفانين أو البشر المنصتين إلى حديثها .

وبقدر ما ينتمى الفانون إلى "نداء الصمت" ، يصبحون قادرين على الحديث بطريقة متميزة من خلال الحديث . وبذلك يصبح حديث الفانين نداءً يدعو العالم والأشياء إلى الحضور (٢) :

يرى هايدجر أن التسمية الحقيقية فى حديث الفانين هى بمثابة موضوع الحديث فى القصيدة ، وأن الشعر الحقيقى (٣) يختلف عن الأسلوب الذى تستخدمه اللغة فى الحياة اليومية ؛ بل إن اللغة اليومية لغة ضمنية ، وكذلك الكلام اليومى das alltägliche Reden ، يصبح متهلكاً إلى حد يصعب معه أن يصدر عنه أى نداء (٤) .

(١) das Geläut der Stille - the peal of Stillenss .

(٢) Ibid., S. 28 .

(٣) ذهب هايدجر إلى أن الشعر الحقيقى ليس نثراً قط ؛ إنه شعرى - dichterisch- .

Poesie- Poetry ، وهو من ثم نادر نثرة الشعر Poesie- Poetry

(٤) Ibid., S. 28 .

وإذا اعتبرنا أن الكلام الإنساني هو الصوت Voicing - Verlautbarung الصادر من باطن الإنسان ، فإن ماهية اللغة ليست إلا تعبيراً أو نشاطاً إنسانياً . ولكن كيف ينكر الصمت في الحديث أو حتى في الكتابة ؟ وكيف يمكن أن نعبّر عن هذا الصمت في كلمات ؟ وكيف يشكل حديث الفانين ، ونستمع إليه في أبيات من الشعر أو في عبارات من اللغة ؟

إذا نجح "التفكير" يوماً ما في الإجابة على هذه التساؤلات ، فعلياً أن ننظر إلى "التعبير" der Ausdruck - expression وحده بوصفه العنصر الحاسم في الحديث الإنساني ، كما ينبغي علينا أن ندرك أن الفانين يتحدثون بمقدار ما ينعثون^(١) ، وهم في ذلك يلتفتون إلى نداء الصمت "للفرق" ، وانصاتهم ينبعث من تسمية هذا الفرق . يرى هايدجر أيضاً أن "الفانين" يتحدثون عن طريق "الاستجابة" للغة بطريقة مزدوجة: التلقى Receiving - Entnehmen ، والإجابة Replying - Entsprechen ، بناءً على أن كل إنصات حقيقي das - authentic hearing ، echte Hören ، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالقول الحقيقي^(٢) .

(٢) "Die Sterblichen sprechen, insofern sie hören- Morals speak insofar as they listen".

(١) Ibid., S. 29 .

خاتمة البحث

نحاول في خاتمة البحث الإجابة على الأسئلة الثلاثة التي سبق أن طرحناها في المقدمة وهي كما يلي :

س ١ : كيف أحدث هايدجر ثورة كوبرنيقية في تفسيره للأصل الأنطولوجي للغة ؟

س ٢ : ما معنى الدخول في تجربة مع اللغة عند هايدجر ؟

س ٣ : كيف تتحدث اللغة في لصيدة "تراكل" من وجهة نظر هايدجر ؟

أما عن السؤال الأول فيمكن الإجابة عليه في ضوء ما يلي من نتائج أمكن التوصل إليها في سياق البحث :

(أولاً) : أصبح الموجود الإنساني "الجهة" التي تتحدث إليها اللغة ، ولم تعد اللغة مجرد أداة ، وأصبح حديث الإنسان مجرد رد فعل لحديث اللغة، ويفترض ذلك ضمناً إنصاته إلى لغة الوجود .

(ثانياً) : أصبحت اللغة - في فكر هايدجر المتطور - الوجود ذاته في صورة كلمات ، وأصبح حديث الإنسان الحقيقي "استجابة" لصوت الوجود الصامت، مما يعني أن الإنسان يكشف ذاته لقط من خلال اللغة، ويصل إلى الحقيقة لقط عندما يتوجه "منصتاً ومتحدثاً" نحو قول الوجود.

(ثالثاً) : أصبحت "اللغة بيت الوجود" بمعنى أن اللغة تكشف عن الوجود ذاته، وبمقدار ما يتم التعبير عن الوجود ، تصبح اللغة لغة الوجود كما أن السحب سحب السماء .

(رابعاً) : أصبح "الوجود" لغة اللوجوس في ضوء ما يحققه من انفتاح للموجودات، واللوجوس يعدنا بالأساس اللازم للإستخدام الحقيقي للكلمات ، وهو ما

يدركه المفكرون والشعراء بحق ؛ فاللوجوس هو القول الأصلي للوجود ؛
والكلام الحقيقي إستجابة لهذا القول .

(خامساً) : أصبح الشعر عند هايدجر النشاط الذى يخلق ، ويشكل ، ويتحقق على
صورة كشف أنطولوجى ، وهو النشاط الذى يؤسس الحقيقة . واللغة الحقيقية
أو (الشعر) هى التى تحقق للموجودات الحضور فى انفتاح الحقيقة . وقصيدة
"تراكل" مثال على ذلك .

وأما عن السؤال الثانى : ما معنى الدخول فى تجربة مع اللغة من وجهة نظر
هايدجر ؟ فيمكن الإجابة عليه فى ضوء ما أحدثه هايدجر أيضاً من ثورة فى قلبه
لعلاقة الإنسان باللغة رأساً على عقب ؛ فالإنسان لا يكون إنساناً إلا عندما ينصت إلى
نداء اللغة ؛ فاللغة هى الأصل ، والإنسان "علقى به" فى رحابها، وتجربة اللغة ليست
من صنع الإنسان ، وهو يخضع لها ، ويتقبلها، ويتحملها عند حدوثها ، فإذا ما عثر على
طريقه إليها ، تكونت لديه تجربة أصلية مع اللغة تسمى بصميم وجوده .

ويترتب على ذلك ما يلى من نتائج :

(أولاً) : "الدخول فى تجربة مع اللغة" معناه الانتباه إلى علاقة الإنسان باللغة، وتأمل
سكنه فيها "فاللغة تحدث . وحديثها حضور للموجودات، كما يدعى الإنصات
إلى حديث اللغة ، فنترك ما نقوله يتحدث بنفسه إلينا وفقاً لأسلوب وجودنا
المنفتح على حديث اللغة .

(ثانياً) : "الدخول فى تجربة مع اللغة" معناه أن ماهية اللغة هى لغة الماهية ؛ أى أن
أصل اللغة يفيد الحفاظ والعطاء ، ويتصل بصميم وجودنا ، ويحركه ، وينتعى
إلى الماهية التى تحرك وتمنح ، إذن ماهية اللغة ترتبط بالقول الأصلي

بوصفه إيضاحاً وكشفاً .

(ثالثاً) : "الدخول في تجربة مع اللغة " مناه أيضاً إدراك العلاقة بين الشعر والتفكير . على اعتبار أن الشاعر هو حارس الكلمة ومدبرها . إن الشعر والتفكير يحتاج كل منهما إلى الآخر كي يتأسس الوجود ، ويمتل كل منهما طريقة في انقول الأصلي : المفكر يتحدث عن الوجود ، والشاعر يسمى المقدس : فالشعر انفتاح للموجود ، وهذا الانفتاح يحمل معاني البدء ، والتأسيس ، وانهية .

وأما عن السؤال الثالث : كيف تتحدث اللغة في قصيدة "تراكل" ؟ فيمكن الإجابة عليه في ضوء ما يلي من نتائج :

(أولاً) : القصيدة توضح كيف تترك اللغة العالم ليكون موجوداً ؛ والمقطع الأول منها يدعو "الأشياء" إلى الحضور ، والمقطع الثاني يدعو "العالم" إلى الحضور ، أما المقطع الثالث فيتناول "الفرق" بين العالم والأشياء ، ويحدث هذا الفرق عن طريق الوجود بوصفه لولاً .

(ثانياً) : "التسمية" في القصيدة "نداء" ، والنداء بقرب "المناذى ، ويحقق الحضور للموجودات كي تصبح أكثر قرباً بعد أن كانت محتجبة في الغياب ، كما أن التسمية "دعوة" للأشياء كي يتحقق لها الحضور في العالم ، وهي دعوة "لعدد الكبير من البشر" المعبر عن "الفانين" في القصيدة ، ويتضح من هذه الدعوة أن التسمية الحقيقية في حديث الفانين هي موضوع الحديث في القصيدة .

(ثالثاً) : لغة القصيدة تتحدث عن تفاعل رباع العالم : الأرض - السماء - الفانين - الخالدين ، وفي هذا التفاعل يصبح "القرب والقول" كشفاً عن الموجودات .

فاللغة هي سيدة العلاقات ، وكاشفة الوجود ، وعلى الإنسان السكن فى بيتها ليحرمه ويرعاه .

(رابعاً) : لغة القصيدة فى أصلها النهائى حدوث "الفرق الأنطولوجى" بين العالم والأشياء بوصفه "لوجوس" ، علماً بأن تداء الفرق ليس إنسانياً ، وما هو إنسانى يتحقق له الحضور من خلال حديث اللغة ؛ وعلماً بأن "الفرق" يتباعد الشئ ليستقر فى رباع العالم ، وهذا الاستبعاد لا يلقى الشئ ، وإنما يحقق وجوده الخاص .

(خامساً) : "الفرق" فى القصيدة "بعد" للعالم والأشياء ، وهذا البعد يحقق الانفتاح بينهما ، ويوجه كل منهما إلى الآخر ، كما يحقق السكينة والصمت لكل من العالم والأشياء . والفانون (أو البشر) فى لغة القصيدة يتحدثون من خلال الاستجابة المزدوجة للغة المتمثلة فى "التلقى" ، و"الإجابة" .

(سادساً) : "الألم" فى المقطع الأخير من القصيدة يجذب كل شئ ويجمعه من جديد ، ويحقق الوحدة والانتصال بين الأشياء ؛ إنه "الفرق" ذاته الذى يعقد صلة حميمة بين العالم والأشياء أو بين الوجود والموجود وفقاً لتعبير هايدجر .

قائمة بأهم المصادر والمراجع

(أولاً) مصادر ألمانية :

- Heidegger, M. : ("Die Sprache" in Unterwegs zur Sprache),,
Vittorio Klostermann, Frankfurt am Main,
Gesamtausgabe, Band 12, Germany, 1985.

(ثانياً) مصادر أجنبية مترجمة :

- Heidegger, M. : "Poetry- Language- Thought", trans. by A.
Hofstadter, Harper & Row Publishers, New
York, U.S.A., 1975 .

(ثالثاً) مراجع أجنبية :

- Halliburton, D.: "Poetic Thinking - An Approach to
Heidegger" The Uni. of Chicago Press Ltd,
London, 1981.
- Kockelmans, J.J. : "On The Truth of Being- Reflections On
Heidegger's Later Philosophy", Indiana
University Press, Bloomington, U.S.A.,
1984.
- Langan, T. : "The Meaning of Heidegger-Acritical
Study of an Existentialist Phenomenology"
Routledge & Kegan Paul, London, 1959.

- Richardson, W.J. : "Heidegger, Through Phenomenology to Thought", Preface by M. Heidegger, Martinus Nijhoff, The Hague, Netherlands, 1963.
- Sokel, W. : "The Writer in Extremes in 20 th Century German Literature , Stanford Uni. Press, California, U.S.A., 1968 .
- Winfried, F. : "M. Heidegger", J.B Metzlersche Verlagsbuchhandlung , Gennany, 1970 .

(رابعاً) موسوعات ألمانية :

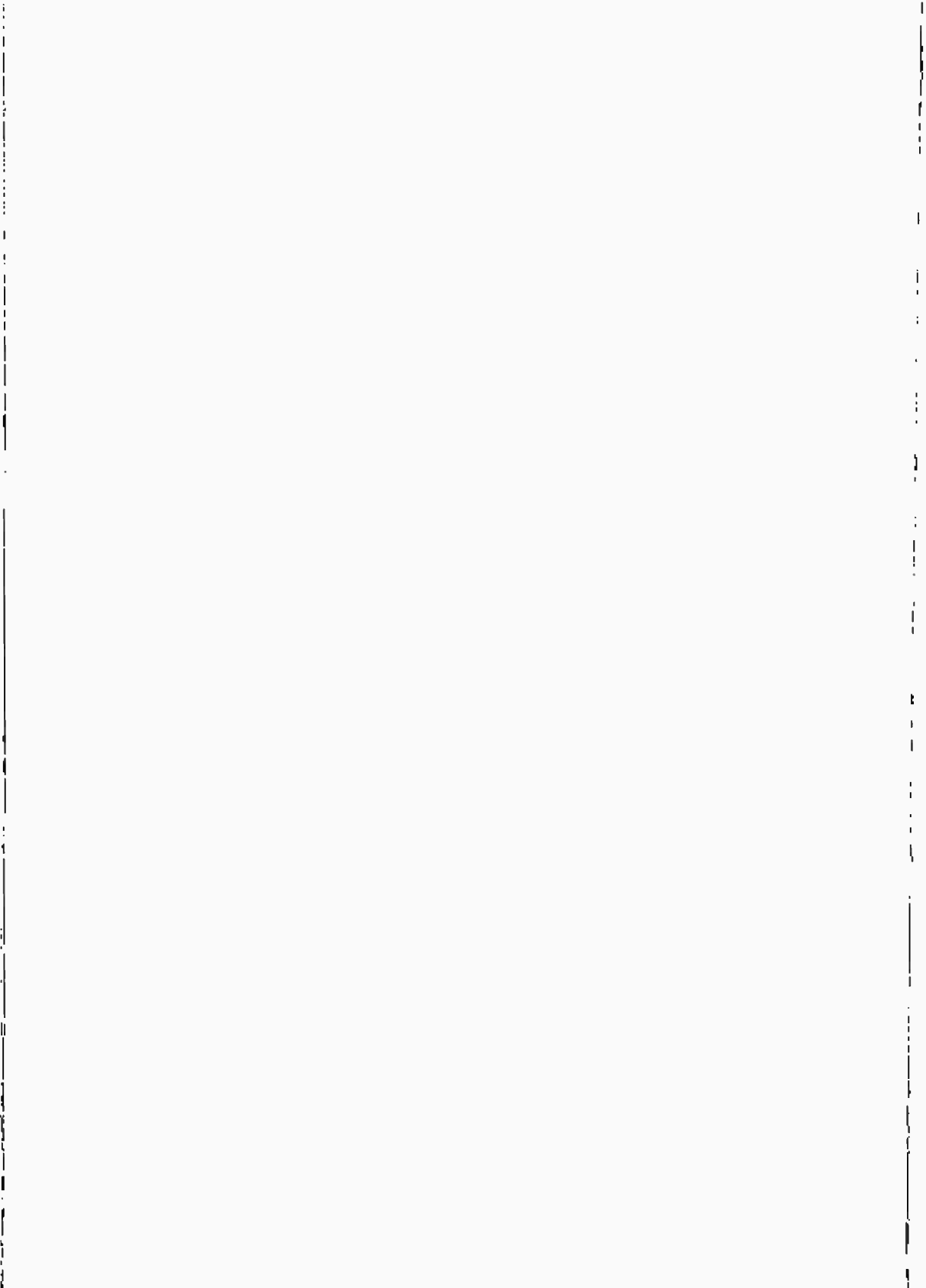
- Enzyklopädie : Weltliteratur im 20 Jahrhundert , Vol.4, herausgeg. von Praunck M., Rowohlt, Germany, Juni, 1981.

(خامساً) مراجع عربية مترجمة :

- مارتن هايدجر : "ما الفلسفة ؟ ما الميتافيزيقا؟ هيلدريش وماهية الشعر" ، ترجمة فؤاد كاتل، محمود رجب، مراجعة عبد الرحمن بدوي، سلسلة نصوص فلسفية ، دار الثقافة ، للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٤ م .
- " : "تداء الحقيقة" ، ترجمة وتقديم ودراسة عبد الغفار مكاوي، " " -
- سلسلة نصوص فلسفية (٩) ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٧ م .

(سادساً) مراجع عربية

- عثمان أمين : " في الفلسفة والشعر " ، مكتبة نفائس الفلسفة الغربية ، الدار
القومية للطباعة والنشر ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٦٢ م.



ثبت بأهم المصطلحات
الواردة في البحث

(A)

المصطلح بالإنجليزية	المصطلح بالألمانية	المصطلح بالعربية
everyday discourse	(das) alltägliche Reden	الكلام اليومي

absence	Abwesen	الغياب
presence	Anwesen	الحضور
expression	Ausdruck	التعبير

(D)

Poetry	Dichtung	نظم الشعر
Poet	Dichter	الشاعر
dimension	Dimension	البعد
things	Dinge	الأشياء
the thinging of the thing	(das) Dingen des Dinges	شيئية الشيء

(E)

authentic hearing	(das) echte Hören	الإنصات الحقيقي
authentic bidding	(das) eigentliche Heissen	التمية الحقيقية
expropriation	(das) Enteignis	الإستبعاد
Receiving	(das) Entnehmen	التلقى

(die) Entschlossenheit	Resoluteness	التصميم
Entsprechen	replying	الإجابة
Erde	earth	الأرض
Erkennen	allotment	مقياس أو مقياس
(das) Ereignis	appropriation	الحادث

(G)

Dedicht	Poem	الفصيدة الشعرية
(das) Geläut der Stille	the peal of stillness	رنين الصمت
(das) Geviert	the fourfold, the quadrate, the foursome	الرباع
(das) Göttliche	the divine	الخالدون (رسل الربوبية)

(H)

(das) Heilige	the holy	المقدس
(das) Heissen	the bidding	التمية
(das) Herrufen	the calling	النداء

(L)

Lautlose	soundless	إنعدام الصوت (بلاصوت)
----------	-----------	--------------------------

Logos	logos	اللوجوس (الكلمة - القول..)
-------	-------	-------------------------------

(N)

(das) Nennen	the naming	السمية
--------------	------------	--------

(O)

Ontologische	Ontological	الفرق الأنطولوجى
Differenz	difference	(بين الوجود والموجود)

(R)

Rede	discourse, speech	الكلام
Rein Gesprochenes	purely spoken	موضوع الحديث الخالص
Riss	rift	صدع (شق)

(S)

Sagen	Saying, utterance	القول
Sprache	language	اللغة
(die) sprache spricht	language speaks	اللغة تتحدث
Sprachlich	linguistic	لغوى (ذو طبيعة لغوية)
(die) Sterblichen	mortals	الفانون (البشر)

(die) Stille

stillness

الصمت

(U)

Unter - Schied

diff- fefence

الفرق (بين العالم

والأشياء) (أوبين

الوجود والموجود)

Ursage

Primordial Saying

القول الأصلي

(V)

Verlautbarung

Voicing

إصدار الصوت

(W)

Welt

World

العالم

Welten der Welt

Worlding of the
world

عالمية العالم

Wesen

essence

الماهية

(das) Wesen der

essence of

ماهية اللغة

Sprache

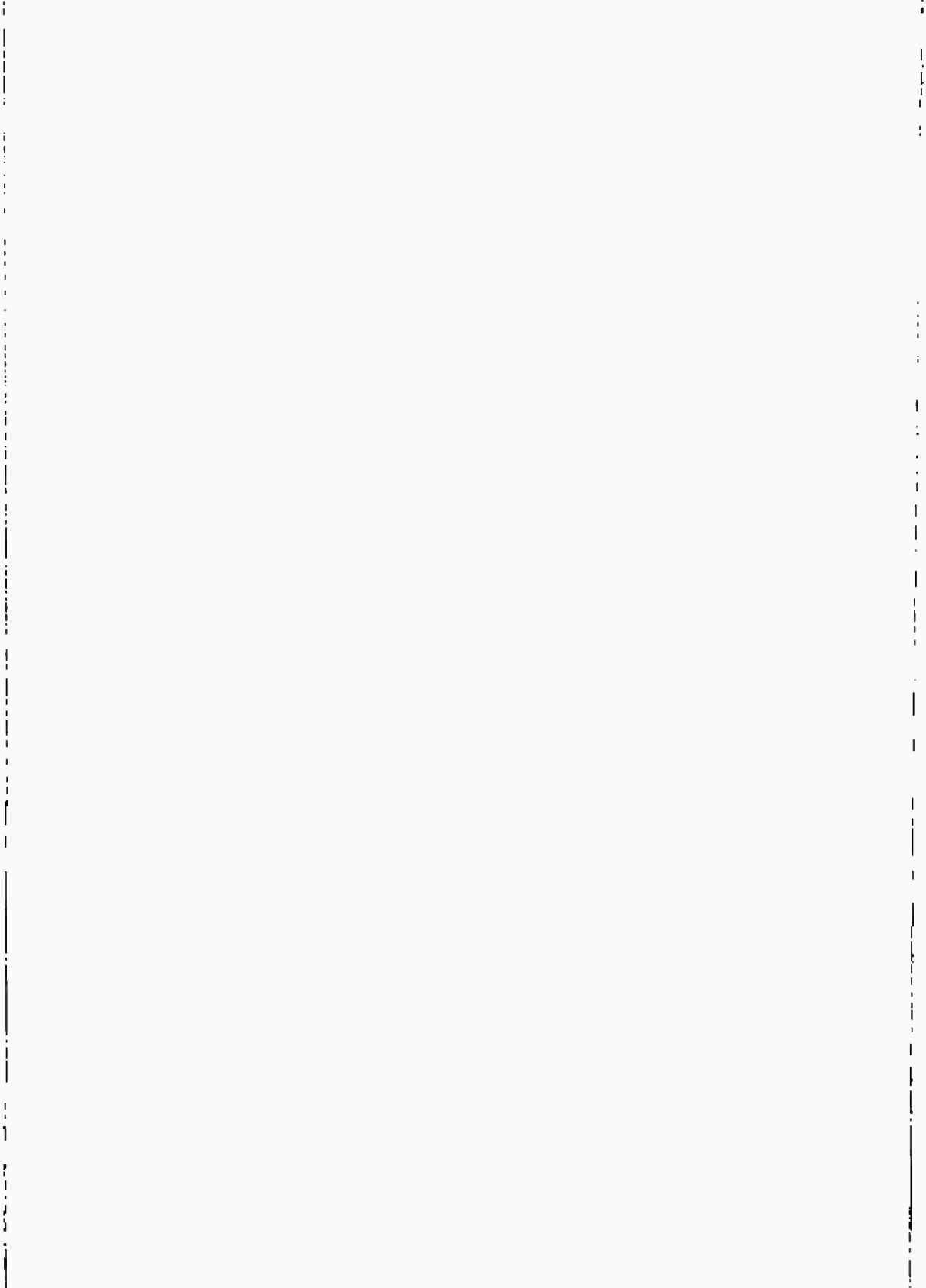
language

استخدام الاستشعار من البعد ونظم المعلومات الجغرافية في الدراسة
الكمية لأحواض تصريف جنوب شرق سيناء

The Application of Remote Sensing and Geographic
Information Systems to the Morphometric Study
of Drainage Basins in East South Sinai

الدكتور/ إبراهيم محمد علي بدوي
مدرس بجامعة المنصورة

Dr. Ibrahim Badawi
Mansura University , Egypt.



المقدمة

تمت الدراسة باستخدام المرئيات الفضائية Landsat imageries والمأخوذة من الماسح الموضوعي Landsat TM ومنه الخرائط الانعكاسية Thematic maps ذات وضوح مكاني Spatial resolution ٣٠ م ، والتي تعد مصدرا هاما للدراسة الجيومورفولوجية في المناطق الجافة . وتم استخدام نظم المعلومات الجغرافية لدراسة الترتيب الهرمي Hierarchy للودية ، حيث يعد تصنيف كمى ذو منطولات مورفولوجية لديناميكية التعرية المائية . ودراسة الشبكة المائية بطريقة سترالير Strahler 1952 لمعرفة المتغيرات المورفومترية للاحواض في جنوب شرق سيناء باستخدام الاساليب الكمية Quantitive approach والتي تسمح بالمقارنة الرقمية ، وذلك باستخدام برامج Autcad 14 و Arcass imagine 8.3 والتحليل الالى للبيانات الرقمية التي نحصل عليها بواسطة اجهزة الاستشعار .

ومن خلال الخرائط الطبوغرافية والمرئيات الفضائية تم قياس وحساب عدة متغيرات هي: مساحة الاحواض ، ومحيط الاحواض ، وطول المجارى ، نسب التسعيب ، وكثافة التصريف ، وتكرارية المجارى . وهى من اهم المؤشرات المورفومترية التي توضح مدى التغيرات المناخية وعمليات التعرية .

وقد بلغ عدد الاحواض فى منطقة جنوب شرق سيناء ٢٤ حوضا بلغت مساحتها ٩٦٩٠ كيلو مترا مربعا ، وتمثل ١٦١٥ ٪ من جملة مساحة سيناء . وتتصرف الاحواض الى ساحل خليج العقبة ورأس البحر الاحمر شرقا . وتمت مقارنة نتائج التحليل المورفومتري لكل من الخرائط الطبوغرافية ، والمرئيات

الفضائية لدراسة وادى وتبر حيث يعد من اكبر الاودية مساحة واكثرها تنوعا صخريا ، ومعرفة الفروقات فيما بين النتائج .

واوضحت الدراسة ان الشبكة الهيدروجرافية تتميز بدرجة عالية من التحكم التركيبى ، من حيث الاتجاه ، والاتساع ، والاطوال ، وكثافة التصريف خاصة الاودية الرئيسة .

اما نوعية الصخر فتأتى فى المرحلة الثانية من حيث تحكمها فى شبكة التصريف ، وثالثا ديناميكية التعرية والتي تؤثر على الزيادة العددية فى مجارى

الرتبة الاولى بالتكوينات الرسوبية . كذلك هناك فروقا واضحة فى نتائج التحليل المورفومتري فيما بين الخرائط الطبوغرافية والمرئيات الفضائية TM لان الرتب الاولى لا تظهر بوضوح على الخرائط الطبوغرافية ، مما يدل على اهمية استخدام المرئيات فى الدراسات المورفومترية واستخدامها فى نظم المعلومات الجغرافية والدراسات الجيومورفولوجية .

أهداف البحث :

١- ادخال بيانات الاستشعار عن بعد Remote Sensing مع نظم المعلومات الجغرافية Geographic Information Systems باستخدام برامج الكمبيوتر التى تعتمد على المعادلات الرياضية الاساسية .

٢- الحصول على طبقات من المعلومات المجمعـة او المستخلصة من المرئيات الفضائية ورسمها فى صورة خرائط مختلفة حسب الغرض الذى من اجله تتم الدراسة .

٣- التحليل الآلى للبيانات الرقمية التى نحصل عليها بواسطة أجهزة الاستشعار والمعالجة الرقمية لها (Digital Image Processing (Shepherd , 1991 , pp340-49

٤- استخدام المرئيات الفضائية Landsat TM مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ ر.١٠٠ والخرائط الطبوغرافية ١ : ٥٠,٠٠٠ فى التحليل المورفومتري ومعرفة الفروقات فيما بينهما فى النتائج واستخدام الطريقة الافضل ودراسة مقارنة لولدى وتير .

٥- دراسة مورفومترية احواض وشبكة تصريف اودية جنوب شرق سيناء (ساحل خليج العقبة المصرى رأس البحر الاحمر) والعوامل المؤثرة فيها .

٦- معرفة الخواص المورفولوجية والحصول على معلومات جيومورفولوجية حديثة غير مسجلة على الخرائط واستخدامها فى برامج نظم المعلومات الجغرافية .

٧- معرفة الارتفاعات ، والاتحادات واتجاهاتها ، والتراكيب الجيولوجية ، وخطوط تقسيم المياه ، ودراسة احواض التصريف مورفومتريا .

٨- دراسة الترتيب الهرمى Hierarchy للشبكة المائية بطريقة سترالير , Strahler 1952 بطرق كمية تسمح بالمقارنة الرقمية .

٩- معرفة مدى اهمية ملائمة المرئيات الفضائية ونظم المعلومات الجغرافية فى الدراسات الجيومورفولوجية .

اماليب البحث ومصادره :-

تم اتباع عدة خطوات تتمثل فى الاتى :-

١- استخدام بيانات المرئيات الفضائية Landsat TM , 1990 ثلاث لوحات مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ لعمل موزيك Mosaicing للمنطقة ، وعمل قطع لبعض الاجزاء Subset كوادى وتير خاصة .

٢- استخدام الخرائط الطبوغرافية مقياس ١ : ٥٠٠٠٠ ر ٥٠٠٠ احدى عشر لوحة لتحديد
الظواهر الجيومورفولوجية وعمل تقويم لها Rectification .

٣- ترقيم الخريطة الكتتورية باستخدام برنامج Autocad 14 لعمل نموذج
ارتفاعات Digital Elevation Mode من خلال الخرائط الطبوغرافية واستكمال
البيانات Interpolating .

٤- استخدام برنامج Erdas لمعالجة الصور الرقمية وبرنامج Arc Info
Autocade 14 .

٥- دمج البيانات والنتائج من الخطوات السابقة للحصول على تفسير شامل وتلخيص
لها في نظم معلومات جغرافية والحصول على مجموعة من الخرائط للمنطقة .

٦- شف خطوط التصريف Tracing for drainage المائي في طبقة معلومات
منفصلة Water layer وكذلك من الخرائط الطبوغرافية .

٧- تحديد خطوط تقسيم المياه فيما بين احواض الاودية (Lillesand , T.M. and
Kiefer, R., 1994 , pp. 524- 85) .

٨- انخال البيانات الجدولية او اية دراسة حقلية .

٩- قياس وحساب المتغيرات المورفومترية في الاحواض وفقاً لشبكة المجارى
المستخلصة وهي:

أ- مساحة الحوض Drainage area ب- محيط الحوض Perimeter

ج- مجموع اطوال المجارى Channel lengths

ومن اهم المؤشرات المورفومترية التى تعطى معلولات جيومورفولوجية لديناميكية
التعرية في مناطق احواض المجارى المائية .

د- نسبة التعصب Bifurcation ratio . هـ- كثافة التصريف Drainage density .

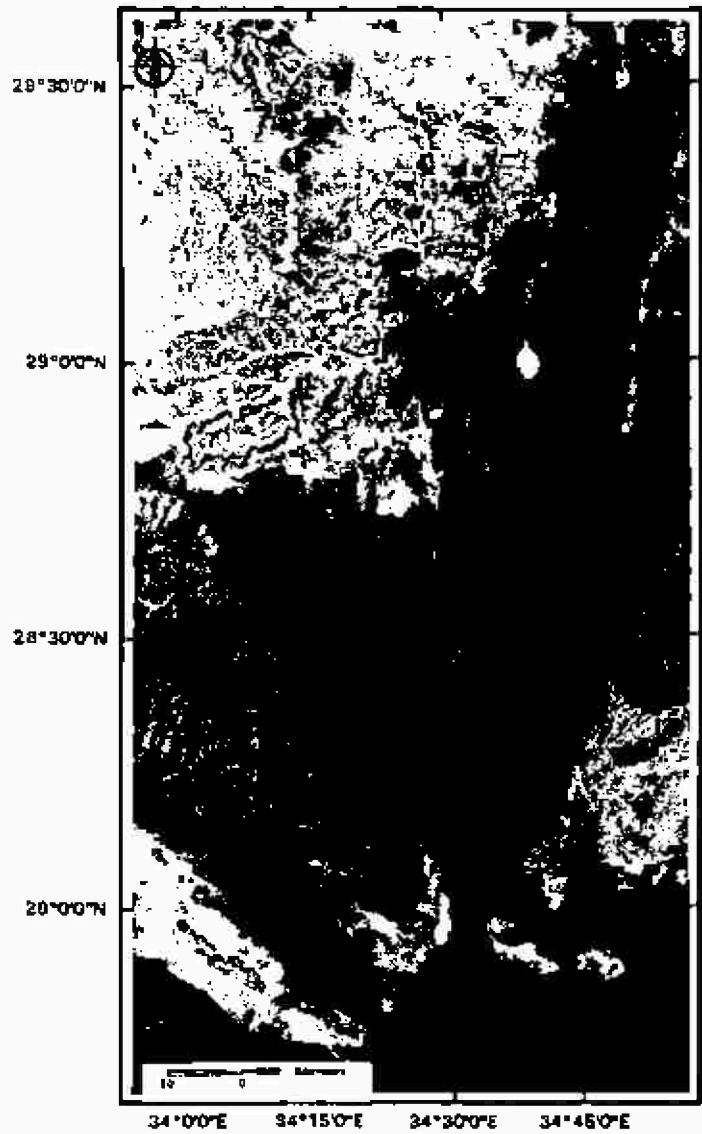
و- تكرارية المجارى Streamfrequency .

١٠- الدراسة الكمية لاهواض التصريف وخصائصها Drainage basin Morphometry .

الملاح العامة لمنطقة الدراسة :

أوضحت دراسة الخرائط الطبوغرافية ، والمرئيات الفضائية واستخدام نظم المعلومات الجغرافية ، والخرائط الجيولوجية ، والدراسات السابقة ان المنطقة تقع جنوب شرق سيناء على طول امتداد ساحل خليج العقبة حيث يحدها من الشرق ، ومن الغرب خط تقسيم المياه فيما بين احواض سيناء الشرقية جهة خليج العقبة ، والاحواض الغربية ناحية خليج السويس ، ومن الشمال وادى الجرافى والعريش ومن الجنوب رأس البحر الاحمر .

وتمتد المنطقة فيما بين دائرتى عرض ٢٧°٣٠' ، ٢٩°٣٠' شمالا ، وخطى طول ٣٣°٣٠' ، ٣٤°٣٠' شرقا شكل (١) . وبلغ عدد احواض الاودية المدروسة ٢٤ حوضا تصرف ناحية خليج العقبة ورأس البحر الاحمر شرقا (٢١٠ حوضا حسب دراسة التوركمانى ، ١٩٨٧ ص ٢١) . بلغت مساحتها ٩٦٩٠ كيلو مترا مربعا . وهى عبارة عن احواض صرف صغيرة تتراوح مساحتها ما بين ٢٨ ر ٢٠ ، ٣٢ ر ٤٥١ كيلو مترا مربعا (يدوى ، ١٩٩٣ ص ٩٧-١١٨) ما عدا ثلاثة احواض كبيرة المساحة وهى احواض وثير ٣٧١٥ ر ، ودهب ٢٢٤٤ ر ، وكيد ١٤١٦ كيلو مترا مربعا . وان المنطقة عبارة عن نطاقين هما : جبلى داخلى مرتفع ، وسهلى ساحلى منخفض تأثرا بالحركات التكتونية التى صاحبت تكون البحر الاحمر وخليج العقبة وسببت تكسرا وتقسلا للتكوينات الجيولوجية الصخرية القديمة التى تنتمى الى ما قبل الكامبرى ممثلة فى الصخور النارية



شكل (١) مرئية TM لساحل سيناء الشرقي

للجرائنية وصخور الجابرو ، والصخور المتحولة ، والبركانية ، والرسوبية القديمة والحديثة.

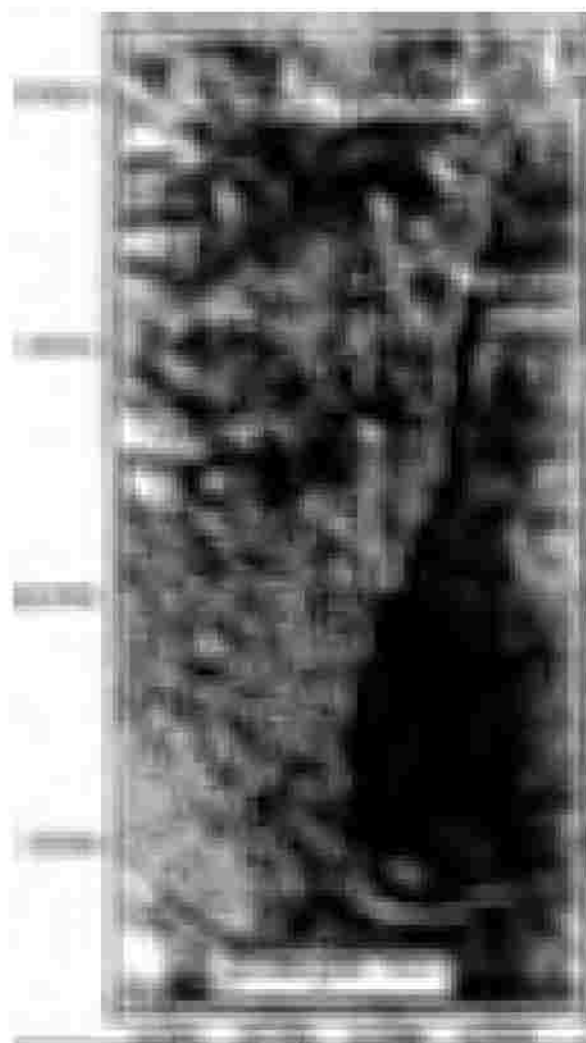
ومن خلال التحليل الطبوغرافى للخرائط مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ والمرئيات التضائعية TM باستخدام برنامج Autocad 14 ، و Arcass Image 8.3 تم الحصول على عدة خرائط لمنطقة البحث توضح الخصائص الجيولوجية والجيومورفولوجية لمنطقة احواض الاودية وهى خرائط التضاريس Relief ، والاتحدرات Slopes ، واتجاه الانحدارات Aspects ،

والبنية Structure وخطوط تقسيم المياه Water divide واحواض التصريف Drainage وعمل قطع Subset لرسم خريطة لوادى وتير .

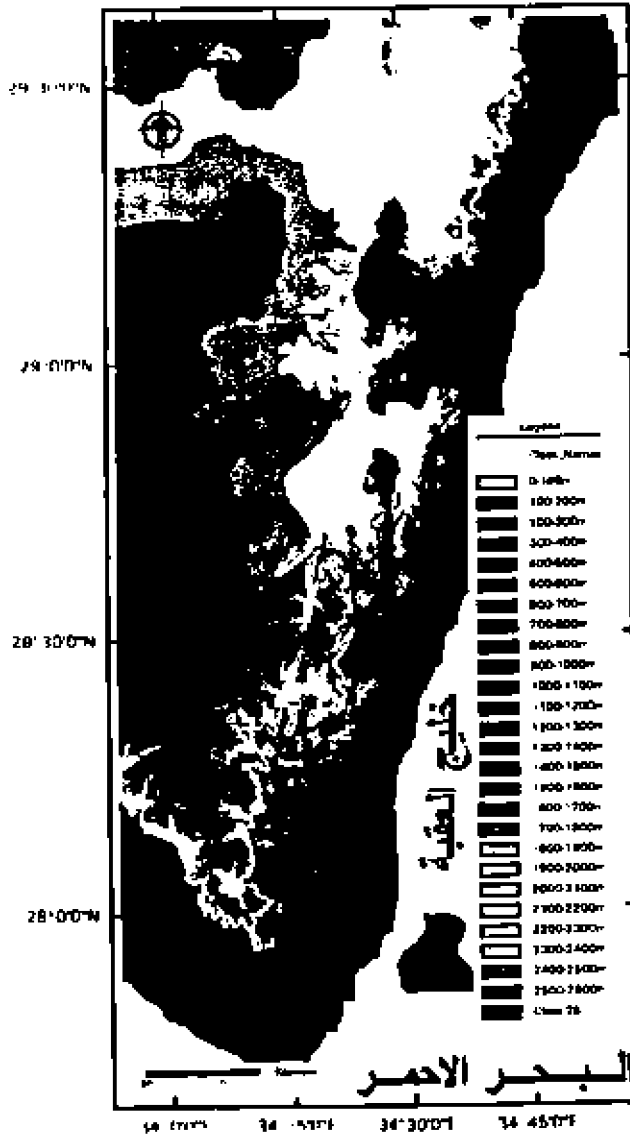
ويوضح شكل (٢) تضرس المنطقة ، حيث تظهر الاختلافات الجيولوجية فى التكوينات الصخرية الصلبة القديمة النارية ، والمتحولة ، والرسوبية ، عبارة عن سلاسل وحافات انكسارية صخرية مستقيمة وقمم جبلية تنظمها الانكسارات والفواصل ، والتى تعد مناطق ضعف جيولوجية تتبعها المجارى المائية . وتتمثل فى التكوينات الجبلية جنوب سيناء وعلى طول امتداد ساحل خليج العقبة خاصة فى احواض ذهب ، وكبد ، وام عدوى .

اما التكوينات الرسوبية الحديثة والقديمة متأثرة بعمليات التجوية والتشكيل الخارجية وتظهر مموجة او شبه مستوية او تغطى الحالات الصخرية والواجهات الانكسارية على طول امتداد رأس البحر الاحمر وفى حوض وادى وتير .

اما شكل (٣) فيوضح الارتفاعات فى منطقة جنوب شرق سيناء ، وتتراوح ما بين المنخفضة ١٤٢ مترا لحوض رقم ٤٢ عند رأس البحر الاحمر و١٦١٨ مترا لحوض وادى كبد وبلغ متوسط ارتفاع الاحواض ٦٣٥ مترا . وان الاحواض الكبيرة المساحة اكثرها ارتفاعا وهى كبد ، وذهب ووتير ، وام عدوى . وبلغ اعلى



شكل (ج) مجسم التضاريس



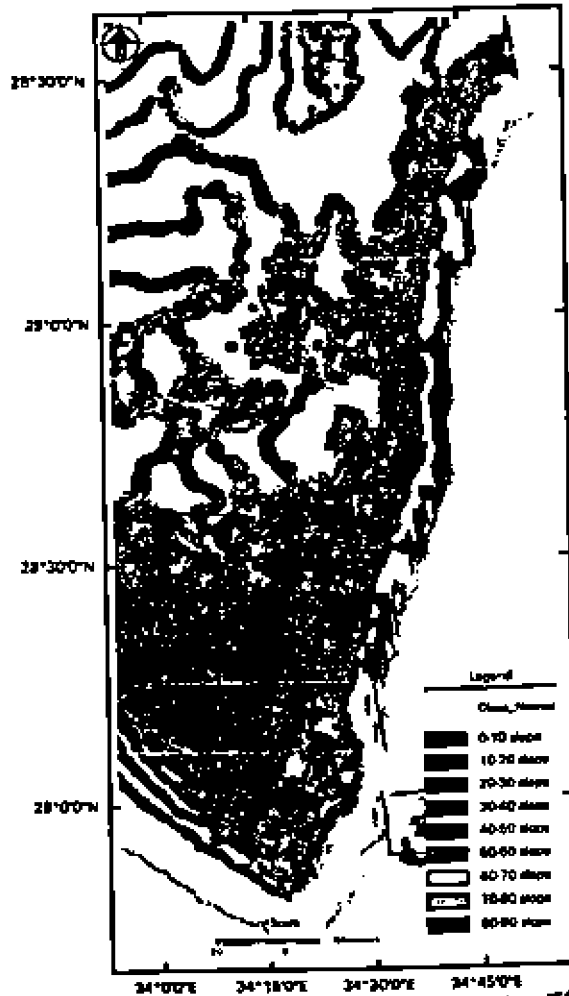
شكل ٣: الارتفاعات لمنازل ميناء الشرف

ارتفاع بها ١٦١٨ ، و ١٣٥٥ ، و ١٢٩٩ ، و ١٠٧٠ مترا على الترتيب . وإن الأحواض صغيرة المساحة مثل اودية المراح ، ومقبلا ، والمحاشى الاعلى ، وام مفرة ، وكصيب ، والمحاشى الاسفل ، والمالحه الرويان ، والبذن ، وقنارى ، وشجيرات ، والمويلحه ، وام زريق ، وحبیق ، ورصاصه ، وعمران ذات ارتفاعات عالية مقارنة بمساحتها وطول اوديتها . وربما يكون ذلك نفسرا لحدائث الحركات التكتونية التى اصابته المنطقة وصاحبت تكون خليج العقبة . وإن خط تقسيم المياه لأحواض الصرف لشبه جزيرة سيناء الشرقية يتمشى مع السلسلة النقلية لجبال سيناء الجنوبية . ويكاد يشطرها تقريبا فى خط شبه مستقيم . وأقل الأحواض ارتفاعا هى التى تقع فى الجنوب عند رأس البحر الاحمر .

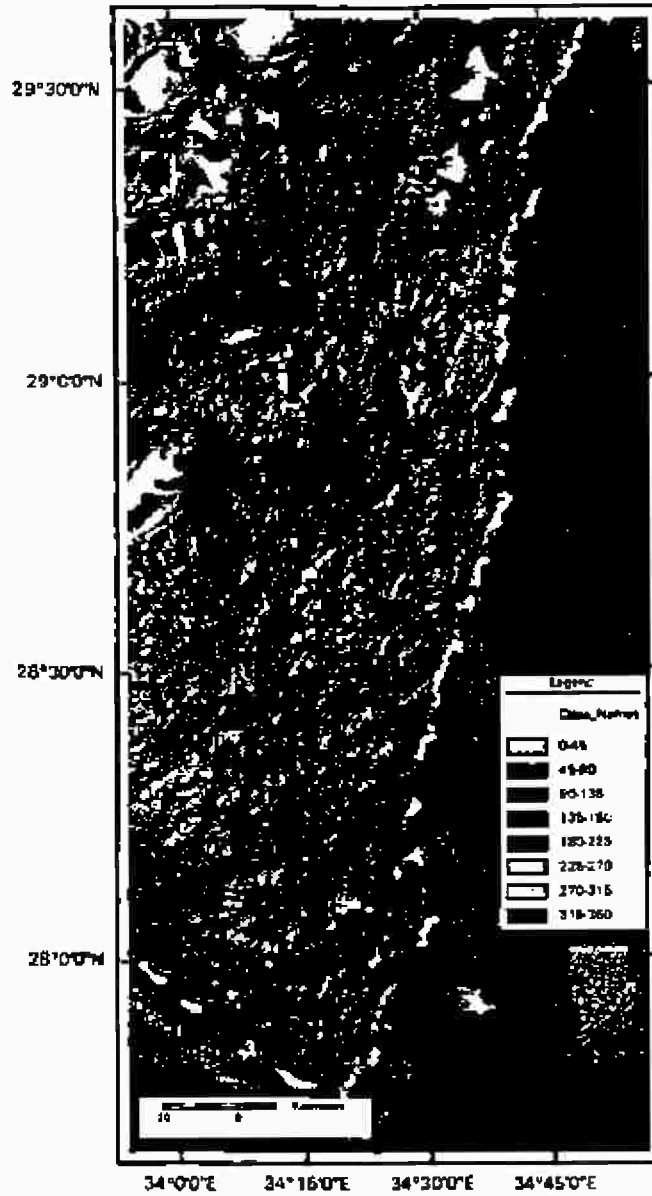
ويوضح كل من الشكلين (٤-٥) درجات الانحدارات واتجاهاتها فى المنطقة ومن خلالها ، يتضح ان درجات الانحدار السائدة فيما بين ٢٠-٤٠ درجة فى القطاع الشمالى والارسط من المنطقة فى حوض وئير ويرجع ذلك لسيادة الصخور الرسوبية ، وفى ذات الوقت تعد دليلا على زيادة عمليات التجوية وزيادة رتب للمجارى المائية من الدرجة الاولى . وتسود درجات الانحدار اكثر من ٤٠ درجة فى النطاق الاوسط والجنوبى والسلاسل الجبلية الساحلية

نظرا لسيادة الصخور الجرانيتية الصلبة كما فى احواض اودية ذهب ، وكيد ، وام عدوى ، والاودية الساحلية لخليج العقبة . وسيادة درجات الانحدار المرتفعة بعد دليلا على سيادة الصخور الصلبة وحدائث الحركات التكتونية وزيادة نشاط العمليات الجيومورفولوجية .

اما اتجاه الانحدارات فيتنق مع امتداد السلاسل الجبلية الاتكسارية والتى تشرف على ساحل خليج العقبة وتقطعها الاودية المنصرلة جهة الشرق وسيادة اتجاه الانحدارات الشرقى صفر ١٨٠ ° يتنق مع اتجاه التصريف المائى . ويلي الاتجاه السابق الشمال الغربى ٢٧٠ - ٣١٥ ° وهو الجانب المظاهر للحافات الصخرية



شكل ١: الخطات الانحدارات لساحل سيناء الشرقي



شكل (٥) اتجاه الانحدار لسلطان سيناء الشرقي

الانكسارية والذي يجرى عليه رتب الاحواض من الدرجة الاولى . ويسود ايضا فى المناطق الجنوبية الصخرية الجرانيتية الصلبة وسط وجنوب سيناء . وتبعهما اتجاه ثاوى ثالث فهما بين ٣١٥-٣٦٠ ويسود فى مناطق الصخور الرسوبية عند حوض وادى وبئر .

جيولوجية المنطقة :

بعد الاستشعار من بعد تقنية حديثة لتقديم بيانات لرسم خرائط البنية والتكوينات السطحية والخرائط الجيومورفولوجية وقد تم تحليل ودراسة مرئيات Landsat TM مقاييس 1 : 100,000 لمنطقة جنوب شرق سيناء شكل (١) ومنها امكن معرفة التكوينات السطحية السائدة فى المنطقة والتي يرجع اقدمها الى ما قبل الكمبرى وحدثها الى الزمن الرابع . وتم رسم خريطة شكل (٦) والنتيجة عن تفسير المرئيات الفضائية ، توضح بنية المنطقة والتي تنتمى الى نظامين : الاول : نظام التليمى غالب يتبع البحر الاحمر ويرجع الى حركة الصفحة العربية التي ادت الى تشكيل البحر الاحمر والنطاق الانزاحى Rift zone والتي ترجع عمرها الى ما قبل الكمبرى (شكل ٧) .

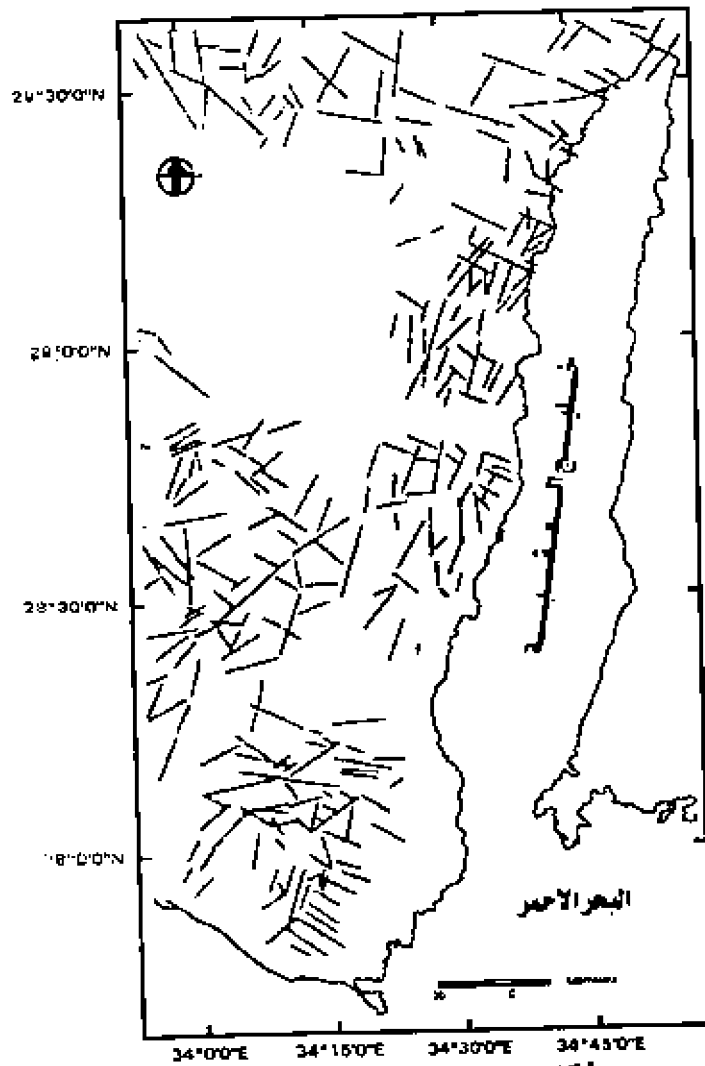
والثانى : احدث يتبع خليج العقبة اتجاها وعمرها (Hottinger, 1984,p21) (شكل ٨) .

وان الحركات التكتونية تأثرت بنوعين من القوى : قوة متكافئة واخرى غير متكافئة سببنا تكسرا وتوصلا يتبعهما خطوط الصرف فى المنطقة . وقد بلغ عدد الانكسارات ٢٩٢ انكسارا ومتوسط طولها ٥ كيلو مترات واتجاهاتها كالآتى :

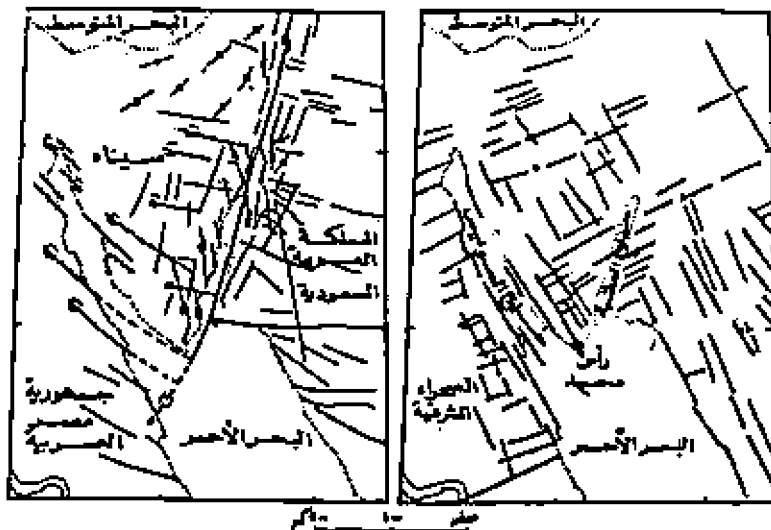
- شمال شرق عددها ١٢٥ انكسارا ونسبتها ٤٢ ٪

- شمال غرب عددها ١٠٦ انكسارا ونسبتها ٣٦ ٪

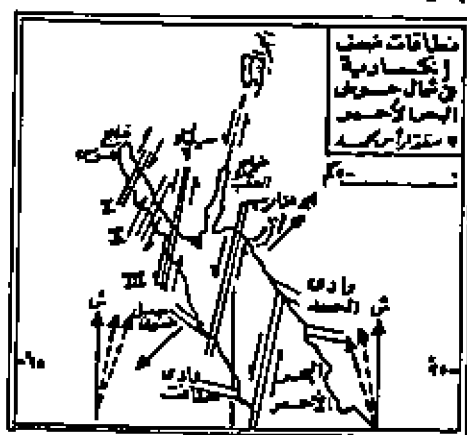
- شمال جنوب عددها ٣٥ انكسارا ونسبتها ١١ ٪



شكل (٦) الانكسار - شرق سيناء



بينة منطقة شمال البحر الأحمر



ص ۱۰۰: ۱۹۶۱ء تا ۱۹۶۲ء

شكل (٧)

- شرق غرب عددها ٢٦ انكسارا ونسبتها ٨٩٪

واوضح ما تكون الانكسارات فى الصخور النارية ثم الرسوبية ، واخيرا البركانية . وان اغلب الرتب الوادية تتبع خطوط الانكسارات .

اما التكوينات السطحية تتمثل فى :-

اولا : الصخور النارية . ثانيا :- الصخور المتحولة والبركانية .

ثالثا : الصخور الرسوبية .

اولا : الصخور النارية :-

١- الجرانيتية

أ- مجموعة الصخور القلوية من الجرانيت القلوى الخشن الى متوسط الحبيبات قد يحتوى على ريكيت (الخريطة الجيولوجية مقياس ١ : ٢٥٠.٠٠٠ ، ١٩٩٤) (شكل ٩) .

ب- الجرانيت الحديث البيوتيتى ، والجرانيت الخشن والدقيق الحبيبات .

ج- الجرانيت القديم المجوى بشدة خشن ومتوسط الحبيبات .

٢- صخور الجابرو الحديث . وهى عبارة عن كتل صغيرة تقطعها الصخور الجرانيتية الحديثة وتتكون من معادن البلاجيوكلاز ، والهورنبلند ، والبيوتيت ، والاولفين .

ثانيا : الصخور المتحولة والبركانية :

أ- النيس : يتمثل فى نيس الهورنبلند - بيوتيت الشريطى . والنيس الجرانيتى ، والجرانوديوريت ، والبورفيروبلاستى وميولنيتى وفى بعض الاجزاء متطبق مع امفيوليت ميجما تيتى وقواطع مناباسيت والنيس والمجماتيت .



ب- الرسوبيات المتحولة وتشمل الشبث بكل انواعه المختلفة خاصة : الشبث البركاني ، شبث هورنبلند - بيوتيت ، وميتالنيوريت خشن الى متوسط الحبيبات متأثرا بعمليات التجوية .

ج- الصخور البركانية عبارة عن : شبث بركاني ، شبث هورنبلند - بيوتيت ، وميتالنيوريت خشن الى متوسط الحبيبات متأثرا بعمليات التجوية . بالإضافة الى المتداخلات النارية الحامضية والقاعدية والمتوسطة .

ثالثا : الصخور الرسوبية :

أ- تكوينات الكمبرى عبارة عن حجر رملي في هيئة راقات متعددة الالوان ، وبه راقات من الصلصال الرملي ، وراقات حديدية ، وبه وقعه لآثار حفريات من اصناف سكوليتى وكروسيان .

ب- تكوينات الكريتاسى من الحجر الرملي ، وبه طبقات من الغرين الرملي وحجر من الصلصال مع انتشار جيوب الكاولين والكتجولومرات . وتكوينات مارلية وصلصالية لونيهما اصفر مائل للخضرة بهما طبقات غنية بحفريات الاوستير والجزء العلوى يتكون من الحجر الجيري .

ج- الصخور الرسوبية الثلاثية والرباعية من التكوينات الرملية والحجر الرملي والحجر الجيري والكتجولومرات .

وتنتشر الصخور النارية والمتحولة والبركانية فى النطاق الجبلى الداخلى بصفة غالبية والنطاق السهلى الساحلى فى وسط المنطقة وتوزيعها على المناطق على النحو التالى :-

١- منطقة طابا - نوبيع وتشمل :-

أ- الصخور المتحولة . ب- الصخور المتداخلة والبركانية القديمة .

ج- صخور الجابرو الحديث . د- صخور الجرانيت الحديث .

هـ - المتداخلات النارية . و- الرسوبيات الحديثة .

٢- المنطقة ما بين نربيع - ذهب وتبلغ مساحتها ٤٢٠ كيلو مترا مربعا يغطي الجرانيت منها ٣٤٠ كيلو مترا مربعا ويتكون من القديم والحديث والقلوى ، بالإضافة الى القواطع التى تكونت خلال النواصل فى صخور ما قبل الكمبرى والرواسب الحديثة .

٣- منطقة ذهب وتشمل الصخور المتحولة من النيس والمجماتيت ، والرسوبيات المتحولة وتشمل الشست بانواعه المختلفة ، والجرانيت القديم والحديث ، والقواطع خلال الاتكسارات والنواصل والرسوبيات الحديثة .

٤- منطقة ام عدوى ويتمثل بها البركانيات المتحولة والجرانيت القديم والحديث ، والجند الحامضية والقاعدية والمتوسطة ، بالإضافة الى الرواسب الحديثة .

٥- منطقة رأس البحر الاحمر وتتكون من صخور جرانيتية قديمة وحديثة ، جرانيت مجوى وصخور بركانية وصخور رسوبية (بدوى ، ١٩٩٣ ، ص ص ٩٦-٥٣) .

وان هذه الاختلافات الجيولوجية فى التنية والتكوينات السطحية واعمار الصخور التى تتراوح بين ما قبل الكمبرى والحديث ، والتنوع الصخرى ما بين جرانيت قديم وحديث ومجوى بشدة ، وصخور متحولة وبركانية والرسوبية القديمة والحديثة . ترتب عليه اختلاف الخصائص الجيومورفولوجية وبالتالي اختلاف المتغيرات المورفومترية لاحراض التصريف كما يظهر من خلال تحليل المتغيرات المرتبة بشبكة المجارى المائية فى منطقة جنوب شرق سيناء .

دراسة كمية لاهواض التصريف وخصائصها : Drainage basins Morphometry

يوضح جدول (١) التحليل المورفومتري لاهواض التصريف وخصائصها وقد تم دراسة عدد ٢٤ حوضا وذلك لتقييم المتغيرات المورفومترية بطريقة كمية للاحواض . ومعرفة اهم المؤشرات المورفومترية التى تعطى مدلولات جيومورفولوجية لديناميكية التعرية فى مناطق احواض المجارى المائية بجنوب شرق سيناء شكل (١٠) . وقد بلغت اعداد مجارى الاربعة ١٨٠٣١ مجرى طبعا لتصنيف سترايبلر (Strahler, 1952,p,456,1954,p486) شكل (١١) وعدد مجارى الرتبة الاولى ١٦٤٨٦ ، والثانية ٩٠٨ ، والثالثة ٣٩٧ ، والرابعة ١٦٤ ، والخامسة ٤٧ ، والسادسة ٢٩ مجرى اما الرتبة السابعة فى واديين ونيرو ودهب ، والثامنة فى وادى ونيرو فقط . ولان اعداد المجارى تقل وتتاسب عكسيا مع زيادة الرتبة كما اقترحها Horton (1945,pp,293-294) . وانه يمكن القول ان الزيادة فى اعداد مجارى الرتب الاولى دليل على عمليات التشكيل النشطة وكثافة التفصل فى الصخور الجرانيتية .

ويتأثر الترتيب الهرمى بعدد مجارى الرتبة الاولى التى تصب مباشرة فى مجارى الرتب المختلفة الاعلى فى الترتيب . ايضا الزيادة العددية فى مجارى الرتبة الاولى بالتكوينات الرسوبية بوادى ونيرو يؤدى الى زيادة نسبة التشعب بين مجارى الرتبين الاولى والثانية .

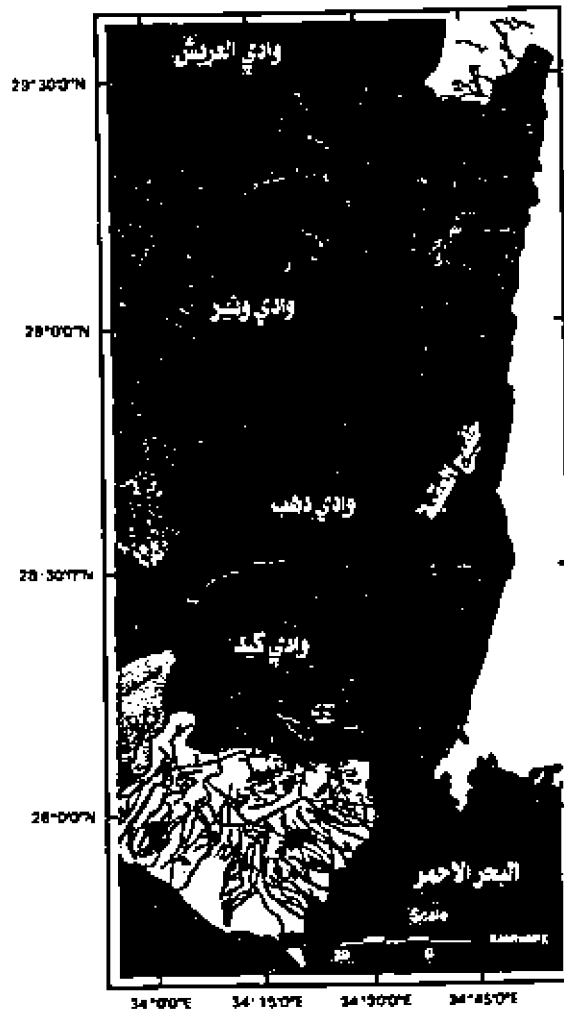
وتجبر تكرارية المجارى عن العلاقة العكسية بين عدد المجارى ومساحة الحوض (Schumm,1956,pp 606-612) وهى تدل على درجة تخذد الحوض بواسطة التعرية المائية ويترتب على ذلك زيادة اطوالها ومن ثم ارتفاع كثافة التصريف .

جدول (١) بوضح التحليل المورفومتري لبحاوض جنوب شرق سيناء

bomb	max.elev	min.elev	elev.diff	area km2	perimeter km	u1	u2	u3	u4	u5	u6
12	1299	0	1299	3716	359	1101	569	226	114	39	27
13	757	0	757	62.05	33.5	8	4	2	-	-	-
15	903	0	903	33.22	29.4	7	4	-	-	-	-
16	851	0	851	44.57	28.8	10	8	1	-	-	-
17	823	0	823	23.94	26.3	9	5	3	-	-	-
18	866	0	866	34.33	35.1	2	1	-	-	-	-
19	600	0	600	20.29	20.6	9	5	2	-	-	-
20	845	0	845	76.42	40.1	7	6	-	-	-	-
23	841	0	841	103.42	50.1	-	-	-	-	-	-
26	800	0	800	167.11	69.3	14	6	4	-	-	-
29	800	0	800	109.47	50	8	3	5	-	-	-
30	600	0	600	52.37	32.3	1	-	-	-	-	-
31	600	0	600	77.81	38.9	2	1	-	-	-	-
32	393	0	393	39.42	25.8	5	3	1	-	-	-
35	200	0	200	62.31	35	24	12	2	-	-	-
36	1618	0	1618	1416.40	197.8	101	52	36	10	3	-
38	800	0	800	448.94	106	110	49	39	11	-	-
39	224	0	224	109.19	57.4	10	5	1	-	-	-
40	144	0	144	33.13	28.5	5	2	-	-	-	-
41	1070	0	1070	451.32	128.6	19	12	-	-	-	-
42	142	0	142	45	30.9	6	1	-	-	-	-
43	500	0	500	182.05	67.8	31	23	19	-	-	-
44	292	0	292	99.03	48.9	9	5	1	-	-	-
46	1355	0	1355	2244.32	255.9	266	132	54	49	11	7



شكل (١٠) أحواض التصريف لساحل سيناء الشرقي



شكل ١١، أحواض الأودية لشرق سيناء

وقد بلغت مساحة أحواض الأودية المدروسة ٩٦٩٠ كيلو مترا مربعا ،
وهي أحواض صغيرة المساحة ما عدا أحواض وتير ، ودهب ، وكيد ، وبلغت
مساحتها ٣٧١٥ ر٤ ، ٢٢٤٤ ر٤ ، ١٤١٦ كيلو مترا مربعا على الترتيب . وقد
بلغ مجموع أطوال المجارى لوادى وتير ٨١١٢ كم من الخريطة الطبوغرافية ،
و ٩٢٨٧ كم من المرئيات الفضائية ، وإن زيادة أطوالها تدل على زيادة العمليات
الجيومورفولوجية وشدة التغيرات المناخية وإن الزيادة فى أطوال المجارى لا ترتبط
بالضرورة بالزيادة فى أعدادها .

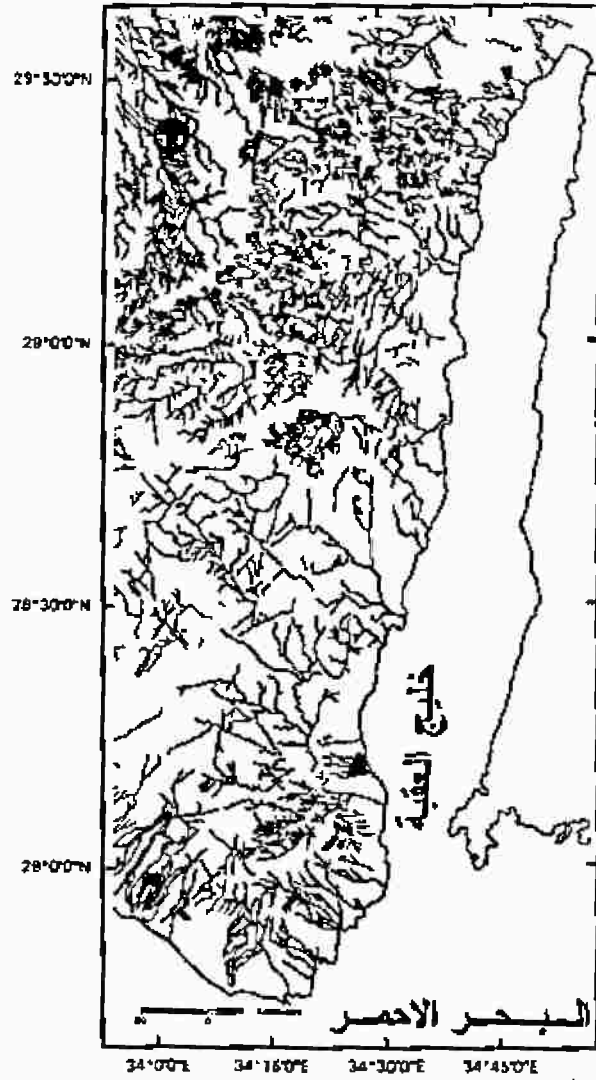
وتعتبر كثافة التصريف عن العلاقة النسبية بين مجموع اطوال المجارى المائية بالحوض ومساحته (Horton, 1945, p 293) وهى تتناسب عكسيا مع زيادة المساحة خاصة فى الاحواض الثانوية . وهى منخفضة تتفق مع تصنيف Strahler (1964, p 52) .

اما مؤشر تكرارية المجارى ، فيعبر عن العلاقة النسبية بين : عدد المجارى ، ومساحة الحوض، وهى - كما يوضحها جدول (٢)-منخفضة النسبة (Schumm, 1956, pp, 606-612) وتدل على درجة تخذ الحوض بواسطة التعرية المائية ، ويترتب على ذلك زيادة اطوالها ومن ثم ارتفاع كثافة التصريف كما يوضحها شكل (١٢) .

وتعد نسبة التشعب Bifurcation ratio ناتج التمه لاعداد المجارى فى اى رتبة على عددها فى الرتبة التالية (Horton, 1945, p.280) وتتفاوت نسب التشعب فى احواض الاودية ويرجع السبب فى ذلك الى الاختلافات الجيولوجية والمناخية .

جدول (٧) يوضح نتائج التحليل المورفومتري باحواض جنوب شرق سيناء

رقم الحوض	مساحة الحوض	طول الحوض	تكرار الحدود	الارتفاع م/كم	شكل الحدود	نسبة التضيق	الاستدارة	الاستطالة	نسبة التضيق	نسبة الحدود
١٢	٢٠٦٥	٨٠	١٦	١٩٢٣	٨	١٦٩٤	١٦	١٦	١٦	١٦
١٣	١١	١٠	٢٢	٢٥	١٢	٢٥	٢٥	٢٢	٢٢	٢٢
١٤	١١	١٠	٢٢	٩٠	٢٢	٩٠	١٤	٢٥	٢٥	٢٥
١٥	١٦	٩	١٦	٩١	٤	٩١	١٧	٢٨	٢٨	٢٨
١٦	١٦	١٠	٢٢	٨٢	٢٢	٨٢	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢
١٨	٢	٩	١٦	١١١	١	١٤٤	٢٥	١٦	١٦	١٦
١٩	١٦	١١	٢٢	٥٤	١٧	٥٤	٩	١٦	١٦	١٦
٢٠	١٣	١٢	١٧	١٥	١٥	١٥	٨	١٦	١٦	١٦
٢٣	-	١٥	-	٥٦	-	٥٦	٢	١٦	١٦	١٦
٢٦	٢٤	٢٠	٢٢	٤٠	١٧	٤٠	٩	٢٢	٢٢	٢٢
٢٩	١٦	١٠	١٥	٨٠	١٦	٨٠	٥	١٨	١٨	١٨
٣٠	١	١٠	٢٢	٢٠	١٢	٢٠	١٦	١٦	١٦	١٦
٣١	٢	١١	٢٢	٥٤	٢٢	٥٤	١٦	١٦	١٦	١٦
٣٢	٩	٨	٢٢	٤٩	١١	٤٩	١٦	٢٢	٢٢	٢٢
٣٥	٣٨	١٥	٢١	١٣	٢٨	١٣	١١	٢٢	٢٢	٢٢
٣٦	٢٠٦	٥٠	١٦	٢٢	٢٢	٢٢	٢٥	٢٢	٢٢	٢٢
٣٨	٢٠٨	٢٥	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢
٣٩	١٦	٢٠	١٥	١١	٢٢	١١	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢
٤٠	٧	١١	٢١	١٢	٢٢	١٢	١٦	٢٢	٢٢	٢٢
٤١	٢١	١١	٢١	٩٧	٢٢	٩٧	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢
٤٢	٧	١٠	١٦	١٤	٢٢	١٤	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢
٤٦	٥١٩	٦٥	٢٢	٢٠	٢٢	٢٠	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢



شكل (١٢) الاودية لساحل سيناء الشرقي

وزيادة نسب التشعب في بعض الاحواض يرجع الى التعرية المائية التي تحول بعض مجار من التربة الاولى الى مجار من الرتبة الثانية فتزداد نسبة التشعب بين الرتبتين .

وتعد نسبة التضرس مرتفعة بالنسبة لاطوال الاحواض ، وزيادتها دليل على زيادة العمليات الجيومورفولوجية وشدة التغيرات المناخية وهي عبارة عن الفرق بين اعلى وادنى نقطة في الحوض مقسوما على طول الحوض بالمتر ، وبحسب تصنيف Smoth (1950, pp.655-668) فهي متوسطة ومرتفعة .

وحتى يمكن معرفة اهمية المرنياث الفضائية TM واستخدامها في الدراسات الجيومورفولوجية ، ثم دراسة حوض وادى وتير من المرنياث الفضائية والخرائط الطبوغرافية ١ : ٥٠,٠٠٠ لمعرفة درجة الاختلافات في المتغيرات المورفومترية في الحوض كما توضحها اشكال (١٣، ١٤، ١٥) وجدول (٣) ، حيث يظهر الفرق واضحا بين القياسات وحتى يمكن معرفة درجة الاختلاف في نتائج القياسات تم معرفة النسب بينهما وذلك عن طريق قسمة متغيرات الخريطة على المرنياث والتأكد من ذلك بدراسة حوض وادى ام عدوى من دراسة المرنياث وقياس المتغيرات منها والاعتماد على دراسة (علام ، ١٩٩٢ ، ص ١٠٢) المعتمدة على قياسات غير المرنياث ، ويظهر الفرق واضحا في جدول (٤) . وايضا في النسب ، حيث ان النسبة التي تساوى واحدا او قريبة منه فيكون الاختلاف بسيطا اما اذا كانت غير ذلك فالاختلاف يكون كبيرا . جدول (٥) وشكل (١٦) .

وقد اتضح ان هناك فروقات رئيسة في نتائج المتغيرات المورفومترية فيما بين قياسات الخرائط الطبوغرافية والمرنياث الفضائية ، خاصة مجارى الرتب الاولى . مما يجعل الاعتماد على نتائج قياس المرنياث ذات ثقة في الدراسة المورفومترية لاهواض الودبة .

وانتبتت الدراسة ان اهم المؤشرات المورفومترية التى تعطى مدلولات جيومورفولوجية لديناميكية التعرية فى مناطق الاحواض المائية تتمثل فى كثافة التصريف ، وتمبة الشعب ، وتكرارية المجارى . وان الترتيب الهرمى تصنيف كمى ذو دلالات مورفولوجية لديناميكية التعرية المائية ، ويتلخز الترتيب الهرمى بعدد مجارى الرتبة الاولى التى تصب مباشرة فى مجارى الرتب المختلفة الاعلى ملها فى الترتيب .



شكل (١٣) وادي العريش من مرتبة فضائية ١:١٠٠,٠٠٠



شكل (١٤) وادي العريش من المرتبة المقياس ١:١٠٠,٠٠٠





شكل (١٥) ، وادي وجر من الخرائط الطوبوغرافية مقولس ١ : ٥٠٠٠٠ هـ

جدول (٣) بوضح نتائج التحليل المورفومتري لحوض وتير

المتغيرات	الخريطة الطبوغرافية	المريئة الفضائية	النسبة بينهما
المرتبة الاولى	٨٣٢	١١٠١	٧٦ر -
المرتبة الثانية	٤١٣	٥٦٩	٧٢ر -
المرتبة الثالثة	١٦٥	٢٢٦	٧٣ر -
المرتبة الرابعة	٨٦	١١٤	٧٥ر -
المرتبة الخامسة	٢٤	٣٣	٧٣ر -
المرتبة السادسة	١٦	٢٢	٧٣ر -
مساحة الحوض	٣٥٧٨	٣٧١٥	٩٦ر -
محيط الحوض	٢٨٤	٣٥٩	٧٩ر
مجموع أطوال المجارى	٨١١٢	٩٢٨٧ م	٨٧ر -
كثافة التصريف	٢ر٢	٢ م	٨٨ر -
تكرار المجارى	٢٢٣ر -	٢٥٦ م -	٧٦ر -
نسبة للتشعب	٢ر٢٨	٢ر٣	٩٩ر -
نسبة للتطعم	٥ر٤	٥ر٧٥	٩٣ر -

جدول (٤) بوضوح التحليل المورفومتري لحوض ام عدوى

المتغيرات	طوبوغرافية	مرتبة	النسبة بينهما
مساحة الحوض	٣٨٦ر١٥	٤٤٦ر٩	٨٦ر-
محيط الحوض	١١٣ر٦	١٠٥ر٩	١٠٧ر
اعداد المجارى	٩٧٥١	٢٠٨	٤٦ر٨٧
كثافة التصريف	٨ر٣	٣ر٢	٢ر٦
عامل الشكل	٢٨٤ر	٣٦ر--	٨٧ر-
الاستطالة	٦٠٢ر	١٨ر-	٨٨ر-
الاستدارة	٣٧٦ر	٥ر-	٧٥ر-
نسبة التقطع	٨٥ر٨	١٩٨ر	٤٣ر-
نسبة الشعب	٣ر٩	٢٣٣ر	١٦٧ر

مركز التعليم المستمر للجامعة
العلوم والدراسات الإنسانية

م. ١	رقعة القمار	م. ٢	م. ٣	م. ٤	م. ٥	م. ٦	م. ٧	م. ٨	م. ٩	م. ١٠	م. ١١	م. ١٢	م. ١٣	م. ١٤	م. ١٥	م. ١٦	م. ١٧	م. ١٨	م. ١٩	م. ٢٠	م. ٢١	م. ٢٢	م. ٢٣	م. ٢٤	م. ٢٥	م. ٢٦	م. ٢٧	م. ٢٨	م. ٢٩	م. ٣٠	م. ٣١	م. ٣٢	م. ٣٣	م. ٣٤	م. ٣٥	م. ٣٦	م. ٣٧	م. ٣٨	م. ٣٩	م. ٤٠	م. ٤١	م. ٤٢	م. ٤٣	م. ٤٤	م. ٤٥	م. ٤٦	م. ٤٧	م. ٤٨	م. ٤٩	م. ٥٠	م. ٥١	م. ٥٢	م. ٥٣	م. ٥٤	م. ٥٥	م. ٥٦	م. ٥٧	م. ٥٨	م. ٥٩	م. ٦٠	م. ٦١	م. ٦٢	م. ٦٣	م. ٦٤	م. ٦٥	م. ٦٦	م. ٦٧	م. ٦٨	م. ٦٩	م. ٧٠	م. ٧١	م. ٧٢	م. ٧٣	م. ٧٤	م. ٧٥	م. ٧٦	م. ٧٧	م. ٧٨	م. ٧٩	م. ٨٠	م. ٨١	م. ٨٢	م. ٨٣	م. ٨٤	م. ٨٥	م. ٨٦	م. ٨٧	م. ٨٨	م. ٨٩	م. ٩٠	م. ٩١	م. ٩٢	م. ٩٣	م. ٩٤	م. ٩٥	م. ٩٦	م. ٩٧	م. ٩٨	م. ٩٩	م. ١٠٠
١	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٣٩	٤٠	٤١	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩	٥٠	٥١	٥٢	٥٣	٥٤	٥٥	٥٦	٥٧	٥٨	٥٩	٦٠	٦١	٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩	٨٠	٨١	٨٢	٨٣	٨٤	٨٥	٨٦	٨٧	٨٨	٨٩	٩٠	٩١	٩٢	٩٣	٩٤	٩٥	٩٦	٩٧	٩٨	٩٩	١٠٠

الخلاصة :

أوضحت الدراسة ان المرئيات الفضائية لها أهمية فى الحصول على معلومات جيومورفولوجية حديثة غير مسجلة على الخرائط واستخدامها فى برامج نظم المعلومات الجغرافية ودراسة الارتفاعات وعمل نموذج ارتفاعات رقمى ، والاتحدارات واتجاهاتها ، والتراكيب الجيولوجية ، والدراسة المورفومترية لآحواض التصريف ، ودراسة الترتيب الهرمى للشبكة المائية بطرق كمية تسمح بالمقارنة الرقمية بينها وبين الخرائط الطبوغرافية . واستخدامها فى التحليل والمعالجة الرقمية باستخدام برامج نظم المعلومات الجغرافية .

ولقد اظهرت الدراسة ان هناك علاقة بين كثافة التصريف ومساحته وهذه العلاقة عكسية وان تطور الشبكة الهيدرولوجية يخضع لنوعين مختلفين من ديناميكية التعرية هما :

الزيادة الحدية فى مجارى الرتبة الاولى بالتكوينات الرسوبية مما يودى الى زيادة نسبة التشعب بين مجارى الرتبتين الاولى والثانية . والزيادة فى اطوال المجارى للرتبة الاولى بالتكوينات الرسوبية الثلاثية والرباعية . علما بان هذه الزيادة لا تؤثر فى نمية التشعب بين مجارى الرتبتين الاولى والثانية .

واتضح ان لارتفاع نسبة التشعب يودى الى ارتفاع تكرارية المجارى . وان هناك علاقة وارتباط واضح وقوى بين اطوال المجارى ومساحة التصريف . واخيرا فان المرئيات TM ونظم المعلومات الجغرافية تعد مصدرا هاما للمعلومات والدراسة الجيومورفولوجية بخاصة والجغرافيا بعامة .

المصادر والمراجع العربية :-

- الأكاديمية البحث العلمي ، (السنوت متعددة) مركز الاستشعار من الابعاد ، مراثيات فضائية TM , Landsat MSS مقاييس مختلفة . القاهرة .
- الاستشعار عن بعد ، (١٩٨٩) . الهيئة العامة للاستشعار عن بعد بالقطر العربي السوري ، الحد الخامس ، تشرين الثاني ، دمشق .
- _____ ، (١٩٩١) الهيئة العامة للاستشعار عن بعد بالقطر العربي السوري العدد الخامس ، تشرين الثاني ، دمشق .
- العلوم والتقنية ، (١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م) مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية السنة السابعة العدد ٢٥ ، الرياض .
- المساحة العسكرية ، (السنوت متعددة) خرائط طبوغرافية مقاييس ١ : ٥٠.٠٠٠ ، ١ : ١٠٠.٠٠٠ ، القاهرة .
- قسم الجغرافيا بالاسكندرية ، (١٩٩٥) الاتجاهات الحديثة في علم الجغرافيا - الندوة الثالثة . اسكندرية .

المراجع العربية :

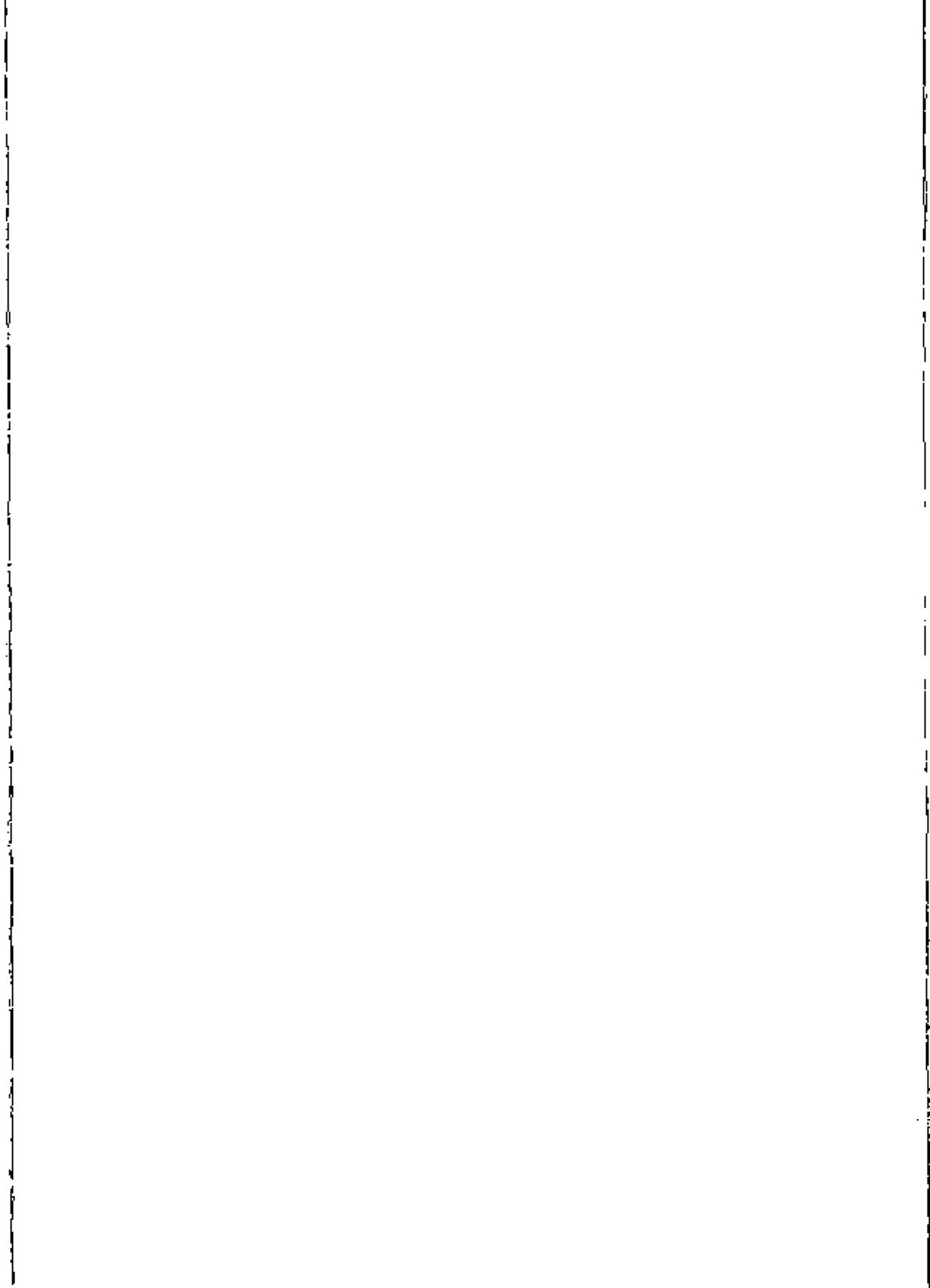
- ابراهيم بدوى ، (١٩٩٢) منطقة رأس محمد فهما بين وادى العاط للشرقى والغربى دراسة جيومورفولوجية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، قسم الجغرافيا ، جامعة الاسكندرية .
 - ابراهيم بدوى (١٩٩٨/٩٧) جيومورفولوجية جبل قاتليات باستخدام الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية . مجلة كلية الآداب - جامعة الاسكندرية .
 - احمد محمد السحاب ، (١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م) نظم المعلومات الجغرافية ، خصائصها وبعض استخداماتها. البلديات، ٦ (٢١) من ص ٣٠-٣٥ - وزارة الشؤون البلدية - الرياض .
 - جوده التركمانى ، (١٩٨٧) ، اقليم ساحل خليج العقبة فى مصر - دراسة جيومورفولوجية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، قسم للجغرافيا ، كلية آداب القاهرة .
 - حسن رمضان سلامة ، (١٩٨٠) ، التحليل للجيومورفولوجى للخصائص المورفومترية للاحواض المائية فى الأردن ، مجلة دراسات رقم ٧ بالجامعة الأردنية ، ص ٩٧-١٢٢ .
 - خالد العنقرى ، (١٩٨٦) الاستشعار عن بعد وتطبيقه فى الدراسات المكثية . دار المريخ للنشر والتوزيع . الرياض .
 - _____ ، (١٩٩٠) تطبيق نظم المعلومات الجغرافية : " دراسة تحليلية " سلسلة رسائل جغرافية ، العدد ١٢٤ - الجمعية الجغرافية الكويتية - الكويت .
- ٣٢
- رمزي الزهرقى ، (١٤١٣ هـ / ١٩٩٢) نظم المعلومات الجغرافية ، مكوناتها وبعض استخداماتها ، سلسلة لبحوث الاجتماعية ، رقم ١٧ - جامعة أم القرى - مكة المكرمة .
 - رضى ابراهيم سلطان، (١٩٨٥)، نظم المعلومات واستخدام الحاسب-دار المريخ . الرياض .
 - صبحى المطوع (بنون) تطبيقات الجغرافية للاستشعار عن بعد ، دليل مرجع. سلسلة البحوث والترجمة ، العدد ١٢ - قسم الجغرافيا - الكويت .
 - طلى على البنا ، (بنون) الاستشعار عن بعد وتطبيقاته فى مجال الاستخدام الارضى - البحوث والترجمة ، العدد ٧ ، قسم الجغرافية - الكويت .
 - عبد رب النبى عبد الهادى ، (بنون) المدخل فى علم الاستشعار عن بعد - الدار العربية للنشر والتوزيع ، القاهرة .
 - عدنانه هلام ، (١٩٩٢) ، حوض وادى عدوى دراسة جيومورفولوجية ، رسالة دكتوراه غير منشورة - قسم الجغرافيا - جامعة الاسكندرية .

- محمد الخزاعي عزيز ، (١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م) نظم المعلومات الجغرافية - أساسيات وتطبيقات للجغرافيين - منشأة المعارف - اسكندرية .
- محمد عبد الجواد ، (١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م) نظم المعلومات الجغرافية : الجغرافيا العربية وعصر المعلومات - فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض .
- محمود محمد عاشور ، (١٩٨٣) ، التحليل المورلومتري لشبكات التصريف المائي ، مصادر البيئات وطرق القياس ، المجلة الجغرافية العربية ، العدد ١٥ ، المدة ١٥ ، القاهرة ص ص ١٠١ - ١٢٤ .

المراجع الأجنبية :-

- Antenucci, J., et al. (eds) Geographic Information Systeme : Guide to technology . V.N.Reinhold , New York.
- Archibald, p.D. (1987) GIS and Remote Sensing data integration . In : Geocarto International 3, pp 67-73.
- Colvocoresses, A.P., (1986) Image Mapping with the Thematic Mapper " Photogrammetric Engineering and R.S., 52, 1499-1505.
- Erdas Imagine, (1996) : Software for Geographic Imaging Solutions, ERDAS, Atlanta, U.S.A.
- ESRI, INC., (1998 A): Arc/view GIS for Windows, Ver.3.1, Redlands, California, U.S.A.
- _____ (1998 B) : Arc / view 3 D Analyst , ver . 1.0.Redlands California .
- _____ (1998 C) : Arc / view Spatial Analyst , Ver.1.0.Redlands , California, USA .
- Graw, M.C. (1987) : Remote Sensing , Quantitative Approach , Hill Interpretation Book Company , P 138 .
- Head, A (1987) , Corals and coral reefs of the red sea, In Red sea edited by A.J.Edwards & S.N. HEAD pp. 128-1510 pergamon Press, Oxford.
- Horton , R.E. (1945) , Erosional development of streams and their drainage basins , hydrological approach to quantitative morphology " , Geol. Soc. Amer., Bull . 56, pp.293-295.
- Hottinger, L. (1984), " The Gulf of Aqba " springer - verlag , New York .
- Huxhold , W., (1991) Antroduction Urban Geographic information systems., Oxford Univ.Press. New York .
- Jamaguir, D., Goodchild, M. and Whirnd, D. (1991): Geographical information Systems Principles and applications., London Longman, UK.
- Klemas, V., Bartlett, D. and Rogers (1975): Coastal Zone classification from satellite imagery. Photogrammetric Engineering and Remote Sensing, 41, No.3, P 499.
- Maguire, D. (1989) : Computers in Geography , London , Longman pp 111-131.
- Maguire , D. and Dangelmond , J. (1991) . The Functionality of GIS, In : Geographical Information Systems : Principles and Applications, Vol.1 : pp 319 -335 . London , Longman.

- Olson, L (1985) : An integrated Study of desertification . Application of Remote Sensing, GIS and Spatial models in semi- arid sudan . 170 pp., Lund (Sweden) : Lund Univ., department of geography , thesis P11D.
- Schumm, S. (1956) Evolution of drainage systems and slopes in bad lands at perth Amboy " N.J.G.Soc. Amer., Bull.67,p.106.
- Smith , G.: " Standards for grading texture of Erosional topography , Amer. Jour. Sci. Vol. 248,pp. 655-698.,(1950) .
- Strahler , A.N. (1952) . Hypsometric (area- altitude) analysis of erosional topography " Geol.Soc. Amer., Bull. 63, pp 1117-1142.
- _____ (1964) . " Quantitative geomorphology of drainage basins and channel networks " from " handbook of applied hydrology " V.D. Chow , ed. Mc Grow - Hill, N.Y., pp.39-76.
- Shepherd, L.(1991) : Information Integration and GIS In : Geographical information systems : vol.1 pp 337 - 360 , London , Longman.
- Sunar, F and MusaOGL u., N, (1998) : Coaver Merging Multisolution spotp and Landsat TM data the effects and advantages . in Remote Sensing, Vol.19,No.2 pp 219-224 .
- Thenkhai,P.S and Nolte,C. (1996) : Capabilities of Landsat -5 thematic Mapper data in Regional Mapping and characterization of in land vally Agroecosystems in West Africa " Inte- J of R.S.17,1505-38 .
- Welby, C.W., (1978) : Application of Landsat imagery to shoreline erosion photogrammetric engineering and Remote sensing , 44,No9,p.1173.



استخدام الاستشعار من البعد ونظم المعلومات الجغرافية في

للدراسة الكمية لأحواض تصريف جنوب شرق سيناء

د/ إبراهيم محمد علي بدوي

مدرس بجامعة المنصورة

ملخص البحث :

تم استخدام الراديات الفضائية TM ، والخرائط الطبوغرافية ونظم المعلومات الجغرافية لدراسة وفحص وصف التغيرات المورفومترية لأحواض تصريف حوض شرق سيناء كليا . وتلعب منطقة الدراسة في نطاق المناخ الصحراوي ، وتنوع التكوينات الجيولوجية السطحية بين حوض ما قبل الكامبري القارية ، والمتحولة ، والبركانية ، والصخور الرسوبية القارية . وترجع بنيتها إلى نظامين . قدم يلعب البحر الأحمر وتحدث مع خليج الحقة .

ووضحت الدراسة أن أهم المؤشرات المورفومترية التي تعطي معلومات جيومورفولوجية للجوامية النهرية ، كثافة التصريف ، ونكروية المجاري ، ونسبة التآكل . وإن تطور شبكة الهيدروجرافية تأثر بمائتين : عدد وطول المجاري المائية من الدرجة الأولى . وإن هناك فروقات في نتائج المتغيرات الخاصة بشبكة المجاري المائية فيما بين الراديات الفضائية والخرائط الطبوغرافية . ويمكن الاعتماد على بيانات الراديات الفضائية للدراسة الكمية لأحواض التصريف .

The Application of Remote Sensing and Geographic Information Systems to the Morphometric Study of Drainage Basins

In East South Sinai.

Abstract : Landsat images , topographical maps and GIS have been used to measure the morphometric variations of drainage basins in East South Sinai. In fact , the study area follows the desert climate and is characterized by varieties of geological formations ranging from pre-cambrian igneous, metamorphic, volcanic to quaternary sedimentary rocks. The area , furthermore , passed through two stages of structure : the first one belongs to the Red Sea , while the second belongs to Aqaba Gulf.

The study has shown that the most important morphometric indications which give geomorphological significance of erosion mechanism are : drainage density , stream frequency and bifurcation ratio.

The study has also indicated that the hydrographic network of the area is affected by two factors : number and length of streams of the first order. In addition, it (study) shows that Landsat images delineate more streams than topographical maps. Hence, it is recommended that such Landsat images be used in studying drainage basins morphometrically.



McKeon, M. *The Origins of the English Novel, 1660-1740*.
Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1987.

Mullan, J. "Sentimental Novels". *The Cambridge
Companion to the Eighteenth Century Novel*. Ed.
John Richetti. CUP, 1996.

Mullan, J. *Sentiment and Sociability: The Language of
Feeling in the Eighteenth Century*. OUP, 1988.

Paulson, R. *Satire and the Novel in Eighteenth Century
England*. New Haven: Yale University Press, 1967.

Shakespeare, W. *Hamlet*. Beirut: York Press, 1992.

Smollett, T. *Humphrey Clinker*. Penguin, 1967.

Sterne, L. *A Sentimental Journey*. In *Complete Works*,
Vol. 1. ed. Wilbur Cross. New York: AMS Press,
1970.

Sterne, L. *The Life and Opinions of Tristram Shandy,
Gentleman*. Penguin, 1967. Todd, J. *Sensibility: An
Introduction*. London: Methuen, 1986.

Traugot, J. (ed.) *Laurence Sterne: A Collection of Critical
Essays*. Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1968.

Van Sant, A.J. *Eighteenth Century Sensibility and the
Novel*. Cambridge: CUP, 1993.

WORKS CITED

- Abrams, M.H. *The Mirror and The Lamp: Romantic Theory and the Critical Tradition*. New York: Norton, 1958.
- Bell, M. *Sentimentalism, Ethics and the Culture of Feeling*. Macmillan, 2000.
- Conger, S.M. *Sensibility in Transformation. Creative Resistance to Sentiment from the Augustans to the Romantics*. London and Toronto: Associated University Presses, 1990.
- Crane, R. S. "Suggestions Toward a Genealogy of the 'Man of Feeling'". *English Literary History* 1, 1934. Pp. 205-30.
- Fluchère, H. *Laurence Sterne: from Tristram and Yorick*. London: OUP, 1965.
- Foucault, M. *The History of Sexuality. Volume I: An Introduction*. Trans. By Robert Hurley. New York: Vintage Books, 1980.
- Foucault, M. *The Order of Things: An Archeology of the Human Sciences*. New York: Vintage Books, 1973.
- Frairer, D. "Sentimental Translation in Mackenzie and Sterne" in *Esseys in Criticism*. Vol. XLIX, #2, April 1999.

Frye, N. "Towards Defining an Age of Sensibility", in *Eighteenth Century English Literature: Essays in Modern Criticism*. Ed. James L. Clifford. London and New York: OUP, 1959.

Greenblatt, S. *Renaissance Self-Fashioning from More to Shakespeare*. Chicago: University of Chicago Press, 1980.

Greenblatt, S. *Shakespearean Negotiations*. Berkley: University of California, 1987.

Greene, D. "Latitudinarianism and Sensibility: The Genealogy of the 'Man of Feeling' Reconsidered". *Modern Philology* November, 1977. pp. 159-83

Hagstrum, J. *Sex and Sensibility: Ideal and Erotic Love from Milton to Mozart*. Chicago: University of Chicago Press, 1980.

Hunter, J.P. "The Novel and Social/Cultural History". *The Cambridge Companion to the Eighteenth Century Novel*. Ed. John Richetti. CUP, 1996.

Jones, C. *Radical Sensibility. Literature and Ideas in the 1790s*. London: Routledge, 1993.

Lamb, J. "Steme and irregular oratory". *The Cambridge Companion to the Eighteenth Century Novel*. Ed. John Richetti. CUP, 1996.

Markley, R. "Sentimentality as Performance: Shaftesbury, Steme, and the Theatrics of Virtue". *The New Eighteenth Century*. Ed. Felicity Nussbaum & Laura Brown. New York: Methuen, 1987.

¹⁶For the Quixotic tradition in the eighteenth century fiction, see Micheal McKeon, *The Origins of the English Novel, 1600-1740*. Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1987; and Ronald Paulson, *Satire and the Novel in Eighteenth Century England*. New Haven: Yale University Press, 1967.

¹⁷For a similar argument, see Henri Fluchère *Laurence Sterne: from Tristram and Yorick*. London: OUP, 1965. The differences between my handling and his will become evident as the article progresses.

¹⁸See Syndy McMillen Conger, *Sensibility in Transformation. Creative Resistance to Sentiment from the Augustans to the Romantics*. London and Toronto: Associated University Presses, 1990.

¹⁹For a full discussion of "Romantic Sensibility", see M.H. Abrams *The Mirror and the Lamp: Romantic Theory and the Critical Tradition*. New York: Norton, 1958.

²⁰For another critique of Markley's influential essay, see David Fairer "Sentimental Translation in Mackenzie and Sterne" in *Essays in Criticism*, #2, Vol. XLIX, April 1999.

⁸For a representative sampling of such approaches, see John Traugot (ed.) *Laurence Sterne: a Collection of Critical Essays*. Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1968.

⁹See Robert Markley "Sentimentality as Performance: Shaftesbury, Sterne, and the Theatrics of Virtue". *The New Eighteenth Century*. Ed. Felicity Nussbaum & Laura Brown. New York: Methuen, 1987.

¹⁰Greenblatt's own definitions of new historicism occur in two seminal works: *Renaissance and Self-Fashioning from More to Shakespeare* (Chicago: University of Chicago Press, 1980), and *Shakespearean Negotiations* (Berkeley: University of California, 1987).

¹¹New historicism itself, it may be argued, prospered in the shadow of the French thinker Michel Foucault's work. The two important studies that have a bearing on this article are *The Order of things: An Archeology of the Humun Sciences* (1973) and *The History of Sexuality. Volume I: An Introduction* (1980).

¹²In addition to the articles on sensibility cited above, see Ann Jessie Van Sant, *Eighteenth Century Sensibility and the Novel*. Cambridge: CUP, 1993; John Mullan, *Sentiment and Sociability: The Language of Feeling in the Eighteenth Century*. OUP, 1988; and Janet Todd *Sensibility: An Introduction*. London: Methuen, 1986.

¹³See Smollett's *Humphrey Clinker*, and Fielding's *Tom Jones* respectively.

¹⁴Shakespeare's *Hamlet*. Beirut: York Press, 1992.

¹⁵Virginia Woolfe's essay on Sterne is included in the Penguin edition of the *Sentimental Journey* as an Introduction, pp. v-xvii.

NOTES

¹See R.S. Crane, "Suggestions towards a Genealogy of the 'Man of Feeling'." *EHL*, 1 (1934). Pp. 205-230. Ever since its publication Crane's essay has been a touchstone in Sterne criticism.

²For a broad discussion of sentimental novels in general, see John Mullan "Sentimental novels" in *The Cambridge Companion to the Eighteenth Century Novel*. Ed. John Richetti. CUP, 1996.

³The edition used in this essay is Laurence Sterne's *A Sentimental Journey*. In *Complete Works*, Vol. 1. Ed. Wilbur Cross. New York: AMS Press, 1970.

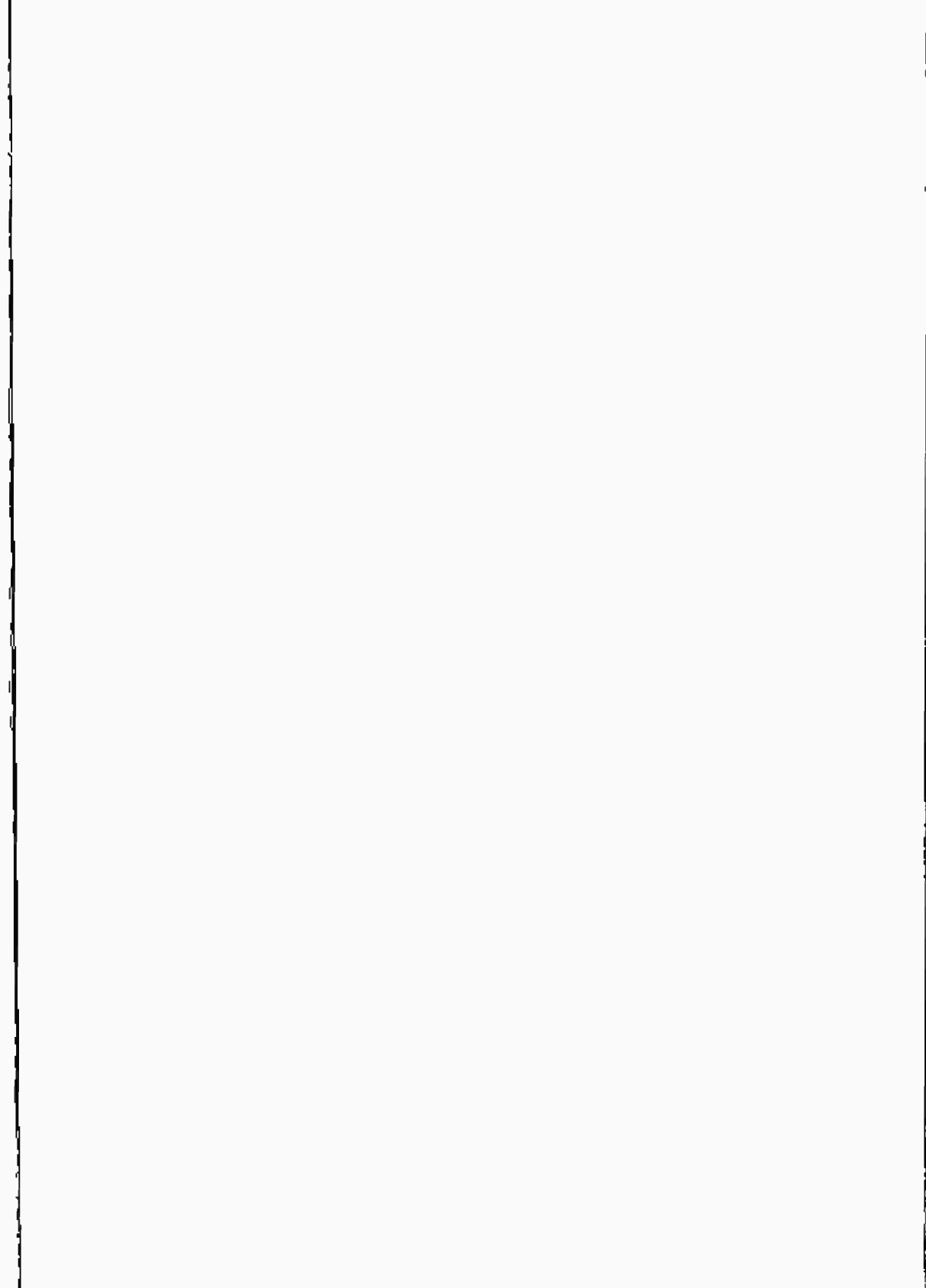
⁴For a definition of the age of sensibility see Frye's important study "Towards Defining an Age of Sensibility", in *Eighteenth Century English Literature: Essays in Modern Criticism*. Ed. James Clifford. London and New York: OUP, 1959.

Other important contributions to our understanding of sensibility and upon which I have drawn in this article include Jean Hagstrum's *Sex and Sensibility: Ideal and Erotic Love from Milton to Mozart*. Chicago: University of Chicago Press, 1980; and Chris Jones, *Radical Sensibility. Literature and Ideas in the 1790s*. London: Routledge, 1993.

⁵For a succinct introduction to the impact of new historicism on eighteenth century studies in general and the eighteenth century novel in particular, see J. Paul Hunter's "The Novel and Social/Cultural History" in John Richetti's title cited above.

⁶The term 'Man of Feeling' has been universally adopted by critics from the title of Henry Mackenzie's influential first novel, first published in 1771.

⁷See Jonathan Lamb's "Sterne and irregular oratory" in J. Richetti's title cited above.



while, paradoxically, also taking the reader into the realm of the self-consciously literary and picturesque. The narrator thus unwittingly draws attention to the artificiality of the scene he describes, and even upstages his pathetic heroine to the point where the narrator's finer feelings, rather than hers, are forced upon the reader's attention. Not surprisingly, Yorick's effusions on this occasion are among the most oft-quoted passages in *A Sentimental Journey*, illustrating and satirizing as they do the propensity of the Man of Feeling to indulge in and celebrate his own emotional reactions: "Dear sensibility! Source inexhausted of all that's precious in our joys, or costly in our sorrow! ... Eternal fountain of our feelings!" (395). In this speech, which confounds within itself the language of feeling, of devotion ("Thou chainest thy martyr down upon his bed of straw – 'tis thou who lift'st him up to Heaven") – and of pleasure, the exasperation of sensibility reaches its ironic acme. I register this as a novel conflation of all the strains within and influences upon the cult of feeling traced by Crane and Greene respectively, but always with a self-parodying, ironic twist. Sterne's representation of sensibility in *A Sentimental Journey* appropriates the cult of sensibility identified by Crane as having originated in Latitudinarian religious discourse, by Greene as having been secularized by Shaftesbury, and by Markley as operating in the service of an ideological function – as the defining mark of the gentleman. However, like his mentors, Cervantes and Rabelais, Sterne eludes the ideological constraints which originally provided the space for his literary practice, putting to use his awareness of the cult of sensibility in a manner which both celebrates and parodies it, defamiliarizing it in a novel literary form.

as good as thou art beautiful" – also carries clear sexual undertones, in Yorick's slipping of the money into the purse with the ambivalent words, "and God will fill it". The irony is compounded, and also the scene's potential later outcome implied, by this ambiguous speech, as is made plain in Yorick's next encounter with the young woman, with a scene of erotic conquest. At the hotel in Paris, Yorick explicitly contrasts the language of sensibility and that of devotion, with the language of eroticism: "I felt something at first within me which was not in strict unison with the lesson in virtue I had given her the night before. ... The devil was in me" (308). With the *fille de chambre* "falling off her center", any lingering illusion of piety is finally dispelled.

Whereas the incidents of *A Sentimental Journey* which deal with the *fille de chambre* satirize conventions of sentimentality by means of ironic parody and even farce, that of Maria, the beautiful maid driven mad by love, epitomizes the pathetic, but also implicitly contains its own form of irony. Maria is a combination of a heroine of pastoral idyll, of the seduced, abandoned maid of medieval ballads, and of Ophelia. For Yorick, she collapses the distinction between the imaginary worlds he loves to conjure up in his musings, and that of his immediate, physical surroundings: "The story he had told of that disorder'd maid affected me not a little in the reading; but when I got within the neighborhood where she lived, it returned so strong into my mind" (380). It is important to note the Quixotic, "medieval" quality of Yorick's prose at this point: "'Tis going, I own, like the Knight of the Woeful Countenance in quest of melancholy adventures". As a representative of melancholy, Maria is dressed in white, with her hair hanging loose, with a pipe at her waist, and with a goat and a little dog at her side, in a pastoral tableau that Yorick himself enters as he sits down beside her, at once weeping for her, and wiping her tears. The scene both has the potential to arouse a degree of sympathy,

graciousness, and material generosity, toward the same monk whom he had earlier scorned and slighted, the reader may infer that his motives in doing so are, on the one hand, more than a little blended with self-approbation, and on the other, not unrelated to a desire to display himself in a favorable light before the young woman. For Yorick this complex of motives issues in a state in which self-approbation and sexual attraction are oddly compounded: "I knew not that contention could be rendered so sweet and pleasurable a thing to the nerves as I then felt it" (66). The ritual exchange of snuffboxes between the two male protagonists in the scene, and their accompanying expression of elevated sentiments, is ironically contrasted with Yorick's erotic gesture of kissing the young woman's hand. (He has in fact been clinging to the hand, all the while the high-flown rhetoric has been passing between the two men.)

Yorick's encounter with the *fille de chambre* constitutes another moment wherein the rhetoric of benevolence and sensibility is clearly subverted by the narrator's evident erotic attraction to the object of his charity. As Yorick slips a crown into the girl's purse, he gives her a piece of moral advice: "Be but as good as thou art handsome, and heaven will fill it" (223). Markley reads Yorick's advice as articulating "the ideological values" of Sterne's "sentimental narrative" (210). The coin, in Markley's reading, is transformed into a symbol definitive of the relationship between a gentleman and a girl of the lower classes, his potential victim. However, such a humorless reading fails to appreciate the irony both of the religious and sexual allusions in Yorick's account of the incident, and in its later outcome. The clergyman's rhetoric that Yorick employs in addressing the *fille de chambre* is revealed as nothing more than a poor substitute for the language of desire. (The tell-tale phrase here is, "a kiss of charity, as warm and holy as an apostle" (227). Yorick's paternalistic sermonizing, as from a fatherly minister to one of his virtuous female parishioners – "Be

active verbal communication between bird and human being. The profundity of Yorick's emotional response, and the impact of the bird incident upon his sensibility, are undercut, however, when we realize the basis of Yorick's delusion in the trained bird's continual repetition of a single utterance. The final debunking of an, at first sight, pathetic case, occurs with the satire on social snobbery – and its traditional place in first-person memoirs – for which the caged bird offers the opportunity. The bird, we are told, was presented as a gift to a series of English aristocrats and commoners. The paradox, as Yorick sees it, is that whereas his bird “wanted to get out” of its cage, the commoners who acquire the bird that was the property of a Lord, wanted, rather, to “get in” – into a higher rank in society, that is.

In his article “Sentimentality as Performance”, Robert Markley sees Sterne as dramatizing sentimentality in ways, which explicitly assert the values of middle-class culture. Yet, whereas Markley reads tragic, rather than pathetic undercurrents in *A Sentimental Journey*, I read a comically ironic undertone in the text, which, I would argue, constitutes one of the definitive qualities of Sterne's fiction²⁰. The incidents with the Franciscan monk and the chambermaid may serve as representative examples of the ironic tension between a seemingly benevolent act and the context within which it occurs and is ironically interpreted. The Franciscan monk calls upon Yorick, in the name of those great claims that one human being may make upon another of benevolence and charity. While in private conference with the monk Yorick lectures him sternly, in self-righteous tones, about the moral disgrace of idle parasitism and the greater deservingness of the truly needy disabled and poor. In a different context, however – in the presence of a pretty young woman to whom he is sexually attracted – Yorick's attitude and motives become considerably more complicated. When he tells his reader how he behaved with apologetic

"spontaneous overflow" of feeling; the subjective, even solipsistic, identification with nature and projection of subjective emotion onto natural surroundings; the consequent cultivation of private reflection in the setting of the wilderness¹⁹. Unlike the *personae* of a large proportion of Romantic lyrics, however, Sterne's narrator in *A Sentimental Journey* undercuts the possibility of reader identification with his musings, through ironic exaggeration.

Another important device by which Sterne illustrates yet undercuts his narrator's attitude toward nature and natural objects is through Yorick's fascination with sentiments aroused by contact with sentient beings, including animals. At the hotel in Paris Yorick's meditations upon the Bastille are interrupted by a cry for help from captive bird. The sympathetic Yorick watches it fluttering from one side of its cage to the other, apparently lamenting its captivity. A comic scene ensues, in which Yorick and the starling appear to engage in dialogue: "I can't get out," said the starling – God help thee! Said I – but I'll let thee out, cost what it will ... The bird flew to the place where I was attempting his deliverance ..." However, Yorick's efforts are in vain. "I fear, poor creature! said I, I cannot set thee at liberty – 'No' said the starling – 'I can't get out – I can't get out,' said the starling (240). Yorick's quixotic errand of rescuing the bird, in which Yorick himself becomes the object of an impressive self-dramatization – "I'll let thee out, cost what it will" – causes the narrator to dwell with loving self-approval upon his own finer feelings at this moment: "I vow I never had my affections more tenderly awakened; or do I remember an incident in my life, where the dissipated spirits, to which my reason had been a bubble, were so suddenly called home" (241). The incident is rendered speciously poignant by the narrator's anthropomorphism. The bird is said to press against the inside of the cage as if "impatient". The bird's repeated cry of "I can't get out" appears to the narrator as forming part of an

niche entirely to myself" (34). The reason Yorick gives for not thus celebrating the "novelty" of his "vehicle" is an alleged fear that he might "break in upon the confines of the vain traveler". In his parody of the philosophical passages of a travelogue, Yorick makes fun of the travelogue's traditions, not only by parodying its style, but by his debunking and dismissive classification of travelers, and, by implication, travel writers.

One work that Yorick singles out as the object of especially biting satire is Smollett's *Travels Through France and Italy*. For Yorick, Smollett epitomizes the disgruntled "splenetic" traveler, who is mockingly presented in *A Sentimental Journey* as "The learned Smelfungus". Smelfungus, we are told, traveled from Boulogne to Paris, and "from Paris to Rome – and so on – but he set out with the spleen and jaundice, and every object he passed by was discoloured or distorted – He wrote an account of them, but 'twas nothing but the account of his miserable feelings" (98). The writers of these immensely popular eighteenth-century travelogues only succeed, according to Yorick, in projecting their subjective personal moods and feelings upon the settings through which they pass. Ironically, however, the same may be said of Yorick himself, the sentimental traveler. As a representative Man of Feeling, he projects his inner states of melancholy, joy, and *joie de vivre* upon the most barren and unpromising of natural settings: "Was I in a desert, I would find out wherewith in it to call forth my affections – If I could not do better, I would fasten them upon some sweet myrtle, or seek some melancholy cypress to connect myself to". He would "cut my name upon them, and swear they were the loveliest trees throughout the desert; if their leaves wither, I would teach myself to mourn, and when they rejoiced, I would rejoice along with them" (98).

This passage already anticipates what, decades after the writing of *A Sentimental Journey*, would be identified as characteristic features of literary Romanticism; the

night of an indigestion", suggests the extreme susceptibility of his imagination. Yorick's impulsiveness suggests itself, above all, in the alacrity with which he dashes to Dover and onto a boat, merely in order to secure to himself the same rights to pronounce on French affairs as his opponent in a casual argument¹⁷.

Determined to record his journey, Yorick takes out pen and ink and begins writing his Preface as soon as he is seated in the *Desobligeant*. Now for the first time in *A Sentimental Journey* self-consciously a writer, Yorick shows himself to be aware of working within a literary tradition of the travelogue, an integral part of which is the travelogue preface. Yorick's preface parodies the introductions to such works. It also brilliantly parodies the assured, logical prose of the Enlightenment philosopher in the manner of Hume, Locke, or Burke¹⁸. By putting himself in the company of "many a peripatetic philosopher" Yorick self-consciously satirizes their systems of classification in juxtaposing them with his own. Thus, for instance, his researches into the efficient and final causes of traveling are parenthetically interrupted by the seesaw movement of the *desobligeant*, which he has playfully chosen as his parodic version of the philosopher's study (32). It is in this discourse that Yorick also classifies those literary precursors who have written travelogues. They are categorized as idle, inquisitive, lying, proud, and so on; as travelers from necessity; as "delinquent and felonious travelers"; as "unfortunate and innocent"; and, finally, as "simple". The *sentimental* traveler (by which of course Yorick means himself) gives, we are told, his particular account of his travels out of necessity. Yet the novelty of Yorick's enterprise is firmly underscored: "I am well aware, at the same time, as both my travels and observations will be altogether of a different cast from my forerunners; that I might have insisted upon a whole

aspects of the narrative¹⁵. Her insights, however, fall prey to the critical fallacy of identifying author with narrative voice. Thus, in her introduction to the work Woolf writes, "Instead of being convinced of the tenderness of Sterne's heart – which in *Tristram Shandy* was never in question – we begin to doubt it. For we feel that Sterne is thinking of himself" (xiii). Her parenthetical comparison of *A Sentimental Journey* to *Tristram Shandy* indicates the crux of the critical problem. The narrative voice in both works is mistaken for that of the author himself. Yorick, although he shares some quixotic qualities with Tristram Shandy, differs in that he is a Quixote in search of self-knowledge through a journey, both physical and psychological¹⁶.

Certain character traits in Yorick are emphasized even before the account of his journey to the Continent begins. From the first, Yorick is presented as self-consciously a man of fashion; as somewhat maudlin in his chivalric devotion to Eliza; as a dilettante, preoccupied with trivia; and as a being given to flights of fancy, a creature of impulse. As a would-be man of the world, he claims a first-hand knowledge of French society, which he does not possess. As a man of fashion, he finds it important to tell the reader what clothing, however simple, he took to France: "half a dozen shirts and a pair of black silk breeches" (3). His sentimentality where women are concerned appears already in his allusion to the "little picture" of Eliza he has promised to carry with him to the grave (4). The preoccupation with material details – his packing and travel arrangements, the fricasseed chicken he ate on the Channel ferry at three o'clock in the afternoon – presage an obsession with trifles which continues throughout his narrative. The vivid fantasy of his death, and the consequent seizure of his property by the French Crown – a fantasy triggered solely by his mention of the meal that might have, but did not, cause his death "that

parodies them, in ways, which will shortly be examined in the present paper.

The character of Yorick first makes its appearance in *Tristram Shandy*. Yorick's relationship with all the major characters of this complex narrative is pivotal to its structure and to its moral debates. In a work that deals primarily with the acts of reading and writing, and with presence and absence, birth and death, Yorick is central. He is, paradoxically, although dead, very much alive. His sermon, read by Corporal Trim, while outwardly a digression, is in fact integral to our understanding of the moral universe inhabited by the characters. It is interesting to note, moreover, that Sterne's plan for both his major *oeuvres* included the writing of Volumes 3 and 4 of *Sentimental Journey* before resuming work on *Tristram Shandy*, so that the geneses of the two works are intimately related. Yorick's name obviously invokes the deceased court jester of *Hamlet*, a "fellow of infinite jest" (V, I, 171), whose disinterred skull is also, however, a grim reminder of mortality¹⁴. Yorick's authorization by Sterne as narrator thus raises the crucial question, how seriously can a jester be taken? The answer, the narrative seems to suggest, is both very seriously, and not seriously at all. On the one hand, Sterne's Yorick is a grave clergyman, a man of God, devout, morally upright, virtuously benign; on the other, he is a playful, even feckless libertine, whose narrative discourse mocks and undercuts pious axioms, even as it articulates them. Similarly, his didacticism in the promotion of acts of charity and his celebration of his own moral worth as "benevolent" man are undercut by his self-absorption, his self-congratulation, the calculating awareness of monetary values that underlies even his charities, and his carnal sensuality.

Virginia Woolf was the first of a line of critics to attack the excesses of "sentimental self-interest" in *A Sentimental Journey*. Woolf's reading calls attention to the self-dramatizing

Greene's understanding of Crane's detection of the doctrine of "self-approving joy" in the writings of the latter half of the seventeenth, and most of the eighteenth, century. Greene views Crane's work as falling unwittingly into a celebration of the complacent, egoistic, self-approbatory joy of the Pharisees of Luke's gospel. Crane's whole point, it may be argued, was to show the process by which this "curious type of hedonism" gained an ascendancy (86).

Sterne's *A Sentimental Journey* may be read as a text that enacts each of Crane's four categories; as a representative eighteenth-century text that inscribes sentimentality in its own title and uses it as a unifying principle for the entire work. However, far from mechanically applying these categories to a set of characters and situations, Sterne establishes a comic, ironic distance between himself as author and his text, through the authorization of Yorick as narrator/sentimental hero. The humor that animates both *Tristram Shandy* and *A Sentimental Journey* thus arises from the reader's ability to laugh both *with* and *at* Sterne's narrators. The self-consciousness of both Tristram Shandy and Yorick is presented as representative of the sensibility of the Man of Feeling at work, but also as open to parody and to satiric undercutting. Sentimentality and feeling as reflections of inner virtue are, indeed, a characteristic of many of the major writings of the eighteenth century, particularly those of Sterne, Richardson, Fielding and Smollett. Each of these writers celebrates the virtues of "the human heart", as they manifest themselves in the benevolent actions of their individual (usually male) heroes. Thus, impulses of generosity, "manly tears", charitable gifts to the needy, become outward manifestations of that complex of "sensibility" outlined by Crane. The "self-approving joy" depicted as experienced by a Squire Bramble or an Allworthy¹³ is represented as being its own reward. Sterne not only works within these traditions, but also

Latitudinarianism, and to question its significance as a precursor of "sensibility". Greene's article, "Latitudinarianism and Sensibility: The Genealogy of 'The Man of Feeling' Reconsidered", is seen by several critics of eighteenth-century literature to have accomplished the task of refuting Crane's categories. Greene contests each element of the complex doctrines that constitute the fledgling philosophy of sensibility, on the one hand by relying on more recent work on the history of Anglicanism in the seventeenth and eighteenth centuries, and, on the other, by blurring the specificity of particular types of discourse in a particular historical period, in favor of a much broader, almost ahistorical, thematic understanding of "feeling" as constituent of the literary in Western discourse. Thus the identification of virtue with benevolent actions and the admiration of warm human emotion, according to Greene, long antedates 1660. By collapsing the terms "humanity", "good-nature" and "universal benevolence", Greene finds it possible to trace them back to Wycliffe and Chaucer in the fourteenth century, and even further back, through Biblical writings to those of the Classical period, and even to Homer. Sensibility is thus reduced to a false, self-conscious affectation, usually accompanied by a drop in the popularity of the genre, which celebrates it in any age. Greene's genealogy thus universalizes a Western literary tradition in celebrating its mimetic function, with no theory of language to help account for the semantic instability of signifiers over time. Similarly, his tracing of the doctrine that human beings are innately capable of mutual affection and benevolence to Christian teachings long predating 1660, fails to grasp that discourse, even for the founding fathers of the Church, performs specifically ideological tasks directly related to that complex interplay between power, discourse and knowledge previously alluded to as outlined by Foucault¹². This preoccupation with a transcendental, ahistorical moral teaching somehow miraculously constitutive of moral being, mars

genres: the novel, moral conduct books, philosophical discourse, and, as Rousseau and Mullan argue, medical literature" (219). Crane isolates four principal aspects of the ethical and psychological traits that compose and reconstitute subjectivity within the cult of sentimentality. Each of these traits will be shown to constitute a strain of discourse for Sterne in *A Sentimental Journey*. Each, it will be argued, operates at the surface of the text and yet is undermined through the text's ironic depth. The first of these is what Crane terms "Virtue as universal benevolence". The shift that the category signals is from an emphasis on the value of human works which had been advocated and disseminated by the Puritans, to a strongly naturalized "power of goodness" specific to "man only of all creatures under heaven" (Crane 69). The second shift, Crane identifies as a pronounced strain of anti-stoicism that constitutes benevolence as "feeling". Such a view strongly challenged and undermined the hitherto prevalent notion of the eighteenth century as an age of "reason", understood as a cold intellectuality. The third category debates the Hobbesian notion reductive of human motivation to egoistic self-interest based on competition. The new discourse disseminates an opposite ideology, one that defines "man" as essentially a gentle and sympathetic creature, organically linked to society not merely by intellect, but by passions productive of a tendency to love and goodwill. The fourth category is what Crane terms "self-approving joy". This last is extremely important for readings of Sterne, for it may be reinscribed in Foucauldian terms as "the eroticisation of benevolence". Good deeds precipitate a pleasure (*jouissance*)¹¹.

Crane's categories and findings, it must be noted, have been criticized on several grounds. A number of studies have attempted to reinscribe an alternative history of sensibility, one that emphasizes the importance of Shaftesbury, while others have attempted mainly to deconstruct Crane's definition of

simply "man", human subjectivity is seen as flexible, mutable and forever malleable by shaping economic, cultural and social pressures within a larger cultural interplay between power, knowledge, and discourse. The complexity of that process of individualism on the one hand, and of the historical moment at which the critical act itself is undertaken, on the other, render the act of interpretation at best provisional and limited by its own historicity. It is Crane's contribution, in his seminal work on the eighteenth century, that he first pointed to the rise of new discursive formations, signaled by an upheaval or rupture caused by the demise of Puritan influence on British politics and culture, a rupture for which the date 1660 may be said to mark an important turning-point.

Crane's work, while it noted distinctive elements of "sentimental benevolism" in the writings of the third Earl of Shaftesbury, regards these elements as manifested in Shaftesbury's work, but not as originating with it. Indeed, as previously mentioned, Crane seeks its origin in the influence of the Latitudinarian tradition, which enabled divines to reach an audience through their congregations, but also a much larger one through their books. It is important in this regard that Crane also identifies elements of the new emerging philosophy in the sentimental heroes and heroines of countless English novels, plays and poems, between the 1730s and the 1790s. In other words, Crane traces the genealogy of specific discursive formations, in different types of discourse, which already reflect a process of individuation at work in eighteenth-century discourses. Both Mullan and Markley directly link the rise of these new types of discourse that reinforce one another to a shift in class power relations, with the growing ascendancy of a new urban bourgeoisie. Markley writes, "Sentimentalism, then, is neither solely a literary nor a philosophical phenomenon, but a form of moral self-promotion that manifests itself in the discursive practices of a variety of literary and non-literary

defining and propagating the new cult of sensibility. I will also attempt to show that, through its use of irony, and through the choice of Yorick's narrative voice, the text eludes certain ideological restraints, and creates for itself a subversive space within the sentimental tradition⁷.

New Critical readings of *A Sentimental Journey* as a canonical text have traditionally adopted one of two broad approaches to Sterne's text. Either they have placed it in relation to other Sterne texts – in particular, *Tristram Shandy* – or they have examined some of its textual features from a formalist perspective, through individual studies of character, imagery, structure, style, etc⁸. Given the recent interest in literary theory, and the energizing zeal of new-historicist approaches to eighteenth century studies, it may be time to examine *A Sentimental Journey* afresh.

Robert Markley, writing in "Sentimentality as Performance", has already reopened Sterne's text for examination from a new-historicist perspective⁹. However, his methodology, which undercuts Crane's thesis, fails to offer an alternative genealogy, and ends up reifying Sterne's text contrary to the basic principles of the new-historicist approach he had set out to introduce. I have difficulty in accepting Markley's rejection of Crane's basic thesis, and also with his enthusiastic endorsement of that of Greene, and with his oversimplified ideological reading, derived from his neo-Marxist orientation, of Sterne's work as performing a mystifying, conservative, function.

According to Stephen Greenblatt, one of the major critical contributions of new-historicism, that distinguishes it sharply from the old historicist approach, is its emphasis upon the constitution of the individual subjectivity in history¹⁰. Far from being a manifestation of a trans-historical, immutable, essentialist "core", traditionally described as "spirit", "soul" or

In his seminal article, "Suggestions Toward a Genealogy of the Man of Feeling", R. S. Crane traces the origins of the cult of "sensibility" to numerous Anglican divines of the Latitudinarian tradition, writing from about 1660 to 1725¹. This tradition, according to Crane, was not simply a doctrine, but a complex of doctrines, that reached their widest dissemination in the latter half of the eighteenth century². This essay proposes to re-examine Laurence Sterne's *A Sentimental Journey*³ as a work that simultaneously represents, shapes and undercuts this cult of sensibility⁴. I will first attempt to locate Sterne's novel within the context of such a genealogy, through a fresh examination of the novel that builds upon the methods and techniques of new historicism. Perhaps the most significant difference between traditional historicist approaches to eighteenth century fiction in general, and to Sterne's novel in particular, has been the latter's adoption of discursive analysis for a mimetic theory that sees novels primarily as reflecting or imitating ideas and philosophies already prevalent in a culture within a given historical period⁵. By examining Sterne's use of the voice of Yorick as narrator of the text, I will attempt to show a representative Man of Feeling with a distinct voice, who preaches a cult of sensibility, while yet exposing that textual voice to the critical examination of the critic/reader⁶. I will then examine the theatrical devices deployed by Sterne to contextualize Yorick's pronouncements upon sensibility and "feeling", through the enactment of scenes, which at once supply a stage for the rhetorical expression of sensibility, but simultaneously create a context in which the validity of that feeling is ironically called into question. Sterne's deployment of such strategies will be shown, from a new-historicist perspective, as performing an ideological task, namely that of

**A SENTIMENTAL JOURNEY
AND THE CULT OF SENSIBILITY**

BY

Dr. Essam Fattouh

Department of English

University of Alexandria

&Beirut Arab University

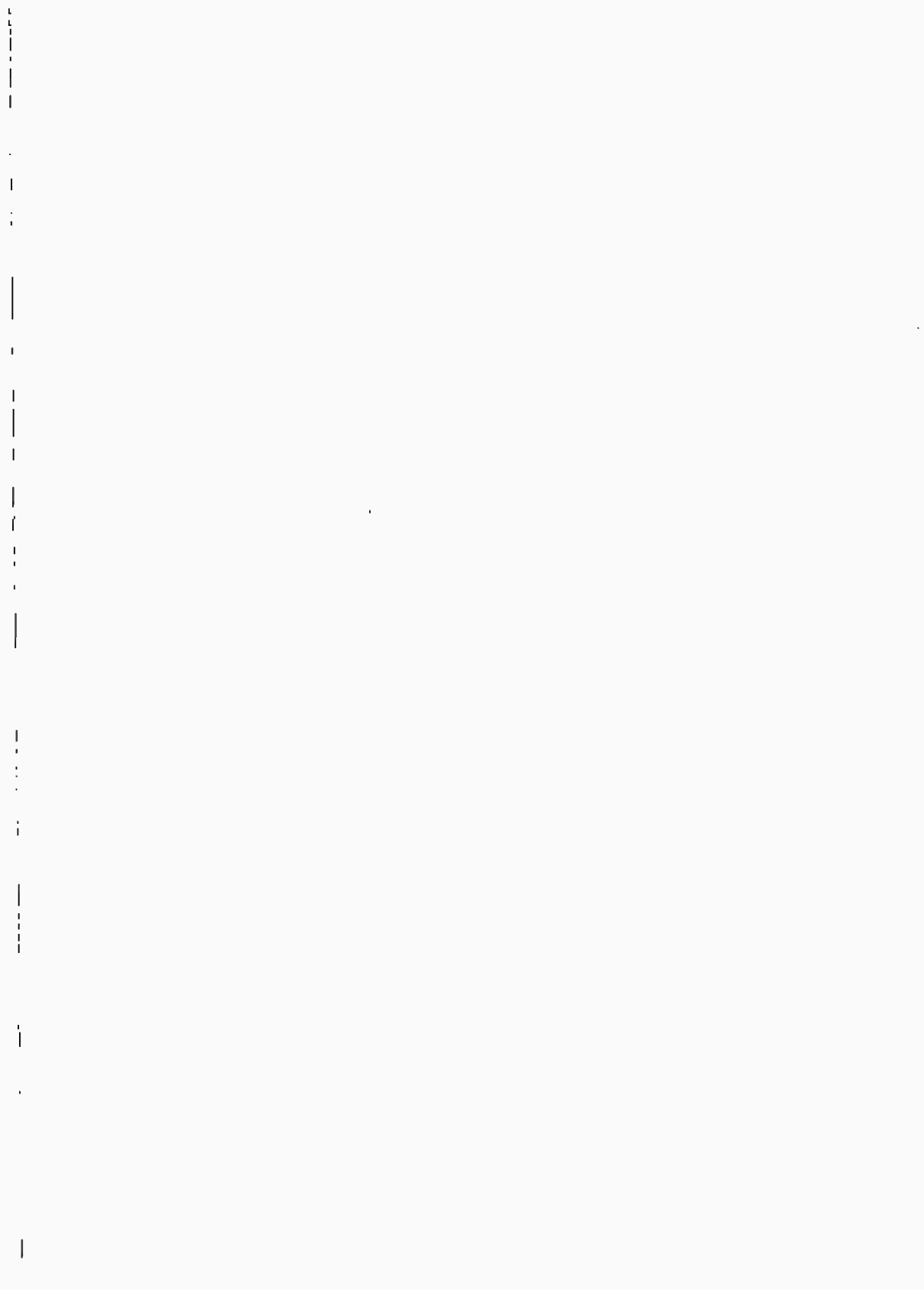
- Schwartz, Murray M. and Coppelia Kahn, eds., Representing Shakespeare: New Psychoanalytical Essays, (London: John Hopkins University Press, 1980).
- Stone, Lawrence, The Family, Sex and Marriage in England 1500-1800, (London: Weidenfield and Nicholson, 1977).
- Thompson, Ann, ed., The Taming of the Shrew, (Cambridge: Cambridge University Press, 1984).
- _____, Shakespeare, Meaning and Metaphor, (Brighton: Harvester, 1988).
- Walker, Julia, ed., Milton and the Idea of Woman, (Urbana: University of Illinois Press, 1988).
- Wayne, Valerie, ed., The Matter of Difference: Materialist Feminist Criticism of Shakespeare, (New York: Cornell University Press, 1991).
- Williamson, Marilyn L., The Patriarchy of Shakespeare's Comedies, (Detroit: Wayne State University Press, 1986).
- Woolf, Virginia, A Room of One's Own, 1929 (Cambridge: Cambridge University Press, 1995).
- Wrightson, Keith, English Society 1580-1680, (London: Hutchinson, 1982).

- Lenz, Carolyn Ruth Swift, Gayle Greene and Carol Thomas Neely, eds., The Woman's Part, (Urbana: University of Illinois Press, 1980).
- Lipking, Lawrence, "Aristotle's Sister: A Poetics of Abandonment, Critical Inquiry, vol. 10, no. 1, (September 1983), pp. 61-81.
- Martin, Theodora Penny, The Sound of Our Own Voices, (Boston: Beacon Press, 1987).
- Moi, Toril, Sexual/Textual Politics, (London: Methuen, 1985).
- Mulvey, Laura, "Visual Pleasure and Narrative Cinema", Screen, vol. 16, no. 3, (Autumn 1975), pp. 6-18.
- Neely, Carol Thomas, Broken Nuptials in Shakespeare's Plays, (New Haven: Yale University Press, 1985).
- Novy, Marianne, ed., Women's Re-Visions of Shakespeare, (Urbana and Chicago: University of Illinois Press, 1990).
- _____, Love's Argument: Gender Relations in Shakespeare, (Chapel Hill: University of North Carolina Press, 1984).
- _____, "Demystologizing Shakespeare", Women's Studies, vol. 9, no. 1-2, (1981), pp. 17-27.
- _____, Engaging with Shakespeare: Responses of George Eliot and Other Women Novelists, (University of Iowa: Amazon Books, 1998).
- Parker, Patricia and Geoffrey Hartman, eds., Shakespeare and the Question of Theory, (New York: Methuen, 1985).
- Rackin, Phyllis, "Androgyny, Mimesis, and the Marriage of the Boy Heroine on the English Renaissance Stage", PMLA 102:1, (1987), pp. 29-41.
- Roberts, Jeanne Addison, "Making a Woman and Other Institutionalized Diversions", Shakespeare Quarterly, vol. 37 (1986), pp. 366-378.

- French, Marilyn, Shakespeare's Division of Experience, (London: Jonathan Cape, 1982).
- Gilbert, Sandra M., "Patriarchal Poetry and Women Readers: Reflections on Milton's *Bogey*", 1978, PMLA 93, pp. 368-382.
- Greene, Gryle and Coppelia Kahn, eds., Making a Difference: Feminist Literary Criticism, (London: Methuen, 1985).
- Hall, Kim F., "Uses for a Dead White Male: Shakespeare, Feminism, and Diversity", New Theatre Quarterly, vol. 11, no. 41, (Feb. 1995), pp. 55-61.
- Holms, Lorraine, "Playing the Woman's Part: Feminist Criticism and Shakespearean Performance", Theatre Journal, vol. 41, no. 2, (May 1989), pp. 190-200.
- Jacobus, Mary, ed., Women Writing and Writing about Women, (London: Croom Helm, 1979).
- Jardine, Lisa, Still Harping on Daughters: Women and Drama in the Age of Shakespeare, (Brighton: Harvester, 1983).
- Jehlen, Myra, "Archimedes and the Paradox of Feminist Criticism", Signs, vol. 6, no. 4, (Summer, 1981), pp. 575-601.
- Kahn, Coppelia, "Excavating Those Dim Minoan Regions: Maternal Subtexts in Patriarchal Literature", Diacritics, (Summer 1982), pp. 32-41.
- _____, Masculine Identity in Shakespeare, (Berkeley: California University Press, 1981).
- Kolin, Philip C., Shakespeare and Feminist Criticism: an Annotated Bibliography and Commentary, (New York: Garland, 1991).
- Kuhn, Annette, The Power of the Image: Essays on Representation and Sexuality, (London: Routledge and Kegan Paul, 1985).

SELECTED BIBLIOGRAPHY:

- Abel, Elizabeth, ed., Writing and Sexual Difference. (Brighton: Harvester, 1982).
- Bamber, Linda, Comic Women, Tragic Men: A Study of Gender and Genre in Shakespeare. (Stanford: Stanford University Press, 1982).
- Booth, Wayne, "Freedom of Interpretation: Bakhtin and the Challenge of Feminist Criticism", Critical Inquiry, Vol. 9, No. 1 (Sept. 1982), pp. 45-76.
- Cixous, Helene, "Le Sexe ou la tête?" (1976), tr. Annette Kohn, "Castration or Decapitation?", Signs, vol. 7, no. 1, (1981), pp. 41-55.
- Cook, Ann Jennalie, The Privileged Playgoers of Shakespeare's London: 1576-1642. (Princeton: Princeton University Press, 1981).
- Crittenden, Danielle, What Our Mothers Didn't Tell Us: Why Happiness Eludes the Modern Woman. (New York: Simon & Schuster, 1999).
- Dash, Irene, Women's Worlds in Shakespeare's Plays. (London: Associated University Press, 1997).
- Dollimore, Jonathan and Alan Sinfield, eds., Political Shakespeare. (Manchester: Manchester University Press, 1985).
- Drakakis, John, ed., Alternative Shakespeare. (London: Methuen, 1985).
- Dusinberre, Juliet, Shakespeare and the Nature of Women. (New York: Barnes & Noble, 1975).
- Erickson, Peter, Patriarchal Structures in Shakespeare's Drama. (Berkeley: University of California Press, 1985).



At some point it will be necessary for feminist criticism of Shakespeare to address the crucial questions of post-feminism: What do women really want? Is the perfect independence of women to be desired?⁶² Feminist readings of Shakespeare have been pushing against cultural restrictions and questioning gender assumptions in an attempt to authorize women. However, as Carol Thomas Neely points out, certain aspects of Shakespeare have proved most difficult to incorporate or revise namely, his representation of the father-daughter relationships and his limited representation of female sexuality which excludes much of the range of female desire.⁶³ Such problematic areas in the Shakespeare canon would have to be considered within the context of post-feminism.

* * * * *

⁶²Theodora Penny Martin, The Sound of Our Own Voices, (Boston: Beacon Press, 1987), p. 108. See also Danielle Crittenden, What Our Mothers Didn't Tell Us: Why Happiness Eludes the Modern Woman, (New York: Simon & Schuster, 1999).

⁶³Carol Thomas Neely, "Remembering Shakespeare, Revising Ourselves",

Women's Re-Visions of Shakespeare, op. cit., pp. 247-248

female roles".⁷⁹ Of course, feminism as a general political project seems to be working in advance of feminist criticism in abolishing all forms of sexual discrimination. However, political reform seems to be independent of academic proceedings in which interaction between teacher and student is crucial in changing conventional sexist attitudes, scrutinizing current female roles and ultimately shaping tradition. Indeed, Carolyn Swift speaks of a "feminist renaissance" in which "feminist teachers and students transform authority to female uses".⁸⁰ It is therefore essential for a feminist perspective to filter through and inform all levels of education. There is an urgent need to develop distinctly feminist strategies of teaching Shakespeare. So far this issue has been recognized but only within the wider context of cultural materialism and its general concern about the subtle use of Shakespeare in education in order to forward an existing social order which exploits people and discriminates against them on grounds of race, class and gender. For example, Alan Sinfield shows how Shakespeare's iconic and mythic status is culturally constructed and reproduced in a way which discourages the true individual response of students towards the texts and diverts their attention from the manoeuvres of literary criticism. Sinfield also demonstrates how the meanings of Shakespeare's texts are politically institutionalized through a complex system of GCE examination questions for which students must be prepared and around which a whole apparatus of study aids and school editions has sprung up.⁸¹

⁷⁹ Jeanne Addison Roberts, "Making a Woman and Other Institutionalized Diversions", Shakespeare Quarterly, vol. 37 (1986), p. 367

⁸⁰ Natalie Strung & Carolyn Swift, "Towards a Feminist Renaissance: Woman-Centering Shakespeare's Tragedies" Women's Re-Visions of Shakespeare, op. cit., p.225

⁸¹ Alan Sinfield, "Give an account of Shakespeare and Education, showing why you think they are effective and what you have appreciated about them. Support your comments with precise references.", Political Shakespeare, op. cit., pp.134-157

An equally important undertaking for feminist critics at this point of proliferation is to uncover their roots in a literary tradition of feminist criticism of Shakespeare and to identify their relation to it. This endeavour has partly been addressed in the anthology, Women's Re-Visions of Shakespeare⁷⁷. The book traces the responses of famous literary figures such as Emily Dickinson, Virginia Woolf, George Eliot and Adrienne Rich towards Shakespeare himself as well as his women characters. The documentary style of the essays and the commentary of its critics emphasize a tradition of women writers who in their identification with Shakespeare also express some critical distance. In her recent book, Engaging with Shakespeare: Responses of George Eliot and Other Women Novelists, Marianne Novy explores in great depth the references to Shakespeare and his works mainly in the writing of George Eliot.⁷⁸ Novy's ultimate aim is to show how Shakespeare was appropriated and redefined critically and culturally through a complex process that includes displacement of subject and writer, a transposition of contexts and a manoeuvring of cultural terms. On the whole, it would be interesting to have similar Re-Visions of other writers like Jane Austen and Charlotte Brontë in an attempt to render this project more comprehensive.

Finally, a great challenge for feminist critics of Shakespeare is in the field of education. So far there has been little impact of feminist criticism on the teaching of Shakespeare in schools, colleges and universities. For example, Jeanne Addison Roberts expresses her worries about the way educational systems "institutionalize for secondary school students a painfully constricted view of possible

⁷⁷ Marianne Novy, ed., Women's Re-Visions of Shakespeare, (Urbana: University of Illinois Press, 1990)

⁷⁸ Marianne Novy, Engaging with Shakespeare: Responses of George Eliot and Other Women Novelists, (University of Iowa: Amazon Books, 1998).

in the rhetorical manoeuvres of The Rape of Lucrece.⁷⁵ Vickers remarks that Tarquin is not inflamed by the sight of Lucrece's beauty but by her husband's verbal description of her during an "all-male boasting-about-women session". Furthermore, the poem ends with the men, her husband and father, rhetorically competing with each other over the right to claim possession of her body and to avenge her. The underlying concept is that rape is perceived primarily as an offense against the property or honour of men. Vickers thus wonders whether "there is a woman in this text explicitly dedicated to the celebration of a woman".⁷⁶

Shakespeare feminist critics must also assume their responsibilities with relevance to the editing and production of the plays. Few feminists have undertaken the task of editing especially for the revised Oxford, Cambridge and Arden editions and hence the little impact of feminist criticism on the reader. Ann Thompson's Cambridge edition of The Taming of the Shrew in 1984 is one example which shows the real power of the editor in her editing of the Notes and Commentary on the meaning of the text. Otherwise, many editions of the 80's and 90's hardly make note of feminist criticism. As for theatrical presentation, most productions tend to follow the traditional interpretation of the plays. Despite the feminist studies of the effect of performance on defining the meaning, and the various ways of challenging this tradition of female stereotyping, little has been put to practice.

⁷⁵Nancy Vickers, "The blazon of sweet beauty's best": Shakespeare's *Lucrece*", Shakespeare and the Question of Theory, op. cit., pp. 95-115 and Katharine Maus, "Taking Tropes Seriously: Language and Violence in Shakespeare's *Rape of Lucrece*", The Matter of Difference: Materialist Feminist Criticism of Shakespeare, ed., Valerie Wayne, (New York: Cornell University Press, 1991), pp. 56-68

⁷⁶Nancy Vickers, op. cit., p. 112

become another enactment of the inexorable logic of the Same". This is the patriarchal logic whose concept of power is centralized and monolithic.⁷⁴ An alternative to that is not only to transform the existing power structure, but also to transform the very concept of power itself. Towards this end it is necessary for feminist criticism to redefine its attitude to other current trends in literary criticism. More infusion with other critical theories should be considered in order to avoid the isolation of feminist readings to an all-woman ghetto.

On the whole, feminist criticism has made a positive impact on Shakespearean studies. It has shown how the meanings of the texts have been determined by generations of critics, directors, editors, and even teachers. By showing the possibility of other interpretations where women readers are concerned, feminist critics have emphasized that meaning is essentially historically and culturally constructed and not embedded in the text. They have thus challenged the political authority and cultural significance of Shakespeare's plays whose meanings are often inscribed as "timeless" or "universal" ironically by both liberals and conservatives in their attempt to reinforce contradictory views of an "eternal" human nature.

However, further work is still required on the part of feminist critics in order to encompass the whole of the Shakespeare canon. So far, some of the earliest plays such as Titus Andronicus, Henry V, or Henry VI have largely been neglected or at least not given the same critical focus as other tragedies and comedies. Similarly, Shakespeare's sonnets have yet to be explored in some detail from a feminist perspective. Nevertheless, the narrative poems have been given some attention. For example, Nancy Vickers and Katharine Maus both examine structures of female domination and male anxiety

⁷⁴Toril Moi, *op. cit.*, pp. 142-143

In Shakespeare and the Question of Theory, several other essays adopt this same approach which consciously integrates recent literary theory within feminist criticism of Shakespeare.⁷¹ However, not all feminist critics welcome this mode as potentially liberating the way Jacqueline Rose suggests.⁷² Showalter certainly has her own reservations, which she outlines as follows:

The new sciences of the text based on linguistics, computers, genetic structuralism, deconstructionism, neo-formalism and deformatism, affective stylistics and psychoaesthetics, have offered literary critics the opportunity to demonstrate that the work they do is as manly and aggressive as nuclear physics - not intuitive, expressive and feminine, but strenuous, rigorous, impersonal and virile.⁷³

The paradox of Showalter's position is that in her rejection of literary theory because it is a highly intellectual and "manly" style of discourse, she endorses an essentialist vision of femininity and feminine discourse as being non-discursive, irrational, intuitive and subjective. She therefore seems to be asserting these gender stereotypes rather than deconstructing the binary oppositions of masculine and feminine. Showalter's approach echoes similar efforts on the part of Irigaray and Cixous to establish a theory of femininity and to define a distinct feminine discourse. Moi pertinently criticizes such attempts as falling into what she terms as "the essentialist trap". In spite of certain divergences, these endeavours are "doomed to

⁷¹Patricia Parker and Geoffrey Hartman, eds., Shakespeare and the Question of Theory, op. cit.

⁷²See above, p. 17

⁷³Elaine Showalter, "Towards a Feminist Poetics", op. cit., p. 38

instrument or a "press" to reproduce copies of himself. The implication is that marriage is mainly about acquiring "copyright" in the woman's body.⁶⁹

A key question is posed by Gohlke: "What then, in psychoanalytic terms, would constitute the beginnings of feminist discourse?" Her conclusion might seem for some feminists as rather simplistic in its comforting sense of closure. However, in my experience, it does represent the acceptable face of feminist criticism for a number of male and female critics. She thus concludes:

That each sex should take itself as the norm is perhaps part of the Ptolemaic universe of children which must undergo several stages of decentering before maturity. Not to undergo this process of decentering is to elaborate structures of dominance and submission in which dominance becomes the mask of weakness and submission a subversive strategy in the mutual struggle for power. For a woman to read herself obliquely through the patriarchal discourse as "other" is to assent to this structure. For a critic, male or female, to read this discourse as representative of the true nature of masculinity or femininity is to accept this structure. For a feminist critic to deconstruct this discourse is simultaneously to recognize her own historicity and to engage in the process of the unconscious by which she begins to affirm her own reality.⁷⁰

⁶⁹ Ann Thompson, Shakespeare, Meaning and Metaphor, (Brighton: Harvester, 1988). See especially chapter 5.

⁷⁰ Madelon Gohlke, *op. cit.*, pp. 166-167

within psychoanalysis, especially the feminist deconstructive reading of Lacan.

Another application of feminist psychoanalytical techniques to the textual interpretation of Shakespeare's plays is one adopted by Madelon Gohlke in her essay, "I wooed thee with my sword": Shakespeare's Tragic Paradigms".⁶⁶ She examines the tragedies by analyzing their system of metaphors. The premise of her work is that, "it is metaphor that allows us to sub-read, to read on the margins of discourse, to analyze what is latent or implicit in the structures of consciousness or of a text".⁶⁷ With special emphasis on sexual metaphors, Gohlke shows the way in which "vehicle consistently outdistances tenor". That is to say, metaphor is a "highly charged imagistic expression" whose implications reveal more than the writer or character consciously intended.⁶⁸ Of particular interest to the critic is the extent to which the language of love in the tragedies is infused with metaphors of violence against women, thereby disclosing a constant fear on the part of the hero of becoming feminized. In Shakespeare, Meaning and Metaphor, Ann Thompson also reveals an interesting ideological dimension in Shakespeare's use of printing metaphors, which she observes are often associated with questions of authority, ownership and legitimacy. Thompson elaborates on the assumption that people are generally regarded as "books" which can be "read" by others, indicating that the contents of the book where a woman is concerned are primarily concerned with her sexual innocence or guilt. From a male perspective, the sexual act itself is equivalent to the printing process in which a man uses a woman as an

⁶⁶ Madelon Gohlke, "I wooed thee with my sword": Shakespeare's Tragic Paradigms", The Woman's Part, op. cit., pp. 150-170

⁶⁷ Id., p. 150

⁶⁸ Id., p. 151

Lisa Jardine is similarly dismissive of Bamber's mimetic, essentialist model of feminist criticism. Jardine furthermore suggests that feminism should question inherited cultural definitions of sexual identity as endorsed by Shakespeare's drama, instead of simply attributing objectivity and universality to Shakespeare's depiction of men and women in his plays. According to Jardine, this procedure of appropriating Shakespeare usually implies a denigration of feminism.⁶²

A rather complex mode of feminist psychoanalytical criticism of Shakespeare draws on the work of Jacques Lacan and Jacques Derrida and their feminist counterparts, Julia Kristeva, Helene Cixous and Luce Irigaray.⁶³ Unlike the traditional character-based studies, this kind of criticism foregrounds the use of language and notions of textuality in its exploration of the sexual politics underlying Shakespeare's plays. For example, in his essay, "The Turn of the Shrew", Joel Fineman explains how what he terms "the subversive discourse of woman" in The Taming of the Shrew finally comes to endorse male authority.⁶⁴ He then relates his findings to a wider question that is often posed by feminist critics: "is it possible to voice a language, whether of man or of woman, that does not speak, sooner or later, self-consciously or unconsciously, for the order and authority of man?"⁶⁵ Fineman's approach is original in the way he explores the thematic limitations of the play in the light of the theoretical debates

⁶²Lisa Jardine, *op. cit.*, pp. 5-8

⁶³For an introductory account of French feminist theory, see Toril Moi, *op. cit.*, pp. 89-173

⁶⁴Joel Fineman, "The Turn of the Shrew", Shakespeare and the Question of Theory, *op. cit.*, pp. 138-159

⁶⁵*Id.*, p. 138

affirmation of wit and flexibility, validate women's strengths while the tragedies emphasize male struggles and ultimately victimize women.⁵⁹

Marilyn French interprets this notable inconsistency in terms of a debate between male and female principles where the male principle stands for violence, competitiveness and the power to kill while the female stands for the power to nurture and give birth.⁶⁰ This is an area where feminist critics often disagree on account of what McLuskie identifies as the "essentialism" of such studies that are typified by French. According to McLuskie,

feminism thus involves defining certain characteristics as feminine and admiring them as a better way to survive in the world. In order to assert the moral connection between the mimetic world of Shakespeare's plays and the real world of the audience, the characters have to be seen as representative men and women and the categories male and female are essential unchanging, definable in modern, commonsense terms.... [This] essentialism... is part of a trend in liberal feminism which sees the feminist struggle as concerned with reordering the values ascribed to men and women without fundamentally changing the material circumstances in which their relationships function. It presents feminism as a set of social attitudes rather than as a project for fundamental social change.⁶¹

⁵⁹ See Linda Bamber, Comic Women, Tragic Men: A Study of Gender and Genre in Shakespeare, (Stanford: Stanford University Press, 1982), Carol Thomas Neely, Broken Nuptials in Shakespeare's Plays, (New Haven: Yale University Press, 1985), Marilyn L. Williamson, The Patriarchy of Shakespeare's Comedies, (Detroit: Wayne State University Press, 1986) and Peter Erickson, *op. cit.*

⁶⁰ Marilyn French, Shakespeare's Division of Experience, (London: Jonathan Cape, 1982).

⁶¹ Kathleen McLuskie, *op. cit.*, pp. 89-90

ambivalence towards female sexuality: men's inability to reconcile tender affection with sexual desire, and their constant vacillation between idealization and degradation of women. However, the problem with this line of feminist criticism of Shakespeare is its preoccupation with the masculine identity rather than the feminine experience. Khan herself expresses worries about the appropriateness of this reading strategy for a feminist critic.

To read Shakespearean tragedy or any other patriarchal literature as the account of specifically masculine dilemmas of self-definition, it might seem, is to privilege male experience and allow its voice to speak for women as well, accepting just those assumptions which we as feminists are at pains to challenge.⁵⁷

Nonetheless, Kahn shows how this limitation can be turned into an advantage if the aim of such feminist studies is foregrounded:

The crucial difference... between the feminist reader in pursuit of the maternal subtext and Maynard Mack or A.C. Bradley is that they take it for granted that the male experience portrayed in Shakespearean tragedy is universal, while the feminist reader consciously notes the gender perspective of this genre, and tries to learn from it about the working myths of patriarchal culture.⁵⁸

Another strand of psychoanalytical criticism traces changes in gender relations through Shakespeare's use of different genres. Most feminist critics have suggested that Shakespeare's comedies, with their

⁵⁷ Coppelia Kahn, "Excavating Those Dim Afar-off Regions: Maternal Subtexts in Patriarchal Literature", *Discourse*, (Summer 1982), p. 41

⁵⁸ *Ibid.*

tradition which "siphons off or distracts attention from the difficulty of language itself" by focusing on the woman.⁵³

Within what has now become a considerable body of feminist criticism from the psychoanalytical perspective, there are a number of essays that are concerned with exploring the importance of ideals of violence in the psychosexual analysis of Shakespeare's male characters. For example, Janet Adelman analyzes the importance of structures of psychological dependence in accounting for Coriolanus' phallic aggression⁵⁴. Similarly, Coppelia Kahn describes the feud in Romeo and Juliet as a deadly passage from boyhood to manhood in a patriarchal society which is ultimately self-destructive in its promotion of masculinity at the price of life itself.⁵⁵ These essays build on feminist psychoanalysis which places motherhood at the centre of male psychological development. Hence, Khan explains: "the critical threat to identity is not, as Freud maintains, castration, but engulfment by the mother... men first know women as the matrix of all satisfaction from which they must struggle to differentiate themselves".⁵⁶ Thus, critics suggest how structures of male dominance grow out of and mask fears of female power and of male feminization and powerlessness. Such studies of Shakespeare's plays also make extensive use of psychoanalytic insights into male

⁵³Id., p. 102

⁵⁴Janet Adelman, "Anger's My Meat": Feeding, Dependency, and Aggression in *Coriolanus*", Representing Shakespeare: New Psychoanalytical Essays, eds., Murray M. Schwartz and Coppelia Kahn, (London: John Hopkins University Press, 1980), pp. 129-149

⁵⁵Coppelia Kahn, "Coming of Age in Verona", The Woman's Part, eds., Carolyn Ruth Swift Lenz, Gayle Greene and Carol Thomas Neely, op. cit., pp. 171-193

⁵⁶Coppelia Kahn, "Man's Estate", Masculine Identity in Shakespeare, (Berkeley: California University Press, 1981), p. 11

Shakespeare's works, is an area of great potential. It would be interesting to conduct other studies of a Cleopatra or a Cordelia myth.

An equally important feminist approach to Shakespeare in one based on psychoanalysis. In "Sexuality in the Reading of Shakespeare: Hamlet and Measure for Measure", Jacqueline Rose shows how "psychoanalytic and literary criticism share with the literature they address a terrain of language, fantasy and sexuality - a terrain in which the woman occupies a crucial, but difficult, place".⁵⁰ Characters like Gertrude in Hamlet and Isabella in Measure for Measure have often been accused by both psychoanalytic and literary critics for the failure of the plays on the aesthetic and sexual levels. Most critical commentaries have emphasized the problem of these two plays in terms of too much sexuality on the part of Gertrude and too little on the part of Isabella. Whether it is sexual excess or deficiency, the woman in both plays is accused of causing a "disorder" and provoking "a crisis which overturns the sexual identity of the central male character of the drama". Her failure in her duty to hold male sexual desire in place, leads to his crime.⁵¹ Rose uses T.S. Eliot's critique of Hamlet as exemplary of this repressive kind of literary criticism in which "what is felt as inscrutable, unmanageable or even horrible for an aesthetic theory which will only allow into its definition what can be controlled or managed by art, is nothing other than femininity itself".⁵² She indicates that "much recent literary theory can be seen as an attempt to undo the ferocious effects" of this

⁵⁰ Jacqueline Rose, "Sexuality in the Reading of Shakespeare: Hamlet and Measure for Measure", Alternative Shakespeare, ed. John Drakakis, op. cit., p.95

⁵¹Id., p. 97

⁵²Id., p. 101

pointed out that women did make up a considerable number of the audience in Shakespearean England.⁴⁶ Lorraine Helms considers the modern effect of some of the textual strategies and stage practices that were originally designed to feminize the boy actor. By contrast, the subsequent presence of the female body and the female voice must confront these strategies upon which Shakespeare's construction of gender is based.⁴⁷

In her essay, "Representing Ophelia: Women, Madness, and the Responsibilities of Feminist Criticism", Elaine Showalter pioneers a different kind of historical approach.⁴⁸ She makes a study of what she calls "the Ophelia myth" since "the representation of Ophelia changes independently of theories of the meaning of the play or the Prince, for it depends on attitudes towards women and madness".⁴⁹ She thus goes beyond the minimal information offered by the dramatic text and traces the representation of Ophelia in painting, psychiatry and literature as well as on the stage. Showalter explores the ways in which Ophelia has become an archetype of female melancholy or madness, which is seen as necessarily sexual in origin and erotic in expression. She also examines the influence of Ophelia's status as icon in literature and psychotherapy. This kind of feminist criticism which elucidates the subtle ways in which traditions and cultural preconceptions develop from and around canonical classical texts like

⁴⁶See Ann Jennalie Cook, The Privileged Playgoers of Shakespeare's London: 1576-1642, (Princeton: Princeton University Press, 1981)

⁴⁷Lorraine Helms, *op. cit.*, pp. 190-200

⁴⁸Elaine Showalter, "Representing Ophelia: Women, Madness, and the Responsibilities of Feminist Criticism", Shakespeare and the Question of Theory, eds. Patricia Parker and Geoffrey Hartman, (New York: Methuen, 1985)

⁴⁹*Id.*, pp. 91-92

or stage hands".⁴² Feminist critics have explored the convention whereby male actors played female roles, a convention which questions the whole meaning of sexual identity.⁴³ On the one hand, the male disguise of the female heroines could be interpreted as an undermining of sexual difference and therefore a challenge to patriarchal values. Analyzing the epilogue to As You Like It from this perspective, Belsey asks, "Who is speaking?" when the boy actor playing Rosalind addresses the audience. Belsey concludes that "a male actor *and* a female character is speaking" and that this convention allows Shakespeare to leave the issue of sexuality open and unresolved.⁴⁴ On the other hand, this theatrical convention is sometimes interpreted as a further celebration of patriarchy. Thus Peter Erickson sees this epilogue as,

a further twist of logic which defuses and reduces the threat of female power. Rosalind is no one to be frightened of since she is male after all... In revealing the self-sufficient male acting company, the epilogue also offers the counter image of male bonds based on the exclusion of women.⁴⁵

However, an alternative to either appropriating this all-male theatrical convention towards a feminist cause or denouncing it as sexist is to consider Shakespeare's plays as entertainment for a heterosexual audience both in his time and in contemporary theatre. It has been

⁴²Kathleen McLuskie, op. cit., p. 92

⁴³Discussions of the boy actor include Lisa Jardine, op. cit., pp. 9-36 and Phyllis Rackin, "Androgyny, Mimesis, and the Marriage of the Boy Heroine on the English Renaissance Stage", PMLA 102:1, (1987)

⁴⁴Catherine Belsey, op. cit., p. 181

⁴⁵Peter Erickson, op. cit., pp. 34-35

his admirable heroines fit the "saving stereotypes" which the period created of chaste, sacrificing and patient women.³⁸

The fact that Dusiaberre, Belsey and Jardine rely on the same investigations conducted by social historians such as Lawrence Stone and Keith Wrightson, shows the complexity of this historical approach. Stone describes the rise of what he calls "companionate marriage" in this period.³⁹ Yet Stone himself is not sure that the dissenting tradition really promoted the liberation of women. He points out that with its new emphasis on the individual reading of the Bible, Protestantism further favoured men who were more likely to be literate than women. Therefore, in practice, Protestantism gave husbands more power than ever before as they took on the role of the priest in the family.⁴⁰ The same controversy is discussed in Wrightson's research, English Society 1580-1680.⁴¹ Although feminist historical critics employ similar material and start out with similar aims, they construct different (sometimes contradictory) theses encompassing the period, drama and Shakespeare.

Feminist historical critics also examine Shakespeare's plays in relation to the theatrical conditions in which he worked. As McLuskie points out, the plays were "the product of an entertainment industry which, as far as we know, had no women shareholders, actors, writers

³⁸Id., pp. 184-193

³⁹This concept lies behind Marriane Novy's emphasis on "mutuality" discussed above, p. 10

⁴⁰Lawrence Stone, The Family, Sex and Marriage in England 1500-1800, (London: Weidenfield and Nicholson, 1977), pp. 154-155

⁴¹Keith Wrightson, English Society 1580-1680, (London: Hutchinson, 1982), Chapter 4.

improved education of women, as well as Puritanism which advocated the idea of marriage for companionship. She argues that the increased interest in women's roles and marital relationships is accordingly reflected in Shakespeare's plays, which are "feminist in sympathy".³⁴

She even concludes that in his creation of strong, complex female characters, Shakespeare not only questioned conventional stereotypes of women, but also "saw men and women as equal".³⁵ Catherine

Belsey also proclaims that "the contest for the meaning of the family in the sixteenth and seventeenth centuries... momentarily unfixed the existing system of differences". In this sense, Shakespeare's plays represented only a temporary disruption of the sexual stereotyping which subsequently prevailed again.³⁶ In sharp contradiction to the

previous two assessments of the status of women in history and in drama, there is Lisa Jardine's book, Still Harping on Daughters. Jardine sees the drama as a reaction to, not a reflection of, social realities, a misogynist response to the unexpressed worries of patriarchy about the great social changes of the period.³⁷ According to Jardine, strong female characters in the drama of the time are not exemplary or liberating but are satiric creations or cautionary warnings that are contained or chastised by the drama. They are set up only to be suppressed. Shakespeare's plays reflect this misogyny; his representation of strong women reflects patriarchal anxieties and

³⁴Juliet Dusinberre, Shakespeare and the Nature of Women, (New York: Barnes & Noble, 1975), p. 5

³⁵*Id.*, p. 308

³⁶Catherine Belsey, "Disrupting Sexual Difference: Meaning and Gender in the Comedies", Alternative Shakespeare, ed. John Drakakis, (London: Methuen, 1985), p. 190

³⁷Lisa Jardine, Still Harping on Daughters: Women and Drama in the Age of Shakespeare, (Brighton: Harvester, 1983), p. 6

playing against the traditional meaning of the text. According to Thompson, the production was "not enjoyable in a straightforward way" even though she believes that the audience ought not to be encouraged to experience the text as "simply rollicking good fun" ³¹

Another objection to such feminist readings is that they could be imposing modern interpretations on old texts. One response to such an accusation is that it is illusory to suppose that one can approach any text without considering its modern relevance. This is not to deny the importance of the historical context in which the plays were written and produced. Indeed, it is by relating the socio-political and theatrical conditions of Shakespeare's time to our contemporary society that one can get a better understanding and a wider perspective of the relationship between the sexes. However, feminist critics who adopt a historical approach are forced to recognize the complex and often contradictory discourse of historical documentation itself. Moreover, they have to contend with the highly problematic relationship between literature and history or art and life. The plays are both aesthetic or fictional creations as well as historical or social illustrations. Therefore, historical data cannot simply be imported into the plays or derived from them. Most historical feminist critics of Shakespeare would agree that Shakespeare's portrayal of women in his plays is unique and unprecedented, thereby reinforcing their preferred image of him as the comparatively liberal thinker. These critics would also agree that the position of women and the general attitude towards sex roles was beginning to change in the Renaissance, but they disagree about the extent and direction of that change.

In Shakespeare and the Nature of Women, Juliet Dusinberre contends that women in the Renaissance gained greater authority and freedom because of the humanism of the period which encouraged

³¹ Ann Thompson, ed., The Taming of the Shrew, (Cambridge: Cambridge University Press, 1984), p. 40

Erickson similarly attributes to Shakespeare patriarchal values and asserts that Lear at the end gets exactly what he wants from Cordelia:

Upon her re-entry to the play, she obliges Lear in the role of the good, comforting mother, to which he had originally assigned her (and in which she contrasts so strikingly with the "bad mothers", Goneril and Regan).... Her [Cordelia's] husband having been conveniently suppressed, she is both maternal and virginal, nurturing and non-threatening. However, this appropriation of Cordelia is not an act of love but a violation of it that echoes and repeats Lear's ritual possessiveness in the opening scene.³⁰

The emphasis on entertainment value gives rise to the question of the legitimacy of feminist criticism to diminish or even destroy the kind of pleasure that the audience have traditionally derived from Shakespearean plays. Wayne Booth calls it the "scandal" of the feminist critique whereby "I find that my pleasure in some parts of the text has now been somewhat diminished by my critical act".³¹

McLuskie speculates on such feminist productions that could be based on a feminist critique with special reference to Measure for Measure and King Lear. However, she rejects them because they require too radical a revision of the texts whose dynamics are based on male terms.³² Ann Thompson equally rejects Michael Bogdanov's production of The Taming of the Shrew for the Royal Shakespeare Company in 1978. The production took an outright feminist line by

³⁰Peter Erickson, op. cit., pp. 112-114

³¹Wayne Booth, "Freedom of Interpretation: Bakhtin and the Challenge of Feminist Criticism", Critical Inquiry, Vol. 9, No. 1 (Sept. 1982), p. 68

³²Kathleen McLuskie, op. cit., pp.97-98

to men under patriarchy, to be accepted in practice as real partners.²⁶ However, other critics, including myself, find this defense not entirely convincing.²⁷

At least feminist criticism acknowledges some of these areas as problematic and addresses them in explicit ways. There have been many reassessments of characters that have long been recognized as problems. These characters include Katherina in The Taming of the Shrew, Isabella in Measure for Measure, Gertrude in Hamlet as well as Cleopatra, Cressida and Lady Macbeth. Some episodes especially endings of certain plays have also been set down as problematic. Kathleen McLuskie is probably justified in identifying part of the problem in terms of the pleasure induced from comedy and tragedy as dramatic forms. She indicates that it may be easier for feminists to challenge or deny the pleasure of comedy in their struggle to withhold their assent from the social approval of sexist humour, but it may be more difficult to deny the "emotional, moral and aesthetic satisfaction afforded by tragedy".²⁸ The test-case here seems to be the ending of King Lear. According to McLuskie, when Lear enters with his daughter dead in his arms, "the most stony-hearted feminist could not withhold her pity even though it is called forth at the expense of her resistance to the patriarchal relations which it endorses".²⁹ Peter

²⁶See Marianne Novy, Love's Argument: Gender Relations in Shakespeare, (Chapel Hill: University of North Carolina Press, 1984).

²⁷See below, pp. 13-16

²⁸Kathleen McLuskie, "The Patriarchal Bard: Feminist Criticism and Shakespeare: King Lear and Measure for Measure", Political Shakespeare, eds. Jonathan Dollimore and Alan Sinfield, (Manchester: Manchester University Press, 1985), p. 98

²⁹*Ibid.*

Feminist studies that have exclusively focused on the positive aspects of the female characters in Shakespeare's plays are pioneering and insightful in the way they foreground many issues that have hitherto been overlooked and unknown. However, they are often subject to the same kind of criticism directed against feminist criticism in general, which is that they are too partisan and subjective. In effect, they are compensating for the bias in a critical tradition that has tended to emphasize male characters, male themes and male fantasies. Ironically, these accusations are the same pitfalls of feminist criticism that is devoted to the study of female authors only. It is necessary for feminist critics to note how far Shakespeare's female characters are ultimately restricted by the patriarchal structures that inevitably dominate their lives. Female friendships, no matter how strong they may be, are regularly supplanted by marriage. Moreover, Helena and Hermia provide a counter-example of women who do not develop a sisterly solidarity but instead behave according to the male stereotype which assumes that all women are naturally rivals for the attention of men. When women have passionate and intimate relationships, it is assumed to be an adolescent phase that they must outgrow, whereas men can continue to have strong ties with each other after they are married.²⁵ Apparently, powerful women like Rosalind and Portia have to renounce their authority when they become wives. Rosalind furthermore reduces herself to the status of a male possession when she says to both her father and husband, "To you I give myself, for I am yours" (As You Like It, V, iv, 104). As for Portia, she describes herself untruthfully as "an unlesson'd girl" unworthy of Bassanio (The Merchant of Venice, III, ii, 159). An apologist feminist critic like Marianne Novy justifies these situations by underlining the importance of "mutuality" in Shakespeare's conception of marriage. She argues that marriage allows women, though theoretically inferior

²⁵ Peter Erickson explores this imbalance in Patriarchal Structures in Shakespeare's Drama (Berkeley: University of California Press, 1985).

Criticism and Shakespearean Performance"²² considers the ways in which feminist film theorists have revealed how cinematic representation constructs the female as the object of the male spectator's gaze.²³ It then raises parallel questions for theatrical and specifically Shakespearean representation: to what extent and through what strategies does Shakespearean performance also construct female characters for the spectator's eye? The suggestion is that objectifying and eroticising many female characters on stage is a manifestation of male sexual anxieties rather than a truthful dramatization of the role. In a later full-length study entitled, Women's Worlds in Shakespeare's Plays, Irene Dash studies how criticism and staging interact synergistically as well as responding to contemporaneous cultural, political, and technological developments. By analyzing promptbooks, inserted stage directions, production notes and printed acting versions of Shakespeare's plays, she demonstrates how various actor-managers and directors throughout theatrical history have exposed a personal and universal bias in their interpretation of the roles of the women characters. Thus, through the use of cutting, rearrangement and rewriting as well as through editorial and critical comment, Shakespeare's female characters have often been converted into whatever was seen as properly womanly at any given time. The book also opens other possibilities in order to extend the feminist critique of Shakespeare to contemporary theatrical practice.²⁴

²²Lorraine Helms, "Playing the Woman's Part: Feminist Criticism and Shakespearean Performance", Theatre Journal, vol.41, no.2, (May 1989), pp. 190-200.

²³See Laura Mulvey, "Visual Pleasure and Narrative Cinema", Screen, vol. 16, no. 3, (Autumn 1975), pp. 6-18 and Annette Kuhn, The Power of the Image: Essays on Representation and Sexuality, (London: Routledge and Kegan Paul, 1985)

²⁴Irene Dash, Women's Worlds in Shakespeare's Plays, (London: Associated University Press, 1997)

male supremacy and female subordination as normative or instinctive. By closely examining Shakespeare's female protagonists, feminist critics point out that characters like Gertrude, Ophelia, Desdemona and Cordelia do have an existence and importance beyond the limited perception of them by Hamlet, Othello or Lear. However, it is the conventional male criticism that has always prompted the study of these women characters through the eyes of the hero or only in as far as they can illuminate certain aspects in the hero's psychological make-up. Feminist critics reasonably argue that women characters often appear on stage without the hero and that they are sometime seen in relation to other women. Hence the hero's view of them is superficial and unreliable. Alternatively, feminist critics of Shakespeare have thoroughly explored and foregrounded the importance of relations between women in the plays. The extent to which they confide in and support each other discloses a female sub-culture that is separate from the male world because it is capable of operating in terms of different values and attitudes. For example, women's conception of friendship can be rather complex. They can become friends in surprising circumstances such as when the plot makes them rivals for the love of the same man. Julia's sympathy for Silvia in The Two Gentlemen of Verona and Viola's for Olivia in Twelfth Night are two cases in point. Women can also conspire together to outwit a man just at the crucial moment when he thinks he is triumphing over one of them by forcing her to bed such as in Measure for Measure and All's Well That Ends Well.

Feminist studies in this area have indicated that it is not just a male critical legacy of Shakespeare's works that has perpetuated the misleading image of the patriarchal Bard. There is also a whole tradition of theatrical representation that has endorsed the stereotyping and marginalizing of women characters beyond textual requirements. An inspiring essay entitled, "Playing the Woman's Part: Feminist

excessive masculinity of writers like Milton, Kipling, Jonson, and Wordsworth. She specifically refers to Milton as the "bogey" beyond which literate women must look in order not to shut out the view.²⁰ Indeed, for most feminist critics, it is difficult to appropriate Milton to their cause or even reveal that the text itself is less misogynistic than the critical discourse that has centered on it.²¹ However, it is still possible to reread Paradise Lost within the limitations of its own historical context that should be distanced and dislocated from the present. The subtlety of the language can be emphasized in order to show how it has affected the Western cultural construction of masculinity. The male-biased attitudes that have become deeply ingrained in modern Western thought can also be exposed to show how they in turn consolidate the power and sublimity of the text.

The fact that Shakespeare is less overtly misogynistic than Milton has turned out to be a source of inspiration for feminist critics who have emphasized what they see as the positive and enlightened aspects of his works. Thus, they claim that, unlike his contemporaries, Shakespeare holds more progressive views about women and that he wittily questions the limitations of conventional gender definitions. These "Apologist" or "Revisionist" critics hail Shakespeare as a proto-feminist by demonstrating how his female characters are not the crude stereotypes that take sex roles and expectations for granted. In this sense, Shakespeare's plays are interpreted as subtly exposing the culturally and politically imposed artificiality underlying conventional sexual politics, which emphasize

²⁰Virginia Woolf, A Room of One's Own, 1929 (Cambridge: Cambridge University Press, 1995), p. 117.

²¹See Sandra M. Gilbert, "Patriarchal Poetry and Women Readers: Reflections on Milton's Bogey", 1978, PMLA 93, pp. 368-382. To compare between contemporary feminist critics' response to Shakespeare and Milton, see an anthology of feminist essays on Milton, Milton and the Idea of Woman, ed., Julia Walker, (Urbana: University of Illinois Press, 1988).

committed to a revolution of consciousness that would make [her] concerns those of the majority"¹⁸

Carolyn Swift also observes that as a feminist critic of Shakespeare, she has become a "tenured full professor" while her peers who are specialized in women studies are often teaching part-time. With reference to whether feminist critics should study and teach Shakespeare, she explains:

We recognize that we do not want to deprive ourselves of the pleasure of teaching the playwright who, with good reason, is esteemed the greatest in English. Furthermore, we would then be leaving a powerful academic field to colleagues who, even with the best of intentions, may not satisfy the needs of female students any more than earlier professors did.¹⁹

Whether feminist critics choose to appropriate or confront Shakespeare, personal investment is undeniable. The fact remains that feminist criticism wields political significance and cultural authority through its association with Shakespeare as a cultural icon who has acquired mythic proportions that transcend the limitations of national identity.

Shakespeare also proves to be more susceptible to women's appropriation than other canonical male writers like Milton for example. According to Virginia Woolf, Shakespeare is her prime example of the great artist's androgynous mind, contrasting with the

¹⁸ Elaine Showalter, "Towards a Feminist Poetics", op. cit., p. 41

¹⁹ Carolyn Swift, "Towards a Feminist Renaissance: Woman-Centering Shakespeare's Tragedies", *Women's Re-Visions of Shakespeare*, ed. Marianne Novy, (Urbana and Chicago: University of Illinois Press, 1990), p. 212

They build up on current theories in critical practice, which question issues of meaning and interpretation and how they are generated from the interaction between the individual reader and the text. They also draw on the cultural materialist approach that sees art and the act of interpretation as reinforcing existing sexual politics. The mythic value of the Shakespeare canon is also seen within a cultural hierarchy that is artificially imposed. Evidently, male critics have noted the potential of feminist criticism to revise the Shakespeare canon and not just to reinstate the work of women writers and create a female literary tradition with which they can identify. For example, Lawrence Lipking observes, "something peculiar has been happening lately to the classics. Some of them now seem less heroic, and some of them less funny".¹⁷ On the whole, feminist criticism poignantly questions the criteria of aesthetic value in its re-estimation of the true worth of so-called classical masterpieces.

In addition to the aesthetic and political arguments that emphasize the importance of the feminist critique of canonical male authors, one cannot overlook an element of careerism involved especially on the part of feminist critics of Shakespeare. Most of them seem to have been reluctant to throw away their hard-won expertise in Shakespeare studies in order to devote themselves entirely to the study of women writers. Showalter speaks of a "divided consciousness" in

the struggle between "the professor, who wants to study major works by major writers and to meditate impersonally between these works and the readings of other professors, and the minority, the woman who wants connections between [her] life and [her] work and who is

¹⁷ Lawrence Lipking, "Aristotle's Sister: A Poetics of Abandonment," Critical Inquiry, vol. 10, no. 1, (September 1983), p. 79

Great care must be taken in working on feminine writing not to get trapped by names: to be signed with a woman's name doesn't necessarily make a piece of writing feminine. It could quite well be masculine writing, and conversely, the fact that a piece of writing is signed with a man's name does not in itself exclude femininity. It's rare, but you can sometimes find femininity in writings signed by men: it does happen.¹³

In her essay, "Notorious Signs, Feminist criticism and Literary Tradition", Adrienne Munich also challenges over-simplistic notions that neatly equate authorship with gender perspective.¹⁴ Moreover, she argues that feminist criticism itself has sometimes reinforced male-authored texts and that it is this two-sexed culture that has ultimately produced gendered polarities which inform all its writings. With particular reference to the Book of Genesis, Don Quixote, and the Oresteia, she claims that the traditional canon "may not be as masculinist as some feminist criticism has assumed". In fact, some "critical discourse has tended to be more misogynist than the texts it examines".¹⁵ Consequently, she attacks the assumption that feminist critics should limit themselves to female-authored texts. According to Munich, rejecting the work of male writers would be reinforcing "a primitive taboo forbidding women to approach sacred objects".¹⁶ Feminist critics of Shakespeare find these issues of great relevance.

¹³ Helene Cixous, "Le Sexe ou la tête?" (1976), tr. Annette Kuhn, "Castration or Decapitation?", Signs, vol. 7, no. 1, (1981), p. 52

¹⁴ Adrienne Munich, "Notorious Signs, Feminist Criticism and Literary Tradition", in Gayle Greene and Coppelia Kahn, eds., Making a Difference: Feminist Literary Criticism, (London: Methuen, 1985), pp. 238-259.

¹⁵ Id., p. 251

¹⁶ Id., p. 243

traditional patriarchal canons in literature from a woman's perspective. She even warns feminist critics against the temptation of rebuilding a ghetto where women studies will proliferate while having little impact on "the universe of male discourse".¹⁰ However, Jehlen's argument for the separation of aesthetics and politics in an attempt to achieve objectivity in reading, seems to undermine her emphasis on the political need to "engage the dominant intellectual system directly" with a view of changing the universal male perspective in criticism.¹¹

Jehlen's wish to distinguish between aesthetic and political reading is also reductive in its attempt to solve the problem of how to approach literary canons which have been acknowledged as aesthetically valuable but politically distasteful.¹² Jehlen's assumption that literary texts can be read objectively, is another contentious issue. What feminist critics must avoid is a form of inverted sexism where a simplistic notion of a universal male consciousness is displaced by yet another, albeit a female one. As for, Jehlen's method of "radical comparativism", which she uses to compare Henry James' A Portrait of a Lady with Edith Wharton's House of Mirth, it does not prove practical for feminist Shakespeare critics since there were hardly any comparable women dramatists in this early period.

Arguments in favour of conducting studies of canonical male authors challenge the assumption that there is a direct and definite relationship between the sex of the author and the literary text. In her exploration of the relations between women, femininity, feminism and the production of texts, Helene Cixous indicates:

¹⁰Ibid. P. 577

¹¹Ibid.

¹²See Toril Moi, Sexual/Textual Politics, (London: Methuen, 1985), pp. 80-86.

"historically grounded inquiry which probes the ideological assumptions of literary phenomena".⁶

One of the problems of the feminist critique is that it is male-oriented. If we study stereotypes of women, the sexism of male critics, and the limited roles women play in literary history, we are not learning what women have felt and experienced, but only what men have thought women should be.⁷

At the same time, she is clearly excited about "gynocritics" which emphasizes the "psychodynamics of female creativity":

Gynocritics begins at the point when we free ourselves from the linear absolutes of male literary history, stop trying to fit women between the lines of the male tradition, and focus instead on the newly visible world of female culture.⁸

Arguments against the exclusive focus on the female tradition in literature and the creation of a separate canon of women's writing have stressed the disadvantages of isolationism in women's studies. For example, Myra Jehlen deplors the feminist tendency to create "an alternative context, a sort of female enclave apart from the universe of masculinist assumptions".⁹ Her conviction is that feminists should continue to challenge the dominant male culture by examining the

⁶ Elaine Showalter, "Towards a Feminist Poetics", op. cit., p. 25

⁷ Id., p. 27

⁸ Id., p. 28

⁹ Myra Jehlen, "Archimedes and the Paradox of Feminist Criticism", *Signs*, vol. 6, no. 4, (Summer, 1981), p. 576

approaches to Shakespeare's works.³ Although both these two books consciously adopt a feminist perspective, they are different in their basic attitude towards literary traditions created by male authors. On the one hand, the contributors to The Woman's Part presume that Shakespeare's works are a suitable focus for feminist critical analysis. On the other hand, the contributors to Writing and Sexual Difference reject any discussion of Shakespeare's texts and consider it marginal to feminist concerns.

Indeed one of the fundamental debates among feminist critics is the validity of criticizing powerful male-authored literary canons such as Shakespeare or Milton. According to Abel, feminist criticism should move from the primitive stage of identifying the misogyny of male-authored texts and cataloguing the problems of male-created stereotypes of femininity to a more advanced and radical focus on feminist readings of texts by female authors.⁴ This woman-centered approach has become a dominant trend within Anglo-American feminist criticism. In her influential article on feminist literary theory, "Towards a Feminist Poetics"(1979),⁵ Elaine Showalter distinguishes between a "feminist critique" with its concern about the woman as reader of works of male authors, and what she calls "gynocritics" with its concern about the woman as writer of literary texts. Showalter seems to be suspicious about the "feminist critique" because it is a

³For a more comprehensive bibliography, see Philip C. Kolin, Shakespeare and Feminist Criticism: an Annotated Bibliography and Commentary, (New York: Garland, 1991).

⁴Id., pp. 1-2

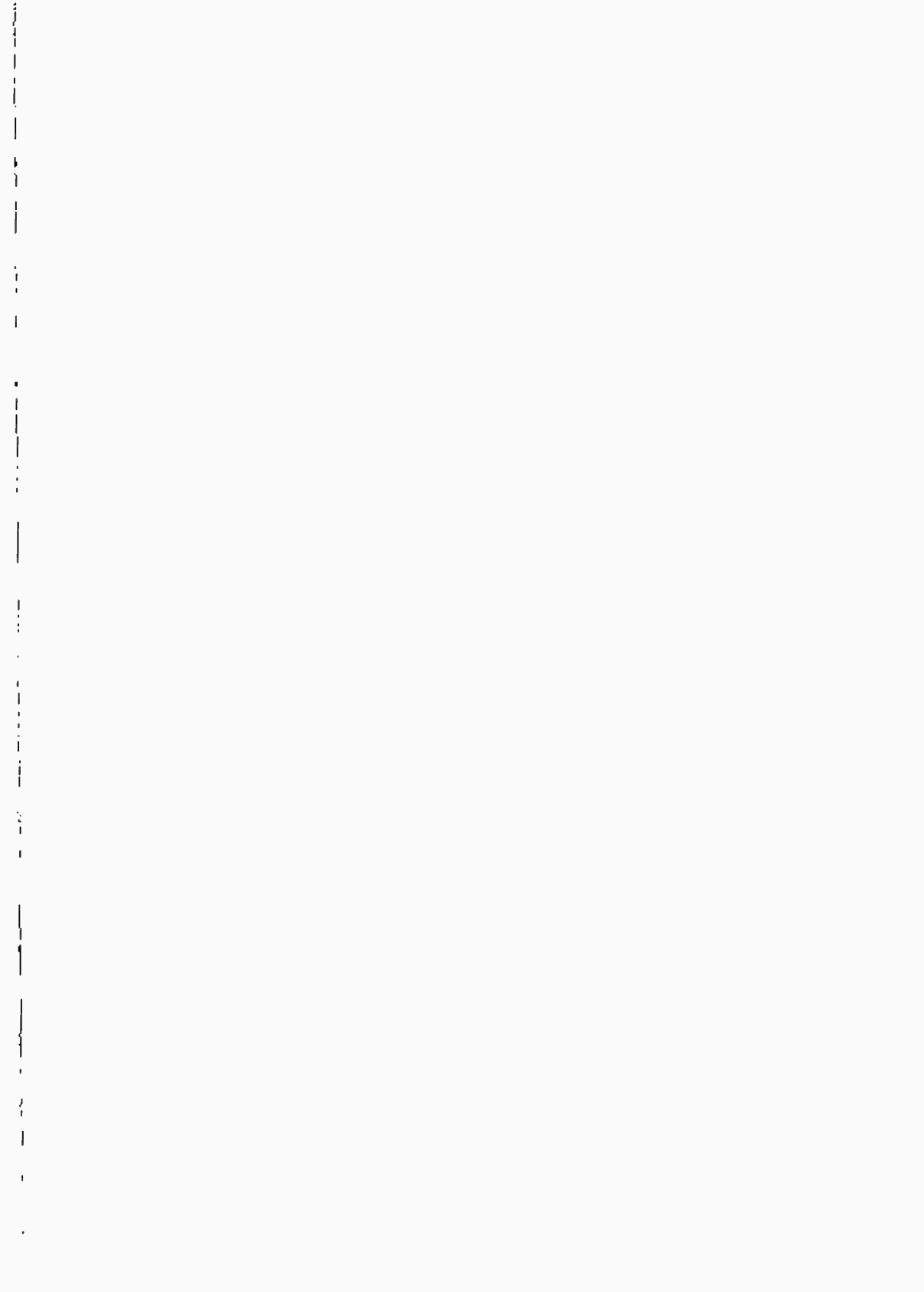
⁵Elaine Showalter, "Towards a Feminist Poetics", Women Writing and Writing about Women, ed., Mary Jacobus, (London: Croom Helm, 1979), pp. 22-41. Showalter repeats the same themes in "Feminist Criticism in the Wilderness"(1981) in Elizabeth Abel, ed., Writing and Sexual Difference, op. cit., pp. 9-36

There has been an outburst of feminist criticism of Shakespeare during the 1980's and 1990's. This feminist approach has proved to be one of the most lively, productive and influential aspects of Shakespeare criticism throughout these two decades. The aim of this paper is twofold: to provide a diagnosis and prognosis of this phenomenon. The diagnostic process includes a comprehensive account of the main tendencies, methods, principles and politics at work within the field of feminist criticism of Shakespeare by relating this field to the wider context of feminist literary criticism. It also identifies the problematic areas that have faced feminist critics in general and feminist critics of Shakespeare in particular. As for the prognostic phase, it raises some general questions about the future course of feminist criticism of Shakespeare. It puts forward some suggestions as to the issues that could be further investigated and the guidelines that could be followed to address them.

It seems appropriate to start in 1980 with the publication of The Woman's Part¹, the first anthology of specifically feminist criticism of Shakespeare. In 1981, Elizabeth Abel edited a special issue of Critical Inquiry on rather more general issues of feminism and literature under the title Writing and Sexual Difference.² Both these volumes contain not only individual examples of feminist criticism, but also manifestoes, general statements and proposals as to what feminist criticism is mainly concerned about and what it is capable of achieving. The Woman's Part also includes a selective bibliography of what by 1980 could then be identified as the early feminist

¹Carolyn Ruth Swift Lenz, Gayle Greene and Carol Thomas Neely, eds., The Woman's Part. (Urbana: University of Illinois Press, 1980).

²Elizabeth Abel, ed., Critical Inquiry, vol. 8, no. 2, (Winter, 1981). This issue with the addition of some critical responses, was reprinted as a book entitled Writing and Sexual Difference, ed Elizabeth Abel, (Brighton: Harvester, 1982). All subsequent page references will be from this book version.



FEMINIST CRITICISM OF SHAKESPEARE: A DIAGNOSIS AND PROGNOSIS

By

**MONA MAHMOUD SAMI MOHAMED MANSOUR
(Ph.D. UNIVERSITY OF KENT AT CANTERBURY)**

Kennedy (Minneapolis and London : University of Minnesota Press, 1992), p.175.

- 46- Forte, "Realism, Narrative, and Feminist Playwrights," p. 26.
- 47- Elinore Fuchs, "Adrienne Kennedy and The First Avant-Garde," in *Intersecting Boundaries*, p. 77.
- 48- Strindberg, *Six Plays*, trans. Elizabeth Sprigge (New York, 1956), p. 193.
- 49- Kennedy, *The Owl Answers*, p. 31.
- 50- Ibid., pp. 31-32.
- 51- Ibid., p. 35.
- 52- Ibid., pp. 37-38.
- 53- Ibid., pp. 42-43.
- 54- Ibid., p. 44.
- 55- Ibid., p. 45.

- 30- Norman's ' night Mother, p. 3.
- 31- Bigsby, **MODERN AMERICAN DRAMA**, p. 316.
- 32- Jill Dolan, **The Feminist Spectator as Critic**, (London : U.M.I. Research Press, 1988), p. 25.
- 33- Norman, 'nigh Mother, p.3.
- 34- Ibid., pp. 65-66.
- 35- Ibid., pp. 76-77.
- 36- Bigsby, **MODERN AMERICAN DRAMA**, P. 316.
- 37- Belsko and Koenig , **Interviews with Contemporary Women Playwrights**, p. 339.
- 38- Alia Soloman, A foreword, **The Alexandr Plays : Adrienne Kennedy** (Minneapolis : University of Minnesota Press, 1992), p. ix.
- 39- Ibid. p. ix.
- 40- Adrienne Kennedy, **The Owl Answers in Adrienne Kennedy in One-Act**, (Minneapolis : University of Minnesota Press, 1988), p. 25.
- 41- Diamond, **Unmaking Mimesis**, p. 117.
- 42- Kennedy, **The Owl Answers**, p. 26.
- 43- Forte, "Realism, Narrative, and The Feminist Playwright," p. 25.
- 44- Kennedy, **The Owl Answers**, p. 27.
- 45- Deborah R. Geis, "A Spectator Watching My Life," in **Intersecting Boundaries : The Theatre of Adrienne**

- 16- Barret Clark, "Lillian Wellman, "College English 6 Dec. 1944 : p. 130.
- 17- Llouis Kronenberger , "Greed," STAGE 16 (25 Feb. 1939): p. 55.
- 18- Lillian Wellman, **THE LITTLE FOXES in SIX PLAYS BY LILLIAM HELLMAN**, (New York : Random House, 1974), pp. 224-225.
- 19- Ibid. p. 151.
- 20- Sharon Friendman, "Feminism as Theme in Twentieth-Century American Women's Drama, "American Studies 25, 1 (1984) : 82.
- 21- Barlow , Into the Foxhole, p. 161.
- 22- Ibid. pp. 157-158.
- 23- Ibid. p. 194.
- 24- Ibid. p. 219.
- 25- Robert Brustein, New Republic, May 2, 1983.
- 26- Marsha Norman 'night Mother (New York : Hill and Wang, 1983), p. 3.
- 27- Ibid. p. 3.
- 28- Forte, " Realisimm Narrative , And The Feminist Playwright, " p. 22.
- 29- C.W.E. Bigsby **MODERN AMERICAN DRAMA, 1945-1990**, (New York : Cambridge University Press, 1994), p. 316.

- 7- Janelle Reinelt, "Beyond Brecht : Britain's New Feminist Drama," in **FEMINIST THEATRE AND THEORY**, ed. Helene Keyssar (New York : St. Martin's Press, 1996), p. 40.
- 8- Elin Diamond, *Unmaking Mimesis* (London and New York: Routledge, 1997), p. 54.
- 9- Ibid. p. 46.
- 10- Ibid. p. 44.
- 11- Jeanne Forte, "Realism, Narrative, and The Feminist Playwright, " in **FEMINIST THEATRE AND THEORY**, ed. Helene Keyssar (New York : St. Martin's Press, 1996), p. 21
- 12- Ibid. p. 21.
- 13- Patricia R. Schroeder, "Locked Behind The Proscenium Feminist Strategies in *Getting Out* and *My Sister in This House*, " in **FEMINIST THEATRE AND THEORY**, ed. Helene Keyssar (New York : St. Martin's Press, 1996), pp. 156-157.
- 14- Barbara Lee Horn , *Lillian Hellman : A Research and Production Sourcebook* (London : Greenwood Press, 1998), p. 18.
- 15- Judith E. Barlaw, "Into the Foxhole : Feminism, Realism, and Lillian Hellman," in **REALISM AND THE AMERICAN TRADITION**, ed. William W. Derrnastes (Tuscaloosa and London : The University of Alabama Press, 1996), p. 168.

Notes

- 1- There has been a major disagreement as to the precise definition of Aristotle's mimesis. For my purposes here, I will adopt representation. Stephen Halliwell's new translation of the *Poetics* consistently prefers 'representation' over 'imitation' : "Representation is closest to the 'meanings covered by the mimesis word-group in Greek. Thus a picture can represent a subject, an actor represent a character, a play represent an action event or story' while 'imitation' has none of these senses in modern English." Stephen Halliwell, *The Poetics of Aristotle* (Chapel Hill : University of North Carolina Press, 1986), p. 71.
- 2- Catherine Belsey, "Constructing the subject : deconstructing the text," in **FEMINIST CRITICISM AND SOCIAL CHANGE : Sex, Class and Race in Literature and Culture**, Eds. Judith Newton and Deborah Rsenfelt (new York and London : Methuen, 1985), p. 53
- 3- Sue-Ellen Case, **FEMINISM AND THEATRE** (New York : Methuen, 1988), p. 120.
- 4 Ibid. p. 121.
- 5- Belsey, "Constructing the subject ...", p. 54.
- 6- Sue-Ellen Case and Jeannne K. Forte, "From Formalism to Feminism." *Theatre* 16, no. 2 (Spring 1985) : p. 65.

The examination of the dramatic forms of **The little Foxes**, **' night Mother**, and **The owl Answers** has demonstrated that the three playwrights managed to expose the contradictions in the dominant patriarchal culture. Both Hellman and Norman could creatively use a realist narrative to serve feminist concerns. Similarity through the use of a non-realist dramatic form in **The Owl Answers**, Kennedy successfully shows how difficult it is for a black female to establish her own identity in a white male-dominated society.

Finally, the Mother stabs herself with a butcher knife saying, "I know the way to St. Paul's Chapel, Clara."⁵⁴ But Clara refuses to follow her and chooses to find her dead father through her own death. Trying to attack the Negro Man with the knife, she "suddenly looks like an owl and speaks the last words: "Ow ... oww," whereupon her Dead Father" rises and slowly blows out candles on the bed."⁵⁵ Thus, Clara's search for identity ends with her transformation into an owl.

Identification and transformation are possible in dreams because this is where Clara's soul can roam freely over the intersecting boundaries and contradictory fragments of reality. Being the outcome of these boundaries and fragments in her society, Clara, like Kennedy and protagonists in her early plays, resorts to the dream form in which she can try to identify with those she cannot relate to in reality. She is Clara Passmore who is the Virgin Mary who is the Bastard who is the Owl who is trying to relate to Goddam Father who is the Richest White Man in the Town who is the Dead Father who is Reverend Passmore. But the dominant culture in her society offers her the chance to be transformed only into an owl.

shawl is half about her. She shows the Negro Man her notebooks, from which a mass of papers fall. She crazily tries to gather them up. During this She walks around the bed. He follows her.) Communications, God, communications, letters to my father every day of the year... They took him away and would not let me see him ... Now they, my Black Mother and my Goddam father who pretended to Chaucer, Shakespeare and Eliot and all my beloved English, come to my cell and stare and I can see they despise me and I despise them.

They are dragging his body across the green his white hair hanging down. They are taking off his shoes and he is stiff. I must get into the chapel to see him. He is my blood father. God, let me into his burial. (He grabs her Down Center. She Kneeling) I call God and the Owl answers. (Softer.) It haunts my Tower calling, its feathers are blowing against the cell wall, speckled in the garden on the fig tree, it comes, feathered, great hollow-eyed with yellow skin and yellow eyes, the flying bastard. From my Tower I keep calling and the only answer is the Owl, God (pause.) I am only yearning for our kingdom, God.⁵³

am your Goddam Father who was the Richest White Man in the Town and you are a schoolteacher in Savannah who spends her summers in Teachers College. You are not my ancestor. You are my bastard. Keep her locked there, William."⁵⁰

Clara's search for identity continues. She screams at the Dead Father and her Mother but the Bastard's Black Mother who is the Reverend's Wife who is Anne Boleyn asks : "Why be confused? The Owl was your beginning Mary."⁵¹ Now Clara admits "I am Clara Passmore. I am not His ancestor. I ride, look for men to take to a Harlem hotel room , to love, to dress them as my father, beg to take me."⁵² Her looking for men, however, turns out to be not exactly what she yearns for :

NEGRO MAN : What is it ? What is it ? What is wrong?

(He tries to undress her. Underneath her body is black. He throws off the crown she has placed on him. She is wildly trying to get away from him.) What is it? ... Are you sick?

SHE : (Smiles.) No, God. (She is in a trance.) No, I am not sick. I only have a dream of love. A dream. Open the cell door and let me go down to St. Paul's Chapel. (The blue crepe

Yes, Why is it you are a Negro if you are his ancestor?

Keep her locked there.⁴⁴

Deborah R. Geis notes that the structure of *The Owl Answers* "resists the temporal linearity of the classic realist narrative."⁴⁵ Forte argues that the conventional narrative, in Clara's case, is absolutely oppressive because,

She is locked outside of it and within it, by virtue of her race/ gender double-bind. The play's ambiguity and near-incomprehensibility articulate the impossibility of identification with a narrative position, least of all one which might provide closure, or the fiction of a coherent self. Clara... instead traverses narrative, zigzagging across various systems of signification, seeking herself in gaps, the spaces of unnarrated silence wherein her persistently elusive subjectivity might be found.⁴⁶

The structure of *The Owl Answers* does not follow the linearity of the traditional narrative. It is a collage whose form is similar to that of a dream. In her article "Adrienne Kennedy and the First Avant-Garde," Elinore

Fuchs observes that there is a strong affinity between Kennedy's early plays and Strindberg's later dream and chamber plays in which he developed the transformational dream form.⁴⁷ In this form, the traditional time and space do not exist, as the psyche "roams freely over fragments of reality; imagination spins and weaves new patterns made up of memories, experiences, unfettered fancies, absurdities and improvisations. The characters are split, double and multiply; they evaporate, crystallize, scatter, and coverage."⁴⁸

The text of *The Owl Answers*, however, reveals that the composite protagonist, Clara, is the bastard daughter of a poor black mother and the "Richest White Man in Town." Although she is adopted by the Reverend Passmore and bears her mother's color, she idolizes the culture of her father and England "the home of dear Chaucer, Dickens and dearest Shakespeare."⁴⁹ She yearns to be accepted in the father's world but her Dead Father rejects her : "If you are my ancestor why are you a Negro, Bastard ? What is a Negro doing in the Tower of London, staying at Queen's House? Clara, I

In her search for identity, Clara (or She who is) ambiguously moves to different places, but Kennedy indicates that the scene, like her characters," is a New York subway is the Tower of London is a Harlem hotel room is St. Peter's."⁴² The scene is a combination of the old and new places in the world queerly co-existing . This is where Clara is "caught in a deadly struggle with herself and her culture. " ⁴³ In this struggle, there is no possibility for a stable fixed identity and Clara's search is doomed to fail. From the very beginnig of the play, Clara's search for identity by relating to her father is rejected by all :

THEY : Bastard . (They start at a distance , eventually Crowding her . Their Lines are spoken coldly. SHE WHO IS is only a prisoner to them.)

You are not his ancestor.

Keep her Locked there, guard.

Bastard

SHE . You must let me go down to the chapel to see him. He is my father.

THEY . Your father? (Jeering.).

SHE. He is my father.

THEY . Keep her locked ther guard ... if you are his ancestor why are you a Negro?

notions of plot, character, and setting.

The Owl Answers expresses the black American woman's search for identity. Gender and race, however, made this search doubly difficult. The central character in the play is young black woman called *She Who Is Clara Passmore Who Is The Virgin Mary Who Is The Bastard Who Is The Owl*. *She Who Is* encounters other characters of multiple identities who include a white Father who rejects her claim as his child, Bastard's Black Mother who is the Reverend's Wife who is Anne Boleyn, Goddam Father who is the Richest White Man In The Town Who is the Dead White Father who is Reverend Passmore, The White Bird, a Negro Man, Shakespeare, Chaucer, and William the Conqueror. These characters, except the Negro Man, as a note to the play illustrates, "change slowly back and forth into and out of themselves leaving some garment from their previous selves upon the always to remind us of the nature of *She who is Clara Passmore who is the Virgin Mary who is the Bastard who is the Owl's World*."⁴⁰ Kennedy's theatre, Elin Diamond states, is "a theatre not of identity, but of identification."⁴¹

Norman's concept of ultimate denial as an affirmation of identity is contradictory but the experience she depicts in *'night Mother* is also full of contradictions. The creative use of the realist form has helped Norman not only to explore Jessie's dilemma but her mother's ability to give, to sustain, to fight for her child's life, and ultimately, to accept her daughter's decision to commit suicide.

IV

Unlike *The little Foxes* and *'nigh Mother*, Adrienne Kennedy's *The Owl Answers* falls outside of what can be described as realist. Indeed the play, like all of Kennedy's early plays, uses a totally non-realistic form which seems to go even beyond "the experimental theatre's racial, sexual, and formal boundaries."³⁸ From *Funnyhouse of a Negro* (1964), through such plays as *The Owl Answers* (1965), *A Rat's Mass* (1966) , *A Lesson in Deal Language* (1970), *A Movie Star Has to Star in Black and White* (1976), Kennedy has been "defying the conventions of American play writing to create a new, dangerous , and delirious dramaturgy."³⁹ In her theatre, she has tried to reinvent the traditional

women as inadequates whose lives drained of meaning once the stereotyped gender roles of wife and mother proved fallible or unsupportable."³⁶ Norman, however, finds that the relationship between mother and daughter is a central territory neglected by male writers. This relationship, she explains,

..... is one of the world's great mysteries' it has confused and confounded men and women for centuries .. and yet it has not been perceived to have critical impact on either the life of the family, whereas the man's ability to earn money, his success out in the world, his conflicts with his father - these are all things that have been seen as directly influencing the survival of the family. Part of what we have begun to do, because of the increasing voice of women in the world, is to redefine survival . What it means is the ability to carry on your life in such a way that it fulfils and satisfies you. With this definition of survival, Mother looms large. What you hope for your life, how you define the various parameters of what's possible for you, those are all things with which Mother is connected As women, our historical role has been to clear chaos, and I will not stop until I have it. ³⁷

whenever she wanted to, just by closing her eyes. Somebody who mainly just laid there and laughed at the colors waving around over her head and chewed on a polka-dot whale and woke up knowing some new trick nearly every day, and rolled over and drooled on the sheet and felt your hand pulling my quilt back up over me. That's who I started out and this is who is left. (There is no self-pity here) That's what this is about. It's somebody I lost, alright, it's my own self. Who I never was. Or who I tried to be and never got there. Somebody I waited for who never came. And never will. So, see, it doesn't much matter what else happens in the world in this house, even. I'm what was worth waiting for and I didn't make it. Me who might have made a difference to me ... I'm not going to show up, so there's no reason to stay, except to keep you company, and that's ...not reason enough because I'm not ... very good company. (pause) Am I.

Mama (Knowing she must tell the truth) : No, and neither am I.³⁵

Some feminist critics reject Jessie's idea that she can get her identity affirmed through its ultimate denial. They also argue that the play confirms "a model of

Mama : I call Dowson, But I get you cleaned up before he gets here and I make him leave before you wake up³⁴

In her desperate attempts to prevent Jessie from committing suicide, her mother unknowingly makes her more convinced of her decision. Now Jessie learns that she has had these fits since she was a child. This explains why Cecil, her husband, leaves her though she begs him to take her with him. She promises him she would leave everything if he would take her but he refuses and she understands why. She cannot keep a job and has never been around people all her life because they really feel "uncomfortable" when she smiles at them the way she does. Epilepsy has ruined her and she cannot live with the idea that she can live only as dependent on her mother :

Mama : You are my child!

Jessie : I am what became of your child.
(Mama cannot answer) I found an old baby picture of me. And it was somebody else, not me. It was somebody pink and fat who never heard of sick or lonely, somebody who cried and got fed, and reached up and got held and kicked but didn't hurt anybody, and slept

going to take her own life, the mother reveals a disturbing fact about Jessie when she advises her to come down from the attic before Jessie has a fit. This is how Norman introduces the prime motivating factor for Jessie's ruined life-her inability to hold a job, her failed marriage, her delinquent son, and ultimately her intention to kill herself. The minute realistic details which are subtly brought in demonstrate how epilepsy has turned Jessie's life into a painful humiliating experience :

Mama : And then you turn blue and the jerks start up like I'm standing their poking you with a cattle prod or you're sticking your finger in a light socket as fast as you can ...

Jessie:Foaming like a mad dog the whole time.

Mama : It's bubbling, Jess, not foam like the washer overflowed, for God's sake; it's bubbling like a baby spitting up. I go get a wet washcloth, that's all. And then the jerks show down and you wet yourself and it's over . Two minutes tops.

Jessie : How do I get to the bed?

Mama : How do you think?

Jessie : I'm too heavy for you now. How do you do it?

... Under no circumstances should the set and its dressing make a judgment about the intelligence or taste of Jessie and Mana. It should simply indicate that they are very specific real people who happen to live in a particular part of the country. Heavy accents, which would further distance the audience from Jessie and Mana are also wrong.³³

Norman's main contribution lies in her ability to use a realistic dialogue to explore a mad and unacceptable situation, subtly making her audience eventually resigned to accepting the suicide. Although Jessie wants her last evening with her mother to be, like all their previous evenings together, quiet and uneventful, the evening becomes a dreadful one. Ironically, every approach the mother tries to prevent the daughter from her intention to commit suicide becomes a probing exploration into the reasons for the daughter's choice.

A few minutes after the action of the play starts, Jessie, while talking about towels, Mama's snowball wrapper and manicure, asks her mother where she could find her Daddy's gun. Norman swiftly inserts the threatening element, and before Jennie says she is

Norman's text "may not be feminist or political in terms of its writing strategies, or in its naive conception of the self/ subjectivity-even in performance, the structure and design elements of 'night Mother perpetuate narrative closure, the Oedipal constructions of identity ."28 I would counter, however, that Norman manages, through an imaginative use of those same features of the realist form,-to expose what has been concealed and evaded in the lives of two women . Norman, from the very beginning of the play, promises a modified creative use of the realist form. The play's simple set, for example, is,as C.W.E.Bigsby notes,"charged with significance."29

We learn that Jessie plans to shoot herself in an adjacent room. The stage directions indicate that this room which opens directly onto the hall, and its entry should be invisible to everyone in the audience, is "the focal point of the entire set... a point of both threat and promise."³⁰ The door to that room, Bigsby explains, is "the route to her death but also, in her mind, to her release."³¹ To keep the set and the entire presentation" detached from ideological readings,"³² Norman warns us that :

kitchen and on a table in the living room should run throughout the performance and be visible to the audience.²⁶

The illusion of realism is also reinforced by the set and its dressing. The action of the play takes place in a living room which is "cluttered with magazines and needle -work catalogues, ashtrays, and candy dishes. Examples of Mama's needlework are everywhere-pillows, afghans, and quilts, doilies and rugs, and they are quite nice examples."²⁷

The plot, though simple, comprises a linear sequence of causal events. Jessie Cates, a woman in her late thirties or early forties, tells her mother, Thelma, that she intends to commit suicide and proceeds to carry out her promise, after having organized the details of her mother's life and her own death. Jessie insists she is informing Thelma in advance simply to have the older woman prepared when it happens. After much argument, during which time the mother tries to change her daughter's mind, the play ends with Jessie killing herself.

Jeanie Forte argues that "night Mother" inscribes the dominant ideology in its realist form." For her,

her two brothers and becomes "the desiring subject". Now she has the upper hand after her husband's death: "I'm smiling, Ben. I'm smiling because you are quite safe while Horace lives. But I don't think Horace will live. And if he doesn't live I shall want seventy-five percent in exchange of the bonds ... And if I don't get what I want I am going to put all three of you in jail."²⁴ Both Regina and Alexandra survive the gender battle but Alexandra refuses to stay with Regina, to watch the foxes "eat the earth." Alexandra's refusal to be like her mother, at the end of the play, demonstrates that there is still a choice for the younger generation of women to make. Thus, Hellman manages to use a realistic mode to show that realism, if modified, is not a closed form.

III

Like *The Little Foxes*, Marsha Norman's *night Mother* is a realist play. Robert Brustein observes that *night Mother* is "chastely classical in its observance of the unities,"²⁵ especially time, which, as the stage directions indicate, is measured synchronously on stage and in the audience :

The time is the present , with the action beginning about 8 : 15. Clocks on stage in the

Birdie and Alexandra at the piano , then back to Marshall) You're right , Mr. Marshall. It is difficult to learn new ways. But maybe that's why it's profitable. Our grandfather and father learned the new ways and learned how to make them pay. (Smiles nastily) They were in trade. Hubbard Sons, Merchandise. Others , Birdie's family, for example, looked down on them . (Settles back in chair) To make a long story short, Lionnet now belongs to us. (Birdie stops playing) Twenty years ago we took over their land, their cotton, and their daughter. (Birdie rises and stands stiffly by the piano. Marshall, who has been watching her, rises).²²

The presentation of sex roles in *Foxes* becomes clear in the relationship between Regina and Ben, on the one hand, and between Regina and Horace, on the other. From the beginning of the play, the battle for supremacy between Regina and Ben is quite evident. He repeatedly reminds her of her social role as a woman, invoking their mother as an example : "Sometimes it is better to wait for the sun to rise again ... and sometimes, as our mother used to tell you... it's unwise for a good -looking woman to frown .. Softness and a smile do more to the heart of man."²³ Regina, however, wins the battle with

is of the best and that is all."¹⁹ The scene does not change which gradually creates the atmosphere of prisons and traps. This domestic scene which is the setting for "business negotiations"²⁰ in *The Little Foxes*, is also where the female characters are traded. Judith E. Barlow rightly notes that "By locating *Foxes* in the home, Hellman demystifies the relationship between the domestic on the one hand and the economic and political on the other."²¹

There are four female characters in the play : Addie, Birdie, Alexandra, and Regina. Addie is a black maid who is helpless and almost forgotten till the end of the play when Horace before his death asks her to take care of Alexandra. Birdie has become alcoholic and defeatist from the tyranny of her husband, Ben. In Act one, add a comma when a Chicago industrialist, Marshall, visits the family to make the deal, Ben tells him how his grandfather and father took over everything belonging to Birdie's family. Birdie herself was part of the deal :

Ben : Perhaps. (He sees that Marshall is listening to the music. Irritated , he turns to

him for me, Mama, I'm not going to stand around and watch you do it. Tell him I'll be fighting as hard as he'll be fighting (rises) some place where people don't just stand around and watch

Regina : Well, you have spirit, after all. I used to think you were all sugar water. We don't have to be bad friends. I don't want us to be bad friends, Alexandra.

(Starts, stops, turns to Alexandra) Would you like to come and talk to me, Alexandra? Would you-would you like to sleep in my room tonight?

Alexandra : (takes a step toward her) Are you afraid Mama?

(Regina does not answer. She moves slowly out of sight. Addie comes to Alexandra, presses her arm.)

The Curtain Falls .¹⁸

Within this realistic plot, Hellman, as we have seen, has experimented. Also, the realistic set of the play indicates the kind of people living in it. The scene of the three acts is "the living room of the Giddents house, in a small town in the South." Significantly, Hellman describes the room as "good-looking, the furniture expensive; but it reflects no particular taste. Everything

Though Hellman wrote *The Little Foxes* before she had even heard of Brecht's anti-empathetic theories, the final scene in which Alexandra faces Regina could, indeed, be seen as a Brechtian device which forces the audience to question the rationale behind the actions of both Regina and Alexandra. In this scene, Hellman alienates the final event and the two characters of mother and daughter encouraging us not to take sides but rather to think :

Regina : (going up the steps) Alexandra, I've come to the end of my rope. Somewhere there has to be what I want. Life goes too fast. Do what you want ; think what you want; go where you want. I'd like to keep you with me, but I won't make you stay. Too many people used to make me do too many things. No, won't make you stay.

Alexandra : You couldn't , Mama , because I want to leave here. As I've never wanted anything in my life before. Because now I understand what Papa was trying to tell me. (Pause) All in one day : Addie said there were people who ate the earth and other people who stood around and watched them do it. And just now Uncle Ben said the same things. Really, he said the same thing. (Tensely) Well, tell

next move, however, is hers. She causes Horace to have a heart attack and mercilessly refuses to help him. When she is sure he is unconscious, she calls the servants. In the end, she blackmails her brothers into a seventy-five percent share in exchange for the bonds. Ben retaliates with the threat that he will expose her for murder of her husband, and Alexandra comes in to announce that Horace has died. The play ends with Alexandra, in her own way, blaming her mother for killing Horace and announcing she will go off on her own.

The plot, thus, consists of a series of crises , each one only partly resolved. Hellman manages to keep the audience waiting for the resolution to be completed, only to be shocked by a reversal which leads to a new crisis. Each twist in this realistic plot causes excitement. Nothing is expected or inevitable because every event comes as a surprise. The climax is reached in the quarrel between Regina and her husband, which ends with the death of Horace. Then comes the denouement or the unraveling of plot strands. Surprisingly, Hellman leaves some strands unraveled.

One third of the investment money has to come from Regina's husband , Horace, who has been treated at a hospital in Baltimore for a heart condition for several months. Since he refuses to answer his wife's correspondence, she asks their daughter Alexandra to go to the hospital to fetch him. He arrives home tired , weakened from the journey, and ill-disposed to finance the project that his wife has negotiated. Eager to bring the deal to its end, Regina's brother, Oscar and Benjamin, steal bonds worth \$ 88,000 from Horace's safe-deposit , bonds which are as negotiable as money. Oscar takes them to Chicago to make up the missing third of the deal, cutting Regina out of the share in the deal. They let Regina think an outsider has come up with the money required. Horace discovers the theft and tells Regina that he will not report it to the authorities but tell the brothers that the bonds are a loan from Regina. Furthermore, Horace tells Regina that he intends to revise his will, leaving only the stolen bonds to her.

Regina is thus trapped in a world dominated by her brothers and husband; she will receive nothing from her brother except as they choose to pay back that loan. The

article "Into the Foxhole : Feminism, Realism , and Lillian Hellman," Judith E. Barlow argues that Hellman" used realism as a tool to explore and expose a capitalist society with narrowly inscribed gender roles, and to counter the demeaning portrait of women typically proffered by male playwrights."¹⁵

It is true , as materialist feminist critics have pointed out, that a realistically constructed play can offer no alternative to class and gender hierarchies. *The Little Foxes*, however, demonstrates that, if modified, realism can be still used to serve the feminist conscious and determined and scrupulous writer."¹⁶ Louis Kroneberger praises the power and the significance of the work and the overwhelming moral sense that has direct social meaning. *The Little Foxes*, for him, comes through as the most effective kind of protest, sending its audience out of the theatre "not purged, not released, but still aroused and indignant."¹⁷

The plot of the play comprises a linear sequence of causal events that leads necessarily to conflict. Oscar and Benjamin Hubbard with their sister Regina Giddens arrange to get Northern capital to finance a cotton mill.

is hoped that the examination of the dramatic forms in the first two plays will show how a realist mode of writing, if creatively used, can vigorously serve feminist concerns. Also, the examination of the dramatic form in the third play will show why and how Kennedy resorts to non-realist form.

II

Lillian Hellman- acclaimed as one of America's most distinguished female playwrights-made an entrance into a predominantly male-dominated field in the first half of the twentieth century. Her dramatic output includes eight original plays and four adaptations written between 1934 and 1963. She wrote realistic well-made plays that dealt with sociological issues in the tradition of Ibsen and Chekhov. Remembered as her best play, *The Little Foxes* (1939) is about a family trying to attain wealth through pursuing industrial fortune on the ruins of the old south. Though Hellman was "amazed at being considered as a standard bearer" of the feminist cause, some critics have investigated her reputation as a "precursor of feminism, examining the roles and status of the women of her plays."¹⁴ In her

be used to reinforce or perpetuate the dominant ideology but rather to "thwart the illusion of real life" and "threaten the patriarchal ideology embedded in the story."¹²

Similarly, Patricia R. Schroeder observes that "in their enthusiasm to isolate what is unique about feminist drama, some scholars overlook or even reject the feminist possibilities inherent in more traditional dramatic forms." While Schroeder admits that the experimental feminist theatres "have opened up new exciting possibilities for the stage", she also believes that the "traditional dramatic form is a flexible instrument that can also respond to feminist concerns."¹³ For her, the traditional dramatic forms can be used to support feminist values by depicting the entrapment of female characters in an unyielding traditional society.

The purpose of this article is to examine mimesis or representation in three feminist plays : Lillian Hellman's *The Little Foxes*, Marsha Norman's *'night Mother*, and Adrienne Kennedy's *The Owl Answers*. While the first two plays are agreed upon by most critics as realist plays, the third one is described as a non-realist play. It

effect, not the precondition, of regulatory practices."⁹ The A-effect can be used to "dismantle the gaze and demystify representation "showing how and when the object of pleasure is made, releasing the spectator from imaginary and illusory identifications"¹⁰

Some other feminist critics and playwrights, on the other hand, call for a "new realism." In "Realism, Narrative and the Feminist playwright-A Problem of Reception", Jeannie Forte argues that Feminists should make use of the fact that realism is 'readable' on stage as well as off. Realism is "a matter of style and content : it is a representation of recognizable settings, characters and events reaccentuated by the newness of the material to the stage ... typified by juxtaposition along with continuity of incident from scene to scene, and references to popular culture." A feminist dramaturgy can use these features to explore a "subversive text" which " would not provide the detached view-point, the illusion of seamlessness, the narrative closure, but instead would open up the negotiation of meaning to contradictions, circularity, multiple viewpoints."¹¹ In this sense, the conventions of realism narrative will not

help in revealing " relations between sexes." Brechtian notions of the social gest (a singular, symbetic gesture associated with each character that controls and articulates the spectator's relation to the actor - as - character), epic structure (episodic structure in which each scene is isolated and has a crucial turning point), and alienation effect provide "the means to reveal material relations as the basis of social reality, to foreground and examine ideologically - determined beliefs and unconscious habitual perceptions, and to make visible those signs inscribed on the body which distinguish social behavior in relation to class, gender, and history."⁷

In her book *Unmaking Mimesis* Elin Diamond discusses the potentialities of Brecht's theory for feminism. She finds that " the cornerstone of Brecht's theory is the *Verfremdungseffeki* ('alienation-effect'), the technique of defamiliarizing a word, an idea, a gesture so as to enable the spectator to see or hear it afresh."⁸ The feminsit practice can use some version of the Brechtian A-effect to "expose or mock the strictures of gender" and "reveal gender-as appearance, as the

it deconstructs. In effect, it reproduces things as they are." Therefore, feminist playwrights should find an alternative representation outside of patriarchal reference to systems :

When women on stage vocalize their experience as women rather than reflect the representation of them by men, the possibility for a new discourse arises, one never constituted within the patriarchal canon of plays. Yet what action could this subject play which would generate an alternative discourse, one constituted outside of the patriarchal codes? The action of the desiring subject, the drama of the woman who desires, is in contrast to the passive role traditionally granted woman as the object of male desire. The desiring female subject frustrates the mystifications of morality, challenges the colonization of her body, and denies the use of her sexuality as a commodity in the market of marriage and pornography.⁶

Brechtian techniques seem to offer a strong alternative to realism. In her article "Beyond Brecht : Britain's New Feminist Drama," Janelle Reint suggests feminist transformations of Brechtian techniques could

the study of woman as object are deconstructive strategies which help in exposing the patriarchal encodings in the dominant system of representation. This will encourage women to emerge as subjects, which opens up a field of new possibilities for women in theatre and its system of representation : "constructing woman as subject is the future , liberating work of a feminist new poetics."⁴ Belsey goes further to explain how to deconstruct the realist text. She argues that "in its attempt to create a coherent and internally consistent fictive world the text, in spite of itself, exposes incoherences, omissions, absences and transgressions, which in turn reveal the inability of the language of ideology to create coherence." The aim of feminists should be to " locate the point of contradiction within the text, the point at which it transgresses the limit within which it is constructed, breaks free of the constraints imposed by its own realist form."⁵

In their article " From Formalism to Feminism," Sue- Ellen Case and Jeanne K. Forte argue that "the problem is that in the closed system of deconstruction the only possible reference is to the dominant ideology

process excludes women from the role of the subject. In her book **Feminism and Theatre**, Sue-Ellen Case explains that the exclusion of women from the role of subject is tied to "a cultural castration" which, according to Freud and Lacan, locates "the symbolic order in relation to the phallus of the child and the cultural 'Law of the Father,' situating the entire production of art within the patriarchal order of father and son.' Within this symbolic order of female desire and castration, 'the only role for women is as objects of this desire. "Thus, women become" fixed in the position of object of the gaze, rather than as the subject directing it." This is how woman is constituted as "other." In life and on stage women appear in order to be looked upon" rather than to do the looking." In the theatrical representation woman is "perceived as possible site for the fulfillment of that desire, transformed into a kind of a cultural courtesan. " In this sense, women within the patriarchal system of signs do not have" the cultural mechanisms of meaning to construct themselves as the subject rather than as the object of the performance.". ³

Case believes that the study of woman as a sign and

Classic realism is characterized by 'illusionism', narrative which leads to 'closure', and a 'hierarchy of discourses' which establishes the 'truth' of the story. 'Illusionism' is, I hope, self-explanatory. The other two defining characteristics of classic realism need some discussion. Narrative tends to follow certain recurrent patterns. Classic realist narrative, as Barthes demonstrates in *S/Z*, turns on the creation of enigma through the precipitation of disorder which throws into disarray the conventional cultural and signifying systems. Among the the commonest sources of disorder at the level of plot in classic realism are murder, war, a journey or love. But the story moves inevitably towards closure which is also disclosure, the dissolution of enigma through the re-establishment of order, recognizable as a reinstatement or a development of the order which is understood to have preceded the events of the story itself ².

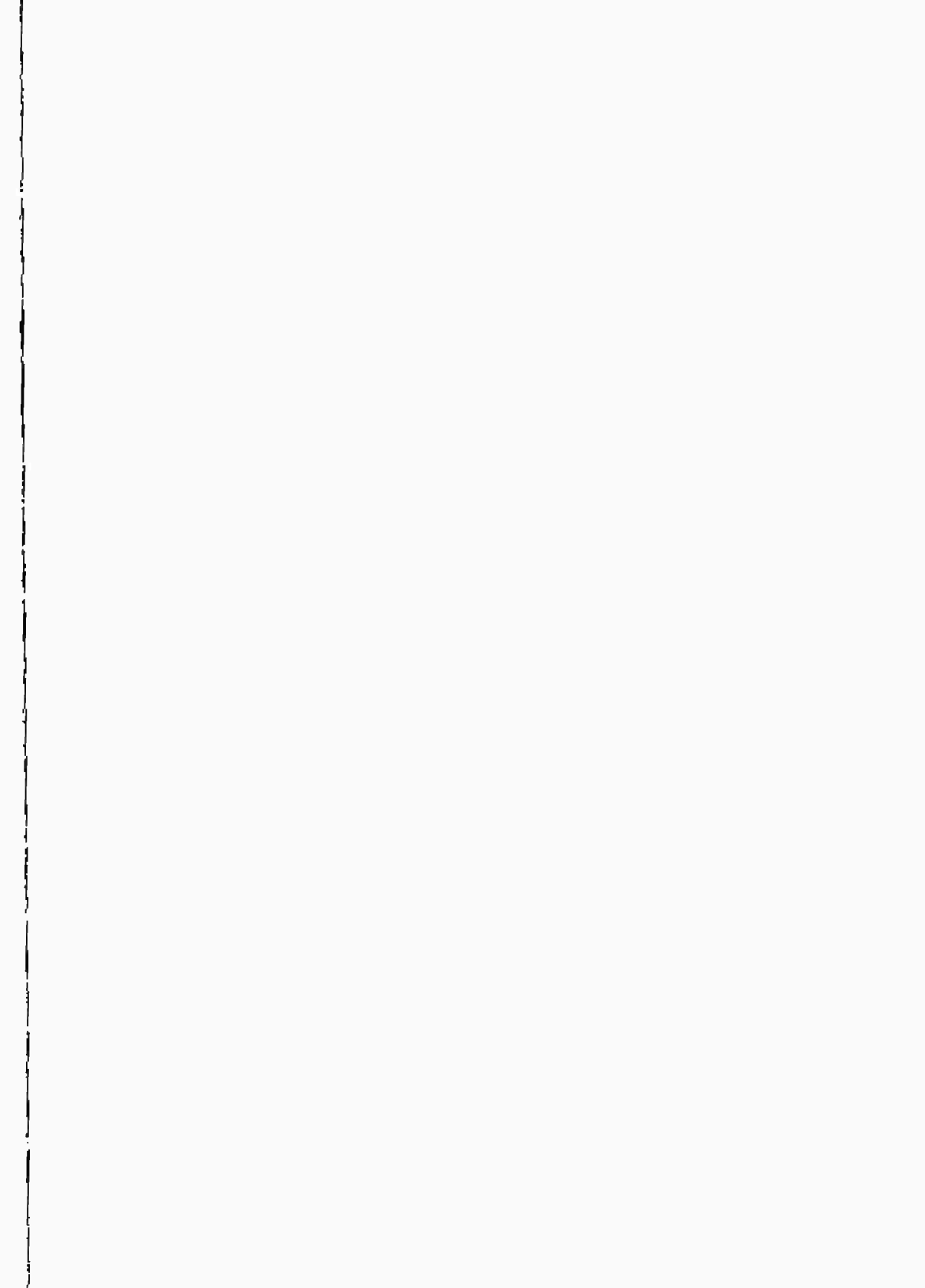
By 'the moment of closure' Belsey means the point at which the events of the story become fully intelligible to the reader. In this realist story, add a comma inscribed subject positions are always kept for men. The

MIMESIS IN THREE PLAYS : POSSIBILITIES FOR FEMINIST REPRESENTATION

**WAGDI ZEID
DEPARTMENT OF ENGLISH
CAIRO UNIVERSITY**

**د. وجدى زيد
آداب القاهرة
قسم اللغة الإنجليزية**

The inquiry into possibilities of a feminist mimesis has been one of the main concerns for some feminists in theatre.¹ The conventional realist representation seems, for materialist feminist critics, to serve only the ideology of the patriarchal society. It encourages us to forget the borderline between spelling stage and audience and, thus, disguises the construction of the dominant culture. It makes all appear seamless and natural, therefore appropriate and acceptable. In her article "Constructing the subject : deconstructing the text, " Catherine Belsey argues that realism or " classic realism" as she calls it, creates an " illusionism" which is nothing but a reinscription of the dominant male order :



**MIMESIS IN THREE PLAYS :
POSSIBILITIES FOR FEMINIST
REPRESENTATION**

WAGDI ZEID

DEPARTMENT OF ENGLISH

CAIRO UNIVERSITY

Mimesis in three plays: Possibilities for Feminist Representation	1
Dr. Wagdi Zeid	
Feminist Criticism of Shakespeare: A Diagnosis and Prognosis	42
Dr. Mona Mahmoud Sami Mohamed Mansour	
A Sentimental Journey and the Cult of Sensibility	79
Dr. Essam Fattouh	

Bulletin of the Faculty of Arts



Head of Board of Directors

Professor Fathi Abdel-Aziz Abou-Radi

Dean of the Faculty of Arts

Deputy Head of Board of Directors and Editor in Chief

Professor Gamal Mahmoud Hagar

Vice Dean of Postgraduate Studies and Research

Editors

Professor Mohamed Mohamed Ali Kassem

Doctor El Sayed El Sayed El Nashar

Editorial Councillors

Professor Lutfi Abdel-Wahab Yehia

Professor Omar Abdel-Aziz Omar

Professor Mohamed Ali Al-Kurdi

Professor Fathi Mohamed Abou-Ayana

Professor Muhammad Ahmad Bayyumi

Professor Khalil Helmy Khalil

Professor Mohamed Abbas Ibrahim

Professor Olga Mattar Mohamed Ghazi

Secretary

Sherein Lutfi

Technical Support

Abdel-Fattah Mahmoud El-Hadary

Bulletin of the Faculty of Arts



Volume 51
2001/2002

**All requests for copies of this Bulletin should be made to the
Library, Faculty of Arts , Alexandria University, Shatby,
Communication regarding contributions should be addressed to
Professor Gamal Gahar editor-in-chief of the Bulletin**